www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق المولى الميرزا حبيب الله الهاشمي

الجزء التاسع عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

آیت الله العظمی سید ابوالقاسم خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵
منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۹ ----- ۸
مشخصات کتاب ----- ۸
تتمه باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام و رسائله إلی أعدائه و أمرائه ----- ۹
تتمه المختار الخامس و العشرون من کتبه و رسائله ----- ۹
خطبه المؤلف ----- ۹
المصدر ----- ۱۱
المعنی ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
و فی المقام یبحث عن فروع فقهیّه: ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
أمّا الفرع الأوّل ----- ۲۷
و أما الثانی ----- ۲۹
و أمّا الفروع الثالث ----- ۳۰
فرع فقهی ----- ۳۵
کلام فی الرجعه ----- ۳۶
الترجمه ----- ۴۱
و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی بعض عماله ----- ۴۳
اشاره ----- ۴۳
المصدر ----- ۴۴
اللغه ----- ۴۴
الاعراب ----- ۴۹
المعنی ----- ۵۱
الترجمه ----- ۶۵

و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی محمد بن ---- ۶۶
اشاره ---- ۶۶
ذکر ماخذ العهد و مصادره ---- ۶۸
اشاره ---- ۶۸
صوره العهد علی روایه أبی اسحاق فی کتاب الغارات ---- ۷۰
صوره ما کتب أمیر المؤمنین علی علیه السّلام الی أهل مصر ---- ۷۱
کتاب أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) الی محمد بن أبی بکر و أهل مصر ---- ۷۲
صوره العهد علی ما فی تاریخ الطبری ---- ۷۷
صوره العهد علی ما فی تحف ابن شعبه ---- ۷۸
صوره العهد علی ما فی نسختی الشیخین ---- ۸۱
صوره العهد علی روایه أبی جعفر محمد بن أبی القاسم الطبری ---- ۸۸
اللغه ---- ۸۹
الاعراب ---- ۹۰
المعنی ---- ۹۱
الترجمه ---- ۹۸
اشاره ---- ۹۸
و برخی از این عهد این است: ---- ۹۹
و من کتاب له علیه السلام الی معاویه و هو من ---- ۱۰۰
اللغه ---- ۱۰۴
الاعراب ---- ۱۱۰
المصدر ---- ۱۱۱
المعنی ---- ۱۱۵
اشاره ---- ۱۱۵
حلف الفضول و سبب تسمیته کذلک ---- ۱۳۲
و صبیه أهل النار: ---- ۱۴۶
حماله الحطب ---- ۱۵۰

الترجمه ---------- ۱۹۶
رساله منفرده فی لقاء الله تعالی ---------- ۱۹۹
اشاره ---------- ۱۹۹
خاتمه ---------- ۲۹۱
و من کتاب له علیه السلام الی أهل البصره و هو ---------- ۳۶۹
اشاره ---------- ۳۶۹
المصدر ---------- ۳۶۹
اللغه ---------- ۳۷۰
الاعراب ---------- ۳۷۲
المعنی ---------- ۳۷۲
الترجمه ---------- ۳۹۰
و من کتاب له علیه السّلام الی معاویه - و هو المختار ---------- ۳۹۰
اشاره ---------- ۳۹۰
المصدر ---------- ۳۹۱
اللغه ---------- ۳۹۲
الاعراب ---------- ۳۹۷
المعنی ---------- ۳۹۸
الترجمه ---------- ۴۰۳
درباره مرکز ---------- ۴۰۴

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۹

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله إلى أعدائه و أمرائه

تتمه المختار الخامس و العشرون من كتبه و رسائله

خطبه المؤلف

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لولىّ النعم، و منزل الكلم على قلوب من كرّم من بنى آدم، و له الحمد على ما أولانا من مواهبه السنيّه الوافره، و رزقنا من أيادى الاولى و الاخره، و الصّلاه و السّلام على مهبط كلماته و مقسّم هباته، واقف مواقف الشهود محمّد المصطفى و آله امناء المعبود، و مظاهر أسمائه الحسنى، و صفاته العليا، و أعلام الهدى، و على من تمسّك بذيل ولايتهم و اقتفى بهديهم و هدايتهم.

و بعد فيقول العبد الراجى لقاء ربّه الكريم نجم الدين الحسن بن عبد اللّه الطبرى الاملى المدعوّ بحسن زادهٔ آملى رزقه اللّه و جميع المؤمنين الفناء فى التوحيد، و هداهم إلى أمره الرّشيد السديد، و تغمّدهم بغفرانه و رضوانه: هذا هو السفر الخامس من تكمله منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه، قد من اللّه علينا بما أجرى على القلم فى شرح طائفه من كلمات وليّه الأعظم باب مدينه العلم وصىّ خير البشر، فينتهى به المنهاج إلى التاسع عشر، ربّ أنعمت فزد و آتنا من لدنك رحمه و هيّىء لنا من أمرنا رشدا.

اللّهمّ إن كانت بضاعتنا هذه وجيهه عندك، و لها ثمن و قدر و قيمه من جزيل ثوابك و سنىّ عطائك فاجعلها ذخرا لأساتيذى العظام الذين عطفت علينا قلوبهم و رزقتنا من مأدبه علومهم. اللهمّ اجعل الغابرين عندك فى أعلى علّيين، و متّع الإسلام و المسلمين ببقاء الباقين آمين ربّ العالمين.

ثمّ قد تأخّر تأليف هذا المجلّد و طبعه و نشره لما أقبل فى أثناء التأليف من تقبّلنا اصول الكافى لجعله معربا مشكولا و كان أمرا صعبا مشكلا، فانّه قد انجرّ الخلاص

منه إلى قرب سنتين و نصف مع أنّا قد بذلنا جهدنا فيه و أسهرنا أعيننا ليالى و أتعبنا أنفسنا متواليا، و ذلك الأمر و إن عوّق التكمله عن النشر لكن اصول الكافى بمنّ اللّه سبحانه و فضله قد برز اليوم على أحسن وجه يستقبل إليه العالم البصير و يشكره و يستنكف عنه الجاهل الضرير و يكفره، على أنّ الامور مرهونه بأوقاتها، فلنعد إلى ما كنّا فيه فنقول مستعينا من اللّه تعالى:

المصدر

روى هذه الوصيه ثقه الإسلام الكلينى رضوان اللّه عليه فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاه من الجامع الكافى عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى عن حريز، عن بريد بن معاويه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

و رواها شيخ الطائفه الطوسى قدس سرّه فى باب من الزيادات فى الزكاه من التهذيب عن الكلينى بذلك الإسناد، و الكتابان من أصحّ الجوامع الروائيّه عند الاماميّه، و من الكتب الأربعه المعتبره عندهم عليها مدار استنباطهم و إليها مراجع اجتهادهم.

ثمّ إنّ قول السيّد - ره -: «و إنما ذكرنا هنا جملا منها» صريح فى أنّه اختار منها فصولا و حذف منها فصولا، فالوصيّه طويله و لكنّا لم نجدها بطولها مع طول الفحص و كثره البحث فى ما حضرنا من الجوامع الروائيّه و ما أتى بها الكلينى و الشّيخ قريب ممّا فى النهج.

و العلّامه المجلسى - ره - بعد نقلها من النهج فى ثامن البحار (ص ۶۴۰ من الطبع الكمبانى، فى باب كتب أمير المؤمنين عليه السّلام و وصاياه إلى عمّاله و امراء أجناده) و فى المجلّد العشرين منه (فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاه ص ۲۴). قال: أقول: أخرجته من الكافى فى كتاب أحواله عليه السّلام بتغيير ما رواه فى كتاب الغارات عن يحيى بن صالح عن الوليد بن عمرو عن عبد الرّحمن بن سليمان عن جعفر بن محمد قال: بعث علىّ عليه السّلام مصدقا من الكوفه إلى باديتها، إلى آخر ما قال و نقل طائفه من الروايه.

و نقل الروايه من كتاب الغارات المحدث النورى - ره - فى باب ما يستحبّ للمصدّق و العامل استعماله من الاداب من كتاب الزكاه من مستدرك الوسائل.

و الروايات يخالف بعضها بعضا فدونكها على نسختى الكافى و التهذيب و نجعل ما فى التهذيب بين الهلالين.

قال الكلينى بالإسناد المقدم ذكره عن بريد بن معاويه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: بعث أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه مصدّقا من الكوفه إلى باديتها فقال له: يا عبد اللّه (يا أبا عبد اللّه) انطلق و عليك بتقوى اللّه وحده لا شريك له و لا تؤثرنّ دنياك على آخرتك و كن حافظا لما ائتمنك عليه راعيا لحقّ اللّه فيك حتّى تأتى نادى بنى فلان فاذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بسكينه و وقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ثم قل لهم: يا عباد اللّه أرسلنى إليكم وليّ اللّه لاخذ منكم حقّ اللّه فى أموالكم فهل للّه فى أموالكم من حقّ فتؤدّون إلى وليّه (فهل للّه فى أموالكم حقّ فتؤدّوه إلى وليّه) فان قال لك قائل:

لا- فلا- تراجعه و إن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلّا خيرا فاذا أتيت ماله فلا تدخله إلّا باذنه فإنّ أكثره له فقل له: يا عبد اللّه أ تأذن لى فى دخول مالك ؟ فان اذن لك (اذن له) فلا تدخل (فلا تدخله) دخول متسلط عليه فيه و لا عنف به فاصدع المال صدعين ثمّ خيّره أىّ الصدعين شاء فأيّهما اختار فلا تعرّض له، ثمّ اصدع الباقى صدعين ثمّ خيّره فأيّهما اختار فلا تعرّض له و لا تزل كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللّه تبارك و تعالى من ماله فاذا بقى ذلك فاقبض حقّ اللّه منه، و إن استقالك فأقله ثمّ اخلطها و اصنع مثل الذى صنعت أوّلا حتّى تأخذ حقّ اللّه فى ماله فاذا قبضته فلا توكل به إلّا ناصحا شفيقا أمينا حفيظا غير معنف بشىء منها ثمّ احدر كلّ ما اجتمع (ثمّ احدر ما اجتمع) عندك من كل ناد إلينا نصيّره حيث أمر اللّه عزّ و جلّ فاذا انحدر بها رسولك فأوعز إليه أن لا- يحول بين ناقه و فصيلها و لا يفرّق بينهما و لا يمصرّن (و فى نسخه من التهذيب: و لا يمصّ لبنها) فيضرّ ذلك بفصيلها، و لا يجهد

بهـا ركوبا، و ليعـدل بينهنّ فى ذلك، و ليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به، و لا يعـدل (و لا يبـدل) بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق (الطرق) فى الساعه الّتى تريح و تغبق، و ليرفق بهنّ جهده حتّى يأتينا باذن اللّه سـحاحا سمانا غير متعبات و لا مجهدات فيقسّمهنّ باذن اللّه على كتاب اللّه و سـنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله على أولياء اللّه فإنّ ذلك أعظم لأجرك و أقرب لرشدك ينظر اللّه إليها و إليك و إلى جهدك و نصـيحتك لمن بعثك و بعثت فى حاجه فإنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قال: ما ينظر اللّه إلى ولىّ له يجهـد نفسه بالطاعه و النصـيحه له و لإمامه (و النصـيحه لإمامه) إلّا كان معنا فى الرفيق الأعلى، قال: ثمّ بكى أبو عبـد اللّه عليه السّلام ثمّ قال: يا بريد لا و اللّه (يا بريد و اللّه) ما بقيت للّه حرمه إلّا انتهكت و لا عمل بكتاب اللّه، و لا سنه نبيّه فى هذا العالم، و لا اقيم فى هذا الخلق حدّ منذ قبض اللّه أمير المؤمنين صـلوات اللّه و سـلامه عليه، و لا عمل بشـىء من الحقّ إلى يوم الناس هذا. ثمّ قـال: أمـا و اللّه لا تـذهب الأيّـام و الليالى حتّى يحيى اللّه الموتى و يميت الأحياء و يردّ اللّه الحقّ إلى أهله و يقيم دينه الـذى ارتضاه لنفسه و نبيّه فابشروا ثمّ ابشروا فو اللّه ما الحقّ إلّا فى أيديكم.

و الرّوايه على نسـخه كتـاب الغـارات على مـا فى المسـتدرك تنتهى إلى الرفيق الأعلى و لم ينقـل بعـده، و هى توافق النسـختين المذكورتين تقريبا.

و روى شطرا منها الشيخ قدس سرّه فى المسأله ۲۶ من زكاه الخلاف هكذا:

أنزل مـاءهم من غير أن تخالـط أبيـاتهم ثمّ قل: هل للّه فى أموالكم من حقّ ؟ فان أجابك مجيب فامض معه و إن لم يجبك فلا تراجعه. انتهى. و احتمال النقل من حيث المعنى بعيد، ثمّ حرفت كلمتا مائهم و أبياتهم فى النسخ المطبوعه من الخلاف بمالهم و أموالهم.

المعنى

اشاره

قـد أوصـى عليه السّـلام من يسـتعمله على جبايه الصـدقات بامور يراعى بعضـها فى حقّ نفسه، و بعضـها فى الرّعيّه، و بعضـها فى الأنعام. و يستفاد منها أحكام عديده فقهيّه و آداب كثيره أخلاقيه اجتماعيه، و قوانين عدليّه حقّه إلهيّه لا يأتيها الباطل من

بين يديها و لا من خلفها.

و هـذا هو السـلطان العـادل الـذى كان ظلّ اللّه تعالى فى أرضه، و للّه درّ الرّضـى قائلا: ليعلم بها أنّه عليه السّـلام كان يقيم عمّاد الحقّ و يشرع أمثله العدل فى صغير الامور و كبيرها و دقيقها و جليلها، و لا ريب أنّ السياسه إذا كانت بيده أو بيد من يقوم مقامه و يجلس مجلسه و يجرى أوامره ممّن حـاز هـذه الرتبه العظمى و الـدرجه العليـا كـان الزمان نورانيّا، و إذا خلى الزمان عن تـدبير مدبّر إلهى كانت الظلمات غالبه.

قوله عليه السّـلام:(انطلق على تقوى اللّه وحده لا شـريك له) كان من دأبه عليه السّلام فى أكثر وصاياه أن يصدرها بالأمر بتقوى اللّه و قد مضى الكلام فى ذلك فى شرح المختار الثّانى عشر فراجع.

قوله عليه السّـلام:(و لا تروعنّ مسلما) لما جعله عليه السّلام واليا على جبايه الصدقات و الولايه إماره توجب البغى و الطغيان على الناس إلّا واليا عصـمه اللّه تعالى عن اتباع الهوى نهاه عن أن يفزع مسـلما. و قد ذاق المسلمون فزعا شديدا مرّه بعد مرّه فى أماره الثالث حتّى ضاق عليهم العيش فأجمعوا على قتله و قتلوه.

قوله عليه السّـلام:(و لا تختارنّ عليه كارها إلـخ) اى لا تختارنّ على المسـلم أمرا يكرهه بل ارفق به و خيّره فيه و كأنّ هذا الكلام توطئه لما سيأتى فى وصيّته له:

و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره إلخ، و إن كان مفهومه أعمّ منه يشمل النهى عن الاختيار عليه كلّ ما يكرهه.

هـذا على نسـخه الرّضـى، و أمـا على نسـخ اخرى أعنى تجتـازن بـالجيم و الزاى المعجمه فمعنـاه لا تسـلك و لا تسـر على أرض المسـلم أو مـاله أو بيته و نحوهـا يكره مرورك بها، فكلمه كارها على الأوّل منصوب على المفعوليه، و على الثّانى منصوب على الحال من الضمير المجرور و المراد من حقّ اللّه الزكاه.

و هـذا هو الملـك العادل الالهى ينهى عامله عن أن يمرّ ببيوت أحـد من المسـلمين يكره مروره بها و إن كان ذلك المسـلم من رعاه الأغنام و من أهل الباديه

من طبقه أنزل العوام و ما هذا إلاّ أدب اللّه و أدب رسوله، و اين هذا و من ملك ينتحل إلى الإسلام و يأمر عمّاله أن يجتازوا على أحبار الامّه و حمله القرآن ليلا و ينهبوا بيوتهم اغتيالا، و ينفوهم من أوطانهم و يميلوا عليهم ميلا، و القرآن الفرقان ينادى بأعلى صوته: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (النور ۲۸، ۲۹).

و فى تفسير الدر المنثور: أخرج ابن شيبه و الحكيم الترمذى و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن أبى أيوب قال: قلت: يا رسول اللّه أرأيت قول اللّه: حتّى تستأنسوا و تسلّموا على أهلها، هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ؟ قال: يتكلّم الرجل بتسبيحه و تكبيره و تحميده و يتنحنح فيؤذن أهل البيت.

و فى تفسير مجمع البيان: روى أنّ رجلا قال للنبى صلّى اللّه عليه و آله أستأذن على امّى ؟ فقال: نعم، قال: إنّها ليس لها خادم غيرى أ فأستأذن عليها كلّما دخلت ؟ قال:

أ تحبّ أنّ تراها عريانه ؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن عليها.

قوله عليه السّلام:(فاذا قدمت على الحىّ فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم إلخ). و فى روايه أخرى عنه عليه السّلام كما فى المجلّد العشرين من البحار «ص ۲۳ من الطبع الكمبانى» أنه قال: يؤخذ صدقات أهل الباديه على مياههم و لا يساقون. يعنى لا يساقون من مواضعهم الّتى هم فيها إلى غيرها. و هذا أدب آخر غير ما فى النهج و أمّا ما فى النهج فمعناه أنه عليه السّلام أمره أن لا يخالط بيوتهم ابتداء بل ينزل بمياهم أولا ثمّ يمض إليهم بالسكينه و الوقار.

أمره بالنزول بمائهم لأنّ من عاده عرب الباديه بل من عاده غير العرب من أهل الباديه أيضا أن تكون مياههم بارزه عن بيوتهم، و لا ريب أن الإنسان يكره أن يخالط غيره بيته على حين غفله من أهله و ذلك لتنفر الطباع الإنسانيّه عن أن يطلع الغير على أسراره و بواطن أحواله.

على أنّ النزول كذلك يوجب خوف النسوان و فزع الأطفال و لذا أردفه أن يقدم عليهم بعد النزول بمائهم بالسكينه و الوقار و يسلّم عليهم تحيّه كامله قال تعالى: «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً ».

و قال صلّى اللّه عليه و آله: السّلام اسم من أسماء اللّه فافشوه بينكم الخبر.

و بالجمله أنّ تلك الامور توجب تأليف قلوبهم، و عدم نفارهم من أداء حقّ اللّه فى مالهم، و فوائد كثيره اخرى لا تخفى على اولى النهى.

قوله عليه السّلام:(ثمّ تقول: عباد اللّه إلخ) أمره أن يرفق بالرعيّه فى أخذ حقّ اللّه فى أموالهم بأن يقول: أرسلنى إليكم وليّ اللّه و خليفته لاخذ منكم حقّ اللّه فى أموالكم، و فى الكلام ملاطفه لطيفه توجب استيناسهم و ذلك لأنّ وليّ اللّه و خليفته لا يظلم أحدا و لا يعدل عن الحقّ مثقال ذرّه، و لا يسلط ظالما على أحد من آحاد الرعيّه.

ثمّ أمره أن يسألهم هل تعلّقت بأموالهم زكاه فيؤدّوه إلى وليّ اللّه أم لا؟ فان قال قائل من ربّ المال: لا، فلا يراجعه بل ينصرف عنه لأنّ القول قول ربّ المال ما لم يعلم كذبه و الأصل يعاضده، و لأنّها عباده يقبل قوله فيها فلا يفتقر أداؤها إلى اليمين كغيرها من العبادات، و لأنّه أمين، و لأنّ له ولايه الاخراج فيكون قوله مقبولا كالوكيل، و نحوه روايه غياث بن إبراهيم: كان علىّ عليه السّلام إذا بعث مصدّقه قال: إذا أتيت على ربّ المال فقل له تصدّق رحمك اللّه ممّا أعطاك اللّه فان ولى عنك فلا تراجعه انتهى فلو قال ربّ المال: لم يحل على مالى الحول أو قد أخرجت ما وجب علىّ أو تلف ما ينقص تلفه النصاب أو لا حقّ علىّ أو أنّ المال عندى وديعه أو نحو ذلك قبل منه و لم يكن عليه بيّنه و لا يمين كما أنّه عليه السّلام أمر عامله بقبول قول ربّ المال و لم يأمر باستظهار و لا باليمين و إليه ذهب فقهاؤنا الإماميه فراجع إلى زكاه الشرائع و القواعد و شروحهما و إلى خلاف الشّيخ و منتهى العلاّمه، و إن أنعم لك منعم أى إن قال: نعم فى مالى زكاه فانطلق معه من غير أن تخيفه إلخ و فى المقام روايات أنيقه فى باب أدب المصدّق من

البحار (ص ۲۲ ج ۲۰) قوله علیه السّلام:(فخذ ما أعطاک من ذهب أو فضه) یمکن أن یستفاد من هذا الکلام جواز إخراج الزکاه من قیمه الأنعام ذهبا و ورقا کما یستفاد منه جواز إخراج قیمه الغلات کذلک بل أیّ شیء کانت القیمه لأنّ ذکر قیمه خاصّه لا یخصّ بها کما لا یخفی، و المقصود من الزکاه دفع حاجه الفقیر و کما یحصل بدفع العین فکذا یحصل بدفع القیمه حتّی أنّ العلّامه قال فی المنتهی: إذا کان البعیر بقیمه الشاه فأخرجه أجزأ عندنا و عند الشافعی أما نحن فللمساواه فی القیمه إلخ و قال فی البحث السابع من المقصد الثّانی من زکاه المنتهی: یجوز إخراج القیمه فی الزکاه سواء کان ما وجبت الزکاه فیه ذهبا أو فضه أو أحد الحیوانات و هو اختیار الشّیخ رحمه اللّه و أکثر علمائنا انتهی. و قال فی القواعد: یجوز إخراج القیمه فی الأصناف التسعه و العین أفضل.

و قد قسم المفید رحمه اللّه کما فی المختلف للعلامه قدّس سرّه الأموال إلی الأنعام و غیرها و منع من إخراج القیمه فی الأوّل إلّا أن تعدم الأصناف المخصوصه کما فی المعتبر للمحقّق قدّس سرّه، و سوّغه فی الثّانی فإنّه الظاهر من کلام ابن الجنید فانه قال: و لا بأس بأن یخرج عن الواجب من الصدقه و الحقّ فی أرض العنوه ذهبا و ورقا بقیمه الواجب یوم أخذه. و یردّهما قوله علیه السّلام هذا، و اطلاق روایات اخری مذکوره فی محلّها.

بل یستفاد من اطلاقها جواز إخراج القیمه فی الزکوات کلّها و فی الفطره أیّ شیء کانت القیمه. و قال الشافعی و أصحابه: إخراج القیمه فی الزکاه لا یجوز و إنما یخرج المنصوص علیه و لفقهاء العامّه فی المقام وجوه اخری من الاختلاف فراجع إلی المسأله ۵۸ من زکاه خلاف الشّیخ.

ثمّ إنّ قوله علیه السّلام فخذ ما أعطاک من ذهب أو فضه، یفید جواز الإخراج من القیمه فهل یعتبر قیمه وقت تعلق الزکاه بالمال، أو قیمه یوم أخذها، أو یقید ذلک بما إذا لم یقوم المالک الزکاه علی نفسه، و لوقومها علی نفسه و ضمن القیمه فالواجب هو ما ضمنه زاد السوق قبل الإخراج أو انخفض و البحث مشبعا موکول إلی الفقه.

ص:۹

و لقائل أن يقول: إنّ قوله عليه السّلام: فإن كان له ماشيه أو إبل فلا تدخلها إلّا باذنه - إلخ، ظاهر فى أنّه جعل زكاه الأنعام مقابل غيرها من الزكوات فجوّز إخراج القيمه فى الأولى دون الثانيه و لم يشعر كلامه فى الثانيه إلى جواز إخراج القيمه أصلا بل يظهر منه خلافه كما ذهب إليه المفيد - ره - و غيره.

و لكن يجاب عنه بأنّ إطلاق قوله عليه السّلام فهل للّه فى أموالكم من حقّ ، يشمل القسمين كليهما و كذلك إطلاق قوله: فخذ ما أعطاك من ذهب و فضه، و قوله: فإن كان له ماشيه أو إبل - إلخ - يفسّر أحد القسمين أعنى زكاه الأنعام كما هو الظاهر من كلمه الفاء على هذا التقدير أى إن أعطاك زكاه الأنعام من جنسها من المواشى و الإبل فحكمها كذلك و يجب أن تكون سيرتك فيها كذلك فليتأمل جيّدا.

ثمّ إنّ الماشيه و الإبل تعمّ أنواعهما من معز و ضأن و بقر و جاموس و عراب و بخاتى و لا تشمل الماشيه البغال و الحمير و الرقيق و الخيل فلا يجب فيها الزكاه بل و لا يستحب فى الثلاثه الاول و انما يستحب فى إناث الخيل السّائمه فقط عن كلّ عتيق ديناران و عن كلّ برذون دينار واحد. و كذا لا تشمل بقر الوحش لأنّها تنصرف باطلاقها إلى الأهليّه، و خالف فيه بعض العامّه فراجع إلى المسأله ۶۲ من زكاه الخلاف، و إلى زكاه المنتهى.

قوله عليه السّلام:(فإنّ أكثرها له إلخ) علّل إذنه بأنّ أكثر الماشيه و الإبل له. و أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بأنّ قوله: فأنّ أكثرها له، كلام لا مزيد عليه فى الفصاحه و الرياسه و الدين و ذلك لأنّ الصدقه المستحقه جزء يسير من النّصاب و الشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل و يتصرّف إلّا باذن شريكه فكيف إذا كان له الأقلّ ، انتهى.

أقول: كلام الأمير عليه السّلام هذا ظاهر فى أنّ الزكاه تجب فى عين المال لا الذمّه، كما أنّ قوله عليه السّلام: و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره - إلخ - ظاهر أيضا فى أنّ الخيار إلى ربّ المال لا إلى السّاعى أعنى أنّ ربّ المال مخيّر فى أن

يعيّن ذلك فى أىّ جزء شاء كما ذهب إليهما شيخ الطائفه قدّس سرّه فى زكاه الخلاف (مسئله ۲۸) و نصّ بالأوّل العلّامه فى القواعد و المحقّق فى الشرائع و المعتبر بقولهما: الزّكاه تجب فى العين لا فى الذمّه و الروايات الاخرى صريحه أيضا بأنّ الفريضه تتعلق بالأعيان لا بالذمّه و الأصل براءه الذمّه. و هو المشهور من الإماميّه بل لم ينقل الخلاف فيه صريحا عن أحد منهم بل ادّعى غير واحد منهم الاجماع عليه.

ثمّ المراد بوجوبها فى العين تعلقها بها أعنى أنّ العين هى مورد هذا الحقّ لا الذّمه، لا وجوب إخراج الزكاه منها لما علمت آنفا من جواز إخراج القيمه فى الزّكوات كلّها. و فى المقام بحث فقهىّ أتى به صاحب الجواهر - ره - فى زكاه الجواهر، و الفقيه الهمدانى - ره - فى كتاب الزّكاه من مصباح الفقيه. أعرضنا عنه خوفا للإطناب و لخروجه عن موضوع الكتاب فليرجع الطالب إليهما.

قوله عليه السّلام:(و اصدع المال صدعين إلخ) ثمّ علّم السّاعى كيفيه استخراج الزّكاه من المال و أمره أن يفرّقها فرقتين و يخيّر ربّ المال فى اختيار إحدى الفرقتين و أن لا يتعرّض لما اختار و هكذا إلى أن يبقى منها مقدار حقّ اللّه فيها. ثمّ أمره بتسهيل الأمر له و عدم تشديده عليه بقوله (فان استقالك فأقله) ثمّ أمره أن يستأنف العمل رأسا بعد الاقاله بأن يخلط المال ثمّ يصدعه صدعين و يخيّره فى اختيار أىّ شقين شاء، ثمّ يقسّم الشق الباقى قسمين و هكذا إلى أن ينتهى أحد الصدعين إلى مقدار الواجب من حقّ اللّه فيقبض.

قال الشّيخ - ره - فى المسأله ۲۱ من زكاه الخلاف: يفرق المال فرقتين و يخيّر ربّ المال و يفرق الاخر كذلك و يخيّر ربّ المال إلى أن يبقى مقدار ما فيه كمال ما يجب عليه فيؤخذ منه، و قال عمر بن الخطّاب: يفرق المال ثلاث فرق يختار ربّ المال واحده منها و يختار السّاعى الفريضه من الاخرى، و قال الشافعى: لا يفرق المال ذكر ذلك فى القديم، دليلنا اجماع الفرقه و الخبر المروى عن أمير المؤمنين عليه الصّلاه و السّلام فيما قاله لعامله عند توليته إياه و وصّاه به و هو

معروف. انتهى.

ثمّ إنّ إطلاق كلامه عليه السّلام فى خيار ربّ المال فى إخراج الفريضه من أىّ صدعين شاء يقتضى عدم الفرق فى جواز الاخراج من أحد الصدعين بين ما إذا تساوت قيمتهما أو اختلفت و بهذا التعميم جزم غير واحد من الإماميه منهم العلاّمه فى جمله من كتبه كما حكى و المحقّق فى المعتبر و الشرائع حيث قال فيه:

و المالك بالخيار فى إخراج الفريضه من أىّ الصّنفين شاء. و قال صاحب المدارك:

و هو متّجه لصدق الامتثال بإخراج مسمّى الفريضه و انتفاء ما يدلّ على اعتبار ملاحظه القيمه مطلقا كما اعترف به الأصحاب فى النوع المتّحد. انتهى.

ثمّ يستفاد من كلامه عليه السّلام: و اصدع المال صدعين، إلخ فرع فقهى آخر كما ذكره العلاّمه فى المنتهى (ص ۴۸۱) فى زكاه الإبل و استشهد بهذا الكلام حيث قال: لو اجتمع فى مال ما يمكن إخراج الفريضتين كا المأتين يعنى المأتين من الإبل يتخيّر المالك ذهب إليه علماؤنا إن شاء أخرج الحقاق الأربع، و إن شاء أخرج خمس بنات لبون - ثمّ نقل أقوال العامّه فيه إلى أن قال: لنا ما رواه الجمهور فى قول النّبى عليه السّلام فى كتاب الصدقات: فإذا كانت مأتين ففيها أربع حقاق أو خمس بنات لبون أىّ الصّنفين وجدت أخذت. و قوله عليه السّلام لمعاذ: إياك و كرائم أموالهم. و من طريق الخاصّه ما رواه الشّيخ فى الحسن عن بريد بن معاويه قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: بعث أمير المؤمنين عليه السّلام مصدّقا من الكوفه إلى باديتها - فنقل الرّوايه بكمالها ثمّ قال بعده: و لأنّ الامتثال يحصل مع إخراج المالك أىّ النّصفين شاء فيخرج به عن العهده، و لأنّها زكاه ثبت فيها الخيار فكان ذلك للمالك - إلخ.

قوله عليه السّلام:(و لا تأخذنّ عودا إلخ) ثمّ نهى عليه السّلام السّاعى عن أن يأخذ فى الفريضه تلك المعيبات الخمس. قد علمت فى بيان اللّغه أنّ العود المسنّ من الإبل و هو الّذى جاوز فى السنّ البازل و المخلف. و الهرم هو كبر السنّ . و فى منتهى الأرب: يقال: جمل بازل و ناقه بازل - و اين در سال نهم باشد - و ليس بعده سنّ يسمّى

و يقال بعد ذلک بازل عام و بازل عامين. مخلف كمحسن: شتر كه از نه سالگی در گذشته باشد. عود: كلانسال از شتر و كوسپند، هرم ككتف: نيک پير خرف.

قال العلّامه قدّس سرّه فی زكاه المنتهی (ص ۴۸۵ ج ۱): مسئله و لا يؤخذ المريضه من الصحاح و لا الهرمه من غيرها و لا الهرمه الكبيره و لا ذات العوار من السليم و ذات العوار هی المعيبه و لا نعلم فيه خلافا قال اللّه تعالی: «وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ». و روی الجمهور عن النّبی صلّی اللّه عليه و آله أنه قال: و لا يؤخذ فی الصدقه هرمه و لا ذات عوار و لا تيس إلا أن يشاء المصدّق. و من طريق الخاصّه ما رواه الشّيخ فی الصّحيح عن محمّد بن قيس عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: و لا يؤخذ هرمه و لا ذات عوار إلّا أن يشاء المصدّق، و لأنّ فی ذلک ضررا للفقراء. انتهی.

أقول: قوله – ره –: و لا الهرمه من غيرها و لا الهرمه الكبيره يشير إلی قوله عليه السّلام: و لا تأخذن عودا و لا هرمه. و المشهور فی المصدّق بكسر الدّال و ذكره الخطائی بفتحها، قال: و كان أبو عبيد يرويه إلّا أن يشاء المصدّق بفتح الدّال يريد صاحب الماشيه، أفاده ابن الأثير فی النهايه، و الطريحی فی المجمع و النّراقی قدّس سرّه فی المستند ثمّ قال: و احتمله – يعنی فتح الدّال – فی الذّخيره.

أقول: لكن الصّواب هو الأوّل كما عليه المشهور فإنّ المراد من قول النّبی صلّی اللّه عليه و آله و صحيحی أبی بصير و محمّد بن قيس إلّا أن يشاء المصدّق أنّ تلک المعيبات لا يؤخذ فی الفريضه إلّا أن يقبلها المصدّق لأنّ العاملين علی الزكاه من الأصناف الثمانيه من مستحقی الزّكاه قال اللّه تعالی: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِی الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِی سَبِيلِ اللّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَهً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبه: ۶۱) فهو يكون مستحقّا للزّكاه فيعطيها بدل الصّحيح من الماشيه و الإبل و ليس فی ذلک ضرر للفقراء فالرّوايات قائله بجواز أخذ تلک المعيبات مع مشيّه المصدّق بمعنی قبوله إيّاها له، و كيف يصحّ حمل الرّوايه علی معنی إلاّ أن يشاء صاحب الماشيه مع أنّ قوله فی ذلک لا يسمع و الأصحاب صرّحوا من غير ذكر خلاف بل ادّعوا الاجماع

علیه أنّه لا یکفی فی الفریضه المریضه من الصحاح و الهرمه من الفتیات و ذات العوار من السلیمه مضافا إلی قوله تعالی: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّباتِ ما کَسَبْتُمْ وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لا تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ إِلّا أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ» (البقره: ۲۷۲).

علی أنّ إطلاق المصدّق بالکسر علی السّاعی الّذی یأخذ الفریضه ممّا أجمعت علیه أئمّه اللّغه و عامّه الرواه. و قال ابن الأثیر فی النهایه: و خالف أبا عبید عامّه الرواه فقالوا: بکسر الدّال و هو عامل الزّکاه الّذی یستو فیها من أربابها یقال: صدّقهم یصدّقهم فهو مصدّق.

و فی الکافی فی باب آداب المصدّق باسناده عن محمّد بن خالد أنه سأل أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الصّدقه، فقال: إنّ ذلک لا یقبل منک، فقال: إنّی أحمل ذلک فی مالی فقال له أبو عبد اللّه علیه السّلام: مر مصدّقک أن لا یحشر من ماء إلی ماء. الحدیث.

و فی ذلک الباب منه أیضا باسناده عن حریز، عن محمّد، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام انه سئل أ یجمع الناس للمصدّق أم یأتیهم علی مناهلهم ؟ قال: لا بل یأتیهم علی مناهلهم فیصدّقهم.

و فیه أیضا باسناده عن غیاث بن ابراهیم، عن جعفر، عن أبیه، علیهما السّلام قال:

کان علیّ علیه السّلام إذا بعث مصدّقه قال: إذا أتیت علی ربّ المال فقل له: تصدّق رحمک اللّه ممّا أعطاک اللّه، فان ولی عنک فلا تراجعه.

و قال الجوهری فی الصحاح: المصدّق الّذی یصدّقک فی حدیثک و الّذی یأخذ صدقات الغنم، و المتصدّق الّذی یعطی الصّدقه. و فی أساس البلاغه للزمخشری: أخذ المصدّق الفریضه، قال:

ودّ المصدّق من بنی عبر أنّ القبائل کلّها غنم

و فی منتهی الأرب: تصدیق: راستگو داشتن کسیرا و صدقات گرفتن مصدّق کمحدّث صدقات گیرنده نعتست از آن.

فبما قدّمنا علم أیضا أنّ ضبط المصدّق فی الروایه کما ذهب إلیه أبو موسی علی

ما فی النهایه الأثیریّه علی تشدید الصاد و الدال معا و کسر الدّال بمعنی صاحب المال و أصله المتصدق فادغمت التاء فی الصاد، لیس بصواب أیضا.

قال قطب الدّین الراوندی رحمه اللّه تعالی - علی ما نقله عنه الشارح البحرینی - ره -: الظاهر من کلامه علیه السّلام أنه کان یأمر باخراج کلّ واحد من هذه الأصناف المعیبه من المال قبل أن یصدع بصدعین. انتهی.

و قال الشارح المعتزلی: و ینبغی أن یکون المعیبات الخمس و هی المهلوسه و المکسوره و أخواتهما یخرجها المصدّق من أصل المال قبل قسمته و الاّ فربّما وقعت فی سهم المصدّق إذا کان یعتمد ما أمره به من صدع المال مرّه بعد مرّه. انتهی.

أقول: إذا کان أخذ تلک المعیبات فی الفریضه منهیا عنه فهی خارجه عن الفریضه رأسا سواء اخرجت قبل صدع المال أو بعده نعم إخراجها قبل الصدع تسهیل للأمر و إلاّ فلیس هو أحد الأحکام أو الاداب المعتبره فی الزکاه کما لم یتعرض علیها أحد من الفقهاء فی الکتب الفقهیه.

ثمّ إنّ للامام أن یستأجر الساعی بأجره معلومه مده معلومه و أن یجعل له جعاله علی عمله إذا أوفی العمل دفع إلیه العوض فلم یکن له فی هذا الوجه أخذ شیء من الصدقات، و أمّا فی غیر هذا الوجه فربما لم تقع الفریضه فی سهمه بل تقع فی سهم الفقراء فلو یخلو فی کلام الشارح المعتزلی و إلاّ فربّما وقعت فی سهم المصدّق من دغدغه لأنّ کلامه ینبیء أنّ النهی عن أخذ المعیبات الخمس فی الفریضه یکون من حیث وقوعها فی سهم المصدّق و قد علمت تحقیق القول فیه.

ثمّ إنه هل یجوز للهاشمی أن یکون عاملا؟ منع أصحابنا الامامیّه من ذلک لأنّ ما یأخذه زکاه و هی محرّمه علیهم و لمّا سأل الفضل بن العباس و المطّلب ابن ربیعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یولّیهما العماله قال لهما: الصدقه أوساخ الناس و انها لا تحلّ لمحمّد و آل محمّد، کما فی المنتهی، و فی صحیحه العیس بن القاسم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اناسا من بنی هاشم أتوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسألوه أن یستعملهم

على صدقات المواشى و قالوا: يكون لنا هذا السهم الّذى جعله اللّه عزّ و جلّ للعاملين عليها فنحن أولى به، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا بنى عبد المطّلب إنّ الصدقه لا تحلّ لى و لا لكم و لكن قد وعدت الشفاعه. و قال الشيخ قدّس سرّه: هذا مع تمكّنهم من الخمس أمّا مع قصورهم فيجوز لهم.

أقول: مرادهم من عدم جواز كون الهاشمى عاملا- إذا لم يكن الزكاه من الهاشميّين لأنّ زكاه غير الهاشميّين محرّمه على بنى هاشم لا مطلق الزكاه، كما فى زكاه الفطره.

قال العلّامه فى المنتهى: قد وقع الخلاف بين الفقهاء فى وجه استحقاق العاملين على الزكاه، فعندنا أنه يستحق نصيبا من الزكاه، و به قال الشافعى و قال أبو حنيفه: يعطى عوضا و أجره لا زكاه.

لنا: قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها » و العطف بالواو يقتضى التسويه فى المعنى و الاعراب و ما رواه الجمهور عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّ اللّه تعالى لم يرض فى قسمتها نبىّ مرسل و لا ملك مقرّب حتّى قسّمها بنفسه فجزّاها ثمانيه أجزاء، و من طريق الخاصّه ما رواه زراره و محمّد بن مسلم فى الحسن عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قالا: قلنا له: أرأيت قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ » الايه أ كلّ هولاء يعطى ؟ فقال: إنّ الإمام يعطى هؤلاء جميعا، و عن سماعه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الزكاه لمن يصلح أن يأخذها؟ قال: هى تحلّ للّذين وصف اللّه تعالى فى كتابه: للفقراء و المساكين إلى آخرها. و لأنّه لو استحقّها على سبيل الاجره لافتقر إلى تقدير العمل أو المدّه و تعيين الاجره و ذلك منفىّ إجماعا لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام بعده لم يعينوا شيئا من ذلك.

و لأنّه لو كان اجره لما منع منها الهاشمى.

احتجّ أبو حنيفه بأنّه لا يعطى إلّا مع العمل و لو فرّقها المالك أو الإمام لم يكن له نصيب، و لأنّه يأخذها مع الغنى و الصدقه لا تحلّ لغنى. و الجواب كونهم لا يأخذون إلّا مع العمل لا ينافى استحقاقهم منها و نحن ندفعها إليهم على

وجه استحقاقهم لها بشرط العمل لأنها عوض عن عملهم لعدم اعتبار التقدير و إعطاؤه لا ينافى غناه لأنّه يأخذها باعتبار عمله لا باعتبار فقره كما يعطى ابن السبيل مع غنائه فى بلده و يدخل فى العاملين الكاتب و القسّام و الحاسب و الحافظ و العريف أمّا الإمام و القاضى و نائب الامام فلا. انتهى.

ثمّ إنّ النهى عن أخذ المعيبات منصرف عمّا إذا كان النصاب كلّه كذلك فلو كان كلّه كذلك لم يكلّف شراء الصحيح، على أنّ قوله تعالى «منه» فى الايه يدلّ على أنّ الخبيث بعض المال، و كذا الظاهر من قوله تعالى «وَ لا تَيَمَّمُوا » فانّ القصد إلى الخبيث ظاهر فى وجود غيره أيضا، كما أنّ المرجع فى صدق الأصناف المعيبه إلى العرف فانّ صدق المعيب على مثل العرج القليل أو مقطوع الاذن أو القرن و نحوها بحيث يشملها النهى فى الايه و فى قوله عليه السّلام و فى الأخبار الاخرى مشكل بل خلافه ظاهر أو متعيّن.

قوله عليه السّلام:(و لا تأمننّ عليها إلّا من تثق به، إلخ)ثمّ أكّده بقوله: و لا توكل بها إلّا ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا إلخ. نهى عليه السّلام عامله عن أن يولى على مال المسلمين من ليس محلاّ للأمانه، و الأمانه أحد الشروط المعتبره فى العاملين و قد اشترطوا فى العامل البلوغ و العقل و الاسلام و العداله و الفقه و اعتبر بعضهم الحرّيه أيضا و قد علمت آنفا أنه لا يجوز للهاشمى أن يكون عاملا، و يقتصر فى الفقه فيمن يتولّاه على ما يحتاج إليه.

قال فى المدارك: لا ريب فى اعتبار استجماع العامل لهذه الصفات الأربع التكليف و الايمان و العداله و الفقه لأنّ العماله تتضمّن الاستيمان على مال الغير و لا أمانه لغير العدل، و لقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخبر المتقدم: فاذا قبضته فلا توكل به إلّا ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا. و إنما يعتبر الفقه فيمن يتولّى ما يفتقر إليه و المراد منه معرفته بما يحتاج إليه من قدر الواجب و صفته و مصرفه و يختلف ذلك باختلاف حال العامل بالنسبه إلى ما يتولّاه من الأعمال. قال: و يظهر من المحقق فى المعتبر الميل إلى عدم اعتبار الفقه فى العامل و الاكتفاء فيه بسؤال العلماء و استحسنه فى

البيان و لا بأس به.

قال: و شرط كونه غير هاشمى إنما يعتبر فى العامل الذى يأخذ النصيب لا فى مطلق العماله فلو كان العامل من ذوى القربى و تبرّع بالعمل أو دفع إليه الإمام شيئا من بيت المال جاز، لأنّ المقتضى للمنع الأخذ من الزكاه و هو منتف هنا.

و كذا لو تولى عماله قبيله أو مع قصور الخمس، و يدلّ على اعتبار هذا الشرط ما رواه الشيخ فى الصحيح عن العيص بن القاسم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اناسا من بنى هاشم أتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فسألوا أن يستعملهم على صدقات المواشى الخبر.

قال: و حكى الشيخ فى المبسوط عن قوم جواز كون العامل هاشميا لأنه يأخذ على وجه الاجره، فكان كسائر الإجارات و هو ضعيف جدا قاله فى المختلف و الظاهر أنّ القوم الّذين نقل الشيخ عنهم من الجمهور إذ لا أعرف قولا لعلمائنا فى ذلك.

قال: و اختلف الأصحاب فى اعتبار شرط الحرّيه فذهب الشيخ إلى اعتباره و استدلّ له فى المعتبر بأنّ العامل يستحقّ نصيبا من الزكاه و العبد لا يملك و مولاه لم يعمل ثمّ أجاب عنه بأنّ عمل العبد كعمل المولى، و قوى العلاّمه فى المختلف عدم اعتبار هذا الشرط لحصول الغرض بعمله و لأنّ العماله نوع اجاره و العبد صالح لذلك مع اذن سيّده، و يظهر من المحقق فى المعتبر الميل إليه و لا بأس به، أمّا المكاتب فلا ريب فى جواز عمالته لأنّه صالح للملك و التكسّب انتهى كلامه - ره -.

قال العلاّمه - ره - فى المنتهى فى وجه اشتراط الاسلام بأنّ الكافر ليس أهلا للأمانه قال اللّه تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ » و رفع أبو موسى الأشعرى إلى عمر حسابا فاستحسنه فقال من كتب هذا؟ فقال: كاتبى، قال: فأين هو؟ قال: على باب المسجد، فقال: أجنب هو؟ قال: لا و لكنّه نصرانى فقال: لا تأتمنوهم و قد خوّنهم اللّه و لا تقرّبوهم و قد بعّدهم اللّه. و لأنّ ذلك ولايه على المسلمين و قد قال اللّه تعالى: «وَ لَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ».

قوله عليه السّلام (حتّى توصله إلى وليّهم فيقسمه بينهم) إن بنى الفعل الأوّل على

الخطاب فهو راجع إلى العامل، و على الغيبه إلى من فى قوله: إلاّ من تثق به و أما الثانى فالصواب فيه أن يقرأ على الغيبه لكى يرجع إلى الولىّ و أراد بالولىّ نفسه. قال اللّه تبارك و تعالى: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ » «المائده» و الايه من الأدلّه الواضحه على أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو ولىّ المسلمين بعد اللّه تبارك و رسوله صلّى اللّه عليه و آله فالايه دالّه على إمامته عليه السّلام بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله بلا فصل فراجع إلى كتب التفسير.

و أفاد الفاضل الشارح المعتزلى فى المقام حيث قال: قد كرّر عليه السّلام قوله: لنقسمها على كتاب اللّه و سنه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله فى ثلاثه مواضع من هذا الفصل الأوّل قوله: حتّى يوصله إلى وليهم ليقسمه بينهم، الثانى قوله: نصيره حيث أمر اللّه به، الثالث قوله: ليقسمها على كتاب اللّه، و البلاغه لا تقتضى ذلك و لكنّى أظنه أحبّ أن يحتاط و أن يدفع الظنه عن نفسه فانّ الزمان كان فى عهده قد فسد و ساءت ظنون الناس لا سيما مع ما رواه من عثمان و استيثاره بمال الفيء.

قوله عليه السّلام (ثمّ احدر إلينا إلخ) ثمّ أمر عليه السّلام المصدّق بأن يسوق إليه سريعا ما اجتمع عنده من حقّ اللّه يقال: حدر يحدر كينصر و يضرب إذا أسرع، إنما أمره كذلك لأنّ فى تأخيره خوف التلف، أو لشدّه احتياج المستحقّين إليه.

و فى المقام يبحث عن فروع فقهيّه:

اشاره

أحدها أنّ الظاهر من كلامه عليه السّلام: احدر إلينا جواز نقل مال الزكاه إلى بلد آخر.

و ثانيها حمل الزكاه وجوبا إلى الولىّ عليه السّلام أو إلى من قام مقامه.

و ثالثها عدم جواز التصرف فى الزكاه للساعى، و فى الفروع اختلاف بين الفقهاء و نكتفى بنقل طائفه من أقوالهم دون أدلّتهم تفصيلا.

أمّا الفرع الأوّل

ففى المختلف قال الشيخ فى الخلاف: لا يجوز نقل مال الزكاه من بلد إلى بلد مع وجود مستحقه فان نقله كان ضامنا له إن هلك، و إن لم يجد له مستحقا جاز له نقله و لا ضمان عليه أصلا. و فى المبسوط : و إذا وجب عليه زكاه فعليه أن يفرّقها فى فقراء أهل بلده فان نقلها إلى بلد آخر مع وجود المستحق

فی بلده و وصل إلیهم أجزأه و إن هلک ضمن و إن لم یجد مستحقا فی بلده جاز حملها إلی بلد آخر و لا ضمان علی حال و لا فرق بین أن ینقلها إلی قریب أو بعید فإنّه لا یجوز نقلها عن البلد مع وجود المستحق إلّا بشرط الضمان و مع عدم المستحق یجوز بالإطلاق.

و فی النهایه: متی لم یجد من تجب علیه الزکاه مستحقّا عزلها من ماله و انتظر بها مستحقها فان لم یکن فی بلده جاز أن یبعث بها إلی آخر فإن اصیب فی الطریق أجزأه، و إن کان قد وجد فی بلده مستحقا فلم یعطه و آثر من یکون فی بلد آخر کان ضامنا لها إن هلکت وجب علیه إعادتها.

و قال المفید: إذا جاء الوقت فعدم المستحق عزلها من ماله إلی أن یجد من یستحقها من أهل الفقر و الایمان و إن قدر علی إخراجها إلی بلد یوجد فیه مستحق أخرجها و لم ینتظر بها وجود مستحقها ببلده إلّا أن یغلب علی ظنه فوت وجوده و یکون أولی بها ممّن یحمل إلیه من أهل الزکاه فان هلکت فی الطریق المحمول فیها إلی مستحقها أجزأت عن صاحب المال و لا یجزیه ذلک إذا حملها و هلکت و قد کان واجدا لمستحقها فی بلده و إنما أخرجها منه إلی غیره لاختیار أهل الاستحقاق و وضعها فی بعض من یؤثره منهم دون من حضره.

و قال صاحب الوسیله فیها: إذا وجد المستحق فی بلده کره له نقلها إلی آخر فان نقل ضمن، و إن لم یوجد لم یضمن.

و قال أبو الصلاح: و أهل المصر أولی من قطّان غیره، فان لم یکن فی المصر من یتکامل فیه صفات مستحقها اخرجت إلی من یستحقها، و إذا ارید حملها إلی مصر آخر مع فقد من یستحقها فی المصر فلا ضمان علی مخرجها فی هلاکها و إن کان السبیل مخوفا لم یجز حملها إلاّ بإذن الفقیر، فان نقلت من غیر إذنه فهی مضمونه حتّی تصل إلیه، و إن کان فی مصره من یستحقها فحملها إلی غیره فهی مضمونه حتّی تصل إلی من حملت إلیه إلاّ أن یکون حملها إلیه باذنه فیسقط الضمان.

و أما الثانى

ففى المختلف أيضا قال المفيد رحمه اللّه تعالى: فرض على الامّه حمل الزكاه إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و الامام خليفته و قائم مقامه فاذا غاب الخليفه كان الفرض حملها إلى من ينصبه خليفه من خاصّته فاذا عدم السفراء بينه و بين رعيّته وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته. و قال أبو الصلاح: يجب على كلّ من تعيّن عليه فرض زكاه أو فطره أو خمس أو أنفال أن يخرج ما وجب عليه من ذلك إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبله تعالى إو إلى من ينصبه لقبض ذلك من شيعته ليضعه مواضعه، فان تعذّر الأمران فإلى الفقيه المأمون فإن تعذّر و أثر المكلف تولّى ذلك بنفسه فمستحق الزكاه و الفطره الفقير المؤمنين، و هذا الكلام منهما يشعر بوجوب حمل الزكاه إلى الإمام أو نائبه أو الفقيه على ما رتّبناه.

و قال ابن البراج: و إذا كان الإمام ظاهرا وجب حمل الزكاه إليه ليفرّقها فى مستحقها، فان كان غائبا فإنّه يجوز لمن وجبت عليه أن يفرّقها فى خمسه أصناف و هو يدلّ على الوجوب أيضا.

و قال الشيخ رحمه اللّه تعالى: الأموال ضربان: ظاهره و باطنه، فالباطنه الدنانير و الدراهم و أموال التجارات، فالمالك بالخيار بين أن يدفعها إلى الإمام أو من ينوب عنه و بين أن يفرّقها بنفسه على مستحقها بلا خلاف فى ذلك. و أما زكاه الأموال الظاهره مثل المواشى و الغلّات فالأفضل حملها إلى الإمام إذا لم يطلبها، و إن تولّى ففرّقها بنفسه فقد أجزأ عنه.

و قال السيّد المرتضى: الأفضل و الأولى إخراج الزكاه لا سيما فى الأموال الظاهره كالمواشى و الحرث و الغرس إلى الإمام و إلى خلفائه النائبين عنه [و إن تولّى ظ] من وجبت عليه بنفسه من دون الإمام جاز.

ثمّ قال العلّامه رحمه اللّه تعالى: و الحقّ الاستحباب إلّا مع الطلب فيجب كما اختاره الشيخ و هو قول ابن إدريس، إلى أن قال: لو طلبها الإمام فلم يدفعها إليه و فرّقها بنفسه قال الشيخ لا يجزيه و هو الذى يقتضيه قول كلّ من أوجب الدفع إليه مع غير الطلب، و قيل: يجزيه.

لنا أنّها عباده لم يأت بها على وجهها المطلوب شرعا فيبقى فى عهده التكليف أمّا أنها عباده فظاهر، و أمّا أنّه فعلها على غير الوجه المطلوب فللاجماع على وجوب الدفع إلى الإمام مع الطلب فاذا فرّقها بنفسه لم يأت به على وجهه.

احتجّ الاخرون بأنّه دفع مالا إلى مستحقه فيخرج عن العهده، و الجواب إنما يخرج عن العهده لو دفعه إليه على الوجه المطلوب منه.

و أمّا الفروع الثالث

ففى المنتهى: إذا قبض السّاعى الصدقه و حملها إلى الإمام أو فرّقها إن كان قد أذن له فى التفريق فليس له أن ينتفع منها شيئا إلّا مع الحاجه و العذر كما إذا مرضت الشاه فيخاف عليها التلف قبل اتّصالها إلى المستحق أو كان التفريق مخوفا أو احتاج فى نقله إلى مؤنه يستوعبه فأمّا لغير عذر فلا يجوز لقوله عليه السّلام لمعاذ بن جبل: أعملهم أنّ عليهم صدقه تؤخذ من أغنيائهم فتردّ فى فقرائهم، و لما بعث أمير المؤمنين عليه السّلام المصدق قال له: ثمّ احدر ما اجتمع عندك من كلّ ناد إلينا نصيّره حيث أمر اللّه عزّ و جلّ ، و لما عدل عن البيع الّذى هو الأرفق إلى الأشقّ دلّ على أنّ الواجب ذلك، أمّا مع العذر فلا بأس لأجل الضروره، و قد روى الشيخ رحمه اللّه تعالى عن محمّد بن خالد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام بيع الصدقه، و هو محمول على ما قلناه، إذا ثبت هذا فإن باع لا- للضروره لم يصحّ البيع فان كانت العين باقيه استرجعت و ان نقصت ضمن الأرش، و إن كانت تالفه ضمن المشترى المثل فان تعذّر أو لم يكن مثله ضمن القيمه.

قوله عليه السّلام:(فاذا أخذها أمينك إلخ) فيه زياده تأكيد لقوله الماضى آنفا:

و لا- تأمنّ عليها إلّا من تثق بدينه، حيث ذكره بالوصف مشعرا بذلك من كونه أمينا ثمّ أمره أن يوعز إلى أمينه و يوصى إليه بحال الماشيه و الإبل بأن يراعى فيها عدّه امور:

أحدها أن لا يحول بين ناقه و فصيلها طمعا فى اللّبن.

و ثانيها أن لا يحلب كلّ ما فى ضرعها فيضرّ ذلك بولدها فيبقى جائعا.

و ثالثها أن لا يتعبّنها ركوبا.

و رابعها أن يعدل بين صواحباتها و بينها فى الركوب أى لا يخصّ بالركوب واحده بل تاره يركب عليها و اخرى على غيرها. هذا إذا جعلنا ذلك مشيرا إلى الركوب كما هو الظاهر المنساق من العباره، و يمكن أن يكون مشيرا إلى كلّ واحد من الركوب و حلب الضرع أى كما يجب عليه العدل بينها فى الركوب يجب عليه العدل فى الحلب أيضا بأن لا يخصّ واحده منها فى ذلك بل تاره يحلب هذه و اخرى اخرى.

و خامسها أن يرفه على اللّاغب أى أن يريح المعيى و يدعه و يعفّه عن الركوب ليستريح.

و سادسها أن يستأنى بالنقب، و هو الّذى رقّت أخفافه فيشق عليه المشى لأنّ الأرض تجرحه حينئذ، و كذلك أن يستأنى و يرفق بالظالع و هو الذى يظلع أى يغمز فى مشيه.

و سابعها أن يوردها ما تمرّ به من الغدر أى لا يمنعها من الماء.

و ثامنها أن لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق أى لا يمنعها من الكلاء.

و كانت نسختا الكافى و التهذيب فى هذا القسم هكذا: و لا يعدل - او و لا يبدل - بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق فى الساعه الّتى تريح و تغبق.

و صاحب المدارك - ره - نقل الخبر بطوله من الكافى فى زكاه المدارك (ص ۲۸۱ من الطبع على الحجر) و قال بعد نقل الخبر: و نقلنا هذا الحديث بطوله لما فيه من الفوائد، ثمّ قال: قال ابن إدريس - ره - فى سرائره بعد ان أورد هذا الخبر: قوله عليه السّلام: و لا تعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق فى الساعه الّتى تريح فيها و تعنق قال محمّد بن إدريس: سمعت من يقول: تريح و تغبق بالغين المعجمه و الباء يعتقد أنه من الغبوق و هو الشرب بالعشى، و هذا تصحيف فاحش و خطاء قبيح و انما هو بالعين غير المعجمه و النون المفتوحه و هو ضرب من سير الابل شديد قال الرّاجز:

يا ناق سيرى عنقا فسيحا إلى سليمان فتستريحا

لأنّ معنى الكلام أنّه لا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق فى الساعات الّتى لها فيها راحه و لا فى الساعات الّتى عليها فيها مشقه و لأجل هذا قال تريح من الراحه و لو كان من الرواح لقال تروح و ما كان يقول تريح و لأنّ الرواح عند العشاء يكون قريبا منه و الغبوق و هو شرب العشى على ما ذكرناه و لم يبق له معنى و انما المعنى ما قلناه و انما أوردت هذه اللفظه فى كتابى لأنّى سمعت جماعه من أصحابنا الفقهاء يصحفونها. انتهى كلامه - ره -. انتهى ما أتى به السيّد - ره - فى المدارك.

و قال الفيض قدّس سرّه فى الوافى (ص ۲۲ ج ۶) فى بيان الحديث: و الغبوق بالغين المعجمه و الباء الموحّده شرب آخر النهار، و ضبطه صاحب كتاب السرائر تعنق بالعين المهمله و النون من العنق و هو شدّه سير الابل و جعل جعله تغبق تصحيفا فاحشا و خطاء قبيحا معلّلا بانّ يريح من الراحه ليس من الرواح.

ثمّ قال الفيض - ره - قال استاذنا رحمه اللّه: كون ذلك تصحيفا غير معلوم بل يحتمل الأمرين. انتهى كلام الفيض. و مراده من استاذه هو استاذه فى العلوم النقليه السيّد ماجد بن هاشم الصادقى البحرانى طاب ثراه كما نصّ عليه فى ص ۱۴ ج ۶ من زكاه الوافى.

و تاسعها أن يروّحها فى ساعات الرّواح.

و عاشرها أن يمهلها عند وصولها إلى النطاف و الأعشاب، و النطاف المياه القليله الصّافيه جمع النطفه، و الأعشاب جمع العشب و هو الكلاء الرطب.

ثمّ إنّ كلامه عليه السّلام:(و لا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها و لا يجهدنّها ركوبا) يفيد أنّ للسّاعى أن ينتفع من الصدقه على مقدار الحاجه كما تقدّم الكلام آنفا فى الفرع الثالث.

و ينبغى التأمل جدّا فى ما أمره عليه السّلام و نهاه فى حقّ البهائم سيّما فيما أوصى من رعايه العدل فى الركوب و الحلب فيها ليعلم أنّ اللّه يحبّ العدل فى حقّها أيضا، و أنّه سبحانه بيّن كلّ ما يتعلق بأفعال المكلّفين و لم يترك شيئا إلاّ و له فيه

حکم. و هذا هو خلیفته أوصی فی أخسّ خلیفته ما أوصی، فما ظنّک بأشرفها و أکرمها.

فلنذکر فی المقام عدّه روایات منقوله من أئمه الدّین علیهم السّلام فی حقّ الدابه علی صاحبها و آداب رکوبها و حملها، ففی الکافی و الفقیه (الوافی ص ۶۶ ج ۸) عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال لقمان لابنه: یا بنیّ إذا سافرت مع قوم فأکثر استشارتهم فی أمرک و امورهم - إلی أن قال: و لا تنامنّ علی دابّتک فانّ ذلک سریع فی دبرها و لیس ذلک من فعل الحکماء إلّا أن تکون فی محمل یمکنک التمدّد لاسترخاء المفاصل، و إذا قربت من المنزل فانزل عن دابّتک و ابدأ بعلفها قبل نفسک فانّها نفسک إلخ. قال الفیض قدّس سرّه: الدّبر محرکه قرحه الدابّه، و انما جعل الدابّه نفسه لأنّ هلاکها یستلزم هلاکها.

و فی الخصال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: للدابّه علی صاحبها خصال ستّ :

یبدأ بعلفها إذا نزل، و یعرض علیها الماء إذا مرّ به، و لا یضرب وجهها فانّها تسبّح بحمد ربّها، و لا یقف علی ظهرها إلّا فی سبیل اللّه عزّ و جلّ ، و لا یحملها فوق طاقتها، و لا یکلّفها من المشی إلّا ما تطیق.

و فی البحار - باب حق الدابه علی صاحبها و آدابها و حملها ص ۷۰۱ ج ۱۴ من طبع الکمبانی - من المحاسن عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لا تضربوا وجوه الدّواب و کلّ شیء فیه الروح فانه یسبّح بحمد اللّه.

و فیه من مجالس الصدوق عن الصادق علیه السّلام قال: للدابّه علی صاحبها سبعه حقوق: لا یحملها فوق طاقتها، و لا یتّخذ ظهرها مجلسا یتحدّث علیها، و یبدأ بعلفها إذا نزل، و لا یسمها فی وجهها فانها تسبّح، و یعرض علیها الماء إذا مرّ به، و لا یضربها علی النفار، و یضربها علی العثار لأنها تری ما لا ترون.

و فیه من المحاسن و الفقیه عن ابن فضّال عن حمّاد اللحام قال: مرّ قطار لأبی عبد اللّه علیه السّلام فرأی زامله قد مالت فقال: یا غلام اعدل علی هذا الجمل فانّ اللّه یحبّ العدل.

و فيه من نوادر الراوندى عن علىّ عليه السّلام قال: للدّابّه على صاحبها ستّ خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضربها إلّا على حقّ و لا يحملها إلّا ما تطيق، و لا يكلّفها من السير إلّا طاقتها، و لا يقف عليها فواقا.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا تتّخذوا ظهور الدواب كراسى فربّ دابه مركوبه خير من راكبها و أطوع للّه تعالى و أكثر ذكرا.

و فيه من الفقيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه تبارك و تعالى يحبّ الرفق و يعين عليه فاذا ركبتم الدواب العجاف فانزلوها منازلها فان كانت الأرض مجدبه فانجوا عليها، و ان كانت مخصبه فانزلوها منازلها. فقال صلّى اللّه عليه و آله: من سافر منكم بدابّه فليبدأ حين ينزل بعلفها و سقيها.

و فى الكافى باسناده عن عمرو بن جميع عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تتورّكوا على الدّواب و لا تتّخذوا ظهورها مجالس.

و فى البحار عن أبى الدرداء أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله قال: من قال إذا ركب دابّه:

«بسم اللّه الّذى لا يضرّ مع اسمه شىء فى الأرض و لا فى السماء سبحانه ليس سمىّ له سبحان الّذى سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون و الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله عليهم السّلام» إلّا قالت الدابّه: بارك اللّه عليك من مؤمن خففت على ظهرى و أطعت ربّك و أحسنت إلى نفسك بارك اللّه لك و أنجح حاجتك.

و قد مضى كلام الأمير عليه السّلام حين يركب فى شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب «ص ۱۶۹ ج ۱۸» فراجع. و فى المقام روايات عديده أتى بها المجلسى - ره - فى البحار فراجع «ص ۷۰۱ ج ۱۴ - إلى ص ۷۰۸ من طبع الكمبانى».

قوله عليه السّلام:(حتّى يأتينا باذن اللّه إلخ) ثمّ ذكر عليه السّلام غايه ما أمر العامل أن يوصى إلى أمينه بما مرّ فى أمر الدوابّ ، أى له أن يراعى فيها بتلك الامور حتّى يأتينا إلخ. فقوله: حتّى يأتينا متعلق بقوله: فأوعز إليه، و المنقيات اسم فاعل من انقت الابل اذا سمنت يقال: انقت الابل أى سمنت و صارت ذات نقى بكسر النون

فسكون القاف أى ذات مخّ . ثمّ اتبعه عليه السّلام تشديدا فى حفظ مال المستحقّين و تأكيدا لما أوصى مرارا من قسمته على ما أوجب اللّه تعالى بقوله:(لنقسمها على كتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله) ثمّ وعده بما يترتب على عمله هذا من الأجر العظيم و القرب من الرشد و الهدايه و الصواب، و قال عليه السّلام:(إنّ ذلك أعظم أجرا) لأنّ فيه كثره مشقّه لا تخفى و لأنّ ذلك أحفظ لمال المستحقّين فثواب حافظه و أجره أقرب رشدا لأنّ فيه اتّباع ولىّ الأمر على نهج رضاه فيه أكثر، و لأنّ اختيار عمل فيه كثره مشقه يدلّ غالبا على خلوص العامل و صدق نيّته فى إطاعه الامر.

و كفى فى عظم الأجر ما وعد عليه السّلام على ما فى روايتى الكافى و التهذيب المقدّمتين فى ذكر المصدر حيث قال عليه السّلام: فانّ ذلك أعظم لأجرك و أقرب لرشدك ينظر اللّه إليها و إليك و إلى جهدك و نصيحتك لمن بعثك و بعثت فى حاجه فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما ينظر اللّه إلى ولىّ له يجهد نفسه بالطاعه و النصيحه له و لإمامه إلّا كان معنا فى الرفيق الأعلى. قال الفيض قدّس سرّه فى الوافى «ص ٢٢ ج ۶» فى بيان الرفيق الأعلى: أى فى الرفقه العاليه و هم الأنبياء و المرسلون و الملائكه المقربون.

فرع فقهى

روى المسلم فى آخر كتاب الزكاه من صحيحه باسناده عن عبد اللّه بن أبى أوفى قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهمّ صلّ عليهم» فأتاه أبى أبو أوفى بصدقته فقال: «اللهمّ صلّ على آل أبى أوفى». انتهى.

أقول: قوله صلّى اللّه عليه و آله: اللهمّ صلّ عليهم يشير إلى قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَهً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » - توبه: ١٠۴». ثمّ إنّ الأمير عليه السّلام لم يأمر العامل بالدّعاء بعد أخذ الصدقه لصاحبها و لو كان واجبا لذكره اللهمّ إلّا أن يقال: إنّ الرضىّ أسقطه على دأبه فى النهج بل صرّح فى المقام بانه ذكر هنا جملا منها كما دريت، و نسخه الكافى كالتهذيب كانت قريبه منه، و مع فرض ذكره فى الوصيّه القول بوجوبه مشكل بل الحق فى المقام أنّ الدّعاء مستحب و ليس الدّعاء موقتا.

قـال العلاّمه - ره - فی المنتهی «ص ۵۱۵»، مسئله و إذا أخـذ السـاعی أو الامام الصّـدقه دعا لصاحبها قال اللّه تعالی: «خُـذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَـدَقَهً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهـا وَ صَـلِّ عَلَيْهِمْ » و تردّد الشّـيخ فی الوجوب فقال فی الخلاف به(۱) و هو مـذهب داود بن علیّ بن خلف الاصـبهانی لظاهر الایه و قال فی المبسوط بالاسـتحباب و هو مذهب أکثر الجمهور و هو أولی لأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لمّا بعث معاذا إلی الیمن قال له: أعلمهم أنّ علیهم صـدقه تؤخذ من أغنیائهم فتردّ فی فقرائهم، و لم یأمره بالدّعاء و لو کـان واجبا لـذکره، و لأنّه براءه للـذمّه، و لأنّ الفقراء لو أخـذوا الصّـدقه بأنفسـهم لم یجب علیهم الـدّعاء فتاتیهم أولی (کـذا فی المنتهی و فی العبـاره تصـحیف) «الظـاهر: فنـائبهم م» و لأـنّ هـذا أداء عباده فلا یجب الـدّعاء لها کالصّـلاه، و الایه محموله علی الاستحباب و لا شیء موقت فی هذا الدّعاء و أیّ دعاء ذکره کان حسنا.

و فی المسـتند للنراقی - قـدّه -: یسـتحب للعامل و الفقیه و الفقیر الدّعاء للمالک بعد أخذ الزکاه، أمّا من حیث اسـتحباب الدّعاء مطلقـا فظـاهر، و أمّـا من جهه خصوص المورد فلفتوی جمع من الأصـحاب، و لاـ یجب قطعـا للأصـل و عـدم الـدلیل سوی الایه المخصوص بالنبیّ صـلّی اللّه علیه و آله خطابا و تعلیلا بقوله سـبحانه: «إِنَّ صَـلاتَکَ سَـکَنٌ لَهُمْ » مضافا إلی عدم معلومیّه شمول مرجع الضـمیر لجمیع المؤمنین و عدم صـراحه الایه فی کون الصّـلاه المأمور بها لأجل أداء الزکاه و بعد مضیها بل عدم ظهورها فیه أیضا.

کلام فی الرجعه

و اعلم أنّ ظـاهر قوله علیه السّـلام فی ذیـل هـذه الوصـیّه علی نسـختی الکـافی و التهـذیب حیث قال علیه السّـلام: - أما و اللّه لا تـذهب الأیّـام و اللّیـالی حتی یحیی اللّه الموتی و یمیت الأحیـاء و یردّ اللّه الحقّ إلی أهله و یقیم دینه الـذی ارتضـاه لنفسه و نبیّه فابشروا ثمّ ابشروا فو اللّه ما الحقّ إلاّ فی أیدیکم - یدلّ علی الرجعه.

۱- (۱) ثم مال عنه و قال فی کتاب قسمه الصدقات من الخلاف أیضا بالاستحباب کما فی المبسوط . منه.

و قال الفيض – ره – فی الوافی «ص ۲۲ ج ۶»: قوله یحیی اللّه الموتی و یمیت الأحیاء، إمّا محمول علی الحقیقه بناء علی الرجعه، و إمّا تجوّز، شبّه الشیعه لقلّتهم و خفائهم و عدم تمکّنهم من اظهار دینهم بالموتی انتهی کلامه – ره – أقول: حمل العباره علی التجوّز بعید من صوب الصواب جدّا و تکلّفه واضح و لو جاز حمل العباره علی هذا النحو من التجوّز لا یبقی لظاهر الألفاظ معنی، و لا للرجعه محلّ لامکان حمل کلّ خبر قائل بالرجعه علی نحو هذا المعنی المتکلّف فیه.

ثمّ إنّ لعلمائنا الامامیّه رسائل عدیده منفرده فی إثبات الرجعه و ربّما أتوا بالبحث عنها فی أثناء کتبهم الکلامیّه تمسّکوا فی إثباتها بعدّه آیات و بروایات کثیره.

و قال المحدّث الخبیر الشّیخ الحرّ العاملی طیّب اللّه رمسه فی أوّل کتابه فی الرجعه المسمّی بالإیقاظ من الهجعه بالبرهان علی الرجعه، و هو أطول کتاب عمل فی الرجعه ممّا حضرنا من المؤلّفات فیها ما هذا لفظه: و قد نقل جماعه من علمائنا إجماع الإمامیّه علی اعتقاد صحتها و اطباق الشیعه الاثنی عشریّه علی نقل أحادیثها و روایتها و تأوّلوا معارضها علی شذوذ و ندور بالحمل علی التقیّه إذ لا قائل بها من غیر الشیعه الإمامیّه، و ذلک دلیل واضح علی صحتها، و برهان ظاهر علی ثبوتها و نقل روایتها.

و قال فی آخر کتابه هذا: فهذا ما خطر بالبال و اقتضاه الحال من الکلام فی إثبات الرجعه و دفع شبهاتها علی ضعفها و عدم صراحتها فی ابطال الرجعه و قوّه أحادیث الرجعه و أدلّتها کما رأیت فانّها وصلت إلی حدّ التواتر بل تجاوزت بمراتب فأوجبت القطع و الیقین بل کلّ حدیث منها موجب لذلک لکثره القرائن القطعیّه من موافقه القرآن و الأدله و السنه النبویه و تعاضدها و کثرتها و صراحتها و اشتمالها علی ضروب من التأکیدات و موافقتها لاجماع الامامیّه و إطباق جمیع الرواه و المحدّثین علی نقلها و وجودها فی جمیع الکتب المعتمده و المصنّفات المشهوره المذکوره سابقا و غیرها، و عدم وجود معارض صریح لها أصلا و عدم

احتمالها للتقيه، و استحاله اتفاق رواتها على الكذب، و لعدم قول أحد من العامّه المخالفين للاماميّه بها، و لعداله أكثر رواتها و جلالتهم، و لصحه طرق كثيره من أحاديثها، و لكون أكثر رواتها من أصحاب الإجماع الذين اجتمعت الاماميه على تصحيح ما يصحّ عنهم و تصديقهم و أقرّوا لهم بالعلم و الفقه، و للعلم القطعى بأنّ كثيرا من هذه الأحاديث كانت مرويه فى الاصول المجمع على صحتها الّتى عرضت على الأئمه عليهم السّلام فصحّحوها و أمروا بالعمل بها، و لكثره تصانيف علماء الإماميّه فى إثبات الرجعه، و لم يبلغنا أنّ أحدا منهم صرّح بردّها و إنكارها فضلا عن تأليف شىء فى ذلك.

و إنّى مع قلّه تتبعى لو أردت الان لأضفت إلى أحاديث هذه الرساله ما يزيد عليها فى العدد فتتضاعف الأحاديث لأنّى لم أنقل من رسائل المتأخّرين شيئا مع أنّه حضرنى منها ثلاث رسائل و فيما ذكرنا بل فى بعضه كفايه إن شاء اللّه تعالى فقد ذكرنا فى هذه الرساله من الأحاديث و الايات و الأدلّه ما يزيد على ستّه مائه و عشرين، و لا أظنّ شيئا من مسائل الاصول و الفروع يوجد فيه من النصوص أكثر من هذه المسأله. انتهى كلامه - ره -.

و قال الاحسائى فى شرح الزياره الجامعه «ص ۲۶۸ من الطبع على الحجر ۱۲۷۶ ه » فى شرح قول الامام عليه السّلام «مصدّق برجعتكم» بعد نقل طائفه من الكلام فى الرجعه: مع ما ورد فى الرجعه من النصوص الكثيره منها ما تقدّم ذكره عن السيّد نعمه اللّه الجزائرىّ أنّه قال: وقفت على ستّمائه و عشرين حديثا فى هذا الباب. و الشّيخ عبد اللّه بن نور اللّه البحرانى الّذى تقدّم ذكره و بعض كلامه و قلنا يأتى تمامه قال: و كيف يشكّ مؤمن بحقيقه الأئمه الأطهار عليهم السّلام فيما تواتر عنهم فى قريب من مأتى حديث صريح رواها نيّف و أربعون من الثّقات العظام و العلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلّفاتهم كثقه الإسلام الكلينى، و الصدوق محمّد بن بابويه، و الشّيخ أبى جعفر الطوسى، و المرتضى و النّجاشى و الكياشى و العيّاشى و علىّ بن إبراهيم و سليم الهلالى و الشّيخ المفيد و الكراجكى و النعمانى و الصفّار

و سعد بن عبد اللّه و ابن قولويه و علىّ بن عبد الحميد و السيّد علىّ بن الطاوس و ولده صاحب كتاب زوائد الفرائد، و محمّد بن علىّ بن إبراهيم و فرات بن إبراهيم مؤلف كتاب التنزيل و التحريف و أبى الفضل الطبرسى و أبى طالب الطبرسى و إبراهيم بن محمّد الثقفى و محمّد بن العبّاس بن مروان و البرقى و ابن شهرآشوب و الحسن بن سليمان و القطب الراوندى و العلّامه الحلّى و السيّد بهاء الدّين و علىّ بن عبد الكريم و أحمد بن داود بن سعيد و الحسن بن علىّ بن أبى حمزه و الفضل بن شاذان و الشّيخ الشّهيد محمّد بن مكّى و الحسين بن حمدان و الحسن بن محمّد بن الجمهور العمى مؤلّف كتاب الواحده و الحسن بن محبوب و جعفر بن محمّد بن مالك الكوفى و طهر بن عبد اللّه و شاذان بن جبرئيل صاحب كتاب الفضائل و مؤلف كتاب العتيق و مؤلف كتاب الخطب و غيرهم من مؤلفى الكتب عندنا و لم نعرف مؤلّفه على التّعيين و لذا لم ننسب الأخبار إليهم و إن كان موجودا فيها - إلى أن قال البحرانى المذكور:

و لنذكر لمزيد التشييد و التأكيد أسماء بعض من تعرّض لتأسيس هذا المدّعى و صنّف فيه أو احتجّ على المنكرين أو خاصم المخالفين سوى ما ظهر ممّا قد منافى ضمن الأخبار و اللّه الموفق فمنهم أحمد بن داود بن سعيد الجرجانى قال الشيخ فى الفهرست: له كتاب المتعه و الرّجعه، و منهم الحسن بن علىّ بن أبى حمزه البطائى و عدّ النّجاشى من جمله كتبه كتاب الرجعه. و منهم الفضل بن الشاذان النيسابورى ذكر الشّيخ فى الفهرست و النّجاشى أنّ له كتابا فى إثبات الرجعه. و منهم الصّدوق محمّد بن علىّ بن بابويه فانّه عدّ النّجاشى من كتبه كتاب الرجعه. و منهم محمّد بن مسعود العيّاشى ذكر النّجاشى و الشيخ فى الفهرست كتابه فى الرجعه. و منهم الحسن بن سليمان على ما روينا عنه الأخبار. و أما سائر الأصحاب فانهم ذكروها فيما صنفوا فى الغيبه و لم يفردوا لها رساله و أكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفردوا كتابا فى الغيبه و قد عرفت سابقا من روى ذلك من عظماء الأصحاب و أكابر المحدثين الذين ليس فى جلالتهم شكّ و لا ارتياب. و قال العلّامه - ره - فى خلاصه الرّجال فى ترجمه ميسر بن عبد العزيز: و قال العقيقى

أثنى عليه آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و هو ممّن يجاهد فى الرجعه انتهى.

و قال علم المهدى سيّد المرتضى: إنّ الّذى تذهب الشيعه الاماميه إليه أنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدى عليه السّلام قوما ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهده دولته، و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ و علوّ كلمه أهله.

و الدلاله على صحّه هذا المذهب أنّ الّذى ذهبوا إليه ممّا لا شبهه على عاقل فى أنه مقدور للّه تعالى غير مستحيل فى نفسه فانا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعه إنكار من يراها مستحيله غير مقدوره، و إذا ثبت جواز الرجعه و دخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإماميّه على وقوعها فانهم لا يختلفون فى ذلك و إجماعهم قد بيّنا فى مواضع من كتبنا أنّه حجه لدخول قول الإمام عليه السّلام فيه إلى آخر ما قال، و قد نقل كلامه تماما المجلسى - ره - فى الثالث عشر من البحار الكمبانى «ص ۲۳۵».

و قال المجلسى - ره - «ص ۲۳۱ ج ۱۳ من البحار الكمبانى»: اعلم يا أخى أنّى لا أظنك ترتاب بعد ما مهّدت و أوضحت لك فى القول بالرجعه التى أجمعت الشيعه عليها فى جميع الأعصار و اشتهرت بينهم كالشمس فى رابعه النهار حتّى نظموها فى أشعارهم و احتجّوا بها على المخالفين فى جميع أمصارهم و شنع المخالفون عليهم فى ذلك و أثبتوه فى كتبهم و أسفارهم، منهم الرازى و النيسابورى و غيرهما، و قد مرّ كلام ابن أبى الحديد حيث أوضح مذهب الإماميّه فى ذلك و لو لا مخافه التطويل من غير طائل لأوردت كثيرا من كلماتهم فى ذلك. و كيف يشكّ مؤمن بحقيقه الأئمّه الأطهار عليهم السّلام فيما تواتر عنهم فى قريب من مأتى حديث صريح - إلى آخر ما تقدّم من الشيخ البحرانى المذكور آنفا..

الترجمه

از جملهٔ وصیّت آن حضرت علیه السّلام است که آنرا برای کسی که او را بر گرفتن زکاه عامل می گردانید می نوشت، و ما در اینجا پارهٔ از آنرا آورده ایم تا بان دانسته شود که آن حضرت ستون حق را بپا می داشت و در کارهای کوچک و بزرگ و پنهان و آشکار أحکام عدل را ظاهر میکرد:

برو بر تقوی خدای یکتای بی همتا، مسلمانی را مترسان، و آنچه را که ناخوش دارد بر او مگزین، و بیش از حقّی که خدا در مال او دارد از او مگیر، و چون بقبیله ای رسیدی بکنار آبشان فرود آی بدون این که بخانهایشان در آیی، و بعد از آن برو بسویشان بارامی تن و جان تا در میانشان بایستی پس بر آنان سلام کن و تحیّت و درود را برایشان کم و ناقص مگردان، بعد از آن میگوئی ای بندگان خدا ولیّ خدا و خلیفهٔ او مرا بسوی شما فرستاده تا حق خدا را در اموال شما از شما بستانم آیا در اموال شما برای خدا حقّیست که آنرا بولیّ او بدهید؟ اگر کسی گفت:

نه باز مگرد بر او و دوباره سخن را بر او اعاده مکن، و اگر کسی گفت: آری هست با او برو بدون این که او را بیم دهی و بترسانی، یا بر او سخت گیری یا دشواری را بر او تکلیف کنی، آنچه که از طلا و نقره بتو داده بگیر، اگر او را گاو و گوسفند و شتر است بدون اذنش داخل در آنها مشو زیرا بیشتر آنها مال او است و هر گاه با اذن او بر سر آنها رفتی چون کسی که بر آنها تسلط دارد و درشت کردار است مرو، و حیوانی را مرمان و مترسان و صاحبش را در حق آن مرنجان.

و مال را بدو بخش کن و صاحبش را مخیّر کن تا هر کدام بخش را که خواهد اختیار کند و چون اختیار کرد متعرض آنچه را که اختیار کرده است مشو، دوباره آن باقی را بدو قسم کن باز او را مخیّر کن تا هر کدام قسم را که خواهد اختیار کند و چون اختیار کرده متعرض آنچه را که اختیار کرده است مشو و همچنین پیوسته این کار را میکنی تا آن قدر بماند که وفا کند بحق خدا در مال او، پس حق خدا را از او می گیری پس اگر خواهش فسخ کرده بپذیر و دوباره آنها را درهم آمیز،

سپس آن چنان کن که در اوّل کردی تا حق خدا را در مال او بگیری.

و نگیر شتر پیر را و نه کهن سال را و نه شکسته را و نه سل دار یا بمرض از پای در افتاده را و نه عیبناک را.

و أمین مگردان بر آن مالها مگر کسی را که بدین او وثوق داری که بمال مسلمانان رفق و مدارا کند و مهربان باشد تا مال را به ولیّ مسلمانان برساند که در میانشان قسمت کند، و وکیل مگردان بر آن مواشی و ابل مگر کسی را که نیکوخواه و مهربان و امین و نگهبان باشد، درشتی به آنها نکند و زیان نرساند، نرنجاند و خسته نکند، پس آنچه که از أموال زکاه در نزد تو گرد آمده زود آنها را بسوی ما بفرست تا در هر جا که خدا بدان امر فرموده است بگردانیم و صرف کنیم.

پس چون آنها را امین تو برای آوردن گرفت بأو سفارش کن که بطمع شیر میان شتر و بچهٔ شیرخوارش جدائی نیندازد، و همه شیر آنرا ندوشد که به بچه اش ضرر برسد، و آنرا بسوار شدن خسته نگرداند، و بین او و دیگر شتران در سوار شدن و دوشیدن بعدل رفتار کند (یعنی گاهی بر او سوار شود و گاهی بر دیگران و گاهی از او بدوشد و گاهی از دیگران نه شیر یکی را تمام بدوشد و در همه راه بر یکی سوار شود) و باید آسان گرداند و رفاهت دهد خسته را و او را آسایش دهد، و بر حیوانی که پایش سوده شد و از رفتار وامانده و بتنگ آمده آهستگی کند و درنگ و تأنّی نماید، و باید آنها را به غدیرها و حوضهای آب که می گذرند فرود آورد و وارد سازد و آنها را از زمین گیاهدار به راههایی که از گیاه خالی است نگرداند، و باید آنها را در هر چند ساعتی در چراگاهها راحت دهد تا بفراغت اکل و شرب نمایند، و باید آنها را در نزد آبها و گیاهها مهلت دهد تا باذن خدا فربه و پر مغز نه رنج دیده و خسته در نزد ما آورد که آنها را علی کتاب اللّه و سنّت پیمبر خدا قسمت کنیم که باین طور گفتیم عمل شود إنشاء اللّه برای پاداش تو بزرگتر و برشد و رستگاریت نزدیکتر است.

و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی بعض عماله

اشاره

و قد بعثه علی الصدقه - و هو المختار السادس

و العشرون من باب کتبه علیه السّلام و رسائله

أمره بتقوی اللّه فی سرائر اموره و خفیّات أعماله حیث لا شهید غیره، و لا وکیل دونه. و أمره أن لا یعمل بشییء من طاعه اللّه فیما ظهر فیخالف إلی غیره فیما أسرّ، و من لم یختلف سرّه و علانیته و فعله و مقالته فقد أدّی الأمانه، و أخلص العباده. و أمره ألّا یجبههم و لا یعضههم و لا یرغب عنهم تفضّلا بالإماره علیهم فإنّهم الإخوان فی الدّین، و الأعوان علی استخراج الحقوق. و إنّ لک فی هذه الصّدقه نصیبا مفروضا، و حقّا معلوما، و شرکاء أهل مسکنه، و ضعفاء ذوی فاقه، و إنّا موفّوک حقّک فوفّهم حقوقهم، و إلاّ فإنّک من أکثر النّاس خصوما یوم القیامه و بؤسا لمن خصمه عند اللّه الفقراء و المساکین و السّائلون و المدفوعون و الغارم و ابن السّبیل، و من استهان بالأمانه و رتع فی الخیانه و لم

ينزّه نفسه و دينه عنها فقد أخلّ بنفسه فى الدّنيا و هو فى الاخره أذلّ و أخزى، و إنّ أعظم الخيانه خيانه الأمنه، و أفظع الغشّ غشّ الأئمّه.

المصدر

رواه القاضى نعمان المصرى رحمه اللّه تعالى المتوفّى ۳۶۳ ه ق - مسندا فى دعائم الاسلام كما فى الباب ۱۲ من كتاب الزكاه من مستدرك الوسائل للمحدّث المتضلع الحاج الميرزا حسين النورى الطبرسى - ره - (ص ۵۱۶ ج ۱)، و فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاه من البحار للعلّامه المجلسى - ره - (ص ۲۲ ج ۲۰ من الطبع الكمبانى) و نقله من النهج فى المجلّد الثامن من البحار (ص ۶۴۲) و المنقول عن الدعائم أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام أوصى مخنف بن سليم الأزدى و قد بعثه على الصدقه بوصيّه طويله أمره فيها بتقوى اللّه ربّه فى سرائر اموره و خفيات أعماله و أن يتلقاهم (يلقاهم - نسخه) ببسط الوجه و لين الجانب، و أمره أن يلزم التواضع و يجتنب التكبر فانّ اللّه يرفع المتواضعين و يضع المتكبّرين.

ثمّ قال له (و قال له. خ) يا مخنف بن سليم إنّ لك فى هذه الصدقه حقا و نصيبا مفروضا (نصيبا و حقا مفروضا. خ) و لك فيها شركاء فقراء و مساكين و غارمون و مجاهدون و أبناء سبيل و مملوكون و متألّفون و إنّا موفّوك حقك فوفّهم حقوقهم و إلاّ فانك من أكثر الناس يوم القيامه خصما و بؤسا لامرىء خصمه مثل هؤلاء. انتهى.

أقول: لم نجد الوصيّه بطولها فيما عندنا من الجوامع الروائيه و غيرها مع كثره الفحص و الجدّ فى الطلب، و لم يحضرنا دعائم الاسلام و لعلّ اللّه يحدث بعد ذلك أمرا.

اللغه

(لا يجبههم) أى لا يزجرهم أصله من الجبه بمعنى مقابله الانسان بما

یکرهه. قال ابن الأثیر فی النهایه: الجبه هو الاستقبال بالمکروه و أصله من اصابه الجبهه یقال: جبهته إذا أصبت جبهته. انتهی قوله. و قال الشارح المعتزلی: و أن لا یجبههم: لا یواجههم بما یکرهونه و أصل الجبه لقاء الجبهه أو ضربها فلما کان المواجه غیره بالکلام القبیح کالضارب جبهته سمّی بذلک جبها. انتهی. و فی القاموس: جبهه کمنعه ضرب جبهته و ردّه أو لقیه بما یکره. انتهی. و فی منتهی الأرب جبهه (من باب فتح): زد بر پیشانی او و رد کرد آن را، و بمکروه پیش آمد او را و نابایست آورد بر وی. انتهی. و قال امیّه بن أبی الصّلت فی ابن له عقّه:(۱)

غذوتک مولودا و علتک یافعا تعلّ بما ادنی إلیک و تنهل

إذا لیله نابتک بالشکو لم أبت لشکوک إلّا ساهرا أتململ

کأنّی أنا المطروق دونک بالّذی طرقت به دونی و عینی تهمل

فلمّا بلغت السنّ و الغایه الّتی إلیها مدی ما کنت فیک اؤمّل

جعلت جزائی منک جبها و غلظه کأنک أنت المنعم المتفضّل

فلیتک إذ لم ترع حقّ ابوّتی فعلت کما الجار المجاور یفعل

تراه معدّا للخلاف کأنّه بردّ علی أهل الصّواب موکّل

(و لا یعضههم) ای لا یرمیهم بالبهتان و الکذب و فی القاموس عضه کمن عضها و یحرک و عضیهه و عضهه بالکسر کذب و سحر و نمّ و جاء بالإفک و البهتان کأعضه و فلانا بهته و قال فیه ما لم یکن انتهی. و قال المتوکل اللیثی (الحماسه ۴۴۲ من شرح المرزوقی).

احذر وصال اللّئیم إنّ له عضها إذا حبل وصله انقطعا

و قال المرزوقی فی شرحه: احذر مواصله اللئیم و مؤاخاته لأنّه إذا انقطع حبل وصله و انصرم ما یجمعک و إیّاه من ودّه یتکذّب علیک و یخلق من الإفک فیک ما لم تکتسبه لا بیدک و لا لسانک، و العضه ذکر القبیح کذبا و زورا و یقال:

۱- (۱) الابیات من الحماسه فراجع الی شرح الحماسه للمرزوقی. الحماسه ۲۵۴. منه.

عضهته إذا رميته بالزّور. و أعضه الرجل أتى بالعضيهه و هى الإفك، و من كلامهم يا للعضيهه و يا للأفيكه.

(بؤسا) قال الجوهرى فى الصحاح نقلا عن أبى زيد فى كتاب الهمزه: بئس الرجل يبأس بؤسا و بئيسا اشتدّت حاجته فهو بائس. أنشد أبو عمرو:

بيضاء من أهل المدينه لم تذق بئسا و لم تتبع حموله مجحد

و هو اسم وضع موضع المصدر. و قال الشّارح المعتزلى: قال الراوندى بؤسا أى عذابا و شدّه ثمّ خطأه بقوله: فظنّه منوّنا و ليس كذلك بل هو بؤسى على وزن فعلى كفضلى و نعمى و هى لفظه مؤنثه يقال: بؤسى بفلان، قال الشاعر:

أرى الحلم بؤسى للفتى فى حياته و لا عيش إلّا ما حباك به الجهل

انتهى قوله. و أقول: نسخه الرّضى تطابق ما اختاره الراوندى و اللّغه أيضا توافقه و انتصابه على المصدر كما يقال سحقا لك و بعدا لك، فما صحّحه الراوندى ليس بخطاء. نعم ما فسّره الراوندى بقوله: أى عذابا و شدّه، مخدوش لأنّ العذاب و الشدّه ليس من معانى البؤس بل هما من معانى البأس.

(الفقراء و المساكين) قال عزّ من قائل: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ » الايه «التوبه ۶۰» قد ذهب جماعه إلى انهما مترادفان، و لكن الحقّ كما هو الظاهر من كلام الحقّ تعالى أنّهما متغايران و ذهب إليه أكثر العلماء و لكنّهم اختلفوا فى معناهما على أقوال كثيره بعد ما اتفقوا على استحقاقهما من الزكاه و الأصح أنّ المسكين أسوأ حالا من الفقير و أنه المحتاج الّذى يسأل و الفقير المحتاج الّذى لا يسأل، لما رواه الكلينى قدّس سرّه فى الصحيح عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السّلام أنه سأله عن الفقير و المسكين فقال: الفقير الذى لا يسأل و المسكين الذى هو أجهد منه الّذى يسأل.

و عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: قول اللّه عزّ و جلّ : «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ »، قال: الفقير الّذى لا يسأل النّاس و المسكين أجهد منه و البائس أجهدهم.

أقول: يعطى معنى المسكين الّذى قاله الامام عليه السّلام من أنه الّذى أجهد منه قوله تعالى: «أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ » و ذكر أهل اللّغه و التفسير: المتربه الحاجه الشديده. و من أنّه الّذى يسأل قوله تعالى: «فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ » - القلم - ۲۶»، و قوله تعالى: «وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً » - النساء - ۱۰» و قوله تعالى: «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَهِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ » الايه - النور - ۲۳».

و يعطى معنى الفقير من أنه الّذى لا يسأل قوله تعالى: «لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً » - البقره - ۲۷۷» و قوله تعالى:

«إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » - البقره - ۲۷۵»، و قوله تعالى: «لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً » - الايه - الحشر - ۹».

ثمّ إنّ المسكين بحسب النسبه أعمّ من الفقير لأنّ الفقير مقابل الغنى أى الّذى ليس له مال و المسكين من كانت به المسكنه أيضا. و بعد فى المقام بحث طويل الذيل أعرضنا عنه لخروجه من موضوع الكتاب و خوفا من الاسهاب و الاطناب، فراجع إلى تفاسير القرآن الكريم و فى زكاه الكتب الفقهيه، و قد أشبع الكلام السيّد صاحب المدارك عند قول المحقّق - ره - فى زكاه الشرائع: أصناف المستحقين للزكاه سبعه: الفقراء و المساكين إلخ. (ص ۲۷۷ من الطبع الرحلى على الحجر).

(المدفوعون) جمع المدفوع من دفعه إذا نحّاه و أبعده و ردّه. قيل: المراد منه هنا الفقير لأنّ كلّ أحد يكرهه و يدفعه عن نفسه و سيأتى بقيّه الكلام فيه فى المعنى.

و قال المجلسى - ره - فى البحار (ص ۶۴۳ ج ۸ من الطبع الكمبانى) و فى بعض النسخ: المدقعون بالقاف، قال فى القاموس: المدقع كمحسن الملصق

بالدّقعاء و هو التراب. انتهى.

و أقول: منه قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للنساء: إنّكنّ إذا جعتنّ دقعتنّ و إذا شبعتنّ خجلتنّ ، و لكن الصواب ما اخترناه و هو الّذى موافق لنسخه الرضى - ره -.

(الغارم) الّذى علاه الدّين لا يجد القضاء. (رتع) كمنع اى أكل و شرب ما شاء فى خصب و سعه. (فقد أخلّ بنفسه فى الدّنيا و هو فى الاخره أذلّ و أخزى) هذا هو المطابق للنسخه الّتى قوبلت بنسخه الشريف الرضى - ره - و هو أخلّ بالخاء المعجمه من غير ذكر الخزى كما فى بعض النسخ، و من غير ذكر الذلّ و الخزى كما فى نسخ اخرى. و فى أكثر النسخ المطبوعه فقد أحلّ بنفسه فى الدّنيا الذلّ و الخزى بالحاء المهمله فى أحلّ ، و فى بعضها الاخر فقد أذلّ نفسه فى الدنيا الخزى.

و فى نسخه اخرى مخطوطه، فقد أحلّ بنفسه فى الدّنيا الخزى. و جعل بعضهم الخزى بضم الخاء و فتح الزاى جمع الخزيه بفتح الخاء أى البليّه و لكن الصواب ما اخترناه موافقا للرضى - ره -.

قال فى القاموس: أخلّ بالشىء أجحف و بالمكان و غيره غاب عنه و تركه و الوالى بالثغور قلّل الجند بها و بالرجل لم يف له و الخلّه الحاجه و الفقر و الخصاصه، و فى المثل: الخلّه تدعو إلى السلّه أى إلى السرقه. خلّ و اخلّ بالضم احتاج و رجل مخلّ و مختلّ و خليل و أخلّ معدم فقير و اختلّ إليه احتاج و ما أخلّك اللّه إليه ما أحوجك و الأخلّ الأفقر. و ما يناسب المقام هو المعنى الأوّل أعنى الإجحاف. (الأمنه) قال الجوهرى فى الصحاح: الأمنه الأمن و منه أمنه نعاسا و الأمنه أيضا الّذين يثق بكلّ أحد و فى منتهى الأرب: أمنه محركه بى بيمى و راستى ضدّ خيانت و بمعنى امنه كهمزه است ثمّ قال: امنه كهمزه آنكه بر هر كس ايمن باشد و اعتماد كند و آنكه بروى هر كس اعتماد كند در هر كارى انتهى.

و هذا المعنى الأخير هو المراد إن قلنا أنّ المصدر مضاف إلى الفاعل، و إن قلنا أنّه مضاف إلى المفعول به فمعناها هو الذى يثق بكلّ أحد كما سيأتى.

و فى عدّه نسخ من المخطوطه و المطبوعه الامّه مكان الأمنه إلاّ نسخه

الرضى رضوان اللّه عليه و هى الّتى اخترناها.

الاعراب

كلمه أمره فى المواضع الثلاثه من العهد مشكوله فى نسخه عندنا قوبلت بنسخه الرّضى بفتح الهمزه و الميم و الراء، و فى غيرها من النسخ الّتى عندنا آمره بمدّ الهمزه و ضمّ الميم و الراء، فعلى الأول فعل ماض مغايب و على الثانى متكلّم من المضارع، و الصواب هو الأوّل و ذلك لأنّ اسلوب كلامه عليه السّلام فى هذا العهد على وزان عهده الّذى كتبه إلى محمّد بن أبى بكر حين ولّاه مصر و هو: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولّاه مصر أمره بتقوى اللّه و الطاعه فى السرّ و العلانيه - إلى أن قال عليه السّلام: و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعه و الجماعه - إلى أن قال عليه السّلام: و أمره أن يجبى خراج الأرض - إلى أن قال عليه السّلام: و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ - إلى آخر العهد. أتى به فى جمهره رسائل العرب (ص ۵۳۲ ج ۱) ناقلا عن تاريخ الطبرى (ص ۲۳۱ ج ۵) و شرح ابن أبى الحديد (ص ۲۵ ج ۲) فضمير أمر يرجع إلى الاسم الظاهر و هو عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام و كذا الكلام فى هذا العهد لأنّه كما دريت طويل و لم يذكره الرضى كاملا، و كانت الكلمه على نسخه الرضى على هيئه الماضى فالمختار هو المتعيّن.

(فيخالف) الفعل منصوب لأنّه وقع بعد الفاء الّتى وقعت جوابا للنّفى أعنى لا يعمل و قد قرّر فى النحو أنّ المضارع ينصب بأن مضمره وجوبا بعد الفاء الّتى وقعت جوابا لنفى أو طلب، قال ابن مالك فى باب اعراب الفعل من الألفيه:

و بعد فا جواب نفى أو طلب محضين أن و سترها حتم نصب

(تفضلا) انتصب على المفعول له. و الظاهر أنّ قوله بالاماره متعلق بلا يرغب و إن امكن تعلقه بالأفعال الثلاثه جميعا. (فانّهم الأخوان) تعليل لما أمره ثالثا.

قال الشارح الفاضل المعتزلى: انتصب أهل مسكنه لأنّه صفه شركاء و فى التحقيق أنّ شركاء صفه أيضا موصوفها محذوف فيكون صفه بعد صفه و قال: قال

الراوندی: انتصب أهل مسکنه لأنّه بدل من شرکاء. ثمّ خطّأه بقوله: و هذا غلط لأنّه لا یعطی معناه لیکون بدلا منه. انتهی.

و أقول: إنّ ذوی فاقه بدل لقوله ضعفاء و لا ضیر فی کون أهل مسکنه بدلا لقوله شرکاء فانّ أهل مسکنه فی المقام هو المقصود بالذّات قال ابن مالک:

التابع المقصود بالحکم بلا واسطه هو المسمّی بدلا

و کونه مقصودا بالذات لا یستلزم أن یکون المتبوع ساقطا رأسا أو یجعل فی حکم الساقط کما یشاهد فی بعض کتب النحو إلاّ فی بدل الغلط و ذلک لأنّ فی ذکر المتبوع أعنی المبدل منه فائده لا محاله لم تحصل لو لم یذکر صونا لکلام الفصحاء عن اللغو و لا سیما کلامه تعالی و کلام نبیّه صلّی اللّه علیه و آله فادّعاء کونه غیر مقصود بالنسبه مع کونه منسوبا إلیه فی الظاهر و اشتماله علی فائده یصحّ أن ینسب إلیه لأجلها دعوی خلاف الظاهر، کما أفاده العالم الأدیب الرضی رحمه اللّه تعالی فی شرحه علی الکافیه. و تلک الفائده هی تقویه الحکم و تقریره لأنّه بمنزله إسناد الحکم إلی المحکوم علیه مرّتین کما أفاده الفاضل العالم السیّد علیخان رحمه اللّه تعالی فی شرحه علی الصمدیه.

ثمّ إنّ قول الفاضل الشارح: لأنه لا یعطی معناه لیکون بدلا منه، لا یجری فی بدل الغلط ، علی أنّ بعض النحاه ذهب إلی أنّ اثنین فی قوله تعالی: و «لا تَتَّخِذُوا إِلهَیْنِ اثْنَیْنِ » بدل کلّ معللا بقوله: لعدم اشتراط بدل الکلّ أن یکون متحدا مع المبدل فی المفهوم بل فی المصداق فمن حکم أنّه بدل بعض متمسکا بأنّ مفهومه بعض من مفهوم إلهین فقد أخطأ، أتی به الفاضل المیرزه أبو طالب فی تعلیقته علی باب النعت من شرح السیوطی علی الألفیه.

(فقد أخلّ) جواب لقوله: و من استهان. (و أفظع) منصوب بأن معطوف علی أعظم.

(خیانه الأمنه) مصدر مضاف إلی الفاعل، أو مصدر مضاف إلی المفعول به و إن کان الأوّل أولی، و أمّا إذا کانت الامه مکان الأمنه فالثانی لیس إلاّ.

المعنى

قد أوصى أمير المؤمنين عليه السّلام مخنف بن سليم الأزدى بهذه الوصيّه لمّا بعثه على الصّدقه. قال الاسترابادى فى كتاب رجاله الكبير: مخنف بن سليم الأزدىّ عربى كوفى و فى [د] مخنف بن سليم [الأزدى [ى] - جخ] من خواصّه عربى. و فى [ق] فى أصحابه من اليمن مخنف بن سليم الأزدى و كذا فى [صه] نقلا عنه و فى الجامع مخنف بن سليم الأزدى بن الحارث بن عوف بن ثعلبه بن الدول بن سعد بن مناه ابن غامد الغامدى ولّاه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام اصفهان روى عنه ابنه أبو رمله و اسمه عامر عداده فى أهل البصره و قيل فى أهل الكعبه. مخنف بكسر الميم و سكون الخاء المعجمه و فتح النون و بالفاء. سليم بضم السين و فتح اللام. و الدول بضم الدّال و باللّام. و غامد بالغين المعجمه و رمله بفتح الراء و باللّام. انتهى كلام الأسترابادى.

و أقول: ما حصل لنا من الجوامع و المجاميع أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أوصى مخنف بن سليم بهذه الوصيّه لمّا بعثه على الصدقه، و كتب إليه كتابا لمّا كان عامله على اصبهان و همدان و ذلك أنّ الأمير عليه السّلام لمّا أجمع أن يسير إلى الشام لقتال معاويه كتب إلى عمّاله يستفزّهم فكتب إلى مخنف:

سلام عليك فانّى أحمد اليك اللّه الّذى لا إله إلّا هو أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبه عنه، و هبّ فى نعاس العمى و الضلال اختيارا به، فريضه على العارفين، إنّ اللّه يرضى عمّن أرضاه و يسخط على من عصاه. و إنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الّذين عملوا فى عباد اللّه بغير ما أنزل اللّه، و استأثروا بالفىء و عطّلوا الحدود، و أماتوا الحقّ ، و أظهروا فى الأرض الفساد، و اتّخذوا الفاسقين وليجه من دون المؤمنين، فاذا وليّ اللّه أعظم أحداثهم أبغضوه و أقصوه و حرموه و إذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه و أدنوه و برّوه، فقد أصرّوا على ظلمهم و أجمعوا على الخلاف و قديما صدّوا عن الحقّ و تعاونوا على الاثم و كانوا ظالمين فاذا أتيت بكتابى هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك فى نفسك و أقبل إلينا

لعلّک تلقی معنا هذا العدوّ المحلّ فتأمر بالمعروف و تنهی عن المنکر، و تجامع المحقّ ، و تباین المبطل فإنّه لا غنی بنا و لا بک عن أجر الجهاد و حسبنا اللّه و نعم الوکیل.

و کتبه عبید اللّه بن أبی رافع فی سنه سبع و ثلاثین.

فاستخلف مخنف علی اصبهان الحارث بن أبی الحارث بن الرّبیع، و استعمل علی همدان سعید بن وهب و کلاهما من قومه، و أقبل حتّی شهد مع علی علیه السّلام صفّین.

نقله فی جمهره رسائل العرب (ص ۴۵۸ ج ۱) عن شرح ابن أبی الحدید (ص ۲۸۲ ج ۱).

قوله علیه السّلام:(أمره بتقوی اللّه إلخ) أمره علیه السّلام فی هذا الوصیّه بأوامر بعضها یبیّن وظیفته مع الخالق تعالی و بعضها یبیّن وظیفته مع الخلق، و ذکر للأوّل أمرین أحدهما قوله علیه السّلام: أمره بتقوی اللّه إلخ، و قد تقدّم منّا أنّه علیه السّلام کان یوصی فی أکثر کتبه و عهوده و وصایاه أوّلا بتقوی اللّه و کان هذا من دأبه علیه السّلام امتثالا لأمر اللّه سبحانه و اقتداء بکلامه حیث قال: «وَ لَقَدْ وَصَّیْنَا الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ إِیّاکُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ » (النساء ۱۳۲) فراجع إلی شرح المختار الثانی عشر من باب الکتب (ص ۸۴ ج ۱۸) و إلی شرح المختار الخامس و العشرین.

و قد أفاد بعض الأماجد أنّ جمیع خیرات الدّنیا و الاخره جمعت فی کلمه واحده هی التقوی. انظر إلی القرآن ما علّق علیها من خیر و ثواب و أضاف إلیها من سعاده و کرامه دنیویه و اخرویه:

الأوّل الثناء علیها قال اللّه سبحانه: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ».

الثانی الحفظ و الحراسه من الأعداء و الماکرین قال اللّه تعالی: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا یَضُرُّکُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً ».

الثالث التأیید و النصر قال اللّه تعالی: «إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا ».

الرّابع النجاه من النار قال اللّه سبحانه: «ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا ».

الخامس الخلود فی الجنّه قال اللّه تعالی: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ ».

السّادس النجاه من الشدائد و الرزق الحلال قال اللّه تعالى: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ».

السّابع إصلاح العمل قال عزّ شأنه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

الثامن غفران الذّنب قال اللّه جلّ جلاله: «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ».

التاسع محبّه اللّه تعالى عزّ اسمه: «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ».

العاشر قبول الأعمال قال اللّه عمّ نواله: «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ».

الحادى عشر الاكرام و الإعزاز قال اللّه تبارك و تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ ».

الثانى عشر البشاره عند الموت قال اللّه عظم شأنه: «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَهِ ».

و لأجل اجتماع تلك الخصال قال اللّه سبحانه: «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ ».

و أفاد نحوه مع زيادات من روايات و إشارات الشّيخ العالم الرّبانى جمال الدّين أحمد بن فهد الحلّى قدّس سرّه فى أواخر كتاب عدّه الداعى و نجاح السّاعى (ص ۲۲۶) فراجع.

و المروىّ فى مجمع البيان فى تفسير القرآن عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال:

جماع التقوى فى قوله تعالى: «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (النحل ۹۱). قال:

و قيل: المتّقى الّذى اتّقى ما حرم عليه و فعل ما أوجب عليه. و قيل: هو الّذى يتّقى بصالح أعماله عذاب اللّه. و سأل عمر بن الخطّاب كعب الأخبار عن التقوى فقال:

هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ فقال: نعم، قال: فما عملت فيه ؟ قال: حذرت و تشمّرت فقال كعب: ذلك التقوى. و نظمه بعض الناس فقال:

خلّ الذنوب صغيرها و كبيرها فهو التّقى

و اصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيره إنّ الجبال من الحصى

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: انما سمّى المتّقون لتركهم مالا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس. و قال عمر بن عبد العزيز: التقىّ ملجم كالمحرم فى الحرم.

و قال بعضهم: التقوى أن لا يراك اللّه حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك. انتهى ما فى المجمع فى المقام، و قد أتى به فى أوّل سوره البقره.

و أقول: ما نقله من سؤال عمر عن التّقوى أتى به السيوطى فى الدرّ المنثور أيضا لكنّه قال: أخرج ابن أبى الدّنيا فى كتاب التقوى عن أبى هريره أنّ رجلا قال له: ما التقوى ؟ قال: هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت ؟ قال إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى انتهى. فليتأمّل.

ثمّ إنّ قول الشاعر: لا تحقرنّ صغيره إنّ الجبال من الحصى، كأنه يشير إلى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيث نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ايتونا بحطب فقالوا:

يا رسول اللّه نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال: فليأت كلّ انسان بما قدر عليه فجاءوا به حتّى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هكذا تجتمع الذّنوب ثمّ قال: إياكم و المحقرات من الذّنوب فانّ لكلّ شىء طالبا ألا و إنّ طالبها يكتب ما قدّموا و آثارهم و كلّ شىء أحصيناه فى امام مبين. رواه الكلينى قدّس سرّه فى الكافى. و أتى به الفيض فى باب استصغار الذنب و الاصرار عليه من الوافى (ص ۱۶۸ ج ۳).

و فى أوّل سوره البقره من تفسير الدرّ المنثور روايات و حكايات مفيده فى التقوى و لكن رأسها ما وصفه إمام المتقين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام لهمّام بن شريح بن يزيد بن مرّه رضوان اللّه عليه و هو المختار ۱۹۱ من باب الخطب من النهج أوّله:

روى أنّ صاحبا لأمير المؤمنين عليه السّلام يقال له همّام كان رجلا عابدا - إلخ. و قد

رواه ثقه الاسلام الكلينى فى باب المؤمن و علاماته و صفاته من اصول الكافى ص ۹۷۹ ج ۲ من الكافى المشكول. و رواه الصّدوق - ره - فى المجالس أيضا. و الشّيخ الكراجكى - ره - فى كنز الفوائد. و هو مروىّ أيضا فى كتاب سليم بن قيس الكوفى ص ۱۹۰ من طبع النجف. و راجع أيضا إلى باب صفات الشيعه و أصنافهم من المجلّد الخامس عشر من البحار (ص ۱۵۴ من الطبع الكمبانى). و إلى باب صفات المؤمن و علاماته من الوافى (ص ۳۳ ج ۳). و مرآه العقول (ص ۲۰۱ ج ۲) من المطبوع على الحجر.

ثمّ أوصى عليه السّلام أن يكون تقواه فى سرائر أمره و خفيّات عمله و ذلك لأنّ الانسان يأبى عن إتيان الفواحش فى مرئى الناس صونا عن أن يتطرق إليه ما لا يرضى ممّا يضرّه و يمنعه من الوصول إلى ما يهويه و يشتهيه. ثمّ علّل ذلك تنبيها له بقوله: (حيث لا شهيد غيره و لا وكيل دونه) فمن عرف أنّه تعالى شهيد و وكيل لا غير و أنّه بدّه اللازم و معه اينما كان فهو لا يفعل إلّا ما أجازه تعالى و أمره به فهذا العرفان و الشهود أشدّ بمراحل من الحضور مع الناس بل أين هذا من ذلك فلا يرتكب المعاصى إلاّ الغافل الّذى لا يدرى أنّه من هو و بين يدى من هو و مع من هو، فهو من الّذين قال عزّ من قائل: استحوذ عليهم الشّيطان فأنساهم ذكر اللّه. و بما قدّمناه دريت أنّ ما ذهب إليه الشارح المعتزلى و فسّر كلامه عليه السّلام حيث لا شهيد و لا وكيل بقوله يعنى يوم القيمه و هم، لأنّه تعالى شهيد و وكيل فى الدّنيا و الاخره. و تفسير الكلام هو ما بيّناه لا غير و ما فسّره الشارح المذكور يشابه كلام الظاهريين من المتكلّمين.

و روى ثقه الإسلام الكلينى - ره - فى الجامع الكافى عن إسحاق بن عمّار قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا إسحاق خف اللّه كأنّك تراه و إن كنت لا تراه فانه يراك، و ان كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت و إن كنت تعلم أنّه يراك ثم برزت له بالمعصيه فقد جعلته من أهون الناظرين عليك. و ما أجاد قول العارف عبد الرّحمن الجامى فى سبحه الأبرار حيث قال:

در مقامی که کنی قصد گناه گر کند کودکی از دور نگاه

شرم داری ز گنه در گذری پردهٔ عصمت خود را ندری

شرم بادت ز خداوند جهان که بود واقف أسرار جهان

بر تو باشد نظرش بیگه و گاه تو کنی در نظرش قصد گناه

و قد مضی بحثنا عن رؤیته تعالی فی المختار الثامن من کتبه علیه السّلام و رسائله (ص ۲۴۲ ج ۱۷) فراجع. و سیأتی نقل رسالتنا منفرده فی لقائه تعالی فارتقب.

قوله: علیه السّلام (و أمره أن لا یعمل - إلخ) هذا ثانی الأمرین الذین ذکرهما بیانا لوظیفه العبد مع خالقه تعالی و حاصله أنّ العبد یجب له الاجتناب من الریاء و السمعه و النفاق، ثمّ عرّف الأمین و المخلص ترغیبا للعباد إلیهما بقوله:(و من لم یختلف سرّه - إلخ.) و قد روی ثقه الإسلام الکلینی قدّس سرّه فی الجامع الکافی باسناده عن مسع بن عبد الملک عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما زاد خشوع الجسد علی القلب فهو عندنا نفاق. رواه فی آخر باب صفه النفاق و المنافق من کتاب الایمان و الکفر من اصول الکافی (ص ۲۸۹ ج ۲ من الکافی المشکول).

و الظاهر أنّ المراد بالأمانه فی المقام هو أمانه العامل علی الصدقات بأن یقال:

لمّا کان علیه السّلام بعث مخنف بن سلیم علی الصّدقه و اتّخذه أمینا علی حفظها فی غیابه و بعض الناس یخالف سرّهم علانیتهم قال ذلک تحریضا للأمین إلی أداء الأمانه و إخلاص العباده. و لکلامه هذا أثر تامّ لمن یبعث علی عمل و حفظ مال و نحوهما حیث لا یعلم ما یعمل إلّا اللّه الشهید الحفیظ .

قوله علیه السّلام:(و أمره أن لا یجبههم - إلخ) أخذ علیه السّلام فی بیان وظیفه العامل مع الخلق أمره أن لا یواجههم بما یکرهونه و لا یقول فیهم ما لم یکن فیهم بأن یقول مثلا: ما تعلق به الزکاه من أموالکم کان أکثر من ذلک و انّما کتمتموها منّی أو ما تدّعون من أنکم أدّیتم الزکاه لا أتقبّل منکم و إنّما تقولون به فرارا من الزکاه و نحوها، و أن لا یعرض عنهم تفضلا بالإماره علیهم أی لا یوجب إمارته علیهم هذه الامور کما هو دأب من غرّته الإماره. ثمّ علّل علیه السّلام ما أمره به بقوله:

(فإنّهم الاخوان فى الدّين و الأعوان على استخراج الحقوق) فالاعراض عنهم و مقابلتهم بما يكرهون و الإفك فيهم يوجب تفرّقهم و تنفّر طباعهم، و تعطيل الحقوق و تفرقه الاخوان مستلزمه لتخريب البلدان، و تضييع الحقوق يؤدّى إلى مفاسد كثيره، و قد أكّد عليه السّلام فى مواضع كثيره بتأديه حقوق الإخوان و مراعاه أحوالهم، و بيّن منزلتهم ببيانات شافيه وافيه، و كلامه عليه السّلام فى ذلك فى النهج مشحون.

قوله عليه السّلام:(و إنّ لك فى هذه الصّدقه - إلخ) و ذلك لأنّ مخنف كان عامله على الصّدقه و قد قال عزّ من قائل فى سوره التوبه: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَهً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ».

ثمّ قال له: إنّ لك و لغيرك فى هذه الصّدقات نصيبا مفروضا فوفّ حقوقهم كما أنّا موفّوك حقك فكما تحبّ أخذ حقك كاملا محفوظا فاحفظ حقوقهم و لا تخنهم و أدّها إليهم، و وصف الشركاء بأهل مسكنه و الضعفاء بذوى فاقه تحريضا للعامل على الشفقه عليهم و حفظ أموالهم و تأديه حقوقهم و عدم خيانته إيّاهم.

ثمّ حذّره عن سوء الخاتمه و نكال الاخره بقوله:(و إلاّ فانك - إلخ) أى و إن لم توفّ حقوقهم فإنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامه. اى يكون خصومك أكثر الناس و هم مستحقّوا الزكاه من الفقراء و المساكين و غيرهم من أصناف المستحقّين.

ثمّ شدّد التحذير بقوله (و بؤسا لمن خصمه - إلخ) و الخصم هم أصناف المستحقين للزكاه كما هو الظاهر من كلامه عليه السّلام و هم فى القرآن الكريم ثمانيه إلاّ أنّ المحقّق - ره - مال فى الشرائع و جماعه إلى أنّهم سبعه أصناف ظنّا منهم أنّ الفقراء و المساكين صنف واحد و أنّ هذين اللفظين أعنى الفقراء و المساكين مترادفان و قد دريت فى بيان اللّغه أنه و هم و الحقّ أنهما متغايران كما اختاره أكثر العلماء.

و ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام أربعه أصناف منهم بلفظ القرآن و هم: الفقراء

و المساكين و الغارمون و ابن السبيل و أشار إلى العاملين بقوله: و إنّ لك فى هذه الصّدقه نصيبا مفروضا، فهؤلاء خمسه أصناف و بقيت ثلاثه أصناف منهم و هم المؤلّفه قلوبهم و الرقاب و فى سبيل اللّه، و بقى من كلامه عليه السّلام أيضا السّائلون و المدفوعون.

فقال الشارح البحرينى: أنه عليه السّلام قد ذكر ههنا فى معرض ايجاب الشفقه و الرحمه له خمسه: و هم الفقراء و المساكين و يدخل فيه السائلون، ثمّ المدفوعون و يشبه أن يريد بهم العاملين عليها و سمّاهم مدفوعين باعتبار أنّهم يدفعون لجبايه الصّدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلى من لا زكاه عليه فسألوه هل عليه زكاه أم لا دفعهم عن نفسه و ذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصف ذلّ و انقهار و كونه عليه السّلام فى معرض الأمر بالشفقه عليهم. قال بعض الشارحين: أراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال، ثمّ الغارم و ابن السبيل و انما ذكر هؤلاء الخمسه أو الأربعه لكونهم أضعف حالا من الباقين. انتهى كلامه.

و لكنّك علمت بما قدّمنا أنّ الأمير عليه السّلام أشار إلى العاملين عليها بقوله و إنّ لك فى هذه الصّدقه نصيبا مفروضا فلا حاجه إلى التكلف الذى ارتكبه.

و قال الشارح المعتزلى: إنّه عليه السّلام إنّما أراد أن يذكر الأصناف المذكوره فى الايه فترك ذكر المؤلّفه قلوبهم لأنّ سهمهم سقط بعد موت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد كان يدفع إليهم حين الإسلام ضعيف(۱) و قد أعزّه اللّه سبحانه فاستغنى عن تأليف قلوب المشركين و بقيت سبعه أصناف و هم الفقراء و المساكين و العاملون عليها و الرقاب و الغارمون و فى سبيل اللّه و ابن السبيل، فأما العاملون عليها فقد ذكره عليه السّلام فى قوله: و إنّ لك فى هذه الصّدقه نصيبا مفروضا، فبقيت ستّه أصناف أتى عليه السّلام بألفاظ القرآن فى أربعه أصناف منها و هى: الفقراء و المساكين و الغارم و ابن السبيل و أبدل لفظتين و هما الرقاب و فى سبيل اللّه بلفظتين و هما السائلون و المدفوعون.

و قال: و السائلون ههنا الرقاب المذكورون فى الايه و هم المكاتبون يتعذّر

۱- (۱) كذا فى الطبع على الحجر و كأن الصواب: حين كان الاسلام ضعيفا منه..

عليهم أداء مال الكتابه فيسئلون الناس ليتخلّصوا من ربقه الرّق و قيل: هم الاسارى يطلبون فكاك أنفسهم. و المدفوعون ههناهم الذين عناهم اللّه تعالى فى الايه بقوله: و فى سبيل اللّه، و هم فقراء الغزاه سمّاهم مدفوعين لفقرهم و المدفوع و المدفع الفقير لأنّ كلّ أحد يكرهه و يدفعه عن نفسه، و قيل: هم الحجيج المنقطع بهم سمّاهم مدفوعين لأنّهم دفعوا عن إتمام حجّهم أو دفعوا عن العود إلى أهلهم.

انتهى كلامه.

و أقول: إنّ فى اختصاص سهم المؤلفه قلوبهم بزمان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كلاما أوّلا، و كذا فى اختصاص المؤلفه قلوبهم بالمشركين ثانيا، و كذا فى اختصاص الرقاب بالمكاتبين ثالثا، و كذا فى اختصاص سبيل اللّه بفقراء الغزاه رابعا، و فى كلّ واحد منها بحث فقهىّ يطول بالورود فيها الكتاب و ينجرّ إلى الاسهاب و انما الغرض الاشاره إليها حتى يراجع إلى محالها من شاء.

ثمّ إنّ اسلوب كلامه عليه السّلام على نسخه النهج يحكى بأنه ليس فى مقام بيان أصناف مستحقّى الزكاه حتى يوجّه كلامه بتلك الوجوه، بل أتى بأربعه أصناف منهم هم أسوء حالا من غيرهم ترغيبا للعامل الى مراعاه أحوالهم و الشفقه عليهم.

و السائلون و المدفوعون الفقراء و المساكين إلّا أنّ السائل و المدفوع أسوء حالا من الفقراء و المسكين و المدفوع هو المطرود الذى يدفعه الناس و يطردونه و هو أسوء حالا من السائل و يؤيّده ما نقلنا من البحار آنفا من أنّ هذه الكلمه فى بعض النسخ كانت المدقعين مكان المدفوعين و المدقع الملصق بالتراب. فكأنه عليه السّلام قال: بؤسا لمن خصمه عند اللّه هؤلاء الّذين بلغوا إلى هذا المبلغ من الفقر و الضعف و العجز.

نعم على نسخه الدعائم كما تقدّم فى المصدر قد أتى بجميع أصناف المستحقين حيث قال: و إنّ لك فى هذه الصّدقه حقا - إلى قوله: و لك فيها شركاء فقراء و مساكين و غارمون و مجاهدون و أبناء سبيل و مملوكون و متألفون - إلخ فعلى نسخه الدعائم معنى العباره بيّن لا يقبل التأويل و التوجيه. و بعد اللتيّا و الّتى فان

أبيت إلاّ حمل كلامه فى النهج على أصناف المستحقين أيضا فلا بدّ من شمول السائلين و المدفوعين على الأصناف الثلاثه الباقيه أعنى المؤلّفه قلوبهم و الرقاب و فى سبيل اللّه بأحد الوجوه المتقدّمه أو نحوها، و لا وجه لإخراج المؤلّفه قلوبهم.

ثمّ إنّه عليه السّلام قال فى الوصيّه المتقدّمه لعامله:(ثمّ احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر اللّه به) و قال لعامله فى هذه الوصيّه:(و انّما موفّوك حقّك فوفّهم حقوقهم) و ظاهر كلامه ههنا يشعر بأنّه عليه السّلام أمر عامله هذا أعنى مخنف أن ينقل الصّدقات إلى مستحقّى بلدها اصفهان أو همدان و نواحيهما، و قد مرّ بعض المسائل الفقهيه المربوطه فى الوصيّه المتقدّمه منها جواز نقل مال الزكاه من بلد إلى بلد آخر فراجع.

قوله عليه السّلام:(و من استهان بالأمانه - إلخ) لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام:(و رتع فى الخيانه)فكانه عليه السّلام شبّه الخائن بدابّه ترعى فى مرعى لا تتدبّر فى مأكلها و مشربها و سوء خاتمتها.

قوله عليه السّلام:(فقد أخلّ بنفسه) أى أجحف بنفسها فالخائن لا يخون إلاّ نفسه و كلّ نفس بما كسبت رهينه و إذا كشف الغطاء عن هذه النفس الدنيه فى يوم تبلى السرائر فهى أذلّ و أخزى لأنّها ليست فى الاخره إلاّ ما كانت فى الاولى و لا نتعبك بالبحث عن الجزاء فى المعاد و إن شئت فراجع إلى كتابنا المسمى بالقيامه و نكتفى ههنا بنقل حديث شريف من الكلمه العلياء خاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه و آله يهدى إلى الرشد لمن كان له قلب، رواه حمله الأحاديث فى جوامعهم الروائيه و نحن نأتى به من كتاب الأمالى للعالم الجليل قدوه المحدثين الشيخ الصدوق أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه القمّى قدّس سرّه و هو الحديث الرّابع من المجلس الأوّل منه رواه باسناده عن العلاء بن محمّد بن الفضل عن أبيه عن جدّه قال قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعه من بنى تميم إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله فدخلت و عنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: يا نبىّ اللّه عظنا موعظه ننتفع بها فانا قوم نعبر فى البريه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا قيس إنّ مع العزّ ذلا، و إنّ مع الحياه موتا و إنّ

مع الدّنيا آخره و إنّ لكلّ شيء حسيبا و على كلّ شيء رقيبا و إنّ لكلّ حسنه ثوابا و لكلّ سيّئه عقابا، و لكلّ أجل كتابا و إنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك و هو حيّ و تدفن معه و أنت ميّت فان كان كريما أكرمك و إن كان لئيما أسلمك ثمّ لا يحشر إلّا معك و لا تبعث إلّا منه و لا تسئل إلّا عنه فلا تجعله إلّا صالحا فانه إن صلح انست به و إن فسد لا تستوحش إلّا منه و هو فعلك. فقال: يا نبيّ اللّه احبّ أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب و ندّخره فأمر النّبيّ صلى اللّه عليه و آله من يأتيه بحسّان قال: فأقبلت افكر فيما أشبه هذه العظه من الشعر فاستتب لى القول قبل مجيء الحسّان فقلت: يا رسول اللّه قد حضرتنى أبيات أحسبها توافق ما تريد فقلت:

تخيّر خليطا من فعالك انما قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل

و لا بدّ بعد الموت من أن تعدّه ليوم ينادى المرء فيه فيقبل

فان كنت مشغولا بشيء فلا تكن بغير الذى يرضى به اللّه تشغل

فلن يصحب الانسان من بعد موته و من قبله إلّا الّذى كان يعمل

ألا إنّما الانسان ضيف لأهله يقيم قليلا بينهم ثمّ يرحل

و هذا الحديث و إن كان كلّه نورا و كلّ واحده من جملها تفتح بابا من الحقيقه و تشير إلى سرّ لأهله و مع ذلك فينبغى لك التأمل جدا فى قوله صلّى اللّه عليه و آله:

و إنّ مع الدّنيا آخره و لم يقل: و إنّ بعد الدّنيا آخره حتّى يجعل الاخره فى طول الدّنيا الزمانىّ فافهم، و فى قوله: من قرين يدفن معك و هو حيّ ، و قوله: لا يحشر إلّا معك، و قوله: لا تستوحش إلّا منه، لا سيما فى قوله: و هو فعلك أى ذلك القرين الحيّ المحشور معك هو فعلك. و نعم ما قيل:

نهفته معنى نازك بسى است در خط يار تو فهم آن نكنى اى أديب من دانم

و فى آخر الباب الخامس من إرشاد القلوب للديلمى - ره -: قال قيس بن عاصم وفدت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جماعه من تميم فقال لى: اغتسل بماء و سدر فاغتسلت ثمّ رجعت إليه فقلت: يا رسول اللّه عظنا موعظه ننتفع بها فقال: يا قيس إنّ

مع العزّ ذلّا - إلخ، انتهى. و قال ابن الأثير فى اسد الغابه: إنه أسلم فأمره النّبى صلى اللّه عليه و آله أن يغتسل بماء و سدر.

و من الحديث يعلم أنّ قيس بن عاصم كان رجلا فهيما عاقلا لائقا بأن يخاطب بهذه الجمل و يلقى إليه تلك الصحيفه المكرّمه و الموعظه الحسنه بل الحكمه العاليه المتعاليه، و كان وفوده إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله سنه تسع من الهجره و هو الّذى قال فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هذا سيّد أهل الوبر. و كان سيّدا شريفا جوادا عاقلا مشهورا بالحلم، و هو الذى رثاه عبده الطبيب بقوله:

عليك سلام اللّه قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن يترّحما

تحيّه من أوليته منك نعمه إذا زار عن شحط بلادك سلّما

فما كان قيس هلكه هلك واحد و لكنّه بنيان قوم تهدّما

و كان قيس بن عاصم قد حرّم على نفسه الخمر فى الجاهليّه و كان سبب ذلك أنه غمز عنكه ابنته و هو سكران و سبّ أبويها، و رأى القمر فتكلّم، و أعطى الخمّار كثيرا من ماله، فلمّا أفاق اخبر بذلك فحرّمها على نفسه و قال فيها أشعارا منها قوله:

رأيت الخمر صالحه و فيها خصال تفسد الرجل الحليما

فلا و اللّه أشربها صحيحا و لا أشفى بها أبدا سقيما

و لا أعطى بها ثمنا حياتى و لا أدعو لها أبدا نديما

فانّ الخمر تفضح شاربيها و تجنيهم بها الأمر العظيما

و أراد بالرجل الحليم نفسه فإنّه كان بالحلم مشهورا، قيل للأحنف بن قيس ممّن تعلّمت الحلم ؟ قال: من قيس بن عاصم المنقرىّ رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدّث قومه إذ اتى برجل مكتوف، و آخر مقتول فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، قال: فو اللّه ما حلّ حبوته و لا قطع كلامه، فلمّا أتمّه التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا ابن أخى بئس ما فعلت أثمت بربّك و قطعت رحمك و قتلت ابن عمّك و رميت نفسك بسهمك ثمّ قال لابن له آخر: قم

يا بنيّ فوار أخاك و حلّ كتاف ابن عمّك و سق إلى امّك مائه ناقه ديه ابنها فانها غريبه.

و لمّا حضرته الوفاه دعا بنيه فقال: يا بنيّ احفظوا عنّى فلا أحد أنصح لكم منّى إذا متّ فسوّدوا كباركم و لا تسوّدوا صغاركم فيسفّه الناس كباركم و تهونون عليهم، و عليكم بإصلاح المال فإنّه منبهه للكريم و يستغنى به عن اللئيم، و إيّاكم و مسأله الناس فإنها آخر كسب الرجل و أوصى عند موته فقال: إذا أنا متّ فلا تنوحوا علىّ فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم ينح عليه.

و كان قيس هذا أوّل من وأد و جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: إنى و أدت ثمانى بنات لى فى الجاهليه فقال: اعتق عن كلّ واحده منهنّ رقبه قال: إنى صاحب إبل قال صلّى اللّه عليه و آله: إن شئت عن كلّ واحده منهنّ بدنه. كما فى الإصابه.

و فى اسد الغابه: روى عنه أنّه قال للنّبى صلّى اللّه عليه و آله: إنى و أدت اثنتى عشره بنتا أو ثلاث عشره بنتا فقال له النّبى صلّى اللّه عليه و آله: اعتق عن كلّ واحده منهنّ نسمه. و فى المقام ينبغى أن يبحث عن الدّيه و لكن الكلام يجرّ الكلام.

و يليق أن ينظر فى شأن قيس هذا حيث كان أوّل الأمر ممّن يأد بناته قال عزّ من قائل: «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ » (النحل ۶۰) ثمّ هدى بالقرآن الكريم إلى الدّين القويم، نعم إنّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم، و كان ممّن حرّم على نفسه الخمر فى الجاهليه و من أمره هذا و من حلمه و كلامه يعلم فخامه قدره و قدر ذكائه و فطنته.

و قد كان غير واحد من اولى الدرايه حرّموا على أنفسهم الخمر فى الجاهليه منهم عثمان بن مظعون و قال: لا أشرب شرابا يذهب عقلى، و يضحك بى من هو أدنى منّى، و يحملنى أن أنكح كريمتى.

و منهم العباس بن مرداس فانه قيل له: ألا تأخذ من الشراب فإنه يزيد فى قوتك و جرأتك، قال: لا اصبح سيّد قومى و أمسى سفيهها لا و اللّه لا يدخل جوفى شىء

يحول بينى و بين عقلى أبدا. و قد أتى بعدّه منهم ابن الأثير فى ترجمه العباس هذا من اسد الغابه.

قوله عليه السّلام:(و انّ أعظم الخيانه - إلخ) و ذلك لأنّ الخيانه فى نفسها قبيحه و إن كان فى حقّ من لا يثق بك، فهى فى حقّ من اعتمد عليك و وثق بك و استأمنك أقبح و أفحش و أعظم عقوبه و نكالا فى الاولى و الاخره، و كذلك الكلام فى الغشّ .

و كذلك على نسخه الامّه مكان الأمنه و لكن فى الأمنه لطفا ليس فى الامّه كما هو مختارنا الموافق لنسخه الرضى رضوان اللّه عليه. و معنى العباره على هذا الوجه يصحّ إن كان المصدر مضافا إلى المفعول و قد اختاره الفاضل الشارح المعتزلى حيث قال: و خيانه الامّه مصدر مضاف إلى المفعول به لأنّ الساعى اذا خان فقد خان الامّه كلّها، و كذلك غشّ الأئمّه مصدر مضاف إلى المفعول أيضا لأنّ الساعى إذا غشّ فى الصّدقه فقد غشّ الامام انتهى.

و أقول: قد تقدّم أنّ العباره إذا كانت الامّه فالجمله الاولى لا تحتمل إلّا إضافه المصدر إلى المفعول به، و تجعل الثّانيه على وزانها أيضا حتّى يصير الكلام على نسق واحد. و لكنّ حقّ التدبر فى الكلام و سياق العهد و اسلوبه تنادى بأنّ الصواب هو الأمنه و أنّ الاضافه فى الجملتين إلى الفاعل أولى إن لم تكن متعيّنه.

و انظريا باغى الرشاد و طالب السداد فى هذا العهد الشريف حيث صدّره عليه السّلام بتقوى اللّه فى بواطن الامور و الأعمال مشيرا إلى أنّ اللّه هو الشهيد الوكيل فينبغى لعبد اللّه أن يكون عند اللّه مطلقا و لا يكون من الغافلين أوّلا، ثمّ أمر بترك الرياء و النفاق المؤدّى إلى الاخلاص ثانيا، ثمّ أمر بالشفقه على الرعيّه و نهى عن التكبر و التطاول عليهم بسبب الإماره عليهم ثالثا، ثمّ أوصى فى حفظ حقوقهم و تأديتها إليهم إن أحبّ ألاّ يكون خصمه عند اللّه يوم القيامه هؤلاء المساكين رابعا، ثمّ حذّر من استهان بالأمانه بعذاب الاخره، و خيانته لنفسه خامسا، و كما صدّر عهده بتقوى اللّه تعالى كذا عقّبه بالزهد فى الدّنيا و تزكيه النفس عن الأدران النفسانيه و الأوساخ الدّنيويه حيث قال: و لم ينزّه نفسه و دينه عنها إلخ. سادسا، و ختمه بذمّ خيانه

الأمنه و غشّ الأئمه سابعا. نعم هكذا و اللّه كلام من اجتباه اللّه تعالى ليستنقذ عباده من الضلاله و الجهاله. و الحمد للّه وليّ التوفيق و بيده أزمّه التحقيق.

ثمّ إنّ لمستحقّى الزكاه من الأصناف الثمانيه شروطا مذكوره مشروحه فى الكتب الفقهيه فلا نتعبك بعنوانها و البحث عنها.

الترجمه

از جملهٔ عهد آن حضرت عليه السّلام است كه آنرا به يكى از عمّالش هنگامى كه او را براى جمع زكاه فرستاده مرقوم فرمود:

امر كرد او را كه در امور پنهان و اعمال پوشيده اش با تقوى باشد چه گواهى جز خدا و وكيلى سواى او نيست.

و امر كرد او را كه در آشكار طاعتى بجا نياورد كه در پنهان خلاف آنرا مرتكب شود، و هر كه پنهان و آشكارش و كردار و گفتارش دو گونه و خلاف هم نيست امانت را ادا كرد و عبادت را به اخلاص گذرانده.

و امر كرد او را كه دست رد به پيشانى مردم نزند و نابايست و ناخوش بر آنها پيش نياورد، و بدانها بهتان نزند و بر آنها دروغ نبندد. و از جهت إمارت و حكومت بر آنان از ايشان روى برنگرداند چه آنان برادران دينى و ياوران بر گرفتن حقوق هستند.

و همانا كه براى تو در اين زكاه بهرهٔ واجب و حقى معلوم است، و مر تو را انبازان درويش، و ناتوان تهيدست در اين مال است، و ما حق تو را بتمام مى دهيم پس تو هم حق ايشان را بتمام و كمال بپرداز، و گرنه خصم تو در روز رستاخيز مردم بسيار خواهند بود. و بدا بكسى كه خصم او نزد خدا فقرا و مساكين و سائلان و رانده شدگان و وامداران و رهگذريان باشند، و آنكه امانت را خوار دارد و در خيانت چرا كند و خودش را و دينش را از آن پاك نسازد بخودش در دنيا ستم كرد و در آخرت هم خويشتن را زبون و رسوا ساخت. و همانا

که بزرگترین خیانت خیانت کسی است که دیگران بر وی اعتماد دارند، و زشت ترین غشّ کردن غشّ کردن پیشوایان است(۱).

و من عهد له علیه الصلاه و السلام الی محمد بن

اشاره

أبی بکر حین قلده مصر - و هو المختار السابع

و العشرون من کتبه علیه السّلام و وصایاه و عهوده و رسائله

فاخفض لهم جناحک، و ألن لهم جانبک، و ابسط لهم وجهک و آس بینهم فی اللّحظه و النّظره حتّی لا یطمع العظماء فی حیفک، و لا ییأس الضّعفاء من عدلک علیهم. و إنّ اللّه تعالی یسائلکم معشر عباده عن الصّغیره من أعمالکم و الکبیره، و الظّاهره و المستوره فإن یعذّب فأنتم أظلم، فإن یعف فهو أکرم. و اعلموا عباد اللّه أنّ المتّقین ذهبوا بعاجل الدّنیا و آجل الاخره فشارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم و لم یشارکهم أهل الدّنیا فی آخرتهم. سکنوا الدّنیا بأفضل ما سکنت، و أکلوها بأفضل ما أکلت، فحظوا من الدّنیا بما حظی به المترفون، و أخذوا منها ما أخذه الجبابره

۱- (۱) این وجه ترجمه باعتبار اضافه مصدر به فاعل است و اگر مصدر را مضاف به مفعول به بدانیم: ترجمهٔ آن چنین می شود که: همانا بزرگترین خیانت خیانت به کسانی است که بشخص وی وثوق و اعتماد دارند، و زشت ترین غش کردن غش کردن به پیشوایان است.

المتكبّرون ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ و المتجر المربح، أصابوا لذّه زهد الدّنيا فی دنياهم، و تيقّنوا أنّهم جيران اللّه غدا فی آخرتهم. لا- تردّ لهم دعوه، و لا- ينقص لهم نصيب من لذّه، فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه، و أعدّوا له عدّته فإنّه يأتی بأمر عظيم و خطب جليل بخير لا يكون معه شرّ أبدا، أو شرّ لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلی الجنّه من عاملها؟ و من أقرب إلی النّار من عاملها؟ و أنتم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم و إن فررتم منه أدرككم و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم و الدّنيا تطوی من خلفكم، فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد و عذابها جديد. دار ليس فيها رحمه، و لا تسمع فيها دعوه، و لا- تفرّج فيها كربه، و إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه و أن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه علی قدر خوفه من ربّه، و إنّ أحسن النّاس ظنّا باللّه أشدّهم خوفا للّه. و اعلم يا محمّد بن أبی بكر، قد ولّيتك أعظم أجنادی فی نفسی أهل مصر فأنت محقوق أن تخالف علی نفسك و أن تنافح عن دينك و لو لم تكن لك إلّا ساعه من دهرك فلا تسخط اللّه برضا أحد من خلقه، فإنّ فی اللّه خلفا من غيره و ليس من اللّه خلف فی غيره.

صلّ الصّلاه لوقتها الموقّت لها، و لا تعجّل وقتها لفراغ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، و اعلم أنّ كلّ شیء من عملك تبع لصلاتك. من هذا العهد:

فإنّه لا سواء إمام الهدی و إمام الرّدی، و ولیّ النّبیّ و عدوّ النّبیّ و لقد قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشركا، أمّا المؤمن فیمنعه اللّه بإیمانه، و أمّا المشرك فیقمعه اللّه بشركه، و لكنّی أخاف علیكم كلّ منافق الجنان عالم اللّسان یقول ما تعرفون و یفعل ما تنكرون.

ذكر ماخذ العهد و مصادره

اشاره

قد روی هذا العهد فی كتب الفریقین بأسانید عدیده و طرق كثیره علی صور متقاربه أو متفاوته:

منهم أبو إسحاق إبراهیم بن محمّد بن سعد(۱) بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفی الكوفی صاحب مصنّفات كثیره، المتوفّی سنه ثلاث و ثمانین و مائتین

۱- (۱) فی الفهرست للشیخ قدس سره: سعید بن هلال علی ما فی طبع النجف، و الظاهر أنه تصحیف و الصواب ما اخترناه و هو سمی سعد بن مسعود الثقفی أخی أبی عبید بن مسعود عم المختار ولاه أمیر المؤمنین علی علیه السّلام علی المدائن كما فی الفهرست و غیره من كتب الرجال. و فی الاستیعاب لابن عبد البر: سعد بن مسعود الثقفی عم المختار بن أبی عبید له صحبه.و فی كتاب الرجال الكبیر للاسترآبادی: سعید فی الموضعین و لكن دریت انه تصحیف. و ضبط تاریخ وفاه أبی اسحاق العلامه الحلی فی الخلاصه. منه.

فی کتاب الغارات.

و منهم أبو جعفر محمّد بن جریر الطبری المتوفّی سنه عشر و ثلاثمائه فی کتابه فی تاریخ الرسل و الملوک (ص ۳۲۴۶ ج ۶ من طبع لیدن).

و منهم الشیخ الجلیل أبو محمّد الحسن بن علیّ بن شعبه الحرّانی المتوفّی ۳۳۲ ه ق فی تحف العقول (ص ۴۰ من الطبع علی الحجر. و ص ۱۷۱ من الطبع الجدید).

و منهم الشیخ الأجلّ أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام البغدادی الملقّب بالمفید المتوفّی سنه ۴۱۳ ه ق، فی أوّل المجلس الحادی و الثلاثین من أمالیه (ص ۱۵۱ من طبع النجف).

و منهم شیخ الطائفه الامامیّه أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علیّ الطوسی المتوفّی ۴۶۰ ه ق فی آخر الجزء الأوّل من أمالیه (ص ۱۶ من طبع طهران، و ص ۲۴ ج ۱ من طبع النجف).

و منهم أبو جعفر محمّد بن أبی القاسم محمّد بن علی الطبری الاملی المعروف بعماد الدّین الطبری من علماء الامامیه فی القرن السادس فی کتابه بشاره المصطفی لشیعه المرتضی (ص ۵۲ ج ۱ من طبع النجف) و فی کتابه فی الزهد و التقوی.

و أتی بما فی الغارات الفاضل الشارح المعتزلی فی أوائل الجزء السادس من شرحه علی المختار ۶۶ من خطب النهج (ص ۲۹۵ ج ۱ من الطبع علی الحجر).

و العلاّمه المجلسی فی المجلّد الثامن من البحار (ص ۶۴۳ من الطبع الکمبانی).

و نقل بعض صور هذا العهد المنقول من الطبری و أبی إسحاق الثقفی الفاضل أحمد زکی صفوت فی جمهره رسائل العرب (ص ۵۳۲ إلی ۵۴۲ ج ۱ من طبع مصر).

و نقل طائفه من کتاب الغارات فی کیفیه شهادت محمّد بن أبی بکر و نبذه من مطالب اخری الفاضل المقدم المیرزه حبیب اللّه الخوئی فی شرح المختار المذکور آنفا إلاّ أنه جعله المختار ۶۷ و لم یأت من صور هذا العهد إلاّ واحدا منها فراجع إلی (ص ۱۱۲ من ج ۶ من الطبع الجدید).

و قال بعد نقله: أقول: و لأمير المؤمنين عليه السّلام كتاب آخر مبسوط إلى محمّد و أهل مصر و رواه إبراهيم - يعنى أبا إسحاق إبراهيم صاحب كتاب الغارات - نرويه إن شاء اللّه فى باب الكتب إن ساعدنا التوفيق و المجال انتهى.

أقول: و لكنه رضوان اللّه عليه قد قضى نحبه و قد بلغ شرحه إلى أواخر خطب النهج، كما تقدّم كلامنا فى ذلك فى أوّل تكمله المنهاج، و نحن نرويه ههنا إن شاء اللّه تعالى بصوره جميعا نيابه عن الخوئى رحمه اللّه و نسئل اللّه تعالى أن يجعل سعيه مشكورا، و يوفّقنا بإتمام شرح الكتاب إنّه المفيض الوهّاب.

صوره العهد على روايه أبى اسحاق فى كتاب الغارات

أمّا صوره العهد على روايه أبى إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات قال:

و كان عهد علىّ إلى محمّد بن أبى بكر رحمه اللّه الّذى قرئ بمصر: هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولّاه مصر: أمره بتقوى اللّه فى السرّ و العلانيه و خوف اللّه تعالى فى المغيب و المشهد.

و أمره باللّين على المسلم، و الغلظ على الفاجر، و بالعدل على أهل الذمّه و بالانصاف للمظلوم، و بالشدّه على الظالم، و بالعفو عن النّاس، و بالاحسان ما استطاع، و اللّه يجزى المحسنين.

و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعه و الجماعه، فانّ لهم فى ذلك من العاقبه و عظم المثوبه ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه.

و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثمّ يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل، و إن تكن لهم حاجه يواسى بينهم فى مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء.

و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ ، و أن يقوم بالقسطاس، و لا يتّبع الهوى و لا يخاف فى اللّه لومه لائم فانّ اللّه مع من اتّقاه و آثر طاعته على من سواه.

و كتب عبد اللّه بن أبى رافع مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لغرّه شهر رمضان سنه ستّ و ثلاثين.

قال أبو إسحاق إبراهيم: ثمّ قام محمّد بن أبى بكر خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فالحمد للّه الّذى هدانا و إيّاكم لما اختلف فيه من الحقّ ، و بصرنا و إيّاكم كثيرا ممّا عمى عنه الجاهلون. ألا و إنّ أمير المؤمنين و لانّى اموركم و عهد إلىّ بما سمعتم و أوصانى بكثير منه مشافهه و لن آلوكم جهدا ما استطعت و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكلت و إليه انيب، فان يكن ما ترون من آثارى و أعمالى طاعه للّه و تقوى فاحمدوا اللّه على ما كان من ذلك فانه هو الهادى إليه، و إن رأيتم من ذلك عملا بغير الحقّ فارفعوه إلىّ و عاتبونى عليه فانى بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون، وفّقنا اللّه و إيّاكم لصالح العمل.

صوره ما كتب أمير المؤمنين على عليه السّلام الى أهل مصر

لما بعث محمد بن أبى بكر اليهم يخاطبهم به و محمدا

أيضا فيه على روايه أبى اسحاق فى كتاب الغارات أيضا

و قال أبو إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات أيضا: و حدّثنى يحيى بن صالح عن مالك، عن خالد الأسدى، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن عليه السّلام قال: كتب علىّ عليه السّلام إلى أهل مصر لمّا بعث محمّد بن أبى بكر إليهم كتابا يخاطبهم به و يخاطب محمّدا أيضا فيه: أمّا بعد فإنّى اوصيكم بتقوى اللّه فى سرّ أمركم و علانيته، و على أىّ حال كنتم عليها. و ليعلم المرء منكم أنّ الدنيا دار بلاء و فناء، و الاخره دار جزاء و بقاء، فمن استطاع أن يؤثر ما بقى على ما يفنى فليفعل فإنّ الاخره تبقى و الدّنيا تفنى، رزقنا اللّه و إيّاكم بصرا لما بصّرنا و فهما لما فهّمنا حتّى لا نقصّر عمّا أمرنا، و لا نتعدّى إلى ما نهانا.

و اعلم يا محمّد أنّك و إن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدّنيا إلاّ أنّك إلى نصيبك من الاخره أحوج، فإن عرض لك أمران أحدهما للاخره و الاخر للدّنيا فابدأ بأمر الاخره. و لتعظم رغبتك فى الخير، و لتحسن فيه نيّتك فإنّ اللّه عزّ و جلّ يعطى العبد على قدر نيّته، و إذا أحبّ الخير و أهله و لم يعمله كان إن شاء اللّه كمن

عمله، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال حين رجع من تبوك: إنّ بالمدينه لأقواما ما سرتم من مسير و لا هبطتم من واد إلّا كانوا معكم ما حبسهم إلّا المرض يقول: كانت لهم نيّه.

ثمّ اعلم يا محمّد إنّى وليّتك أعظم أجنادى أهل مصر، و ولّيتك ما ولّيتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك و تحذر فيه على دينك و لو كان ساعه من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربّك لرضى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه خلفا من غيره و ليس فى شىء غيره خلف منه، فاشتدّ على الظّالم، و لن لأهل الخير و قرّبهم إليك و اجعلهم بطانتك و إخوانك و السّلام.

كتاب أمير المؤمنين على (عليه السلام) الى محمد بن أبى بكر و أهل مصر

على صوره اخرى منقوله من كتاب الغارات أيضا

قال أبو إسحاق إبراهيم: حدّثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن عليه السّلام قال: كتب علىّ عليه السّلام إلى محمّد و أهل مصر: أمّا بعد: فانّى أوصيكم بتقوى اللّه و العمل بما أنتم عنه مسؤلون فأنتم به رهن و إليه صائرون، فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَهٌ »، و قال: و يحذّركم اللّه نفسه و إلى اللّه المصير، و قال: فو ربّك لنسئلنّهم أجمعين عمّا كانوا يعملون، فاعلموا عباد اللّه أنّ اللّه سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير فان يعذّب فنحن الظّالمون و إن يغفر و يرحم فهو أرحم الرّاحمين.

و اعلموا أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الرحمه و المغفره حين ما يعمل بطاعه اللّه و منا صحته فى التوبه، فعليكم بتقوى اللّه عزّ و جلّ فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها، و يدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها: خير الدّنيا و خير الاخره، يقول سبحانه: «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَهٌ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمنين المتّقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله شركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم يقول اللّه عزّ و جلّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ »

«لِلَّذِينَ آمَنُوا فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا خالِصَهً یَوْمَ الْقِیامَهِ ». سکنوا الدّنیا بأفضل ما سکنت و أکلوها بأفضل ما أکلت، شارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم، یأکلون من أفضل ما یأکلون، و یشربون من أفضل ما یشربون، و یلبسون من أفضل ما یلبسون و یسکنون من أفضل ما یسکنون، أصابوا لذّه أهل الدّنیا مع أهل الدّنیا مع أنّهم غدا من جیران اللّه عزّ و جلّ یتمنّون علیه، لا یردّ لهم دعوه و لا ینقص لهم لذه، أما فی هذا ما یشتاق إلیه من کان له عقل.

و اعلموا عباد اللّه أنّکم إن اتّقیتم ربّکم، و حفظتم نبیّکم فی أهل بیته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، و ذکرتموه بأفضل ما ذکر، و شکرتموه بأفضل ما شکر و أخذتم بأفضل الصبر، و جاهدتم بأفضل الجهاد، و إن کان غیرکم أطول صلاه منکم، و أکثر صیاما إذا کنتم أتقی للّه و أنصح لأولیاء اللّه من آل محمّد صلّی اللّه علیه و آله و أخشع.

و احذروا عباد اللّه الموت و نزوله، و خذوا له فإنه یدخله بأمر عظیم: خیر لا یکون معه شرّ أبدا، و شرّ لا یکون معه خیر أبدا، لیس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّی یعلم إلی أیّ المنزلتین یصیر: إلی الجنّه أم إلی النّار؟ أعدوّ هو للّه أم ولیّ له فان کان ولیا فتحت له أبواب الجنّه، و شرع له طریقها، و نظر إلی ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ لأولیائه فیها، فرغ من کل شغل، و وضع عنه کلّ ثقل و إن کان عدوّا فتحت له أبواب النّار و سهّل له طریقها و نظر إلی ما أعدّ اللّه لأهلها، و استقبل کلّ مکروه، و فارق کلّ سرور، قال تعالی: «اَلَّذِینَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِکَهُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما کُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلی إِنَّ اللّهَ عَلِیمٌ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ الموت لیس فیه فوت فاحذروه و أعدّوا له عدّته فانّکم طرداء للموت إن أقمتم أخذکم، و إن هربتم أدرککم، و هو ألزم لکم من ظلّکم، معقود بنواصیکم، و الدّنیا تطوی من خلفکم، فأکثروا ذکر الموت عند ما تنازعکم إلیه أنفسکم من الشهوات فانّه کفی بالموت واعظا قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أکثروا ذکر الموت فانه هادم اللّذات.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد الموت أشدّ من الموت لمن لم يغفر اللّه له و يرحمه، و احذروا القبر و ضمّته، و ضيقه و ظلمته فانّه الّذى يتكلّم كلّ يوم:

أنا بيت التراب، و أنا بيت الغربه، و أنا بيت الدّود، و القبر روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النّار، إنّ المسلم إذا مات قالت الأرض: مرحبا و أهلا قد كنت ممّن احبّ أن تمشى على ظهرى، فاذا وليتك فستعلم كيف صنعى بك فيتّسع له مدّ بصره، و إذا دفن الكافر قالت له الأرض: لا- مرحبا و لا- أهلا قد كنت ممّن ابغض أن تمشى على ظهرى، فإذا وليتك فستعلم كيف صنعى بك، فتنضمّ عليه حتى تلتقى أضلاعه.

و اعلموا أنّ المعيشه الضّنك الّتى قال سبحانه: «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً »، هى عذاب القبر فانّه يسلّط على الكافر فى قبره حيّات عظام تنهش لحمه حتّى يبعث لو أنّ تنّينا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت الزرع أبدا.

و اعلموا عباد اللّه أنّ أجسادكم الرقيقه النّاعمه الّتى يكفيها اليسير من العقاب ضعيفه عن هذا، فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم و أجسادكم مما لا طاقه لكم به و لا صبر عليه فتعملوا بما أحبّ اللّه سبحانه، و تتركوا ما كره فافعلوا، و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد القبر أشدّ من القبر يوم يشيب فيه الصغير، و يسكر فيه الكبير و تذهل كلّ مرضعه عمّا أرضعت، و احذروا يوما عبوسا قمطريرا كان شرّه مستطيرا، أما إنّ شرّ ذلك اليوم و فزعه استطار حتّى فزعت منه الملائكه الّذين ليست لهم ذنوب و السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرضون المهاد و انشقّت السماء فهى يومئذ واهيه و تغيّرت فكانت ورده كالدّهان، و كانت الجبال سرابا بعد ما كانت صمّا صلابا، يقول اللّه سبحانه: «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ »، فكيف بمن يعصيه بالسمع و البصر و اللّسان و اليد و الفرج و البطن إن لم يغفر اللّه و يرحم ؟ و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد ذلك اليوم أشدّ و أدهى، نار قعرها بعيد،

و حرّها شديد، و عذابها جديد، و مقامعها حديد، و شرابها صديد، لا يفتر عذابها، و لا يموت ساكنها، دار ليست للّه سبحانه فيها رحمه، و لا تسمع فيها دعوه و مع هذا رحمه اللّه الّتى وسعت كلّ شيء لا تعجز عن العباد، و جنّه عرضها كعرض السماوات و الأرض، خير لا يكون بعده شرّ أبدا، و شهوه لا تنفد أبدا، و لذّه لا تفنى أبدا، و مجمع لا يتفرّق أبدا، قوم قد جاوروا الرحمن، و قام بين أيديهم الغلمان، بصحاف من ذهب فيها الفاكهه و الريحان، و أنّ أهل الجنّه يزورون الجبّار سبحانه فى كلّ جمعه فيكون أقربهم منه على منابر من نور، و الّذين يلونهم على منابر من ياقوت، و الّذين يلونهم على منابر من مسك فبيناهم كذلك ينظرون اللّه جلّ جلاله و ينظر اللّه فى وجوههم إذ أقبلت سحابه تغشاهم فتمطر عليهم من النعمه و اللذّه و السرور و البهجه ما لا يعلمه إلّا اللّه سبحانه، و مع هذا ما هو أفضل منه رضوان اللّه الأكبر، أما إنّا لو لم نخوّف إلّا ببعض ما خوّفنا به لكنّا محقوقين أن يشتدّ خوفنا ممّا لا طاقه لنا به، و لا صبر لقوّتنا عليه، و أن يشتدّ شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه، و ما لا بدّ لنا منه، فإن استطعتم عباد اللّه أن يشتدّ خوفكم من ربّكم فافعلوا فإنّ العبد إنّما تكون طاعته على قدر خوفه، و إنّ أحسن النّاس للّه طاعه أشدّهم له خوفا.

و انظر يا محمّد صلاتك كيف تصلّيها فانّما أنت إمام ينبغى لك أن تتمّها، و أن تخفّفها و أن تصلّيها لوقتها فانّه ليس من إمام يصلّى بقوم فيكون فى صلاته و صلاتهم نقص إلّا كان إثم ذلك عليه و لا ينقص من صلاتهم شيئا.

و اعلم أنّ كلّ شيء من عملك يتبع صلاتك فمن ضيّع الصّلاه فهو لغيرها أشدّ تضييعا، و وضوءك من تمام الصلاه فأت به على وجهه فالوضوء نصف الإيمان أسأل اللّه الّذى يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا و إيّاك من المتّقين الّذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدّق أقوالكم أفعالكم و أن يتوافق سرّكم

و علانیتکم، و لا تخالف ألسنتکم قلوبکم فافعلوا عصمنا اللّه و إیّاکم بالهدی، و سلک بنا و بکم المحجّه الوسطی.

و إیّاکم و دعوه الکذاب ابن هند، و تأمّلوا، و اعلموا أنّه لا سوی إمام الهدی و إمام الرّدی، و وصیّ النّبی و عدوّ النّبی، جعلنا اللّه و إیّاکم ممّن یحبّ و یرضی، و لقد سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشرکا: أمّا المؤمن فیمنعه اللّه بایمانه، و أمّا المشرک فیحرمنّه اللّه بشرکه و لکنّی أخاف علیهم کلّ منافق اللسان یقول ما یعرفون و یفعل ما ینکرون.

و اعلم یا محمّد أنّ أفضل الفقه الورع فی دین اللّه و العمل بطاعته فعلیک بتقوی اللّه فی سرّ أمرک و علانیتک، و اوصیک بسبع هنّ جوامع الإسلام: اخش اللّه و لا تخش الناس فی اللّه، و خیر القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فی أمر واحد بقضائین مختلفین فیتناقض أمرک و تزیغ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّه رعیّتک ما تحبّه لنفسک و اکره لهم ما تکره لنفسک، و اصلح أحوال رعیّتک، و خض الغمرات إلی الحقّ و لا تخف لومه لائم، و انصح لمن استشارک، و اجعل نفسک اسوه لقریب المسلمین و بعیدهم. جعل اللّه خلّتنا و دیننا خلّه المتّقین و ودّ المخلصین، و جمع بیننا و بینکم فی دار الرّضوان إخوانا علی سرر متقابلین إن شاء اللّه.

قال أبو إسحاق إبراهیم: فحدّثنی عبد اللّه بن محمّد بن عثمان عن علیّ بن محمّد ابن أبی سیف عن أصحابه أنّ علیا علیه السّلام لما کتب إلی محمّد بن أبی بکر هذا الکتاب کان ینظر فیه و یتأدّب به فلمّا ظهر علیه عمرو بن العاص و قتله أخذ کتبه أجمع فبعث بها إلی معاویه فکان معاویه ینظر فی هذا الکتاب و یتعجّب منه، فقال الولید ابن عقبه و هو عند معاویه و قد رأی إعجابه به: مر بهذه الأحادیث أن تحرق، فقال معاویه: مه! فإنّه لا رأی لک، فقال الولید أ فمن الرأی أن یعلم النّاس أنّ أحادیث أبی تراب عندک تتعلّم منها؟ قال معاویه: ویحک أ تأمرنی أن أحرق علما مثل هذا و اللّه ما سمعت بعلم هو أجمع منه و لا أحکم، فقال الولید إن کنت تعجب من علمه و قضائه فعلام تقاتله ؟ فقال: لو لا إنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا

لأخذنا عنه. ثمّ سكت هنيئه ثمّ نظر إلى جلسائه فقال: إنّا لا نقول إنّ هذه من كتب علىّ بن أبى طالب و لكن نقول: هذه من كتب أبى بكر الصّدّيق كانت عند ابنه محمّد فنحن ننظر فيها و نأخذ منها. قال: فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى اميّه حتّى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذى أظهر أنّها من أحاديث علىّ بن أبى طالب.

و قال ابراهيم: فلمّا بلغ عليا عليه السّلام أنّ ذلك الكتاب صار إلى معاويه اشتدّ عليه حزنا.

و قال: حدّثنى بكر بن بكار عن قيس بن الرّبيع، عن ميسره بن حبيب، عن عمرو بن مره، عن عبد اللّه بن مسلمه قال: صلّى بنا علىّ عليه السّلام فلمّا انصرف قال:

لقد عثرت عثره لا أعتذر سوف أكيس بعدها و أستمر

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إنى استعملت محمّد بن أبى بكر على مصر فكتب إلىّ أنّه لا علم لى بالسنّه فكتبت إليه كتابا فيه أدب و سنّه فقتل و اخذ الكتاب.

قلت: قد نقلت هذا العهد الشريف المحكم المتين الذى هو نسيج وحده فى المعارف الحقّه لا سيّما فى المعاد من كتاب الغارات المنقول فى شرح الفاضل المعتزلى و لكن من نسخه مخطوطه مصحّحه مشكوكه عتيقه قد أنعمنا اللّه تعالى بها و هى من كتب مكتبتنا، و بين ما نقلناه منها و بين ما طبع من نسخ شرح الفاضل المذكور تفاوه فى عدّه مواضع يتغير المعنى بها و لعلّنا نأتى بها أو ببعض ما يهتمّ و يعتنى به فى شرح العهد إنشاء اللّه تعالى.

صوره العهد على ما فى تاريخ الطبرى

و أما صوره العهد على ما ضبطه أبو جعفر الطبرى فى التاريخ فإنه قريب ممّا نقلناه من كتاب الغارات أوّلا و ليس فى نقله كثير فائده قال: قال هشام عن أبى مخنف قال: حدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ عن أبيه قال: كنت مع محمّد بن أبى

بكر حين قدم مصر فلمّا قدم قرأ عليهم عهده: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما عهد عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولّاه مصر أمره بتقوى اللّه - إلخ.

و لم ينقل أبو جعفر الطبرى وصيّته عليه السّلام المبسوطه لأهل مصر و محمّد و إنّما اكتفى بنقل العهد الذى كتبه إلى محمّد فقط .

صوره العهد على ما فى تحف ابن شعبه

و أمّا أبو محمّد الحسن بن علىّ بن الحسين بن شعبه الحرّانى - ره - فانه أتى بالعهد الّذى كتبه إلى محمّد، و ما كتبه إلى أهل مصر و محمّد جميعا، و لمّا كان الأوّل قريبا أيضا ممّا فى كتاب الغارات و تاريخ الطبرى أعرضنا عن نقله أيضا لقلّه الجدوى فى ذلك، و أمّا ما كتبه عليه السّلام إلى أهل مصر و محمّد فهذه صورته:

ثمّ كتب إلى أهل مصر بعد مسيره ما اختصرناه: من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر و أهل مصر: سلام عليكم.

أمّا بعد فقد وصل إلىّ كتابك و فهمت ما سألت عنه، و أعجبنى اهتمامك بما لا بدّ لك منه و ما لا يصلح المسلمين غيره، و ظننت أنّ الّذى أخرج ذلك منك نيّه صالحه و رأى غير مدخول.

أمّا بعد فعليك بتقوى اللّه فى مقامك و مقعدك و سرّك و علانيتك، و إذا أنت قضيت بين النّاس فاخفض لهم جناحك، و ليّن لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك و آس بينهم فى اللحظ و النظر حتّى لا يطمع العظماء فى حيفك لهم و لا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، و أن تسأل المدّعى البيّنه و على المدّعى عليه اليمين، و من صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلّا أن يكون صلحا يحرّم حلالا أو يحلّل حراما.

و آثر الفقهاء و أهل الصّدق و الوفاء و الحياء و الورع على أهل الفجور و الكذب و الغدر، و ليكن الصالحون الأبرار إخوانك، و الفاجرون الغادرون أعداءك فانّ أحبّ اخوانى إلىّ أكثرهم للّه ذكرا و أشدّهم منه خوفا و أنا أرجو أن تكون منهم إن شاء اللّه.

و إنّی اوصیکم بتقوی اللّه فیما أنتم عنه مسئولون و عمّا أنتم إلیه صائرون فإنّ اللّه قال فی کتابه: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَةٌ ». و قال: «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ ». و قال: فو ربّک لنسألنّهم أجمعین عمّا کانوا یعملون، فعلیکم بتقوی اللّه فانّها تجمع من الخیر ما لا یجمع غیرها و یدرک بها من الخیر ما لا یدرک بغیرها من خیر الدّنیا و خیر الاخره قال اللّه تعالی: «وَ قِیلَ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّکُمْ قالُوا خَیْراً لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَیْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِینَ ».

اعلموا عباد اللّه أنّ المتّقین ذهبوا بعاجل الخیر و آجله، شارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم و لم یشارکهم أهل الدّنیا فی آخرتهم، قال اللّه عزّ و جلّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ »، الایه. سکنوا الدّنیا بأحسن ما سکنت و أکلوها بأحسن ما أکلت.

و اعلموا عباد اللّه أنّکم إذا لقیتم اللّه و حفظتم نبیّکم فی أهله فقد عبدتموه بأفضل عبادته، و ذکرتموه بأفضل ما ذکر، و شکرتموه بأفضل ما شکر، و قد أخذتم بأفضل الصبر و الشکر، و اجتهدتم بأفضل الاجتهاد و إن کان غیرکم أطول منکم صلاه و أکثر منکم صیاما و صدقه إذ کنتم أنتم أوفی للّه و أنصح لأولیاء اللّه و من هو ولیّ الأمر من آل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و احذروا عباد اللّه الموت و قربه و کربه و سکراته، و أعدّوا له عدّته فإنّه یأتی بأمر عظیم: بخیر لا یکون معه شرّ و بشرّ لا یکون معه خیر أبدا، فمن أقرب إلی الجنّه من عاملها و أقرب إلی النّار من أهلها فأکثروا ذکر الموت عند ما تنازعکم إلیه أنفسکم فإنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: أکثروا ذکرها دم اللّذات، و اعلموا أنّ ما بعد الموت لمن لم یغفر اللّه له و یرحمه أشدّ من الموت.

و اعلم یا محمّد إنّنی ولیّتک أعظم أجنادی فی نفسی أهل مصر و أنت محقوق أن تخاف علی نفسک و أن تحذر فیه علی دینک و ان لم تکن إلّا ساعه من النهار، فان استطعت أن لا تسخط ربّک برضی أحد من خلقه فافعل فإنّ فی اللّه خلفا من غیره

و لا فی شیء خلف من اللّه، اشدد علی الظالم و خذ علی یدیه، و لن لأهل الخیر و قرّبهم منک و اجعلهم بطانتک و إخوانک.

ثمّ انظر صلاتک کیف هی فإنّک إمام و لیس من إمام یصلّی بقوم فیکون فی صلاتهم تقصیر إلاّ کان علیه أو زارهم و لا ینتقص من صلاتهم شیء و لا یتمّمها إلاّ کان له مثل اجورهم و لا ینتقص من اجورهم شیء. و انظر الوضوء فإنّه تمام الصّلاه و لا صلاه لمن لا وضوء له. و اعلم أنّ کلّ شیء من عملک تابع لصلاتک، و اعلم أنّه من ضیّع الصّلاه فإنّه لغیر الصّلاه من شرائع الإسلام أضیع.

و إن استطعم یا أهل مصر أن یصدّق قولکم فعلکم و سرّکم علانیتکم، و لا تخالف ألسنتکم أفعالکم فافعلوا، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشرکا أمّا المؤمن فیمنعه اللّه بإیمانه، و أمّا المشرک فیخزیه اللّه و یقمعه بشرکه، و لکنّی أخاف علیکم کلّ منافق حلو اللسان یقول ما تعرفون، و یفعل ما تنکرون لیس به خفاء، و قد قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله: من سرّته حسناته و ساءته سیّئاته فذلک المؤمن حقّا، و کان یقول صلّی اللّه علیه و آله: خصلتان لا یجتمعان فی منافق: حسن سمت و فقه فی سنّه.

و اعلم یا محمّد بن أبی بکر أنّ أفضل الفقه الورع فی دین اللّه، و العمل بطاعه اللّه أعاننا اللّه و إیّاک علی شکره و ذکره و أداء حقّه و العمل بطاعته إنّه سمیع قریب.

و اعلم أنّ الدّنیا دار بلاء و فناء و الاخره دار بقاء و جزاء فإن استطعت أن تؤثر(۱) ما یبقی علی ما یفنی فافعل رزقنا اللّه بصر ما بصّرنا و فهم ما فهّمنا حتّی لا نقصّر عمّا أمرنا و لا نتعدّی إلی ما نهینا عنه فانّه لا بدّ لک من نصیبک من الدّنیا، و أنت إلی نصیبک من الاخره أحوج، فان عرض لک أمران: أحدهما للاخره و الاخر للدّنیا، فابدأ بأمر الاخره، و إن استطعت أن تعظم رغبتک فی

۱- (۱) کانت العباره «أن تزین» مکان «أن تؤثر» و بدلنا الاول بالثانی قیاسا بما نقلنا آنفا من کتاب الغارات و کانت العباره فیه «تؤثر» و لا تفید تزین من الزینه معنی صحیحا الا بتکلف لا ینبغی فی حول کلام صدر من مشرع الفصاحه و البلاغه. منه.

الخير و تحسن فيه نيّتك فافعل فإنّ اللّه يعطى العبد على قدر نيّته إذا أحبّ الخير و أهله، و إن لم يفعله كان إن شاء اللّه كمن فعله.

ثمّ إنّى اوصيك بتقوى اللّه، ثمّ بسبع خصال هنّ جوامع الاسلام: تخشى اللّه و لا تخشى النّاس فى اللّه فانّ خير القول ما صدّقه الفعل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين فيختلف عليك أمرك و تزلّ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّه رعيّتك ما تحبّ لنفسك و أهل بيتك، و ألزم الحجّه عند اللّه و اصلح رعيّتك، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومه لائم، و أقم وجهك و انصح للمرء المسلم إذا استشارك، و اجعل نفسك اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم، و أمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الامور و السّلام عليك و رحمه اللّه و بركاته.

صوره العهد على ما فى نسختى الشيخين

المفيد و الطوسى قدس سرهما

أمّا صوره العهد على ما فى أمالى الشّيخ المفيد، و ما فى أمالى الشّيخ الطوسى رفع اللّه درجتهما فانّ إحداهما قريبه من الاخرى بل الطوسى - ره - رواه من الشّيخ المفيد بسند ينتهى إلى أبى إسحاق الهمدانى و بهذا السند رواه المفيد أيضا فى أماليه من غير اختلاف، إلاّ أنّا نجعل ما فى أمالى الطوسى أصلا و ذلك لأنا ننقله من نسخه مخطوطه مصحّحه عتيقه محفوظه فى مكتبتنا استنسخت من أصل كتب فى سنه ۶۱۸ و قوبلت عليه و قد نقل فى آخرها عباره خاتمه الأصل هكذا: تمّ كتاب الأمالى و هو ثمانيه عشر جزءا آخر نهار الجمعه ثانى شوال سنه ثمان عشر و ستمائه و الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله الطّاهرين و سلّم تسليما، كتبه علىّ بن أبى محمّد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلىّ الحلّىّ حامدا للّه تعالى و مصلّيا على رسوله محمّد و آله الطّاهرين.

فدونك صوره العهد على روايه الطوسى من ذلك الأصل قال: حدّثنا الشيخ المفيد أبو على الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسى رحمه اللّه تعالى بمشهد مولانا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه، قال: حدّثنا الشّيخ السعيد الوالد

أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علیّ الطوسی رحمه اللّه فی شهر ربیع الأوّل من سنه خمس و خمسین و أربعمائه، قال: حدّثنا أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه اللّه(۱) قال: أخبرنی أبو الحسن علیّ بن محمّد بن حبیش الکاتب، قال: أخبرنی الحسن بن علیّ الزّعفرانی، قال: أخبرنی أبو إسحاق إبراهیم بن محمّد الثقفی، قال: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن عثمان، قال: حدّثنا علیّ بن محمّد بن أبی سعید عن فضیل بن الجعد عن أبی إسحاق الهمدانی (و فی أمالی المفید: المجلس الحادی و الثلاثون مجلس یوم الاثنین السادس عشر من شهر رمضان سنه تسع و أربعمائه ممّا سمعته أنا و أبو الفوارس حدّثنا الشّیخ الجلیل المفید أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان أیّد اللّه تمکینه قال:

أخبرنی أبو الحسن علی بن محمّد بن محمّد بن حبیش الکاتب - و هکذا بالاسناد المقدّم حتّی ینتهی إلی أبی إسحاق الهمدانی) قال:

لمّا ولّی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب محمّد بن أبی بکر مصر و أعمالها، کتب له کتابا و أمره أن یقرأه علی أهل مصر و لیعمل بما وصّاه به فکان الکتاب:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من عبد اللّه أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب إلی أهل مصر و محمّد بن أبی بکر: سلام علیکم فانی أحمد إلیکم اللّه الّذی لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فانّی اوصیکم بتقوی اللّه فیما أنتم عنه مسئولون و إلیه تصیرون فانّ اللّه تعالی یقول: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَهٌ »، و یقول: «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ » و إلیه المصیر»، و یقول: «فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ اللّه عزّ و جلّ سائلکم عن الصغیر من أعمالکم و الکبیر فان یعذّب فنحن أظلم، و إن یعف فهو أرحم الرّاحمین (و قد سقط فی أمالی المفید المطبوع فی النجف شطر من الحدیث).

یا عباد اللّه إنّ أقرب ما یکون العبد إلی المغفره و الرحمه حین یعمل للّه بطاعته و بنصحه فی التوبه. علیکم بتقوی اللّه فانها تجمع الخیر و لا خیر غیرها و یدرک بها

۱- (۱) هو الشیخ الاجل المفید - ره -، و أما الشیخ المفید أبو علی الحسن فهو ابن الشیخ الطوسی - ره - و المفید المطلق المعروف هو الاول. منه.

من الخير ما لا يدرک بغيرها من خير الدنيا و الاخره قال اللّه عزّ و جلّ : «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

اعلموا يا عباد اللّه أنّ المؤمن يعمل لثلاث من الثواب [لثلاث] أمّا الخير فانّ اللّه يثيبه بعمله فى دنياه، قال اللّه سبحانه لإبراهيم: «وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِينَ »، فمن عمل للّه تعالى أعطاه أجره فى الدّنيا و الاخره و كفاه المهمّ فيهما، و قد قال اللّه تعالى: «يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ »، فما أعطاهم اللّه فى الدّنيا لم يحاسبهم به فى الاخره»، قال اللّه تعالى:

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ »، و الحسنى هى الجنّه، و الزياده هى الدّنيا، و إنّ اللّه تعالى يكفّر بكلّ حسنه سيئه»، قال اللّه عزّ و جلّ : «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ »، حتّى إذا كان يوم القيامه حسبت لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بكلّ واحده عشره أمثالها إلى سبعمائه ضعف، قال اللّه عزّ و جلّ : «جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً »، و قال: اولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون، فارغبوا [فارعنوا - كما فى النسخه المصحّحه من الأمالى] فى هذا رحمكم اللّه و اعملوا له و تحاضّوا عليه.

و اعلموا يا عباد اللّه أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لهم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم أباحهم فى الدّنيا ما كفاهم به و أغناهم، قال اللّه عزّ اسمه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياهِ الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، و شربوا من طيّبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذّه

الدّنيا مع أهل الدّنيا و هم غدا جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون، لا يردّ لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من اللّذه، فإلى هذا يا عباد اللّه يشتاق إليه من كان له عقل و يعمل له تقوى اللّه [فى المطبوعه بتقوى اللّه] و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه.

يا عباد اللّه إن اتّقيتم و حفظتم نبيّكم فى أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد و ذكرتموه بأفضل ما ذكر، و شكرتموه بأفضل ما شكر، و أخذتم بأفضل الصّبر و الشّكر، و اجتهدتم أفضل الاجتهاد، و إن كان غيركم أطول منكم صلاه و أكثر منكم صياما فأنتم أتقى للّه منه و أنصح لاولى الأمر.

احذروا يا عباد اللّه الموت و سكرته فأعدّوا له عدّته فإنّه يفجاكم بأمر عظيم: بخير لا يكون معه شرّ أبدا، أو بشرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها، و من أقرب إلى النّار من عاملها؟ انه ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير إلى الجنّه أم النّار؟ أعدوّ هو للّه أو ولىّ ؟ فإن كان وليّا للّه فتحت له أبواب الجنّه، و شرعت له طرقها و رأى ما أعدّ اللّه له فيها ففرغ من كلّ شغل، و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوّا للّه فتحت له أبواب النّار، و شرع له طرقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه له فيها فاستقبل كلّ مكروه، و ترك كلّ سرور، كلّ هذا يكون عند الموت و عنده يكون بيقين، قال اللّه تعالى: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّهَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »، و يقول: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ».

عباد اللّه إنّ الموت ليس منه فوت، فاحذروا قبل وقوعه، و أعدّوا له عدّه [عدّته - خ ل] فإنكم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم، و إن فررتم منه أدرككم، و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم، و الدّنيا تطوى خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشّهوات، و كفى

بالموت واعظا، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كثيرا ما يوصى أصحابه بذكر الموت فيقول:

أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللذّات حائل بينكم و بين الشهوات.

يا عباد اللّه ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه و ضنكه و ظلمته و غربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربه، أنا بيت التراب أنا بيت الوحشه، أنا بيت الدّود و الهوام. و القبر روضه من رياض الجنّه، أو حفره من حفر النّار، إنّ العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض: مرحبا و أهلا قد كنت من أحبّ أن تمشى على ظهرى فاذا وليتك فستعلم كيف صنيعى بك فيتّسع له مدّ البصر، و إنّ الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحبا بك و لا أهلا لقد كنت من أبغض من يمشى على ظهرى فاذا وليتك فستعلم كيف صنيعى بك فتضمّه حتّى تلتقى أضلاعه، و أنّ المعيشه الضنك الّتى حذّر اللّه منها عدوّه عذاب القبر انه يسلّط على الكافر فى قبره تسعه و تسعين تنينا فينهشن لحمه و يكسرن عظمه و يتردّدن عليه كذلك إلى يوم البعث، لو أنّ تنينا منها نفخ فى الأرض لم تنبت زرعا [زرعا أبدا - خ ل].

يا عباد اللّه إنّ أنفسكم الضعيفه، و أجسادكم الناعمه الرقيقه الّتى يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم و أنفسكم ممّا لا طاقه لكم و لا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ اللّه و اتركوا ما كره اللّه.

يا عباد اللّه إنّ بعد البعث ما هو أشدّ من القبر يوم يشيب فيه الصغير و يسكر فيه الكبير و يسقط فيه الجنين و تذهل كلّ مرضعه عمّا أرضعت، يوم عبوس قمطرير يوم كان شرّه مستطيرا، إنّ فزع ذلك اليوم ليرهّب الملائكه الذين لا ذنب لهم و ترعد منه السبع الشداد، و الجبال الأوتاد، و الأرض المهاد، و تنشقّ السماء فهى يومئذ واهيه و تتغير فكأنّها ورده كالدّهان، و تكون الجبال سرابا مهيلا بعد ما كانت صمّا صلابا، و ينفخ فى الصور فيفزع من فى السموات و من فى الأرض إلاّ من شاء اللّه، فكيف من عصى بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الرّجل و الفرج و البطن إن لم يغفر اللّه له و يرحمه من ذلك اليوم، لأنّه يصير إلى غيره: إلى نار

قعرها بعيد و حرّها شديد و شرابها صديد و عذابها جديد، و مقامعها حديد لا يفتر عذابها و لا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمه و لا يسمع لأهلها دعوه.

و اعلموا يا عباد اللّه أنّ مع هذا رحمه اللّه الّتى لا تعجز العباد: جنّه عرضها كعرض السماء و الأرض اعدّت للمتّقين لا يكون معها شرّ أبدا، لذّاتها لا تملّ و مجتمعها لا يتفرّق، سكّانها قد جاوروا الرّحمن، و قام بين أيديهم الغلمان بصحاف من الذّهب فيها الفاكهه و الريحان.

ثمّ اعلم يا محمّد بن أبى بكر أنّى قد ولّيتك أعظم أجنادى فى نفسى أهل مصر فاذا ولّيتك ما ولّيتك من أمر الدّنيا فأنت حقيق أن تخاف فيه على نفسك، و أن تحذر فيه على دينك، فإن استطعت ألّا تسخط ربّك برضى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه عزّ و جلّ خلفا من غيره و ليس فى شىء سواه خلف منه. اشتدّ على الظالم و خذ عليه، و لن لأهل الخير و قرّبهم و اجعلهم بطائنك و أقرانك.

و انظر إلى صلاتك كيف هى فانك إمام لقومك أن تتمّها و لا تخفّفها فليس من إمام يصلّى لقوم يكون فى صلاتهم نقصان إلّا كان عليه لا ينقص من صلاتهم شىء و تمّمها و تحفّظ فيها يكن لك مثل اجورهم و لا ينقص ذلك من أجرهم شيئا.

و انظر إلى الوضوء فإنّه من تمام الصّلاه: تمضمض ثلاث مرات، و استنشق ثلاثا، و اغسل وجهك ثمّ يدك اليمنى ثمّ اليسرى ثمّ امسح رأسك و رجليك فإنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يصنع ذلك، و اعلم أنّ الوضوء نصف الإيمان.

ثمّ ارتقب وقت الصّلاه فصلّها لوقتها و لا تعجل بها قبله لفراغ و لا تؤخّرها عنه لشغل فإنّ رجلا سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن أوقات الصّلاه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أتانى جبرئيل عليه السّلام فأرانى وقت الصّلاه حين زالت الشمس فكانت على حاجبه الأيمن، ثمّ أرانى وقت العصر فكان ظلّ كلّ شىء مثله، ثمّ صلّى المغرب حين غربت الشمس، ثمّ صلى العشاء الاخره حين غاب الشفق، ثمّ صلّى الصبح فأغلس بها و النّجوم مشتبكه فصلّ لهذه الأوقات، و الزم السنّه المعروفه و الطريق الواضح.

ثمّ انظر ركوعك و سجودك فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان أتمّ الناس صلاه

و أخفّهم عملا فيها.

و اعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك فمن ضيّع الصّلاه فانّه لغيرها أضيع.

أسأل اللّه الّذى يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا (فى امالى المفيد: على أن يعيننا) و إيّاك على شكره و ذكره و حسن عبادته و أداء حقّه و على كلّ شيء اختار لنا فى دنيانا و ديننا و آخرتنا.

و أنتم يا أهل مصر فليصدّق قولكم فعلكم و سرّكم علانيتكم و لا يخالف ألسنتكم قلوبكم. و اعلموا أنه لا يستوى إمام الهدى و إمام الرّدى، و وصىّ النّبى عليه السّلام و عدوّه، إنّى لا أخاف عليكم مؤمنا و لا مشركا أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه، و أمّا المشرك فيحجزه اللّه عنكم بشركه و لكنّى أخاف عليكم المنافق يقول ما تعرفون و يعمل بما تنكرون.

يا محمّد بن أبى بكر اعلم أنّ أفضل الفقه الورع فى دين اللّه، و العمل بطاعته، و أنّى اوصيك بتقوى اللّه فى سرّ أمرك و علانيتك و على أىّ حال كنت عليه، الدّنيا دار بلاء و دار فناء، و الاخره دار الجزاء و دار البقاء، فاعمل لما يبقى و اعدل عمّا يفنى، لا تنس نصيبك من الدّنيا.

اوصيك بسبع هنّ جوامع الإسلام: تخشى اللّه عزّ و جلّ و لا تخش النّاس فى اللّه و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين مختلفين فيختلف أمرك و تزيغ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّه رعيتك ما تحبّ لنفسك و أهل بيتك و اكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّه و أصلح للرعيّه و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومه لائم، و انصح المرأ إذا استشارك، و اجعل نفسك (لنفسك خ ل) اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم. جعل اللّه مودّتنا فى الدّين، و حلّنا و إيّاكم حلّه المتقين(۱) و ابقى لكم طاعتكم حتّى يجعلنا و إيّاكم

۱- (۱) فى النسخه المطبوعه من أمالى الطوسى: و خلتنا و اياكم خله المتقين، و فى أمالى المفيد: و جعلنا و اياكم حليه المتقين، لكن الصواب ما فى المتن المنقول من تلك النسخه المخطوطه، و ما فى النسخ المطبوعه مصحفه. منه.

بها اخوانا على سرر متقابلين.

أحسنوا أهل مصر موازره محمّد أميركم، و اثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله. أعاننا اللّه و إيّاكم على ما يرضيه. و السّلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته.

قلت: صوره العهد على روايه الشيخين تصدّق ما نقلناه آنفا عن كتاب الغارات أكثر تصديق من أنّ محمّد بن أبى بكر كتب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنه لا علم لى بالسنّه فكتب عليه السّلام إليه كتابا فيه أدب و سنّه، و إلّا لم يكن فى روايه أبى إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات كلام فى السنّه إلّا قوله عليه السّلام فى جبايه الخراج و الصّلاه و الوضوء مجملا.

و كذلك يصدّقه ما رواه ابن شعبه فى التحف حيث قال الأمير عليه السّلام:

أمّا بعد فقد وصل إلىّ كتابك و فهمت ما سألت عنه و أعجبنى بما لا بدّ لك منه - إلخ.

صوره العهد على روايه أبى جعفر محمد بن أبى القاسم الطبرى

فى كتابه بشاره المصطفى لشيعه المرتضى

و أمّا صوره العهد على روايه عماد الدّين الطبرى فى كتابه بشاره المصطفى لشيعه المرتضى فهى أيضا توافق صورته على روايه الشيخين قدّس أسرارهم قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمّد الحسن بن الحسين بن بابويه قرأته عليه بالرّى سنه عشره و خمسمائه قال: حدّثنا السعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسى قال: حدّثنا الشّيخ المفيد أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد - إلى آخر السّند المذكور آنفا من أمالى الطوسى - و نقل العهد إلى قوله عليه السّلام: فأنتم أتقى للّه عزّ و جلّ منه و أنصح لاولى الأمر، ثمّ قال: قال محمّد بن أبى القاسم: الحديث طويل لكنّى أخذته إلى هاهنا لأنّ غرضى كان فى هذه الألفاظ الأخيره فإنّها بشاره حسنه لمن خاف و اتّقى و تولّى أهل المصطفى و الخبر بكماله أوردته فى كتاب الزهد و التقوى. انتهى كلامه - ره -.

اللغه

(فاخفض) أى ألن لهم جانبك. و الجناح هاهنا هو الجنب أى كن ليّن الجانب لرعيّتك و لا تغلظ عليهم قال اللّه تعالى: «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ». (رهن) بضمّ الراء و الهاء جمع رهن (و ابسط لهم وجهك) أى كن طلق الوجه لهم. (آس) أمر من المواساه يقال آساه بماله مواساه أى أناله منه و جعله فيهم اسوه. و لا يقال واساه بل هو لغه ردّيه كما فى القاموس. و يقال آسيت بين القوم إذا أصلحت و آسيت بينهم اى جعلت بعضهم اسوه بعض، و المراد من المواساه ههنا المساواه أى سوّ بينهم و تقديره اجعل بعضهم اسوه بعض. (المترفون) المنعمون الترفه بالضمّ : النعمه، و أترفته النعمه أطغته (الحيف): الجور. (فحظوا) الحظوه بالضمّ و الكسر و الحظه كعده: المكانه و الحظّ من الرزق و الفعل من باب علم. قال محمّد بن بشير (الحماسه ۴۳۶ من شرح المرزوقى):

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته و مد من القرع للأبواب أن يلجا

أى أن يظفر بطلبته.

(المشهد): المحضر، خلاف المغيب. (أن يجبى) اى أن يجمع من الجبايه. القسطاس بالضمّ و الكسر الميزان، أو أقوم الموازين، أو هو ميزان العدل أىّ ميزان كان كالقسطاس أو رومى معرّب.

(آثر) أى اختار. (يتمنّون عليه) التمنّى تشهّى حصول الأمر المرغوب فيه.

(شرع له) أى فتح له.

(مثوى) أى مقام و منزل. (طرداء) جمع طريد أى مطرود، و الطريده ما طردت من صيد أو غيره، و طردته نفيته عنّى.

(هادم اللذّات) الهدم بالدال المهمله نقض البناء، و قد ضبطه بعضهم بالذال المعجمه من الهذم بمعنى القطع. و فى أساس البلاغه للزمخشرى: هذمه أسرع قطعه.

و سيف مخذم و مهذم و هذام.

(ضمّته) الضمّ قبض الشيء إلى الشيء و قد ضمّه فانضمّ إليه و معنى ضمّه القبر بالفارسيّه فشارش قبر.

(فاذا ولّيتك) أى ملكتك، من ولى الشيء بكسر العين فى الماضى و المضارع ولايه و ولايه بكسر الواو و فتحها إذا قام به و ملك أمره.

(أجناد) جمع الجند بمعنى العسكر. (محقوق) أى حقيق و جدير.

(تنافح) نافحت عنه أى خاصمت عنه، و جاهدت و ذبت و دافعت، و يقال:

نافحه إذا كافحه و دافعه.

(تنهش) نهشه كمنعه نهسه و لسعه و عضّه و بالفارسيه: گزيد او را.

(قمطريرا) أى شديدا. (مقامعها) جمع المقمعه أى العمود. (الصديد) ما يخرج من جوف أهل النّار من القيح و الدّم.

(صحاف) جمع صحفه من أعظم القصاع، و يقال بالفارسيّه: كاسۀ بزرگ.

(و الّذين يلونهم) أى يكونون بعدهم. (المحجّه): الطريقه. (اسوه) بحركات الهمزه و سكون السين أى قدوه يقتدى القريب و البعيد بها.

(يقمعه) أى يقهره و يذلّله. (خض الغمرات) أمر من الخوض أى ادخل الشدائد. (خلّتنا) الخلّه الصّنفه، و أمّا على نسخه أمالى الطوسى: و حلّنا و إيّاكم حلّه المتّقين فظاهر.

الاعراب

(عن الصّغيره) متعلّق بقوله يسائلكم، (معشر عباده) منادى مضاف وقع فى البين. (حين ما يعمل بطاعه اللّه) ما مصدريه و منا صحته معطوف على المصدر.

كلمه ما فى قوله:(بأفضل ما سكنت) و فى أخواته مصدريه أى استعملوها على الوجه الّذى ينبغى. و الباء فى قوله (بالزاد المبلغ) بمعنى مع (من آل محمّد) بيان لأولياء اللّه. (ما كنّا نعمل من سوء) كلمه ما: نافيه أو استفهاميّه. (رحمه اللّه الّتى وسعت كلّ شيء لا تعجز عن العباد) قيل: رحمه اللّه مبتداء و الّتى خبرها و لا تعجز

خبر بعد خبر، و لكن الظاهر من تنسيق الكلام أنّ الّتى صفه لها و لا تعجز خبر لها (و لا ينقص من صلاتهم شيئا) نقص لازم و متعدّ. (تصدّق أقوالكم أفعالكم) أقوالكم مفعول به مقدّم على الفاعل أعنى أفعالكم.

المعنى

هذا العهد الشريف يحتوى فى أمر المعاد ما لا يحتويها غيره من خطبه و وصاياه و عهوده كما يظهر ذلك لك بالتأمّل فى سائر كلامه عليه السّلام، حتّى أنّ العهد الّذى كتبه إلى مالك رضوان اللّه عليه و هو أطول عهوده، و أنّ الكتاب الّذى كتبه إلى ابنه الحسن المجتبى عليه السّلام و هو أطول كتبه و وصاياه و من جلائلها لا يشتملان على معارف و حقائق فى المعاد، توجد فى هذا العهد القويم، و إن كان نبذه من كتابه إلى الحسن عليه السّلام فى ذلك و لكنّها لا يقاس إلى ما فى هذا العهد من دقائق و رقائق فى المعاد، و أمّا العهد الّذى كتبه إلى المالك فهو و إن كان من محاسن كتبه عليه السّلام و لكنّه برنامج الوظائف الاجتماعيّه و المدنيّه.

و بالجمله كتابه عليه السّلام هذا إلى محمّد بن أبى بكر يفتح أبوابا إلى معرفه ذلك المطلب الأسنى و المقصود الأسنى أعنى المعاد و أحوال الناس فيه، و شرحه على التفصيل ينجرّ إلى إطناب، و لذا نعرض عنه و نكتفى بشرحه الإجمالى و نشير إلى طائفه من معانى أقواله عليه السّلام و الأخبار الاخرى فى المقام على ما يقتضيه الحال و تفصيله يطلب من كتابنا المسمى بالقيامه فنقول مستعينا بمن له الاخره و الاولى:

قوله عليه السّلام:(فاخفض لهم جناحك-إلخ)أمره أن لا يغلظ على الرعيّه و أن يكون ليّن الجانب لهم، و خفض الجناح كنايه عن التواضع و اللّين و الانقياد و التسليم، كما ترى من دأب الطير إذا تواضع أحدها الاخر يخفض جناحه عنده.

و روى الكلينى قدّس سرّه فى الكافى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك اللّه به طريقا إلى الجنّه و أنّ الملائكه لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به - الخبر، و فى سوره الاسرى من القرآن الكريم: «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِى »

«صَغِيراً »، و قال عزّ من قائل خطابا لرسوله صلّى اللّه عليه و آله: «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ».

و روى الشّيخ الجليل حسن بن زين الدّين الشّهيد الثانى فى أوائل كتاب معالم الدّين فى الاصول مسندا عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام قال:

تعلّموا العلم فانّ تعلّمه حسنه - إلى أن قال عليه السّلام: و ترغب الملائكه فى خلّتهم يمسحونهم بأجنحتهم فى صلاتهم لأنّ العلم حياه القلب و نور الأبصار من الهدى - الخبر.

و لا يخفى عليك أنّ الجناح فى قوله عليه السّلام: فاخفض لهم جناحك، لا يحمل على معناه المطابقى الحقيقى، و كذا فى الايتين المذكورتين و كأنّ المراد من أجنحه الملائكه أيضا كنايه عن تواضعهم لبغاه العلم فى الخبر الأوّل، و بمعنى لطيف أدقّ و أشمخ من هذا فى الخبر الثانى حيث قال عليه السّلام: يمسحونهم بأجنحتهم فى صلاتهم و معلوم أنّ مسح الجناح المؤلّف من العظم و اللّحم و الريش و غيرها بالمصلّى لا يزيد فى كماله و تقرّ به إلى اللّه فالمسح بالأجنحه فى الخبر محمول على ارتباط سرّ المصلّى العالم إلى عالم القدس، و لمّا كانت المعانى تنزلت من مقامها من غير خلوّها عن مرتبتها كاسيه بلباس ألفاظ هذه النشأه، فلا بدّ للبصير أن تجعل الألفاظ روازن إلى رؤيه معانيها الأوّليه، قال ثقه المحدّثين الشّيخ الصّدوق رضوان اللّه عليه فى رسالته فى الاعتقادات: اعتقادنا فى اللّوح و القلم أنّهما ملكان، و قال المعلّم الثانى أبو نصر الفارابى قدّس سرّه فى الفصوص:

فليتدبّر فى قوله تعالى فى أوّل سوره الفاطر: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَهِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَهٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَىْ ءٍ قَدِيرٌ ».

و أفاد المتألّه السبزوارى قدّس سرّه فى بيان الايه المباركه فى شرحه على الفصل الرابع و الثمانين من الدّعاء المعروف بالجوشن الكبير بقوله: و لا نبالى بأن يكون لرقائقهم المثاليّه و أشباحهم الصوريّه أجنحه و لهم طيران و سير كما أنّ لكلّ حقيقه من حقائقهم المعنويّه حقيقه الجناح من جناح القوّه العلّامه و جناح

القوّه العمّاله و حقيقه الطيران و السير من الدرك و الفعل كما سمّى بعضهم القوى المدركه من النّفس النّاطقه بالطّياره و المحرّكه بالسيّاره، و قال فى هامش الكتاب فى بيان قوله: بأن يكون لرقائقهم المثاليه - إلخ - لأنّ لكلّ معنى صوره و لكلّ حقيقه رقيقه كما أنّ لسنى الرخا صوره هى البقرات السمان و لسنى القحط صوره هى البقرات العجاف و قس عليه و التعبير كالتأويل.

قوله عليه السّلام:(و آس بينهم - إلخ) ثمّ أمره بالمساواه معهم حتّى فى اللّحظه و النظره لئلّا يطمع العظماء فى حيفه مع الرّعيه و لا ييأس الضعفاء من عدله عليهم و قد مضى كلامنا فى العدل و المساواه فى شرح الكتاب الثالث أعنى كتابه عليه السّلام لشريح القاضى لمّا اشترى دارا بثمانين دينارا.

ثمّ علل أمره بالمساواه و العدل حتّى فى اللّحظه و النّظره بقوله:(فإنّ اللّه يسائلكم - إلخ) كى لا يظنّ أنّ عدم التسويه فى اللّحظه و النّظره ممّا لا يعتنى به و لا يحاسب عليه (فإن يعذّبهم اللّه فهم أظلم و إن يعفو فهو أكرم) و الأفعل ههنا ليس أفعل التفضيل بل هو أفعل الوصف نظير قوله تعالى: «أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ » أى ليس بظالم، و ذلك لأنّ صدور الظلم كثيره و قليله منه تعالى قبيح عقلا فمن ارتكب المعاصى فهو ظالم لنفسه و إن تاب عنها إليه تعالى و زكّى نفسه من درنها فقد أفلح و عفا اللّه عنه و هذا كرم ناله من اللّه تعالى، فإنّ اللّه أمر بالخير و نهى عن الشرّ.

قوله عليه السّلام:(و اعلموا عباد اللّه - إلخ) وصف المتّقين ترغيبا لعباد اللّه إلى التّقوى، و إنما قال:(إنّهم سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما اكلت) لأنّ مكسبهم كان على وجه حلال و طريق صواب فملبسهم و مأكلهم و مشربهم كلّها قد تهيّأت على ذلك الوجه و لم يكن لهم فيها وزر و لا وبال و المترفون و الجبابره المتكبرون، لم يأخذوا من دنياهم إلاّ على قدر ما يحتاج الانسان أن يعيش و تركوا ما زاد منها على حسره هى أشدّ من نار جهنّم ألما:

این بدر می رود از باغ بصد حسرت و داغ و آن چه دارد که بحسرت بگذارد آنرا

علی أنه قد لزمهم أوزارها من مظالم العباد و غیرها، قال تعالی: «وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَیُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ » - الایه (آل عمران ۱۸۱) و فی الخبر عن الباقر علیه السّلام: الّذی یمنع الزکاه یحوّل اللّه تعالی ماله یوم القیامه شجاعا من نار له ریمتان فتطوّقه ثمّ یقال له الزمه کما لزمک فی الدّنیا و هو قوله اللّه تعالی: «سَیُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ » الایه (ماده نور من سفینه البحار) ثمّ تأمّل أیها البصیر فی قوله علیه السّلام یحوّل اللّه تعالی ماله یوم القیامه شجاعا من نار، ثمّ فی قوله علیه السّلام یقال له: الزمه کما لزمک فی الدّنیا فإنّ هذا الخبر یفتح لک بابا من المعرفه فی أحوال الناس یوم القیامه.

و بالجمله إنّ المتقین شارکوهم فی دنیاهم و انقلبوا عنها مع ما کسبوا و قدّموا لأنفسهم من الزاد المبلغ و المتجر المربح و لم یشارکهم أهل الدّنیا فی تلک النعمه العظمی و العطیّه الکبری.

قال عزّ من قائل: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی » (البقره ۱۹۸). و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبه ۱۸۰ أوّلها روی عن نوف البکالی إلخ: و ازمع الترحال عباد اللّه الأخیار و باعوا قلیلا من الدّنیا لا یبقی بکثیر من الاخره لا یفنی.

ثمّ ینبغی لک النظر حقّه فی قوله علیه السّلام (و تیقّنوا أنهم جیران اللّه غدا فی آخرتهم لا تردّ لهم دعوه و لا ینقص لهم نصیب من لذّه) حیث أخبر علیه السّلام عن المتّقین بأنّ صفه الیقین الکریمه بلغتهم إلی تلک الدّرجه الرفیعه فی آخرتهم و من بلغ إلی تلک الرتبه المنیعه لا تردّ له دعوه و لیست لذّه ینقص لهم نصیبها و ذلک لأنّ الموقنین داوموا الحضور عنده تعالی فی هذه النشأه الدنیاویه و لیس الشهود الحقیقی إلّا واحدا و البیت واحد و ربّ البیت واحد بل لیس فی الدار غیره دیّار بل أینما تولّوا فثمّ وجه اللّه بل هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و الدّنیا مزرعه الاخره و نعم ما قال کعبه العاشقین سیّد الشهداء أبو عبد اللّه الحسین روحی

له الفداء فی دعاء العرفه، نعم.

بأبه اقتدی عدیّ فی الکرم و من یشابه أبه فما ظلم

حیث قال علیه السّلام: و أنت الّذی أزلت الأغیار عن قلوب أحبائک حتّی لم یحبّوا سواک و لم یلجئوا إلی غیرک أنت المونس لهم حیث أوحشتهم العوالم، و أنت الّذی هدیتهم حیث استبانت لهم المعالم، ما ذا وجد من فقدک، و ما الّذی فقد من وجدک.

قوله علیه السّلام:(فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه - إلخ) المراد من الحذر عن الموت الحذر عن الأهوال الّتی یراها غیر المؤمن عند الموت فکأنه علیه السّلام أمرهم أن یجعلوا الموت نصب أعینهم فإنّ من جعله نصب عینه زهّده فی الدّنیا و رغّبه فی الاخره و حثّه إلی إعداد عدّته، و من کلام سیّد الساجدین علیه السّلام فی الدّعاء الأربعین من الصحیفه: و انصب الموت بین أیدینا نصبا و لا تجعل ذکرنا له غبّا.

ثمّ علّل الأمر بالحذر بقوله (فانّه) أی الموت (یأتی بأمر عظیم و خطب جلیل).

روی الکلینی فی الکافی باسناده عن عبد اللّه بن سنان عمّن سمع أبا جعفر علیه السّلام یقول لمّا حضرت الحسن علیه السّلام الوفاه بکی فقیل له: یا ابن رسول اللّه تبکی و مکانک من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الّذی أنت به و قد قال فیک ما قال و قد حججت عشرین حجّه ماشیا و قد قاسمت مالک ثلاث مرات حتّی النعل بالنّعل ؟ فقال علیه السّلام: إنما أبکی لخصلتین: لهول المطّلع، و فراق الأحبّه (الوافی فی باب ما جاء فی الحسن بن علیّ علیهما السّلام ص ۱۷۴ ج ۲).

قوله علیه السّلام:(بخیر لا یکون معه شرّ أبدا أو شرّ لا یکون معه خیر أبدا) معنی الجمله الاولی ظاهر و انما الکلام فی معنی الثانیه لأنّ أخبار البرزخ دالّه علی أنّ أقواما معذبون فی البرزخ و ینقطع منهم العذاب بعد البرزخ فقد روی الکلینی قدّس سرّه فی الکافی باسناده عن عبد الرّحمن بن عبّاد عن عمر بن یزید قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّی سمعت و أنت تقول: کلّ شیعتنا فی الجنّه علی ما کان منهم قال: صدقتک کلّهم و اللّه فی الجنّه قال: قلت: جعلت فداک إنّ الذّنوب کثیره کبار فقال: أمّا فی القیامه فکلّکم فی الجنّه بشفاعه النبیّ المطاع أو وصیّ النبی و لکنّی

و اللّه أتخوّف عليكم فى البرزخ قلت: و ما البرزخ ؟ قال: القبر منذحين موته إلى يوم القيامه (الوافى ص ۹۴ ج ۱۳).

و الظاهر أنه عليه السّلام أراد بكلامه هذا عاقبه امور الناس فى الاخره لأنّ ما يستفاد من ضمّ الايات القرآنيّه و تصديق بعضها بعضا و تفسير بعضها بعضا أنّ مال النّاس فى الاخره إلى أمرين أعنى أنهم ينقسمون آخر الأمر إلى فريقين فريق فى الجنّه و فريق فى النّار. قال عزّ من قائل: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَتِ اللّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ » (آل عمران ۱۰۸).

و قال تعالى: «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَ سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ » (هود ۱۰۶-۱۰۹). و قال تعالى: «وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّهِ وَ فَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ » (الشورى ۸). و اللّه تعالى أعلم بكلام أوليائه.

قوله عليه السّلام:(فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها، و من أقرب إلى النار من عاملها) تحت هذا الكلام أيضا سرّ لمن كان له قلب لأنّه عليه السّلام قال: فمن أقرب إلى الجنّه من عامل الجنّه و كذا من أقرب إلى النار من عامل النار فمن عمل الحسنات فهو عامل الجنّه، و من ارتكب السيئات فهو عامل النار و لم يقل عليه السّلام فمن أقرب إلى الجنّه ممّن عمل ما يجرّه إلى الجنّه، أو من أقرب إلى النار ممّن عمل ما يدخله النار و نحوهما من العبارات. فمن عمل الحسنات فهو عامل جنّته، و من عمل السيئات فهو عامل ناره فتبصّر.

و قال تعالى: «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ » (البقره ۱۶۸).

و قال تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً » (آل عمران: ۳۰) و قال تعالى: «وَ لا تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (يس: ۵۴) لم يقل بما كنتم أو ممّا كنتم و نحوهما فتدبّر.

قوله عليه السّلام:(فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد و عذابها جديد) أمّا كونها بعيد القعر فلأنّها من دار الاخره و قال عزّ من قائل: «وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » (العنكبوت ۶۵) فنارها حيّه بحياتها الذّاتيه لها فاذا أضفت كلامه هذا إلى قوله عليه السّلام: و من أقرب إلى النار إلى عاملها ينتج أنها ليست من عالم الخلق بل هو من عالم الأمر و كلّ ما فى عالم الأمر غير متصفه بصفات الخلق الناقصه المحدوده جدّا المستحيله المتبدّله آنا فانا فظهر معنى كونها بعيد القعر لمن وقف على ما اشرنا إليها موجزه.

و قال بعض الأعاظم: و من أعجب ما روينا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنه كان قاعدا مع أصحابه فى المسجد فسمعوا هدّه عظيمه فارتاعوا فقال صلّى اللّه عليه و آله: أ تعرفون ما هذه الهدّه ؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: حجر ألقى من أعلى جهنّم منذ سبعين سنه الان وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهدّه، فما فرغ من كلامه عليه السّلام إلاّ و الصّراخ فى دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اللّه أكبر فعلم علماء الصحابه أنّ هذا الحجر هو ذلك المنافق، و أنّه منذ خلقه اللّه يهوى فى جهنّم و بلغ عمره سبعين سنه فلما مات حصل فى قعرها، قال اللّه تعالى: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ »، فكان سمعتهم تلك الهدّه الّتى أسمعهم اللّه ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوّه و ما ألطف تعريفه و ما أغرب كلامه، انتهى كلامه.

و أما كونها شديد الحرّ فلأنّ النّار ما دامت فى كسوه المادّه الدّنيا ويّه لم يظهر سلطان أثرها و تعوقها المادّه عن ذلك و كأنّها مغموره تحت رماد فاذا خلصت منها و خرجت عن غلافها تؤثّر أثرها التّام.

و أمّا أنّ عذابها جديد فكأنّ أمير المؤمنين روحى له الفداء يشير بقوله هذا

إلی قوله تعالی: «إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِنا سَوْفَ نُصْلِیهِمْ ناراً کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللّهَ کانَ عَزِیزاً حَکِیماً » (النساء ۵۷) و البحث فی المقام ینجر إلی الاطناب و یطلب فی کتابنا القیامه.

قوله علیه السّلام:(دار لیس فیها رحمه و لا تسمع فیها دعوه و لا تفرّج فیها کربه) قال عزّ من قائل: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خُلَّهٌ وَ لا شَفاعَهٌ وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ » (۲۵۵، البقره) فتدبّر أیّها العاقل فی قول اللّه تعالی و قول خلیفته و انظر إلی ما أنت فیه و لیس المحشور إلّا أنت و لا یمکن سلبک و انتزاعک منک و لا یمکنک الفرار من نفسک فما عملته فهو جزاؤک قال اللّه المتعال: «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ».

قوله علیه السّلام:(إمام الهدی) یعنی به نفسه (و إمام الرّدی) هو معاویه، و کذلک (ولیّ النّبی) هو علیّ علیه السّلام (و عدوّ النبیّ) هو عدوّ اللّه معاویه، و أمّا قوله (فإنه لا سواء) فذلک لأنّ بعد الحقّ لیس إلّا الضلال کما قال عزّ من قائل: و ما ذا بعد الحقّ إلّا الضلال، و لا یخفی علیک أنه لا یستوی النور و الظلمه و لا العلم و الجهل و لا الظلّ و لا الحرور و لا الحیّ و المیّت، و لا الحقّ و الباطل، و لا علیّ و معاویه.

قوله علیه السّلام (کلّ منافق الجنان) یعنی به عدوّا النبیّ و إمام الرّدی فهو شرّ من المشرک الّذی یقمعه اللّه بشرکه.

الترجمه

اشاره

این فرمانی است که أمیر علیه السّلام به محمّد بن أبی بکر در وقتی که از قبل وی والی مصر بود نوشت: با مردم فروتن و نرم و گشاده روی باش، و در لحاظ و نظر با همه یکسان تا بزرگان در تو طمع ستم نکنند، و ناتوانان ازدادت ناامید نشوند چه خدای بزرگ از کار بزرگ و کوچک و پوشیده و آشکار شما می پرسد پس اگر شکنجه دهد بستم ما است و اگر ببخشد بکرم او است.

ای بندگان خدا بدانید که پرهیزکاران هم دنیا دارند و هم آخرت را چه انباز أهل دنیا در دنیایشان بودند و اهل دنیا با آنان در آخرتشان انباز نیستند.

در دنیا به بهترین وجه زیست کردند و بهترین غذا خوردند و بهره که خوش گذرانان داشتند نیز داشتند، و آنچه که گردنکشان خودبین از دنیا گرفتند نیز گرفتند، سپس از آن کوچ کردند با توشهٔ رسا و بازرگانی سودمند. مزهٔ ترک دنیا را چشیدند، و بمقام یقین همجواری خدا در آخرت رسیدند. خواسته شان رد نمی شود و بهرهٔ لذّتشان کم نمی گردد، پس ای بندگان خدا از مرگ و زود فرا رسیدنش بترسید و زاد و توشهٔ راه گرد آورید زیرا مرگ امر بزرگی در پیش دارد که آن تا ابد یا خیر بدون شرّ است، یا شرّ بدون خیر چه کسی به بهشت به سازندهٔ آن نزدیکتر است ؟ و چه کسی باتش بفراهم کنندهٔ آن ؟. بدانید که شما راندهٔ مرگید اگر بایستید بگیرد و اگر بگریزید برسد از سایهٔ شما بشما وابسته تر است. مرگ به پیشانی تان گره زده است و دنیا طومار عمرتان را در می نوردد پس بترسید از آتشی که ته آن دور است و سوزندگیش سخت و شکنجه های آن پی در پی. سرایی که در آن رحمت نیست، و گوش بگفتار کسی داده نمی شود و اندوهی گشوده نمی شود اگر می توانید هم سخت از خدا بترسید و هم نیک بدو خوش گمان باشید که خوش گمانی بنده بخدایش باندازه ترسش از او است، آن کس خوش گمان تر است که ترس او بیشتر است.

بدان ای محمّد بن أبی بکر که ترا بر بزرگترین سپاهیانم در نظرم یعنی مردم مصر ولایت دادم لذا برایت سزاوار این است که از خود روگردان باشی و دینت را نگهبان اگر چه ساعتی بیش از عمرت نمانده باشد پس خدا را بخرسند داشتن آفریده اش بخشم میار چه عوض از خدا توان یافت و از غیر او نی.

نماز را به وقتش بخوان نه درگاه فراغ پیش از وقت، و نه در صورت اشتغال پس از آن، و بدان هر کارت پیرو نماز تست.

و برخی از این عهد این است:

زیرا پیشوای راهنما (علی علیه السّلام)، و پیشرو نابودی و گمراهی معاویه ()

ص:۹۱

و دوست پیمبر و دشمن وی یکسان نیستند. پیمبر به من گفت که نه از امت مؤمنم بیمناکم و نه از مشرک، زیرا خدا مؤمن را بایمانش نگه دارد و مشرک را بشرکش خوار کند، ولی ترسم بر شما از منافق است که بگفتارش آشنائید و بکردارش بیگانه.

و من کتاب له علیه السلام الی معاویه و هو من

محاسن الکتب - و هو المختار الثامن و العشرون

من باب الکتب

أمّا بعد فقد أتانی کتابک تذکر فیه اصطفاء اللّه تعالی محمّدا صلّی اللّه علیه و سلّم لدینه، و تأییده إیّاه بمن أیّده من أصحابه فلقد خبأ لنا الدّهر منک عجبا إذ طفقت تخبرنا ببلاء اللّه عندنا، و نعمته علینا فی نبیّنا فکنت فی ذلک کناقل التّمر إلی هجر [هجر - معا]، أو داعی مسدّده إلی النّضال.

و زعمت أنّ أفضل النّاس فی الإسلام فلان و فلان فذکرت أمرا إن تمّ اعتزلک کلّه، و إن نقص لم یلحقک ثلمه، و ما أنت و الفاضل و المفضول و السّائس و المسوس [و الفاضل و المفضول و السّائس و المسوس - معا]، و ما للطّلقاء و أبناء الطّلقاء و التّمییز [و التّمییز - معا] بین المهاجرین الأوّلین و ترتیب [ترتیب - معا]

درجاتهم، و تعريف [تعريف - معا] طبقاتهم ؟ هيهات لقد حنّ قدح ليس منها و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

أ لا- تربع أيّها الإنسان على ظلعك و تعرف قصور ذرعك، تتأخّر حيث أخّرك القدر؟ فما عليك غلبه المغلوب، و لا لك ظفر الظّافر، و إنّك [فإنّك - خ] لذهّاب فى التّيه، روّاغ من القصد، أ لا ترى - غير مخبّر لك - لكن بنعمه اللّه أحدّث، أنّ قوما من المهاجرين استشهدوا فى سبيل اللّه - و لكلّ فضل - حتّى إذا استشهد [شهيد [نا]] قيل: سيّد الشّهداء و خصّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بسبعين تكبيره عند صلاته عليه ؟ أ و لا- ترى أنّ قوما قطعت أيديهم فى سبيل اللّه - و لكلّ فضل - حتّى إذا فعل بواحد منّا كما فعل بواحدهم، قيل: الطّيّار فى الجنّه و ذو الجناحين ؟ و لولا ما نهى اللّه عنه من تزكيه المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّه تعرفها قلوب المؤمنين، و لا تمجّها آذان السّامعين، فدع عنك من مالت به الرّميّه فإنّا صنائع ربّنا و النّاس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزّنا و عادىّ طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و لستم هناك، و أنّى يكون ذلك كذلك و منّا النّبىّ و منكم المكذّب، و منّا أسد اللّه و منكم

أسد الأحلاف، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّه و منكم صبيه النّار، و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّاله الحطب، فى كثير ممّا لنا و عليكم، فإسلامنا ما قد سمعتم [سمع]، و جاهليّتنا لا تدفع، و كتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا و هو قوله سبحانه: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ »، و قوله تعالى: «إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »، فَنَحْنُ مَرَّهً أَوْلى بِالْقَرابَهِ وَ تارَهً أَوْلى بِالطّاعَهِ . و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفه برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعويهم. و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت، و على كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجنايه عليك فيكون العذر إليك و تلك شكاه ظاهر عنك عارها. و قلت: إنّى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت، و أن تفضح فافتضحت، و ما على المسلم من غضاضه فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه

و لا مرتابا بيقينه، و هذه حجّتى إلى غيرك قصدها و لكنّى أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها. ثمّ ذكرت ما كان من أمرى و أمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأيّنا كان أعدى له و أهدى إلى مقاتله ؟ أ من بذل له نصرته فاستقعده و استكفّه، أم من استنصر فتراخى عنه، و بثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه ؟ كلّا و اللّه لقد علم اللّه المعوّقين منكم و القائلين لإخوانهم هلمّ إلينا و لا تأتون البأس إلّا قليلا. و ما كنت لأعتذر من أنّى كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذّنب إليه إرشادى و هدايتى له فربّ ملوم لا ذنب له، و قد يستفيد الظّنّه المتنصّح. و ما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلّا باللّه عليه توكّلت. و ذكرت أنّه ليس لى و لا لأصحابى عندك إلّا السّيف فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفيت بنو عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين، و بالسّيوف مخوّفين ؟ فلبّث قليلا يلحق الهيجاء حمل، فسيطلبك من تطلب، و يقرب منك ما تستبعد، و أنا مرقل نحوك فى جحفل من المهاجرين و الأنصار و التّابعين بإحسان، شديد زحامهم،

ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم، قد صحبتهم ذرّيّه بدريّه، و سيوف هاشميّه، قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك و خالك و جدّك و أهلك و ما هى من الظّالمين ببعيد.

اللغه

قد مضى بيان طائفه من لغات هذا الكتاب فى شرح المختار التاسع من هذا الباب، أوّله قوله عليه السّلام: فأراد قومنا قتل نبيّه و اجتياح أصله و همّوا بنا الهموم - إلخ. (ص ۳۲۴ ج ۱۷).

(خبأ) أى أخفى، يقال: خبأ الشىء، من باب منع مهموزا، و خبّأ مشدّدا أى ستره و أخفاه و فى كثير من النسخ المطبوعه كانت الكلمه مشكوله بتشديد الباء و نسخه الرضىّ بتخفيفها كما اخترناها. (ببلاء اللّه) أى بانعامه و إحسانه، أو اختباره و امتحانه و لكن المناسب مع ما عندنا هو الانعام و الاحسان.

(هجر) محرّكه اسم بلد مذكر مصروف و غير مصروف و النسبه إليه هاجرىّ على خلاف القياس و من ذلك قولهم نبأ هاجرىّ ، و هو فى نسخه الرّضى مشكول مصروفا و غير مصروف معا، (مسدّده) أى معلّمه، (النضال) المراماه.

(ثلمه) الثلم: الكسر و العيب، و فى عدّه من النسخ المطبوعه و غيرها: لم ينقصك ثلمه، و لكن نسخه الرضىّ رضوان اللّه عليه كانت: لم يلحقك ثلمه كما اخترناه. (الطلقاء) جمع الطليق و هو من اطلق بعد الأسره.

(لقد حنّ قدح ليس منها) مثل، قال الميدانى فى فصل الحاء المهمله المفتوحه من مجمع الأمثال: حنّ قدح ليس منها، القدح أحد قداح الميسر و إذا كان أحد القداح من غير جوهره اخواته ثمّ أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها يعرف به أنّه ليس من جمله القداح، يضرب للرّجل يفتخر بقبيله

ليس منها أو يتمدّح بما لا يوجد فيه، و تمثّل به عمر حين قال الوليد بن عقبه بن أبى معيط : اقتل من بين قريش فقال عمر: حنّ قدح ليس منها، و الهاء فى منها راجعه إلى القداح. انتهى. قوله: أجاله المفيض يقال: أفاض أهل الميسر بالقداح أى ضربوا بها.

(ألا تربع) ربع كمنع: وقف و انتظر و تحبّس و منه قولهم: اربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك قاله فى القاموس.

(و الظّلع) بسكون اللاّم: العيب، و بفتحها: العرج و الغمز، و هو مصدر ظلع البعير كمنع أى غمز فى مشيه، و من أمثالهم: ظالع يعود كسيرا، يعود من العياده، يضرب للضعيف ينصر من هو أضعف منه كما فى مجمع الأمثال للميدانى.

(الذّرع): الطاقه و الوسع و بسط اليد و ذرع الإنسان طاقته الّتى يبلغها، و فى آخر الدّعاء السابع من الصّحيفه السّجاديه: فقد ضقت لما نزل بى يا ربّ ذرعا، و فى شرحها الموسوم برياض السالكين للعالم المتضلّع السيّد عليخان قدّس سرّه فى ضيق الذّرع المناسب لقصورها نكات أدبيّه فراجع.

(التّيه): الضلال و التحيّر فى المفاوز قال اللّه تعالى: «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ »، (الرّواغ): كثير الميل، يقال: راغ الرجل و الثعلب روغا و روغانا إذا مال و حاد عن الشىء، و يقال: فلان يروغ روغان الثعلب و من الأمثال فلان أروغ من الثعلب.

(القصد): الاعتدال و الطّريق المستقيم، (غير مخبّر) خبّره الشىء و بالشىء من باب التفعيل أعلمه إيّاه و أنبأه كأخبره و أخبر به، (استشهد) أى قتل فى سبيل اللّه، و كذا اشهد، على صيغتى المجهول.

(تمجّها) يقال مجّ الماء من فيها إذا ألقاه، (الطّول) بالفتح فالسّكون:

الفضل، (عادىّ) أى قديم، قال الجوهرى فى الصحاح: عاد قبيله و هم قوم هود عليه السّلام و شىء عادىّ أى قديم كأنّه منسوب إلى عاد.

و قال الشّيخ محمّد عبده: العادى الاعتيادىّ المعروف، أقول: الصّواب ما

قدّمنا و هذا الوجه خطر ببالنا أيضا إلّا أنّ مقابلته بالقديم منعنا عن ذلک، و فی روایه صبح الأعشی: و مدید طولنا.

(الرّمیه) المراد منها ههنا الصید الّذی یرمی و هو کالمثل یضرب لمن یمیل به عن الحقّ أغراضه الباطله و أصله أنّ الرجل یقصد قصدا فیتعرّض له الصید فیتبعه فیمیل به عن قصده الأصلی.

(فلجوا علیهم) أی ظفروا علیهم، و الفلج: الظّفر، و الفعل من بابی نصر و ضرب، قال محمّد بن بشیر:

کم من فتی قصرت فی الرّزق خطوته ألفیته بسهام الرّزق قد فلجا

و البیت من الحماسه، (الحماسه ۴۳۶ من شرح المرزوقی)، و فی الحدیث السادس من باب فی شأن إنّا أنزلناه فی لیله القدر و تفسیر من اصول الکافی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: یا معشر الشیعه خاصموا بسوره إنّا أنزلناه تفلجوا فو اللّه إنها لحجّه اللّه تبارک و تعالی علی الخلق بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و انّها لسیّده دینکم و انّها لغایه علمنا الحدیث.

(صنائع) جمع صنیعه، قال الزمخشری فی أساس البلاغه: فلان صنیعتک و مصطنعک، و اصطنعتک لنفسی، قال الحطیئه:

فإن یصطنعنی اللّه لا أصطنعکم و لا اوتکم مالی علی العثرات

و قال فی القاموس: هو صنیعی و صنیعتی أی اصطنعته و ربّیته و خرّجته.

و الصنیعه أیضا هی ما یسدی من معروف أو ید إلی إنسان، قال ابن مولی لیزید بن حاتم:

و إذا صنعت صنیعه أتممتها بیدین لیس نداهما بمکدّر

و البیت من الحماسه، قال المرزوقی فی الشرح: یقول: و إذا اتّخذت عند إنسان یدا و أزللت إلیه نعمه فانّک لا تخدجها و لا تترک تربیتها لکنّک تکمّلها و تقوم بعمارتها مصونه من المنّ و التکدیر صافیه من الشوائب و التعذیر.

(شباب) جمع الشاب.

(شکاه) الشکاه فی الأصل: المرض، و توضع موضع العیب و الذمّ کما فی هذا البیت فمعناها العیب و النقیصه.

(ظاهر عنک) أی زائل عنک و ینبو، و لا یعلق بک، قال ابن الأثیر فی النهایه:

و فی حدیث عائشه کان یصلّی العصر و لم یظهر فیی‌ء الشمس بعد من حجرتها أی لم یرتفع و لم یخرج إلی ظهرها، و منه حدیث ابن الزبیر لما قیل له یا ابن النطاقین تمثّل بقول أبی ذؤیب: و تلک شکاه ظاهر عنک عارها، یقال ظهر عنّی هذا العیب إذا ارتفع عنک و لم ینلک عنه شی‌ء أراد أنّ نطاقها لا یفضّ منه فیعیّر به و لکنّه یرفع منه و یزیده نبلا، انتهی.

أقول فی بیانه: کانت امّ عبد اللّه بن الزبیر ذات النطاقین أسماء بنت أبی بکر و أراد ابن الزبیر أنّ تعییره إیّاه بلقب امّه لیس عارا یستحیی منه إنّما هو من مفاخره لأنّه لقب لقبها به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هو فی الغار مع أبی بکر علی ما قیل فراجع إلی السیره النّبویه لابن هشام (ص ۴۸۶ ج ۱ من طبع مصر ۱۳۷۵ ه) و فی الحماسه: قال سبره بن عمرو الفقعسیّ و عیره ضمره بن النهشلیّ کثره إبله:

أعیرتنا ألبانها و لحومها و ذلک عار یا ابن ریطه ظاهر

قال المرزوقی فی الشرح: و ذلک عار ظاهر أی زائل، قال أبو ذؤیب:

و عیّرها الواشون أنّی احبّها و تلک شکاه ظاهر عنک عارها

و من هذا قولک: ظهر فوق السطح، و قولک: جعلته منّی بظهر، و قوله تعالی: «اِتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَکُمْ ظِهْرِیًّا »، انتهی قول المرزوقی.

و أقول: صار هذا المصراع من البیت أعنی قول أبی ذؤیب و تلک شکاه إلخ مثلا یضرب لمن ینکر فعلا لیس له ربط به و لا تعلّق له، و البیت من قصیده غرّاء تنتهی إلی ثمانیه و ثلاثین بیتا یرثی بها نشیبه بن محرث أحد بنی مومل ابن حطیط الهذلی منقوله کامله فی دیوان الهذلیّین (ص ۲۱ من طبع مصر ۱۳۸۵ ه) مطلعها:

هل الدّهر إلاّ ليله و نهارها و إلاّ طلوع الشمس ثمّ غيارها

أبى القلب إلاّ امّ عمرو و أصبحت تحرّق نارى بالشّكاه و نارها

و عيّرها الواشون - البيت.

و أبو ذؤيب هذا هو خويلد بن خالد بن محرز الهذلىّ شاعر مجيد مخضرم أدرك الجاهليه و الإسلام، قدم المدينه عند وفاه النّبى صلى اللّه عليه و آله فأسلم و حسن إسلامه روى عنه أنه قال: قدمت المدينه و لأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلّوا بالإحرام، فقلت: مه ؟ فقالوا: توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، كما فى معجم الادباء لياقوت (ص ۸۳ ج ۱۱ من طبع مصر).

(الجمل المخشوش) الّذى جعل فى أنفه الخشاش و هو عويد يجعل فى أنف البعير و نحوه يشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده، مشتقّ من خشّ فى الشىء إذا دخل فيه لأنّه يدخل فى أنف البعير.

(الغضاضه): الذلّه و المنقصه، (المعوّقين) أى المانعين عن القيام بنصره الإسلام (فربّ ملوم لا ذنب له) مثل، قال الميدانى فى فصل الراء المضمومه من مجمع الأمثال: هذا من قول اكثم بن صيفى، يقول: قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه و هم لا يعرفون حجّته فهو يلام عليه و ذكروا أنّ رجلا فى مجلس الأحنف بن قيس قال: لا شىء أبغض إلىّ من التمر و الزبد فقال الأحنف: ربّ ملوم لا ذنب له - انتهى كلام الميدانى.

(الظّنّه) بالكسر: التهمه (المتنصّح) أى المتكلّف بنصح من لا يقبل النصيحه و المبالغ فيه له.

و قد يستفيد الظّنّه المتنصّح، مصراع بيت صدره: و كم سقت من آثاركم من نصيحه، (استعبار) استعبر: جرت عبرته أى بكى.

(لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل) هذا المثل قريب من قولهم: لبّث رويدا يلحق الداريّون، و حمل بالتحريك هو ابن بدر رجل من قشير و فيه يقول قيس ابن زهير العبسى:

و لكنّ الفتى حمل بن بدر بغى و البغى مرتعه وخيم

و هـذا البيت للعبسـى من أبيـات الحماسه (الحماسه ۱۴۷ من شـرح المرزوقى) و من أبيـات الأمـالى للقالى ص ۲۶۱ ج ۱، و فى السيره النّبويه لابن هشام ص ۲۸۷ ج ۱.

و قول حمل يضرب به مثلا للتهديد بالحرب.

و روى الميـدانى فى مجمع الأمثال فى فصل الضاد المفتوحه هكـذا: ضـحّ رويدا يدرك الهيجا حمل، و قال: ضحّ رويدا هذا أمر من التضحيه أى لا تعجل فى ذبحها ثمّ استعير فى النهى عن العجله فى الأمر، و يقال: ضحّ رويدا لم ترع أى لم تفزع و يقال ضحّ رويدا يدرك الهيجا حمل، يعنى حمل بن بدر، قال زيد الخيل:

فلو أنّ نصرا أصلحت ذات بينها لضحّت رويدا عن مطالبها عمرو

و لكنّ نصرا ارتعت و تخاذلت و كانت قديما من خلايقها الغفر

أى المغفره، نصر و عمروا بناقعين و هما حيّان من بنى أسد، انتهى قول الميدانى.

و فى الباب الثالث و العشرين فى ما جاء من الأمثال من أوّله لام من جمهره الأمثال لأبى هلال العسكرى: لبّث رويدا يلحق الهيجا حمل، أى انتظر حتّى يتلاقى الشّبان، و الهيجا يقصر و يمدّ، و حمل اسم رجل، انتهى كلام أبى هلال.

و كما اختلف فى ضبط هذا المثل على ما قدّمنا كذا اختلف فى حمل فذهب غير واحد إلى أنه ابن بدر كما دريت و فى الإصابه و اسد الغابه أنه حمل ابن سـعدانه قال فى الأوّل: حمل بن سعدانه بن حارثه الكلبى وفد على النّبى صلى اللّه عليه و آله و عقد له لواء و هو القائل: لبّث قليلا يدرك الهيجا حمل، و شـهد مع خالد مشاهده كلّها و قد تمثّل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق حيث قال:

لبّث قيلا يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

و فى اسد الغابه: البث قليلا - إلخ و قال: شهد صفّين مع معاويه، و اللّه تعالى أعلم.

ثمّ إنّ الهيجاء فی نسختنا الّتی قوبلت علی نسخه الرضی ممدوده، و یجب أن تقرأ فی البیت مقصوره لیستقیم الوزن.

(مرقل) أی مسرع، و الارقال ضرب من السیر السریع، (جحفل) أی جیش عظیم، (قتامهم) أی غبارهم، (ساطع) ای منتشر، (نصالها) قال فی القاموس:

النّصل و النصلان حدیده السهم و الرمح و السیف ما لم یکن له مقبض جمعه أنصل و نصول و نصال، و نصل السهم فیه: ثبت، و فی بعض النسخ نضالها بالمعجمه یقال ناضل عنه إذا دفع و لکن الصحیح ههنا بالمهمله و فی صدر الکتاب بالمعجمه کما فی نسخه الرضی رضوان اللّه علیه، قال أبو العیال الهذلی فی أبیات لما حصر هو و أصحابه ببلاد الروم فی زمن معاویه کتبها إلی معاویه فقرأه معاویه علی الناس کما فی دیوان الهذلیین (ص ۲۵۵ من طبع مصر):

فتری النّبال تعیر فی أقطارنا شمسا کأنّ نصالهنّ السنبل

و تری الرّماح کأنّما هی بیننا أشطان بئر یوغلون و نوغل

الاعراب

(و ما أنت و الفاضل و المفضول و السائس و المسوس) الفاضل و أترابه التالیه علی نسخه الرضی مشکوله بالنصب، کما أنّ فی الجمله الّتی بعدها أعنی و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمییز إلخ التمییز و ترتیب و تعریف منصوبه أیضا و قد قرئت الجمله الاولی بالنصب و الرفع معا کما فی نسخه مخطوطه مشکوله مقروه عندنا، و احتمل بعضهم الرفع فی الجمله الثانیه أیضا.

أفاد الفاضل الشارح المعتزلی بقوله: و ما أنت و الفاضل و المفضول الروایه المشهوره بالرفع و قد رواها قوم بالنصب فمن رفع احتجّ بقوله: و ما أنت و بیت أبیک و الفخر، و بقوله: فما القیسی بعدک و الفحار، و من نصب فعلی تأویل مالک و الفاضل و فی ذلک معنی الفعل أی ما تصنع لأنّ هذا الباب لا بدّ أن یتضمّن الکلام فیه فعلا أو معنی فعل و أنشدوا: فما أنت و السیر فی متلف، و الرفع عند النحویین

أولى، و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز النصب ههنا لا غير لأجل اللّام فى الطلقاء.

(حنّ قدح ليس منها) الضمير المجرور راجع إلى القداح كما مرّ، (فيها من عليه الحكم لها) الهاء فى الطرفين راجعه إلى الطبقات أو الجماعه أو القضيه أو نحوها غير مخبّر منصوب على الحاليه لضمير أحدث، و مخبّر على نسخه الرضى كان بتشديد الباء من التخبير و فى غير واحد من نسخ اخرى بكسر الباء المخففه من لإخبار و كلاهما بمعنى واحد كما مرّ فى شرح اللغات، (أنّ قوما) مفعول ترى (الرميّه) فعيله بمعنى مفعوله و أنثت لأنّها جعلت اسما لا نعتا و المراد بها الدّنيا أى دع من مال إلى الدّنيا و مالت به أى أمالته إليها، (فعل الاكفاء) منصوب على المصدر، (و لستم هناك) الواو للحال و العامل فيه خلطناكم، (على قومك) متعلق بقوله طولنا أى فضلنا عليهم، و جمله أن خلطناكم فاعل لقوله لم يمنعنا، و كلمتا قديم و عادى منصوبتان على المفعوليه، و فى نسخه الرضىّ - ره - و هى الصّواب مرفوعتان على الفاعليه و جمله خلطناكم على هذا الوجه منصوبه على المفعوليّه، أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: فان قلت: فبما ذا يتعلّق فى قوله فى كثير؟ قلت: بمحذوف تقديره هذا الكلام داخل فى جمله كلام كثير يتضمّن مالنا و عليكم.

(الفلج به) الضمير المجرور يرجع إلى الرسول (قصدها) الضمير يرجع إلى الحجّه و إلى غيرك خبر قدّم على القصد أى هذه حجّتى قصدها إلى غيرك.

(يلحق الهيجا حمل) قرئ الفعل و حمل على وجهين: على تأنيث الفعل و نصب حمل فالهيجاء فاعل، و على تذكير الفعل و رفع حمل فالهيجاء مفعول (متسربلين) منصوب على الحال.

المصدر

قد مرّ فى ذكر ماخذ الكتاب التاسع (ص ۳۲۶ ج ۱۷) نقل كتابه عليه السّلام إلى معاويه جوابا عن كتابه إليه و قد نقلنا هما من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم و قد نقله ابن عبد ربّه فى العقد الفريد أيضا (ص ۳۳۴ ج ۴ من طبع مصر) و أمّا كتابه

هذا فقد نقله أعثم الكوفی فی الفتوح (ص ۱۵۷ من ترجمه الهروی طبع بمبئی) و أبو العبّاس أحمد بن علیّ القلقشندی فی صبح الأعشی (ص ۲۲۹ ج ۱ من طبع مصر) و شهاب الدین أحمد بن عبد الوهّاب النویریّ فی نهایه الأرب (ص ۲۳۳ ج ۷) و یطلب من باب کتبه علیه السّلام إلی معاویه و احتجاجاته علیه من ثامن البحار (ص ۵۳۴ ج ۸ من الطبع الکمبانی)، و کتابه هذا یوهم أنّه قریب من التاسع و أنّهما واحد و الاختلاف فی النسخ أو الروایات حتّی أنّ الشارح البحرانی مال ههنا أنّ هذا الکتاب ملتقط من کتاب ذکر السیّد منه فصلا سابقا و هو قوله: فأراد قومنا اهلاک نبیّنا و قد ذکرنا کتاب معاویه الذی هذا الکتاب جواب له و ذکرنا الکتاب له بأسره هناک و إن کان فیه اختلاف ألفاظ یسیره بین الروایات - انتهی قوله.

أقول: قد وجدنا الکتابین فی ماخذ عدیده و نری بینهما اختلافا یمنعنا من اعتقادهما واحدا، علی أنّ دأب الشریف الرضی رضوان اللّه علیه کان إذا نقل کلامه بروایه اخری أن ینبّه بتقدیمه علی صوره اخری: قال فی المختار ۲۲۷ من باب الخطب أوله: بسطتم یدی فکففتها و من کلام له علیه السّلام فی وصف بیعته بالخلافه و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفه.

و قال فی المختار ۲۳ من باب الکتب أوله: وصیتی لکم أن لا تشرکوا باللّه شیئا: أقول: و قد مضی بعض هذا الکلام فیما تقدّم من الخطب إلاّ أنّ فیه زیاده أوجبت تکریره.

و قال فی المختار ۶۶ من هذا الباب أوّله: أما بعد فانّ المرء لیفرح بالشیء الّذی لم یکن لیفوته: و قد تقدّم ذکره بخلاف هذه الرّوایه.

و نحوها فی عدّه مواضع اخری فلو کان الکتابان واحدا لکان یتعرّض علیه کما تعرّض فیها، و بعد الغمض عن ذلک نقول: إنّ الروایات قائله بأنّ معاویه کتب إلی علیّ علیه السّلام کتابا أنفذه إلیه مع أبی أمامه الباهلیّ فکتب إلیه علیّ علیه السّلام هذا الکتاب، و کتب إلیه کتابا أنفذه إلیه مع أبی مسلم الخولانی فکتب علیه السّلام فی جوابه ذلک الکتاب المقدّم فی المختار التاسع و کان صدره: فإنّ أخا خولان قدم علیّ بکتاب - إلخ.

و قد أقبل على الفاضل الشارح المعتزلى هذا السئوال أيضا و أورده على النقيب أبى جعفر فأجابه بما لا يخلو ذكره من فائده قال: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن زيد فقلت: أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاويه الذى بعثه مع أبى مسلم الخولانى إلى علىّ عليه السّلام فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الّذى ذكره أرباب السيره و أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين إذا غير صحيح، و إن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذن غير صحيح و لا ثابت ؟.

قال: فقال لى: بل كلاهما ثابت مروى و كلاهما كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و ألفاظه، ثمّ أمرنى أن أكتب ما يمليه علىّ فكتبته قال: كان معاويه يتسقط عليا و ينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبى بكر و عمر و أنّهما غصباه حقّه و لا يزال يكيده بالكتاب يكتبه و الرساله يبعثها يطلب غرّته لينفث بما فى صدره من حال أبى بكر و عمر إمّا مكاتبه أو مراسله فيجعل ذلك حجّه عليه عند أهل الشام و يضيفه إلى ما قرّره فى أنفسهم من ذنوبه زعم فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان أو مالأ على قتله، و أنّه قتل طلحه و الزبير، و أسر عائشه، و أراق دماء أهل البصره و بقيت خصله واحده و هو أن يثبت عندهم أنّه يتبرأ من أبى بكر و عمر و ينسبهما إلى الظلم و مخالفه الرسول فى أمر الخلافه و أنهما وثبا عليه غلبه و غصباه إيّاها فكانت هذه الطامه الكبرى ليست مقصره على فساد أهل الشام عليه بل و أهل العراق الّذين هم جنده و بطانته و أنصاره لأنّهم كانوا يعتقدون إمامه الشيخين إلاّ القليل الشاذّ من خواصّ الشيعه.

فلمّا كتب ذلك الكتب مع أبى مسلم الخولانى قصد أن يغضب عليا و يحرجه و يحوجه إذا قرأ ذكر أبا بكر و أنه أفضل المسلمين إلى أن يرهن خطه فى الجواب بكلمه تقتضى طعنا فى أبى بكر فكان الجواب مجمحا غير بيّن فيه تصريح بالتظليم لهما و لا التصريح ببراءتهما و تاره يترّحم عليهما و تاره يقول أخذ حقّى و قد تركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاويه أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأوّل ليستفزا فيه عليا عليه السّلام و يستخفّاه و يحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلّقان به

فی تقبیح حاله و تهجین مذهبه، و قال له عمرو: إنّ علیا رجل نزق تیّاه و ما استطمعت منه الکلام بمثل تقریظ أبی بکر و عمر فاکتب فکتب کتابا أنفذه إلیه مع أبی امامه الباهلی و هو من الصحابه بعد أن عزم علی بعثه مع أبی الدرداء و نسخه الکتاب: من عبد اللّه معاویه بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب أما بعد فان اللّه تعالی - جدّه - إلی آخر ما ننقله بعید هذا فی ذکر المعنی.

ثمّ قال: قال النقیب أبو جعفر: فلمّا وصل هذا الکتاب إلی علیّ علیه السّلام مع أبی امامه الباهلی کلّم أبا امامه بنحو ممّا کلّم به أبا مسلم الخولانی و کتب معه هذا الجواب.

قال: قال النقیب: و فی کتاب معاویه هذا ذکر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا فی الکتاب الواصل مع أبی مسلم و لیس فی ذلک هذه اللفظه و إنما فیه حسدت الخلفاء و بغیت علیهم عرفنا ذلک من نظرک الشزر و قولک الهجر و تنفسک الصعداء و إبطاؤک عن الخلفاء.

قال: قال: و إنما کثیر من الناس لا یعرفون الکتابین و المشهور عندهم کتاب أبی مسلم فیجعلون هذه اللفظه فیه و الصحیح أنّها فی کتاب أبی امامه ألا تراها عادت فی جوابه و لو کانت فی کتاب أبی مسلم لعادت فی جوابه - انتهی کلام النقیب أبی جعفر من شرح الفاضل الشارح المعتزلی.

أقول: و هذا تحقیق خبری دقیق و بحث روانی عمیق فإنّ المجامیع فی الفنون العدیده و الجوامع الروائیه یفید أنهما کتابان کما دریت، و قد مال إلیه الفاضل المورخ الفنّان محمّد تقی سپهر فی ناسخ التواریخ (ص ۱۶۴ ج ۲ من الطبع الناصری) فانّه بعد ما نقل کتاب معاویه مع أبی مسلم الخولانی و کتاب أمیر المؤمنین علیه السّلام فی جوابه علی ما مرّ نقلهما فی ذکر ماخذ الکتاب التاسع قال ما هذا هو لفظه بالفارسیه و کأنّه ترجمه ما أفاده النقیب.

معاویه مکتوب را قرائت کرد و عمرو عاص را نیز بنمود، عمرو نگریست که علی علیه السّلام در جواب معاویه آنجا که أبو بکر را بر تمامت مسلمانان تفضیل

نهاده کلمهٔ که تصریح بر تقبیح أبو بکر و تشنیع أعمال او باشد رقم نکرده إلاّ آنکه نگاشته است حق مرا مأخوذ داشته اند و من تفویض کردم، با معاویه گفت بر قانون کتاب أوّل علی مکتوب کن و همچنان فصلی در فضل أبو بکر و عمر و عثمان رقم کن، چون علی ایشان را غاصب حق خویش داند و در نزد خدا و رسول عاصی و بزهکار می خواند بعید نباشد که در فضیحت عقیدت ایشان و ظلم و طغیان ایشان چیزی رقم کند آن گاه ما مکتوب او را بر فساد مذهب او حجّت کنیم و بر مردم شام و صنادید قبایل عرضه داریم و تمامت عرب را بر او بر شورانیم و بر گردن آرزو سوار شویم، معاویه را کلمات او پسنده افتاد و همی خواست تا بصحبت أبو دردا چیزی نگارد هم از این اندیشه باز نشست و این مکتوب را بدست أبو امامه باهلی که در شمار أصحاب رسول خدا است انفاذ داشت: من عبد اللّه معاویه بن أبی سفیان - إلی آخر کتابه الاتی عن قریب - إلی أن قال: بالجمله أبو امامه باهلی این نامه بگرفت و راه در نوشت و در کوفه حاضر حضرت أمیر المؤمنین علیه السّلام شده تسلیم داد أمیر المؤمنین بعد از قرائت آن مکتوب بدینگونه پاسخ نگاشت: أما بعد فقد بلغنی کتابک تذکر فیه اصطفاء اللّه تعالی - إلخ.

و بالجمله أنّ الظنّ المتاخم بالعلم من التتبّع و الفحص حاصل بأنّ کلّ واحد منهما کتاب علی حیاله فلنرجع إلی تفسیر الکتاب.

المعنی

اشاره

لما کان الأمیر علیه السّلام فی هذا الکتاب یردّ الأباطیل الّتی نسجتها عنکبوت أوهام معاویه و أهواء شیطانه عمرو العاصی فلا بدّ لنا من نقل کتاب معاویه لیتّضح الجواب، کتب معاویه إلیه بعد کتابه الّذی أنفذه إلیه مع الخولانی علی ما مرّ آنفا:

من عبد اللّه معاویه بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب: أما بعد فإنّ اللّه تعالی جدّه اصطفی محمّدا علیه الصّلاه و السّلام لرسالته، و اختصّه بوحیه و تأدیه شریعته

فأنقذ به من العمايه، و هدى به من الغوايه، ثمّ قبضه إليه رشيدا حميدا قد بلّغ الشرع، و محق الشرک، و أخمد نار الإفک، فأحسن اللّه جزاءه، و ضاعف عليه نعمه و آلاءه.

ثمّ إنّ اللّه سبحانه اختصّ محمّدا عليه الصّلاه و السّلام بأصحاب أيّدوه و نصروه و كانوا كما قال اللّه سبحانه لهم: «أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ » فكان أفضلهم مرتبه، و أعلاهم عند اللّه و المسلمين منزله الخليفه الأوّل الذى جمع الكلمه و لمّ الدّعوه و قاتل أهل الرّدّه، ثمّ الخليفه الثانى الّذى فتح الفتوح، و مصّر الأمصار و أذلّ رقاب المشركين، ثمّ الخليفه الثالث المظلوم الّذى نشر الملّه و طبّق الافاق بالكلمه الحنيفيّه.

فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه عدوت عليه، فبغيته الغوائل و نصبت له المكائد و ضربت له بطن الأمر و ظهره و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصرک عن نصره، و سألک أن تدرکه قبل أن يمزّق فما أدرکته، و ما يوم المسلمين منک بواحد: لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه و رمت إفساد أمره و قعدت فى بيتک، و استغويت عصابه من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته، ثمّ كرهت خلافه عمر و حسدته، و استطلت مدته و سررت بقتله، و أظهرت الشماته بمصابه حتّى أنک حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه.

ثمّ لم تكن أشدّ منک حسدا لابن عمک عثمان نشرت مقابحه، و طويت محاسنه، و طعنت فى فقهه، ثمّ فى دينه ثمّ فى سيرته، ثمّ فى عقله و أغريت به السّفهاء من أصحابک و شيعتک حتّى قتلوه بمحضر منک، لا تدفع عنه بلسان و لا يد، و ما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه، و تلكّأت فى بيعته حتّى حملت عليه قهرا تساق بحزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الان تطلب الخلافه و قتله عثمان خلصاؤک و سجراؤک و المحدقون بک، و تلک من أمانى النفوس و ضلالات الهواء.

فدع اللجاج و العبث جانبا، و ادفع إلينا قتله عثمان، و أعد الأمر شورى

بين المسلمين ليتّفقوا على من هو للّه رضا، فلا بيعه لك فى أعناقنا، و لا طاعه لك علينا و لا عتبى لك عندنا، و ليس لك و لأصحابك عندى إلّا السيف و الّذى لا إله إلّا هو لأطلبنّ قتله عثمان أين كانوا و حيث كانوا حتّى أقتلهم أو تلحق روحى باللّه.

فأمّا ما لا تزل تمنّ به من سابقتك و جهادك فإنّى وجدت اللّه سبحانه يقول:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » و لو نظرت فى حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتنانا على اللّه بعملها و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصّدقه فالامتنان على اللّه يبطل أجر الجهاد و يجعله «كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْ ءٍ مِمّا كَسَبُوا وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ » انتهى كتاب معاويه.

و معنى كلامه:فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه،أنّ الإسلام لمّا استقام و قرّ فى قراره تشبيها بالبعير إذا برك و استراح مدّجرانه على الأرض، و جران البعير هو مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره.

و قوله: حتّى أنك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه، يشير إلى عبيد اللّه ابن عمر و قتله أبا لؤلؤه فيروز قاتل عمر و قد تقدّم كلامنا فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۲۴۴ ج ۱۵) و فى شرح المختار الأوّل من باب الكتب (ص ۲۳۸ ج ۱۶).

قوله: تلكأت فى بيعته، تلكأ عن الأمر اى أبطأ و توقف، فالصّواب أن يقال تلكأت عن بيعته فكلمه فى بمعنى عن إن لم يتطّرق فيها تحريف، قوله سجراؤك هو بالسين المهمله جمع سجير ككريم أى الخليل الصفى.

فكتب أمير المؤمنين على عليه السّلام فى جوابه: أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر اصطفاء اللّه محمّدا صلى اللّه عليه و آله - إلخ فحان لنا الان شرح كتابه عليه السّلام:

قوله عليه السّلام:(أما بعد فقد أتانى - إلى قوله: إلى النضال) هذا الكتاب يشتمل على فصول تجيب عن فصول من الأباطيل المموّهه الّتى توغّل فيها معاويه و هذا القسم من الكتاب جواب عن قوله: فانّ اللّه تعالى جدّه - إلى قوله: فكان

أفضلهم مرتبه.

و بيان الجواب على الإجمال أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام كان بما أخبره معاويه أعلم من غيره لأنّه لم يكن أحد كمثله فى حمايه الدين و الذّب عن حوزته عن ابتداء دعوه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى زمان ارتحاله من الدّنيا و إخبار معاويه عليا عليه السّلام بذلك كسفيه استبضع تمرا إلى هجر، أو كغبىّ دعى من علّمه الرمايه إلى المراماه، و أما بيانه على التفصيل فقد مرّ فى شرح المختار التاسع من باب الكتب (ص ۳۳۶-۳۴۸ ج ۱۷) و فى شرح المختار السابع عشر منه فراجع.

قوله: عليه السّلام:(و زعمت أنّ أفضل الناس فلان - إلى قوله: فالأنصار على دعويهم) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: فكان أفضلهم مرتبه - إلى قوله: و طبق الافاق بالكلمه الحنيفيه، كان معاويه ذكر فى كتابه الأفضل فالأفضل من الأصحاب على زعمه، و فضّلهم على أمير المؤمنين عليه السّلام تعريضا على حقده حيث قال:

و أعلاهم الأوّل و الثانى و الثالث فأجابه بأنّ ما ذكرت فيهم إمّا أن يتمّ و يصحّ أولا فإن تمّ اعتزلك كلّه لأنّه كان من تلك الفضائل فى معزل، و على الثانى لم يلحقك عيبه و نقصه لأنّه لم يكن منهم فعلى كلا الوجهين كان معاويه خائضا فى ما لا يعنيه.

ثمّ بيّن عليه السّلام عدم لياقه معاويه لتمييز الفاضل و المفضول منهم و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم بقوله: و ما أنت و الفاضل و المفضول - إلخ، و من الطلقاء أبو سفيان و من أبنائهم معاويه كما مضى بيان ذلك تفصيلا من شرح المختار السابع عشر من باب الكتب عند حديث أهل مكّه و أنّ أهل مكّه هم الطلقاء (ص ۲۸۱ ج ۱۸).

و كأنّ قوله: عليه السّلام بين المهاجرين الأوّلين يشير إلى قوله تعالى:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبه: ۱۰۰) و كان معاويه و أبوه فى زمان الهجره مشركين و لمّا رفع اللّه الكلمه العليا و كان النّاس يدخلون فى دين اللّه أفواجا استسلما و ما أسلما كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام: فو الّذى فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لكن

استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه (المختار ۱۶ من باب الكتب ص ۲۲۴ ج ۱۸) و راجع أيضا إلى (ص ۳۷۰ ج ۱۵ و الى ص ۵۳ ج ۱۸).

و قال الطبرسى - ره - فى التفسير: فى هذه الايه دلاله على فضل السابقين و مزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقه فى نصره الدّين فمنها مفارقه العشائر و الأقربين، و منها مباينه المألوف من الدين، و منها نصره الإسلام و قلّه العدد و كثره العدوّ، و منها السبق إلى الإيمان و الدّعاء إليه - إلى أن قال: و روى الحاكم أبو القاسم الحسكانى باسناده مرفوعا إلى عبد الرحمن بن عوف فى قوله سبحانه:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ » قال: هم عشره من قريش أوّلهم إسلاما على بن أبى طالب.

و بالجمله أنّ معاويه و أترابه شأنهم و قدرهم دون أن يدخلوا فى التمييز بين هؤلاء و نحوه و ليسوا بأهل لذلك و نعم ما قيل:

خلق اللّه للحروب رجالا و رجالا لقصعه و ثريد

ثمّ أتى أمير المؤمنين عليه السّلام فى ذلك بمثلين كما أتى فى الأمر المقدّم بالمثلين فقال عليه السّلام:(هيهات لقد حنّ قدح ليس منها) و قد علمت فى تفسير اللّغه أنه يضرب للرجل يفتخر بقبيله ليس منها أو يتمدح بما لا يوجد فيه، و قريب منه ما يقال فى الفارسيه: من آنم كه رستم جوانمرد بود، و الثانى قوله عليه السّلام:(و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) أى طفق يحكم فى هذه الجماعه أو القضيّه أو نحوهما من عليه الحكم لها، يعنى ليس له أن يحكم فيها و قدره دون ذلك بل يجب عليه قبول الحكم الصادر من أهله فيها.

ثمّ نبّهه على ضعفه و قصور ذرعه عن البلوغ إلى تلك المراتب الساميه و أنّى للأعراج العروج إلى قلل شامخه، فقال:(ألا تربع - إلخ)، استفهام على سبيل الاسترحام أو الاستحقار و التقريع، و قد عرفت أنّ الظلع هو العرج و الغمز، و هل للظالع أن يحمل حملا ثقيلا؟ أى أ لا ترفق بنفسك أيّها الظالع حتّى لا تحمل عليها ما لا تطيقه ؟ و أ لا تعرف قصور ذرعك و عدم قدرتك و استطاعتك عن البلوغ إلى درجه السابقين ؟ و أ لا تتأخّر حيث أخّرك قدر اللّه و تضع نفسك حيث وضعها اللّه ؟.

ثمّ قال عليه السّلام:(فما عليك غلبه المغلوب و لا لك ظفر الظافر) أتى بفاء التفريع على هذه الجمله، أى إذا كنت بمعزل عنهم و أجنبيّا عن هؤلاء المهاجرين الأوّلين و السّابقين فى الإسلام، فما عليك غلبه المغلوب أى لا تضرّك، و لا لك ظفر الظافر أى لا ينفعك فدخل معاويه فيما لا يعنيه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و انك لذهّاب فى التّيه روّاغ من القصد) و ذلك لأنّ من خرج عن زيّه و دخل فيما لا يعنيه، و تكلّم فوق قدره يعدّ كلامه فضولا، و صدق عليه مثل: لقد حنّ قدح ليس منها، فقد ذهب فى الضلال و مال عن الاعتدال و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال.

على أنّ معاويه أنكر الحقّ و عدل عن الصّراط المستقيم حيث خرج مبارزا لمن له الحقّ و لمن هو على الصّراط المستقيم بل لمن هو الحق و الصّراط المستقيم ألا و هو إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجلين و خليفه ربّ العالمين و من هو من خاتم النّبيّين بمنزله موسى من هارون على أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين فمن عدل عن ذلك القسطاس المستقيم و الميزان القسط ، فهو ذهّاب فى التّيه روّاغ عن القصد.

نقل سبط ابن الجوزى فى التذكره عن أبى حامد الغزالى حيث قال فى كتاب سرّ العالمين و كشف ما فى الدّارين بعد نقل طائفه من كلامه فى غصب الغاصبين خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام: ثمّ العجب من منازعه معاويه لعلى عليه السّلام الخلافه و قد قطع الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم طمع من طمع فيها بقوله: إذا ولّى خليفتان فاقتلوا الأخير منهما، و العجب من حقّ واحد كيف ينقسم بين اثنين و الخلافه ليس بجسم و لا عرض فيتجزّى، قال: و قال أبو حازم: أوّل خلافه [حكومه - خ ل] تجرى بين العباد فى المعاد بين على عليه السّلام و معاويه فيحكم اللّه تعالى لعلى على معاويه و الباقون تحت المشيّه، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم لعمّار: تقتلك الفئه الباغيه، و لا ينبغى للإمام أن يكون باغيا، و لأنّ الامامه تضيق عن شخصين، كما أنّ الرّبوبيّه لا يليق بالهين اثنين - إلى أن قال: ثمّ استفاض لعن على عليه السّلام

على المنابر ألف شهر و كان ذلك بأمر معاويه أ تراهم أمرهم بذلك كتاب أو سنّه أو إجماع ؟ هذا صوره كلام الغزالى. (ص ۳۷ من التّذكره الرّحلى المطبوع على الحجر و المقابله الرابعه من سرّ العالمين ص ۲۲ من طبع النجف).

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السّلام بتذكير معاويه و تنبيهه على أفضليّته و أفضليّه من هو من بيته و نسبه من بنى هاشم حيث قال: (ألا ترى غير مخبر لك - لكن بنعمه اللّه احدّث - أنّ قوما إلخ). يعنى بقوله غير مخبر لك أنك لست بأهل أن يخاطبك مثلى كما يستفاد من سياق الكلام، و يحتمل بعيدا أن يفسّر بأنّ معاويه لما كان واقفا على ذلك قال الأمير عليه السّلام: غير مخبر لك، و قوله عليه السّلام: لكن بنعمه اللّه احدّث يشير إلى قوله تعالى فى سوره الضّحى: «وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ».

ثمّ قال عليه السّلام:(قيل: سيّد الشّهداء) يعنى بسيّد الشّهداء عمّه حمزه بن عبد المطلب رضوان اللّه عليه استشهد فى احد و القائل هو رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيث قال:

إنه سيّد الشّهداء و خصّه بسبعين تكبيره عند صلاته عليه و مضى الكلام فى شهاده حمزه و صلاه الرّسول صلى اللّه عليه و آله و حزنه عليه فى المختار التاسع من باب الكتب (ج ۱۷) فراجع.

ثمّ قال عليه السّلام:(إنّ قوما قطعت أيديهم فى سبيل اللّه) يعنى به أخاه جعفر بن أبى طالب رضوان اللّه عليه استشهد فى غزوه موته، و قد تقدّم الكلام فى شهادته و فضله فى شرح المختار التاسع المقدّم ذكره أيضا فلا فائده فى الإعاده.

ثمّ أخذ عليه السّلام بنقل فضائله و لكن أعرض عنه لما نهى اللّه عنه من تزكيه المرء نفسه فقال:(و لو لا ما نهى اللّه. إلخ) - و أراد من قوله:(لذكر ذاكر) نفسه الشريفه، ثمّ وصف الفضائل بأنها بلغت فى الشهره و الوضوح مبلغا تعرفها قلوب المؤمنين و لا تمجّها آذان السّامعين فلا ينكرها إلا عميان القلب و فاقد السمع و سياق الكلام يفيد أنّها لوضوحها لا يمكن لأحد إنكارها و إن كان غير مؤمن يثقل عليه سماعها حيث قال عليه السّلام:(و لا تمجّها آذان السّامعين) بعد قوله: تعرفها قلوب المؤمنين.

ثمّ قال علیه السّلام:(فدع عنک من مالت به الرمیه) و فی نهایه الأرب: الدنیه مکان الرمیه و هی الأمر الخسیس، قیل: انه مثل و أصله أنّ رجلا قصد مکانا و قد عرض علیه فی أثناء طریقه صید فجعل یتبعه لیصطاده فشغله عمّا قصده. انتهی کلامه بترجمه منّا، و لکنا لم نظفر به، و الحقّ ما قاله آخر من أنّه کالمثل.

و أمّا معناه: فقال الکیدریّ - کما نقل عنه فی البحار: (ص ۵۳۶ ج ۸) أراد علیه السّلام أنّه - یعنی معاویه - مطعون فی نسبه و حسبه و أنّه أزاله عن مقام التّفاخر و التنافر مطاعن شهرت فیه. انتهی. ثمّ قال المجلسی - ره -: و کأنّه حمل علی الرمایه علی السهام المرمیّه. انتهی.

و ذکر المولی صالح القزوینی - ره - فی شرحه علی النهج بالفارسیّه فی معناه ثلاثه أوجه: أوّلها أنّه علیه السّلام أراد بمن نفسه الشریفه أی دعنی یا معاویه و شأنی أسکت عنک، و لم یک قصدی أن افاخرک بمفاخری و لکن تعرّض لی صید فی أثناء الطریق فرمیته بسهم.

و ثالثها أنّه علیه السّلام أراد بمن معاویه أی دع ما یشغلک عن الحقّ و اترک ما لا یعنیک و دونک و شأنک و لا تکن کالّذی مالت به الرّمیه، و احتمله العالم الشارح البحرینی قدّس سرّه أیضا حیث قال: و یحتمل أن تکون الإشاره إلیه بعینه علی طریقه قولهم: إیّاک أعنی و اسمعی یا جاره.

قلت: ما ذهب إلیه الکیدری - ره - بعید عن سیاق العباره و کذا الوجهان المذکوران سیّما الأوّل منهما، و معنی العباره المستفاد من سیاقها أن أمیر المؤمنین علیه السّلام یأمره عن عدم الالتفات إلی أقوال أبناء الدّنیا کعمرو بن العاص و أضرابه أی دع قوما أمالتهم الدّنیا الدّنیه عن سوّی الصراط ، و بعد نفسک عنهم.

ثمّ قال علیه السّلام:(فإنا صنائع ربّنا و الخلق بعد صنائع لنا) إنما أتی بالفاء لأنّ کلامه هذا فی مساق العلّه لقوله علیه السّلام: فدع عنک من مالت به الرّمیه، أی یجب علیک ترک هؤلاء القوم الّذین ضلّوا عن الطریق الحق، و علیک باتباع سبیلنا لأنّا صنائع ربّنا فمن أعرض عنّا فقد حاد عن الصراط المستقیم.

ثمّ إنّ كلامه هذا فوق كلام البشر، و فوق ما يحوم حوله العباره عليه مسحه من العلم الإلهى و لعمرى أنّه يجرى مجرى التنزيلات السّماويّه، لما اشتمل عليه من أمر الخلافه الحقّه، و شأن الحجج الإلهيّه، و أراه كأنّه موج برز من محيط عظيم، أو نور سطع من عالم الأمر الحكيم، لا يتفوّه به إلاّ من اصطنعه الله تعالى لنفسه، و لا يقدر على الإتيان به إلاّ قائل إنّا لامراء الكلام و فينا تنشّبت عروقه و علينا تهدّلت غصونه، و لا يليق هذا الإدّعاء إلاّ لنبىّ أو وصى نبىّ ، و لا يصدر نحو هذه الكلمه العليا إلاّ من قلب هو عيبه أسرار اللّه جلّ شأنه، و بالجمله:

آن كس كه ز كوى آشنائيست داند كه متاع ما كجائيست

و قد علمت فى تفسير اللّغات أنّ فلانا صنيعى و صنيعتى أى اصطنعته و ربّيته و خرجته و فلان صنيعتك و مصطنعك، قال عزّ من قائل: «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » (طه ۴۲) أى اصطفيتك و أخلصتك و استخلصتك لنفسى كما قال عزّ من قائل: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً » (مريم ۵۲) و قال تعالى: «قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي » (الاعراف ۱۴۵)، قال جار اللّه الزّمخشرى فى الكشاف: هذا تمثيل لما خوّله من منزله التقريب و التكريم و التكليم، مثّل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه و خصائص أهلا لئلاّ يكون أحد أقرب منزله منه إليه و لا يأتمن على مكنون سرّه سواه. انتهى.

و قال النيسابورى فى التفسير: اصطنعت فلانا لنفسى إذا اصطفيته و خرجته و معناه أحسنت إليه حتّى أنّه يضاف إليه، و نقل نحوه عن القفّال أيضا، ففيه غايه التشريف و التكريم.

و إذا تأمّلت حقّ التأمل بما أهدينا إليك فى الصنيعه تجدها تجرى مجرى الاصطفاء و الاجتباء و الإخلاص و الاستخلاص فتدبّر فى قوله تعالى: «وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ » (ص: ۴۸).

و قوله تعالى: «وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا » (فاطر: ۳۲).

و قوله تعالى: «اَللّهُ یَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ » (الحج: ۷۶).

و قوله تعالى: «وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَیْناها إِبْراهِیمَ عَلى قَوْمِهِ » - إلى قوله: «وَ إِسْماعِیلَ وَ الْیَسَعَ وَ یُونُسَ وَ لُوطاً وَ کلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِینَ وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ ».

و فی قوله تعالى: «أُولئِکَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ مِنْ ذُرِّیَّهِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّیَّهِ إِبْراهِیمَ وَ إِسْرائِیلَ وَ مِمَّنْ هَدَیْنا وَ اجْتَبَیْنا إِذا تُتْلى عَلَیْهِمْ آیاتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُکِیًّا » (مریم: ۵۹).

و فی قوله تعالى: «کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِینَ » (یوسف: ۲۵)، و قوله تعالى: «وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی » (یوسف: ۵۵).

ثمّ لا یخفى علیک لطف کلامه علیه السّلام: فانا صنائع ربّنا و الناس بعد صنائع لنا من حیث إتیانه الضمیر على هیئه الجمع دون المفرد یعنی أنّ جمیع حجج اللّه اصطنعهم اللّه تعالى لنفسه و اصطفیهم بین سائر عباده فهو علیه السّلام ینادی بأعلى صوته بأنّ خلیفه اللّه لا بدّ من أن یکون منصوبا من عنده تبارک و تعالى، کما أفاد بکلامه هذا أعنی: فإنّا صنائع ربّنا أنهم معصومون أیضا و ذلک لأنّ اللّه لا یصطنع لنفسه من لا یکون معصوما و قد مرّ بحثنا عن ذلک مشبعا فی الإمام و صفاته فی شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب (ص ۳۳ - إلى - ۱۷۶ من ج ۱۶).

و قد مضى کلام ثامن الأئمه علیهم السّلام فی ذلک أیضا من أنّ العبد إذا اختاره اللّه عزّ و جلّ لامور عباده شرح صدره لذلک و أودع قلبه ینابیع الحکمه و ألهمه العلم إلهاما فلم یعی بعده بجواب و یحیّر فیه عن الصّواب و هو معصوم مؤید موفق مسدّد قد أمن الخطایا و الزلل و العثار و خصّه اللّه بذلک لیکون حجّه على عباده و شاهده

على خلقه و ذلک فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و أفاد عليه السّلام بكلامه: و الناس صنائع لنا، أنّهم عليهم السّلام وسائط فيض اللّه تعالى بين اللّه المتعال و بين عباده، و بقوله: إنّا صنائع ربّنا أنه لا واسطه بينهم و بين اللّه تعالى.

ثمّ إنّ فى سياق العباره إيماء إلى أنّ من بلغ هذه المرتبه و المنزله إكراما من الله تعالى حتّى اصطفيه اللّه و اتّخذه صنيعته و جعل النّاس صنائع له فكيف يجعل غيره عدله فضلا عن أن يجعل أفضل منه و إن كان للغير قرب صورى و ظاهرى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أنى هذه المنزله الاعتباريه و من هو ممّن اجتبيه اللّه تعالى و اصطنعه لنفسه.

ثمّ قال عليه السّلام:(لم يمنعنا قديم عزّنا-إلخ)معناه على نصب كلمتى قديم و عادىّ حتّى تكونا مفعولين و جمله أن خلطناكم مرفوعه على الفاعليه أنّ المخالطه بيننا و بينكم بالنكاح أى تزوّجنا فيكم و تزوّجكم فينا كفعل الأكفاء لا يمنعنا قديم عزّنا و لا عادى طولنا عليكم و الحال أنكم لستم فى مرتبه المماثله لنا و كيف يكونون الأكفاء لنا و الحال منّا النّبى و منكم المكذّب إلخ.

و أمّا معناه على رفع الكلمتين كما فى نسخه الرضى رضوان اللّه عليه و هو الصّواب فأن يقال: إنّ قديم عزّنا و فضلنا عليكم لم يمنعنا أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و الحال أنكم لستم فى مرتبه الأكفاء لنا، كما أنّ بيوت العزّ و الشرف يتأنّفون عن مخالطه من دونهم كذلک.

أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: و ينبغى أن يحمل قوله عليه السّلام قديم و عادى على مجازه لا على حقيقته لأنّ بنى هاشم و بنى اميه لم يفترقا فى الشرف إلاّ مذ نشأ هاشم بن عبد مناف و عرف بأفعاله و مكارمه و نشأ حينئذ أخوه عبد شمس و عرف بمثل ذلک و صار لهذا بنون و لهذا بنون و ادّعى كلّ من الفريقين أنه أشرف بالفعال من الاخر ثمّ لم يكن المدّه بين نشاء هاشم و اظهار محمّد صلى اللّه عليه و آله الدّعوه إلا نحو تسعين سنه و مثل هذه المدّه القصيره لا يقال فيها قديم عزّنا و عادىّ طولنا فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه لأنّ الأفعال الجميله كما تكون عاديه تكون

بكثره المناقب و الماثر و المفاخر و إن كانت المدّه قصيره، و لفظه قديم ترد و لا يراد بها قدم الزمان بل من قولهم لفلان قدم صدق و قديم أثر أى سابقه حسنه.

أقول: و يؤيده روايه صبح الأعشى: لم يمنعنا قديم عزّنا و مديد طولنا، فان لفظه مديد قرينه على أنّ القديم ليس بمعناه المطابقى، و يمكن أن يقال: إنّ للقديم توسّعا فى المحاوراه كما يقال من قديم الدهر و من زمان قديم و ان لم يمض من الزمان إلّا نحو تسعين سنه فلا يكون تجوّز على هذا الوجه.

و قال العلاّمه المجلسى - ره - فى البحار (ص ۵۳۶ ج ۸): و قد ظهر لك ممّا سبق أنّ بنى اميّه لم يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا فى الحسب آباءه عليه السّلام، مع أنّ قديم عزّهم لم ينحصر فى النسب بل أنوارهم عليهم السّلام أوّل المخلوقات و من بدأ خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم و ظهور آثارهم كانوا معروفين بالعزّ و الشرف و الكمالات فى الأرضين و السماوات يخبّر بفضلهم كلّ سلف خلفا و رفع اللّه ذكرهم فى كل امه عزّا و شرفا، انتهى كلامه - ره -.

و أقول: قد ذكرنا نبذه من خلال بنى هاشم و أنموذجه من شيم بنى اميه فى شرح المختار السابع عشر من باب الكتب (من ص ۲۵۷ - إلى - ص ۲۷۰ ج ۱۸)، فراجع.

ثمّ أخذ عليه السّلام فى بيان عدم كون بنى اميه فى مرتبه المماثله لبنى هاشم و نفى كونهم أهلا للمخالطه بقوله:(و أنّى يكون ذلك كذلك و منا النبى و منكم المكذّب) و المكذّب هو أبو سفيان صخر بن حرب كان عدوّ رسول اللّه و المكذّب له و ما أسلم آخر الأمر بل استسلم كما مضى الكلام فى استسلام القوم فى شرح كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: و الذى فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه. (المختار ۱۶ من باب الكتب ص ۱۹۰ ج ۱۸).

و كان أبو سفيان أصل الشجره الملعونه و ما من فتنه ظهرت من قريش على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و المسلمين إلّا كان له قدم راسخ و سعى بالغ فيها ثمّ استسلم عام الفتح

إمّا رغبه و إمّا رهبه كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام فى المختار السابع عشر من هذا الباب (ص ۲۲۸ ج ۱۸): و لمّا أدخل اللّه العرب فى دينه أفواجا و أسلمت له هذه الامه طوعا و كرها كنتم ممّن دخل فى الدين إمّا رغبه و إمّا رهبه و راجع فى ذلك إلى ص ۲۲۴ من ج ۱۸ أيضا، و مات أبو سفيان فى سنه ۳۱ ه منافقا أعمى القلب و العينين، و تقدم طائفه من رذائل شيمه فى تفسير المختار السابع عشر من باب الكتب (ص ۲۶۵ ج ۱۸ فراجع).

قال الواقدى فى المغازى (ص ۹۰ طبع مصر): و لما رجعت قريش إلى مكّه - يعنى من غزوه بدر منهزمين - قام فيهم أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم و لا تنوح عليهم نائحه و لا يبكيهم شاعر و أظهروا الجلد و العزاء فإنكم إذا نحتم عليهم و بكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم، فأكلكم ذلك عن عداوه محمّد و أصحابه، مع أنّه إن بلغ محمّدا و أصحابه شمتوا بكم فيكون أعظم المصيبتين شماتتهم، و لعلّكم تدركون ثاركم فالدّهن و النساء علىّ حرام حتّى أغزو محمّدا، فمكثت قريش شهرا لا يبكيهم شاعر و لا تنوح عليهم نائحه.

و قال غير واحد من شرّاح النهج: المكذّب هو أبو جهل، كان أشدّ الناس عداوه للنّبى صلى اللّه عليه و آله، قتل يوم بدر كافرا و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه لمّا قتل:

إنّ هذا أعتى على اللّه من فرعون إنّ فرعون لمّا أيقن بالهلاك وحّد اللّه و إنّ هذا لمّا أيقن بالهلاك دعا باللّات و العزّى.

و قال الشارح البحرانى قدّس سرّه: المكذّب هو أبو جهل بن هشام و إليه الاشاره بقوله: «وَ ذَرْنِى وَ الْمُكَذِّبِينَ » الايه (المزمل: ۱۱) قيل نزلت فى المطيبين ببدر و كانوا عشره و هم: أبو جهل و عتبه و شيبه ابنا ربيعه بن عبد شمس و نبيه و منبّه ابنا الحجّاج و أبو البخترى بن هشام و النّضر بن الحارث و الحارث بن عامر و أبىّ بن خلف و زمعه بن الأسود فذكر عليه السّلام النّبى صلى اللّه عليه و آله بفضيلته و هى النّبوه و ذكر أبا جهل برذيلته و هى تكذيبه، انتهى كلامه - ره -.

قلت: و سيأتى البيان فى المطيّبين و حلفهم و حلف الفضول بعيد هذا.

قال ابن هشام فی السیره النّبویه (ص ۳۶۲ ج ۱) فی أبی جهل و ما أنزل اللّه تعالی فیه: و أبو جهل بن هشام لمّا ذکر اللّه عزّ و جل شجره الزّقوم تخویفا بها لهم قال: یا معشر قریش، هل تدرون ما شجره الزّقوم الّتی یخوّفکم بها محمّد؟ قالوا: لا، قال: عجوه یثرب بالزّبد، و اللّه لئن استمکنا منها لنتزقمنّها تزّقما فأنزل اللّه تعالی فیه: «إِنَّ شَجَرَهَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِیمِ کَالْمُهْلِ یَغْلِی فِی الْبُطُونِ کَغَلْیِ الْحَمِیمِ »، أی لیس کما یقول انتهی.

أقول: المراد من التقابل بین منّا و منکم فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام هو التقابل بین بنی هاشم و بنی امیّه کما لا یخفی، و أبو جهل لعنه اللّه تعالی و إن کان أعدا عدوّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و ألدّ خصامه و المکذّبین له لکنّه هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغیره المخزومی من بنی مخزوم بن مرّه من قریش فهو لیس من بنی امیّه فلا یصحّ أن یفسّر قول أمیر المؤمنین علیه السّلام و منکم المکذّب بأبی جهل لعنه اللّه تعالی و أیّ عار یلزم معاویه من هذا التفسیر؟.

ثمّ قال علیه السّلام:(و منّا أسد اللّه و منکم أسد الأحلاف) عنی بأسد اللّه حمزه بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النّبی صلی اللّه علیه و آله سمّاه رسول اللّه بذلک لشجاعته و ذّبه عن دین اللّه.

و فی الاصابه لابن حجر: أسلم حمزه علیه السّلام فی السنه الثانیه من البعثه و لازم نصر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هاجر معه، شهد بدرا و أبلی فی ذلک و قتل شیبه بن ربیعه و شارک فی قتل عتبه بن ربیعه أو بالعکس، و قتل طعیمه بن عدی و عقد له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لواء و أرسله فی سرّیه فکان ذلک أوّل لواء عقد فی الإسلام فی قول المدائنی و استشهد باحد و کان ذلک فی النصف من شوّال سنه ثلاث من الهجره فعاش دون ستین، و یقال إنه قتل باحد قبل أن یقتل أکثر من ثلاثین نفسا، و لقبه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أسد اللّه و سمّاه سیّد الشهداء - انتهی ما أردنا نقله منها.

و فی اسد الغابه: لمّا أسلم حمزه عرفت قریش أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قد عزّ و امتنع و أنّ حمزه سیمنعه فکفّوا عن بعض ما کانوا یتناولون منه ثمّ هاجر إلی

المدينه و شهد بدرا و أبلى فيها بلاء عظيما مشهورا - إلى أن قال: و كان حمزه يعلم فى الحرب بريشه نعامه، و قاتل يوم بدر بين يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بسيفين و قال بعض اسارى الكفّار: من الرجل المعلم بريشه نعامه ؟ قالوا: حمزه، قال: ذاك فعل بنا الأفاعيل، و شهد احدا فقتل بها يوم السبت النصف من شوّال و كان قتل من المشركين قبل أن يقتل أحدا و ثلاثين نفسا منهم سباع الخزاعى قال له حمزه: هلم إلىّ يا ابن مقطعه البظور و كانت امّه ختّانه فقتله.

قال: قال ابن إسحاق: كان حمزه يقاتل يومئذ بسيفين فقال قائل أىّ أسد هو حمزه فبينما هو كذلك إذ عثر عثره وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بحربه فقتله و مثّل به المشركون إلى أن قال:

و روى جابر قال: لمّا رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حمزه قتيلا بكى فلمّا رأى ما مثّل به شهق و قال: لو لا أن تجد صفيّه لتركته حتّى يحشر من بطون الطير و السباع، وصفيه هى امّ الزّبير و هى اخته، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و أمّا اسد الأحلاف، فقال بعض الشراح: هو أبو سفيان و قيل لأبى سفيان أسد الأحلاف لأنّه حالف الأحزاب على قتال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حول المدينه و زلزل المؤمنون بمكانهم زلزالا شديدا إلى أن فرّق اللّه تعالى جمعهم كما حكاه فى قوله: فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها.

و تبعه الفاضل الشّيخ محمّد عبده قال: أسد اللّه حمزه، و أسد الأحلاف أبو سفيان لأنّه حزب الأحزاب و حالفهم على قتال النبى فى غزوه الخندق، انتهى كلامه.

قلت: هذا تفسير وجيه ملائم غير أنّ اسلوب الكلام يوجب أن يكون أسد الأحلاف ههنا غيره لما دريت أنّ أبا سفيان كان المكذّب فأسد الأحلاف غيره.

و قال العالم الشارح البحرانى: هو أسد بن عبد العزّى و الأحلاف هم عبد مناف و زهره و أسد و تيم و الحارث بن فهر و سمّوا الأحلاف لأنّ بنى قصى أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدى بنى عبد الدار من اللواء و الندوه و الحجابه و الرفاده

و هی کلّ شیء کان فرضه قصی علی قریش لطعام الحاج فی کلّ سنه و لم یکن لهم إلّا السقاته فتحالفوا علی حربهم و أعدوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلک ناکصین و أقرّوا ما کان بأیدیهم، انتهی کلامه.

قلت: أسد بن عبد العزّی هو جدّ خدیجه زوجه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لأنّها خدیجه بنت خویلد بن أسد بن عبد العزی بن قصیّ بن کلاب بن مرّه بن کعب ابن لؤیّ بن غالب بن فهر، کما فی السیره النّبویه لابن هشام (ص ۱۸۹ ج ۱ من طبع مصر ۱۳۷۵ ه).

و الرفاده علی التفصیل مذکوره فی السیره النّبویه لابن هشام أیضا (ص ۱۳۰ ج ۱) و قد نقلنا نبذه من الکلام فی السقایه و الرفاده فی شرح المختار السابع عشر من باب الکتب (ص ۲۶۴ ج ۱۸).

ثمّ ذکر ابن هشام بعد الکلام فی الرفاده حلف المطیّبین ثمّ حلف الفضول قال: قال ابن إسحاق ثمّ إنّ قصیّ بن کلاب هلک فأقام أمره فی قومه و فی غیرهم بنوه من بعده فاختطّوا مکّه رباعا، بعد الذی کان قطع لقومه بها، فکانوا یقطعونها فی قومهم و فی غیرهم من حلفائهم و یبیعونها فأقامت علی ذلک قریش معهم لیس اختلاف و لا تنازع.

ثمّ إنّ بنی عبد مناف ابن قصیّ : عبد شمس و هاشما و المطلب و نوفلا أجمعوا علی أن یأخذوا ما بأیدی بنی عبد الدار بن قصیّ ممّا کان قصی جعل إلی عبد الدار من الحجابه و اللواء و السقایه و الرفاده و رأوا أنهم أولی بذلک منهم لشرفهم علیهم، و فضلهم فی قومهم فتفرّقت عند ذلک قریش، فکانت طائفه مع بنی عبد مناف علی رأیهم یرون أنهم أحقّ به من بنی عبد الدار لمکانهم فی قومهم، و کانت طائفه مع بنی عبد الدار یرون أن لا ینزع منهم ما کان قصیّ جعل إلیهم.

فکان صاحب أمر بنی عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف و ذلک أنّه کان أسنّ بنی عبد مناف و کان صاحب أمر بنی عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، فکان بنو أسد بن عبد العزّی بن قصیّ ، و بنو زهره بن کلاب

و بنو تيم بن مرّه بن كعب، و بنو الحارث بن فهر بن النّضر، مع بنى عبد مناف.

و كان بنو مخزوم بن يقظه بن مرّه، و بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب و بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب، و بنو عدىّ بن كعب مع بنى عبد الدار و خرجت عامر بن لؤىّ و محارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من القريقين.

فعقد كلّ قوم على أمرهم حلفا مؤكّدا، على أن لا يتخاذلوا و لا يسلم بعضهم بعضا ما بلّ بحرصوفه - يريد إلى الأبد، و صوف البحر: شىء على شكل الصوف الحيوانى، واحدته: صوفه، يقال: لا آتيك ما بلّ بحرصوفه، أو ما بلّ البحرصوفه يريد لا آتيك أبدا -.

فأخرج بنو عبد مناف جفنه مملوءه طيبا فيزعمون أنّ بعض نساء بنى عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبه، ثمّ غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم، ثمّ مسحوا الكعبه بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسمّو المطيّبين.

و تعاقد بنو عبد الدار و تعاهدوا هم و حلفاؤهم عند الكعبه حلفا مؤكّدا على أن لا يتخاذلوا، و لا يسلم بعضهم بعضا فسمّوا الأحلاف.

ثمّ سوند بين القبائل و لزّ بعضها ببعض فعبيت بنو عبد مناف لبنى سهم، و عبيت بنو أسد لبنى عبد الدّار، و عبيت زهره لبنى جمح، و عبيت بنو تميم لبنى مخزوم و عبيت بنو الحارث بن فهر لبنى عدى بن كعب. ثمّ قالوا: لتفن كلّ قبيله من اسند إليها.

فبينا النّاس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقايه و الرفاده، و أن تكون الحجابه و اللّواء و الندوه لبنى عبد الدّار كما كانت، ففعلوا و رضى كلّ واحد من الفريقين بذلك و تحاجز النّاس عن الحرب، و ثبت كلّ قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتّى جاء اللّه تعالى بالإسلام، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ما كان من حلف فى الجاهليه فإنّ الإسلام لم يزده إلّا شدّه.

حلف الفضول و سبب تسميته كذلك

قال ابن هشام: و أمّا حلف الفضول: فحدّثنى زياد بن عبد اللّه البكائى، عن محمّد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له فى دار عبد اللّه بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّه بن كعب بن لؤى، لشرفه و سنّه فكان حلفهم عنده، بنو هاشم، و بنوا المطّلب، و أسد بن عبد العزّى، و زهره بن كلاب، و تيم بن مرّه فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكّه مظلوما من أهلها و غيرهم ممّن دخلها من سائر النّاس إلاّ قاموا معه، و كانوا على من ظلمه حتّى تردّ عليه مظلمه فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنى محمّد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمىّ أنه سمع طلحه بن عبد اللّه بن عوف الزّهرى يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لقد شهدت فى دار عبد اللّه بن جدعان حلفا ما احبّ أنّ لى به حمر النّعم و لو ادعى به فى الإسلام لأجبت.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنى يزيد بن عبد اللّه بن اسامه بن الهادى اللّيثىّ : أنّ محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ حدّثه: أنّه كان بين الحسين ابن علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام، و بين الوليد بن عتبه بن أبى سفيان، و الوليد يومئذ أمير على المدينه أمّره عليها عمّه معاويه بن سفيان منازعه فى مال كان بينهما بذى المروه، فكان الوليد تحامل على الحسين عليه السّلام فى حقّه لسلطانه، فقال له الحسين:

احلف باللّه لتنصفنّى من حقّى أو لاخذنّ سيفى، ثمّ لأقومنّ فى مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول.

قال: فقال عبد اللّه بن الزبير و هو عند الوليد حين قال الحسين عليه السّلام ما قال:

و أنا أحلف باللّه لئن دعا به لاخذنّ سيفى ثمّ لأقومنّ معه حتّى ينصف من حقّه أو نموت جميعا، قال: فبلغت المسور بن مخرمه بن نوفل الزهرىّ فقال مثل ذلك و بلغت عبد الرّحمن بن عثمان بن عبيد اللّه التّيمى فقال مثل ذلك فلمّا بلغ ذلك

الوليد بن عتبه أنصف الحسين عليه السّلام من حقّه حتّى رضى.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنى يزيد بن عبد الله بن اسامه بن الهادى اللّيثى عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث التّيمى، قال: قدم محمّد بن جبير بن مطعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف - و كان محمّد بن جبير أعلم قريش - على عبد الملك ابن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير و اجتمع النّاس على عبد الملك، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا سعيد أ لم نكن نحن و أنتم، يعنى بنى عبد شمس ابن عبد مناف، و بنى نوفل بن عبد مناف، فى حلف الفضول ؟ قال: أنت أعلم، قال عبد الملك: لتخبرنى يا أبا سعيد بالحقّ من ذلك فقال: لا و اللّه، لقد خرجنا نحن و أنتم منه! قال: صدقت، تمّ خبر حلف الفضول.

و المنقول عن الروض الأنف فى سبب تسميه هذا الحلف بهذا الاسم أنّ جرهما فى الزمن الأوّل، قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف فتحالف منهم ثلاثه هم و من تبعهم أحدهم: الفضل بن فضاله، و الثانى: الفضل بن وداعه، و الثالث: فضيل بن الحارث و قيل: بل هم: الفضيل بن شراعه، و الفضل بن وداعه، و الفضل بن قضاعه، فلمّا أشبه حلف قريش هذا حلف هولاء الجرهميين سمّى حلف الفضول.

و قيل: بل سمّى كذلك لأنهم تحالفوا أن تردّ الفضول على أهلها، و ألا يغزو ظالم مظلوما.

و كان حلف الفضول هذا قبل البعث بعشرين سنه، و كان أكرم حلف و أشرفه و أوّل من تكلّم به و دعا إليه الزبير بن عبد المطّلب، و كان سببه أنّ رجلا من زبيد قدم مكّه ببضاعه، فاشتراها منه العاصى بن وائل، و كان ذا قدر بمكّه و شرف فحبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف: عبد الدار، و مخزوما، و جمح و سهما، و عدىّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصى، و زبروه، فلمّا رأى الزبيدى الشرّ، أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس، و قريش فى أنديتهم حول الكعبه فصاح بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكّه نائى الدار و النفر

و محرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال و بين الحجر و الحجر

إنّ الحرام لمن تمت كرامته و لا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطّلب، و قال: ما لهذا متروك، فاجتمعت هاشم و زهره، و تيم بن مرّه، فى دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاما و تعاقدوا، و كان حلف الفضول، و كان بعدها أن أنصفوا الزبيدى من العاصى، انتهى ما عن الروض الأنف.

و الغرض من نقل حلف المطيّبين و حلف الفضول من السيره أن يعلم أنّ تفسير أسد الأحلاف بأسد بن عبد العزّى ليس بصواب و كأنّ الشارح البحرانى تبع فى هذا التفسير قطب الدّين الراوندى رضوان اللّه عليه، و قد نقل كلامه ابن أبى الحديد فى شرحه على النهج ثمّ خطّاه و الحقّ مع ابن أبى الحديد فى المقام، قال:

قال الراوندى: المكذّب من كان يكذّب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عنادا من قريش و أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى قال: لأنّ بنى أسد بن عبد العزّى كانوا أحد البطون الّذين اجتمعوا فى حلف المطيّبين و هم بنو أسد بن عبد العزّى، و بنو عبد مناف، و بنو تميم بن مره، و بنو زهره، و بنو الحارث بن فهر.

ثمّ قال ابن أبى الحديد: هذا كلام طريف جدّا لأنّه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بازاء النّبى صلى اللّه عليه و آله مكذّب من بنى عبد شمس فقال: المكذّب من كذّب النّبى صلى اللّه عليه و آله من قريش عنادا و ليس كلّ من كذّبه صلى اللّه عليه و آله من قريش أن يعيّر معاويه به، ثمّ قال: أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى و أىّ عار يلزم معاويه من ذلك ؟ ثمّ إنّ بنى عبد مناف كانوا فى هذا الحلف و على و معاويه من بنى عبد مناف و لكنّ الراوندى يظلم نفسه بتعرّضه لما لا يعلمه، انتهى كلام ابن أبى الحديد.

و الصواب أنّ أسد الأحلاف هو عتبه بن ربيعه، قال الواقدى فى الجزء الثالث من غزوه بدر من كتابه فى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (ص ۴۹ من طبع مصر ه ۱۳۶۷):

و المشركون ينظرون على صفوفهم و هم يرون أنهم ظاهرون، فدنا النّاس بعضهم من بعض فخرج عتبه و شيبه و الوليد حتّى فصلوا من الصف ثمّ دعوا إلى المبارزه، خرج إليهم فتيان ثلاثه من الأنصار و هم بنو عفراء معاذ و معوذ و عوف بنو الحارث، و يقال ثالثهم عبد اللّه بن رواحه، و الثبت عندنا أنهم بنو عفراء فاستحيى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من ذلك، و كره أن يكون أوّل قتال لقى المسلمون فيه المشركين فى الأنصار و أحبّ أن تكون الشوكه لبنى عمّه و قومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافّهم و قال لهم خيرا.

ثمّ نادى منادى المشركين: يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا، فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا بحقّكم الّذى بعث اللّه به نبيّكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّه.

فقام حمزه بن عبد المطّلب، و على بن أبى طالب، و عبيده بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف فمشوا إليهم.

فقال عتبه: تكلموا نعرفكم - و كان عليهم البيض فأنكروهم - فإن كنتم أكفاء قاتلناكم.

فقال حمزه بن عبد المطّلب: أسد اللّه و أسد رسوله. قال عتبه: كفؤ كريم.

ثمّ قال عتبه: و أنا أسد الحلفاء، و من هذان معك ؟ قال: علىّ بن أبى طالب، و عبيده بن الحارث، قال: كفؤان كريمان.

ثمّ قال الواقدىّ : قال ابن أبى الزناد، عن أبيه قال: لم أسمع لعتبه كلمه قطّ أوهن من قوله: - أنا أسد الحلفاء - يعنى حلفاء الأجمه.

ثمّ قال عتبه لابنه: قم يا وليد، فقام الوليد، و قام إليه علىّ عليه السّلام و كان أصغر النفر فقتله على عليه السّلام، ثمّ قام عتبه، و قام إليه حمزه فاختلفا ضربتين فقتله حمزه رضى اللّه عنه، ثمّ قام شيبه و قام إليه عبيده بن الحارث و هو يومئذ أسنّ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فضرب شيبه رجل عبيده بذباب السيف فأصاب عضله ساقه فقطعها، و كرّ حمزه و علىّ على شيبه فقتلاه، و احتملا عبيده فحازاه إلى الصفّ و مخّ ساقه

یسیل فقال عبیده: یا رسول اللّه أ لست شهیدا؟ قال: بلی، قال: أما و اللّه لو کان أبو طالب حیّا لعلم أنا أحقّ بما قال منه حین یقول:

کذبتم و بیت اللّه نخلی محمّدا و لمّا نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتّی نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

إلی آخر ما ذکره الواقدی فی المغازی.

و عتبه هذا هو جدّ معاویه من قبل امّه فانّ هندا امّ معاویه هی بنت عتبه ابن ربیعه بن عبد شمس، ففی المقابله فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام: منّا أسد اللّه و منکم أسد الأحلاف بحمزه من بنی هاشم و عتبه من بنی امیّه جدّ معاویه ممّا لا ینبغی أن یرتاب فیه و هذا هو التفسیر الصّحیح بلا مدافع.

و الحلفاء فی قول عتبه هل هو مفرد أو جمع، فذهب أبو الزناد إلی أنّه مفرد فهی بفتح الحاء و سکون اللّام ففی أقرب الموارد: الحلفاء نبت أطرافه محدّده کأنّها أطراف سعف النخل و الخوص ینبت فی مغایض الماء و النزوز الواحده حلفه مثل قصبه و قصباء، و طرفه و طرفاء، و قیل: واحدته حلفاء، قال سیبویه: الحلفاء واحد و جمیع و کذلک طرفاء و بهمی و شکاعی واحده و جمیع، و من ذلک أنا الّذی فی الحلفاء، أراد أنا الأسد لأنّ مأوی الأسد الاجام و منابت الحلفاء. انتهی.

و فی منتهی الأرب، حلفاء کحمراء و حلف محرّکه: گیاه دوخ، و هذا هو المراد من قوله: یعنی حلفاء الأجمه. و أمّا علی الجمع فهی جمع الحلیف أی المحالف قال أبو ذؤیب:

فسوف تقول إن هی لم تجدنی أخان العهد أم أثم الحلیف

قال ابن أبی الحدید بعد نقل ما نقلناه عن الواقدی: قلت: قد روی هذه الکلمه علی صیغه اخری: و أنا أسد الحلفاء، و روی أنا أسد الأحلاف.

ثمّ قال: قالوا فی تفسیرهما: أراد أنا سیّد أهل الحلف المطیّبین، و کان الّذین حضروه بنی عبد مناف و بنی أسد بن عبد العزّی و بنی تیم و بنی زهره و بنی الحارث

ابن فهر خمس قبائل.

قال: و ردّ قوم هذا التأويل فقالوا: إنّ المطيّبين لم يكن يقال لهم الحلفاء و لا الأحلاف و إنّما ذلك لقب خصومهم و أعدائهم الّذين وقع التحالف لأجلهم و هم بنو عبد الدار و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عديّ بن كعب خمس قبائل.

قال: و قال قوم فى تفسيرهما: إنّما عنى حلف الفضول و كان بعد حلف المطيّبين بزمان و شهد حلف الفضول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو صغير فى دار ابن جدعان - ثمّ نقل قصّه حلف الفضول فقال: و هذا التفسير أيضا غير صحيح لأنّ بنى عبد الشمس لم يكونوا فى حلف الفضول فقد بان أنّ ما ذكره الواقدى أصحّ و أثبت انتهى كلامه.

و قد نقلنا كلام ابن أبى الحديد من الجزء الرابع عشر من شرحه على الكتاب التاسع من النهج أوّله: و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه: فأراد قومنا قتل نبيّنا و اجتياح أصلنا - إلخ (ص ١٧٨ ج ٢ من الطبع على الحجر).

قلت: ما قال ابن الحديد من أنه روى هذه الكلمه على صيغه اخرى فالاولى منهما أعنى و أنا أسد الحلفاء على صيغه الجمع و مفرده حليف، و الثانيه منهما أعنى أنا أسد الأحلاف مطابق لما فى نهج البلاغه و لا بعد أن يقال: إذا دار الأمر بين ما اختاره الرّضى و بين ما فى النسخ الاخرى فما اختاره الرّضى فهو الأقوى لأنّه رضوان اللّه عليه متضلّع فى البلاغه و خرّيت هذه الصناعه فينبغى أن يختار صيغه أسد الأحلاف كما اختارها.

و يبقى الكلام حينئذ فى تفسير أسد الأحلاف أعنى بيان المراد منه فى المقام فانّ تفسيره بالوجهين السّابقين أعنى بحلف المطيّبين و حلف الفضول كما نقلهما ابن أبى الحديد عن القوم ليس على ما ينبغى، و أرى أنّ الصواب فى تفسيره المناسب للمقام هو ما أفاده الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهره رسائل العرب (ص ۴۵۰ ج ١) حيث قال بعد نقل كلام ابن أبى الحديد المذكور آنفا:

غير أنّ ابن أبى الحديد مع ما ذكره من تفنيد هذين التفسيرين، لم يبيّن

المراد بالأحلاف أو الحلفاء فی روایه من روی «أنا أسد الأحلاف» و «أنا أسد الحلفاء جمعا» و أقول: إنّنا إذا بحثنا عمّن قتلوا من مشرکی قریش یوم بدر وجدناهم: من بنی عبد شمس بن عبد مناف، و من بنی نوفل بن عبد مناف، و من بنی أسد بن عبد العزّی ابن قصیّ ، و من بنی عبد الدار بن قصیّ ، و من بنی تیم بن مرّه بن کعب بن لؤی و من بنی مخزوم بن یقظه بن مرّه، و من بنی جمح بن عمرو بن هصیص بن کعب ابن لؤی، و من بنی سهم بن عمرو بن هصیص، و من بنی عامر بن لؤی، (راجع کتب السیره) أی انّ هذه البطون من قریش کانت قد تازرت و اتّفقت کلمتها علی حرب محمّد صلی اللّه علیه و آله و إن شئت فقل إنّهم قد تحالفوا علی قتاله - و إن لم ینقل إلینا التاریخ أنّهم قد عقدوا بینهم علی ذلک حلفا بمعناه الأخصّ - ثمّ و لوا أمرهم عتبه ابن ربیعه فکان قائدهم و صاحب حربهم، فهو إذ یقول: «أنا أسد الأحلاف» یبغی أن یقول أنّه أسد هذه البطون القرشیه المتناصره علی قتال المسلمین انتهی کلامه.

قلت: و یؤیده ما نقله الواقدی فی المغازی (ص ۴۵) بعد نقل واقعه: أنّ حکیم بن حزام أتی عتبه بن ربیعه فقال: یا أبا الولید أنت کبیر قریش و سیّدها و المطاع فیها فهل لک أن لا تزال منها بخیر آخر الدّهر مع ما فعلت یوم عکاظ و عتبه یومئذ رئیس الناس - إلی أن قال: ثمّ جلس عتبه علی جمله فسار فی المشرکین من قریش یقول: یا قوم أطیعونی، - إلخ.

و روی البخاری فی صحیحه بعدّه طرق عن أبی مجلز، عن قیس بن عباد عن أبی ذرّ رضوان اللّه علیه قال: نزلت «هذان خصمان اختصموا فی ربّهم» فی ستّه من قریش برزوا یوم بدر: علیّ علیه السّلام و حمزه و عبیده بن الحارث، و شیبه و عتبه ابنی ربیعه و الولید بن عتبه، فراجع إلی (ص ۹۵) من الجزء الخامس منه.

ثمّ قال علیه السّلام:(و منّا سیّدا شباب أهل الجنّه و منکم صبیه أهل النار) سیّدا شباب أهل الجنّه هما الحسن و الحسین علیهما السّلام کما نصّ جدهما رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بذلک و قد أغنانا شهرته و استفاضته بین الفریقین إن لم نقل ببلوغه إلی حدّ التواتر عن نقل

الروايات الوارده فی ذلک و إن أبیت إلّا نقلها فنقول: کفی کلام أبیهما أمیر المؤمنین علی علیه السّلام فی ذلک حجّه أوّلا.

و ثانیا قد روی أحمد فی المسند قال: حدّثنا أبو نعیم، قال: حدّثنا أبو نعیم قال: حدّثنا سفیان عن یزید بن أبی زیاد، عن أبی نعیم، عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه، و قد أخرجه الترمذی أیضا، و قال: هذا حدیث حسن صحیح. (نقله سبط ابن الجوزی فی التذکره، ص ۱۳۳ من الطبع الرحلی).

و فی مطالب السؤل فی مناقب آل الرسول لابن طلحه الشافعی: و منها ما رواه الترمذی بسنده عن أبی سعید قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه. (ص ۶۵ من الطبع الرحلی).

و فیه أیضا (ص ۷۱) و منه حدیث حذیفه بن الیمان - رض - أخرجه الترمذی فی صحیحه یرویه عنه بسنده، و قد تقدّم طرف منه فی فضائل فاطمه علیها السّلام أنّ حذیفه قال لامّه: دعینی آت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فاصلّی معه و أسئله أن یستغفر لی ذلک، فأتیته فصلّیت معه المغرب، ثمّ قام فصلّی حتّی صلّی العشاء، ثمّ انفتل فأتبعته فسمع صوتی فقال: من هذا حذیفه ؟ قلت: نعم، قال: ما حاجتک غفر اللّه لک و لامّک ؟ إنّ هذا ملک لم ینزل إلی الأرض قطّ قبل هذه اللّیله استأذن ربّه أن یسلّم علیّ و یبشرنی أنّ فاطمه سیّده نساء أهل الجنّه، و أنّ الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه.

إلی أن قال: و منه ما نقله الامام محمّد بن إسماعیل البخاری و الترمذی رضی اللّه عنهما بسندهما کلّ منهما فی صحیحه عن ابن عمر و سئله رجل عن دم البعوض، فقال: ممّن أنت ؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلی هذا یسألنی عن دم البعوض و قد قتلوا ابنی النّبیّ صلی اللّه علیه و آله و سمعت النّبیّ صلی اللّه علیه و آله یقول: هما ریحانتای من الدّنیا.

و روی أنّه سئله عن المحرم یقتل الذّباب، فقال: یا أهل العراق تسألونا

عن قتل الذّباب و قد قتلتم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و ذكر الحديث و فى آخره: و هما سيّدا شباب أهل الجنّه.

و فى الصواعق المحرقه لابن حجر الهيتمى: أخرج الترمذى و الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه (ص ۸۲ من طبع مصر).

قال ابن الأثير فى اسد الغابه (ص ۱۱ ج ۲) فى معرفه الإمام المجتبى الحسن بن علىّ عليهما السّلام: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن على بن أحمد الأنماطى أخبرنا أبو طاهر محمّد بن عبد الرّحمن المخلص، أخبرنا عبد اللّه بن محمّد البغوى، أخبرنا داود بن رشيد، أخبرنا مروان، أخبرنا الحكم بن عبد الرّحمن بن أبى نعيم البجلى عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه - الخبر.

و قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ۳۲۸ ج ۷ من طبع ليدن): قال أبو مخنف: حدّثنى عبد اللّه بن عاصم قال: حدّثنى الضحّاك المشرقى، لمّا دنا منه - يعنى من أبى عبد اللّه أحد سيّدى شباب أهل الجنّه الحسين بن علىّ عليه السّلام فى واقعه الطف - القوم دعا براحلته فركبها ثمّ نادى بأعلى صوته بصوت عال دعاء يسمع جلّ النّاس:

أيّها النّاس اسمعوا قولى و لا تعجلونى حتّى أعظكم بما لحقّ لكم على و حتّى أعتذر إليكم من مقدمى عليكم فإن قبلتم عذرى و صدّقتم قولى و أعطيتمونى النصف كنتم بذلك أسعد، و لم يكن لكم علىّ سبيل، و إن لم تقبلوا منّى العذر و لم تعطوا النصف من أنفسكم «فأجمعوا أمركم و شركاء كم ثمّ لا- يكن أمركم عليكم غمّه ثمّ اقضوا إلىّ و لا- تنظرون إنّ ولى اللّه الّذى نزّل الكتاب و هو يتولّى الصّالحين».

قال: فلمّا سمع أخواته كلامه هذا صحن و بكين و بكى بناته فارتفعت أصواتهنّ فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس بن على و عليّا ابنه، و قال لهما: اسكتاهنّ

فلعمری لیکثرنّ بکاؤهنّ .

قال: فلمّا ذهبا لیسکتاهنّ قال: لا یبعد ابن عبّاس، قال: فظننا انّه إنما قالها حین سمع بکاؤهنّ لأنه قد کان نهاه أن یخرج بهنّ ، فلمّا سکتن حمد اللّه و أثنی علیه و ذکر اللّه بما هو أهله و صلّی علی محمّد صلی اللّه علیه و آله و علی ملائکته و أنبیائه و ذکر من ذلک ما اللّه أعلم و ما لا یحصی ذکره، قال: فو اللّه ما سمعت متکلّما قطّ قبله و لا بعده أبلغ فی منطق منه، ثمّ قال:

أمّا بعد فانسبونی فانظروا من أنا ثمّ ارجعوا إلی أنفسکم و عاتبوها فانظروا هل یحلّ لکم قتلی و انتهاک حرمتی ؟ أ لست ابن بنت نبیکم صلی اللّه علیه و آله و ابن وصیّه و ابن عمّه و أوّل المؤمنین باللّه و المصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه ؟ أو لیس حمزه سیّد الشّهداء عمّ أبی ؟ أو لیس جعفر الشّهید الطیار ذو الجناحین عمّی ؟ أو لم یبلغکم قول مستفیض فیکم أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال لی و لأخی:

هذان سیّدا شباب أهل الجنّه فان صدّقتمونی بما أقول و هو الحقّ ، و اللّه ما تعمّدت کذبا مذ علمت أنّ اللّه یمقت علیه و یضرّ به من اختلقه، فإن کذّبتمونی فإنّ فیکم من إن سألتموه عن ذلک أخبرکم سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاری، أو أبا سعید الخدری، أو سهل بن سعد الساعدی، أو زید بن أرقم، أو أنس بن مالک یخبروکم أنّهم سمعوا هذه المقاله من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لی و لأخی، أ فما فی هذا حاجز لکم عن سفک دمی - الخبر.

قلت: قوله علیه السّلام: ابن وصیّه ینادی بأعلی صوته بأنّ أباه أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام یعرف بالوصی، و قد مضی کلامنا و نقل الأشعار من سنام الصحابه و المسلمین فی شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۱۹ ج ۱۷) فراجع.

قوله علیه السّلام: و أوّل المؤمنین به و المصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه - و قد مضی کلامنا أنه علیه السّلام کان أوّل النّاس إسلاما فی شرح المختار التاسع من باب الکتب (ص ۳۴۵ ج ۱۷).

ثمّ إنّه صلی اللّه علیه و آله قال: إنهما سیّدا شباب أهل الجنّه لأنّ أهل الجنّه کلّهم شبّان

و ذلک لأنّها من عالم الأمر و لا یتطرق إلیها أحکام عالم الخلق من الهرم و الوهن و نحوهما ألا تری أنّ اللّه تعالی قال: «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ أَ فَلا یَعْقِلُونَ » (یس:

۶۹)، و کأنّ التعبیر بالشباب من حیث أن «اَلدّارَ الْآخِرَهَ لَهِیَ الْحَیَوانُ »، و أنّها أقوی وجودا من الدار الاولی و آثار الوجود فیها أشدّ و أکثر، نظیر ما رواه ثقه الإسلام الکلینی قدس سرّه فی الکافی عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام قال لرجل ما الفتی عندکم ؟ فقال له: الشابّ ، فقال: لا، الفتی المؤمن إنّ أصحاب الکهف کانوا شیوخا فسمّاهم اللّه عزّ و جل فتیه بایمانهم (الوافی ص ۳۹ ج ۳).

و قد روی عن النّبی صلی اللّه علیه و آله: أهل الجنه جرد مرد کحل لا یفنی شبابهم و لا تبلی ثیابهم، أتی به السیوطی فی الجامع الصغیر فی أحادیث البشیر النذیر.

و جاء فی الأثر أنّ عجوزا من الأنصار قالت: یا رسول اللّه ادع اللّه بالمغفره فقال لها: أما علمت أنّ الجنه لا تدخلها العجائز فصرخت فتبسّم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قال لها: أما قرأت قول اللّه تعالی: «إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکاراً عُرُباً أَتْراباً ».

و یناسب المقام نقل احتجاج مرویّ فی کتاب الاحتجاج للطبرسی - ره - رواه فی باب احتجاج أبی جعفر محمّد بن علی الثانی علیهما السّلام قال:

و روی أنّ المأمون بعد ما زوّج ابنته امّ الفضل أبا جعفر علیه السّلام کان فی مجلس و عنده أبو جعفر علیه السّلام و یحیی بن أکثم و جماعه کثیره فقال له یحیی بن أکثم: ما تقول یا ابن رسول اللّه فی الخبر الذی روی أنّه نزل جبرئیل علیه السّلام علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قال: یا محمّد إنّ اللّه عزّ و جلّ یقرئک السلام و یقول لک: سل أبا بکر هل هو عنّی راض فإنّی عنه راض.

فقال أبو جعفر علیه السّلام: لست بمنکر فضل أبی بکر و لکن یجب علی صاحب هذا الخبر أن یأخذ مثال الخبر الّذی قاله رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی حجّه الوداع: قد کثرت علیّ الکذّابه و ستکثر فمن کذب علیّ متعمدا فلیتبوأ مقعده من النّار فاذا أتاکم الحدیث فاعرضوه علی کتاب الله عزّ و جلّ و سنّتی فما وافق کتاب اللّه

و سنّتی فخذوا به و ما خالف کتاب اللّه و سنّتی فلا تأخذوا به، و لیس یوافق هذا الخبر کتاب اللّه تعالی قال اللّه تعالی: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » فاللّه عزّ و جل خفی علیه رضا أبی بکر من سخطه حتّی سأل عن مکنون سرّه هذا مستحیل فی العقول.

ثمّ قال یحیی بن أکثم: و قد روی أنّ مثل أبی بکر و عمر فی الأرض کمثل جبرئیل و میکائیل فی السماء.

فقال علیه السّلام: و هذا أیضا یجب أن ینظر فیه لأنّ جبرئیل و میکائیل ملکان للّه مقرّبان لم یعصیا اللّه قط و لم یفارقا طاعته لحظه واحده، و هما قد أشرکا باللّه عزّ و جل و إن أسلما بعد الشرک فکان أکثر أیّامهما الشرک باللّه فمحال أن یشبها بهما.

قال یحیی: و قد روی أیضا أنهما سیّدا کهول أهل الجنّه فما تقول فیه ؟.

فقال علیه السّلام: و هذا الخبر محال أیضا لأنّ أهل الجنّه کلهم یکونون شابا و لا یکون فیهم کهل، و هذا الخبر وضعه بنو امیّه لمضادّه الخبر الّذی قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی الحسن و الحسین: بأنّهما سیّدا شباب أهل الجنّه.

فقال یحیی بن أکثم: و روی أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّه.

فقال علیه السّلام: و هذا أیضا محال لأنّ فی الجنّه ملائکه اللّه المقرّبین و آدم و محمّد و جمیع الأنبیاء و المرسلین لا تضیء بأنوارهم حتّی تضیء بنور عمر.

فقال یحیی: و قد روی أنّ السکینه تنطق علی لسان عمر.

فقال علیه السّلام: لست بمنکر فضل عمر و لکن أبا بکر أفضل من عمر، فقال علی رأس المنبر: إنّ لی شیطانا یعترینی فاذا ملت فسدّونی.

فقال یحیی: قد روی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال علیه السّلام: کتاب اللّه أصدق من هذا الحدیث یقول اللّه فی کتابه: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ » قد أخذ اللّه میثاق النبیّین فکیف یمکن أن یبدّل میثاقه و کلّ الأنبیاء علیهم السّلام لم یشرکوا طرفه عین فکیف یبعث بالنّبوه من أشرک و کان أکثر أیّامه مع الشرک باللّه، و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: نبّئت و آدم

بين الروح و الجسد.

فقال يحيى بن أكثم: و قد روى أيضا أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: ما احتبس عنى الوحى قط إلّا ظننته قد نزل على آل الخطّاب.

فقال عليه السّلام: و هذا محال أيضا لأنّه لا يجوز أن يشكّ النّبى فى نبوّته قال اللّه تعالى: «اَللّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَهِ رُسُلًا وَ مِنَ النّاسِ » فكيف يمكن أن ينتقل النبوّه ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به.

قال يحيى: روى أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلّا عمر فقال عليه السّلام: و هذا محال أيضا لأنّ اللّه تعالى يقول: «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحدا ما دام فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و ما داموا يستغفرون اللّه، انتهى.

قلت: و قد وضع بنو اميّه فى عمرو بن العاص ما تضحك به الثكلى فإنّ محمّد ابن سعد روى فى الطبقات الكبرى عن عبد اللّه بن عمرو أنّه حدّثه أنّ أباه أوصاه قال: يا بنى إذا متّ فاغسلنى غسله بالماء ثمّ جفّفنى فى ثوب، ثمّ اغسلنى الثانيه بماء قراح ثمّ جفّفنى فى ثوب، ثمّ اغسلنى الثالثه بماء فيه شىء من كافور ثمّ جفّفنى فى ثوب، ثمّ إذا ألبستنى الثياب فأزرّ علىّ فانّى مخاصم، ثمّ إذا أنت حملتنى على السرير فامش بى مشيا بين المشيتين و كن خلف جنازه فإنّ مقدّمها للملائكه خلفها لبنى آدم، فاذا أنت وضعتنى فى القبر فسنّ علىّ التراب سنّا، (ص ۲۶۰ ج ۴ من طبع بيروت).

و هذا الخبر كما تراه كذب محض وضعه بنو اميّه و أتباعهم من أشباه الرّجال اقتراف الدّنيا و زخارفها و أنّى لعمرو بن العاص العاصى المتوغّل فى قاذورات الشهوات النفسانيّه أن ينال تلك المنزله العظمى و الرتبه العليا، و هل هذا إلّا اختلاق.

و كيف له أن يتفوّه بذلك و قد نقل غير واحد من نقله الأخبار و حمله الاثار أنّ عمرو بن العاص لمّا حضرته الوفاه قال لابنه لودّ أبوك أنّه كان فى غزاه ذات السلاسل إنّى قد دخلت فى امور لا أدرى ما حجّتى عند اللّه فيها، ثمّ نظر إلى

ماله فرأى كثرته فقال: يا ليته كان بعرا يا ليتنى متّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنه أصلحت لمعاويه دنياه و أفسدت دينى آثرت دنياى و تركت آخرتى، عمى على رشدى حتّى حضرنى أجلى، كأنّى بمعاويه قد حوى مالى و أساء فيكم خلافتى فراجع إلى تاريخ اليعقوبى، و حيوه الحيوان للدميرى.

و أنّى لعمرو أن يدّعى نزول الملائكه عليه و حملهم سريره و قد قال فيه وصىّ خاتم النبيّين عليه السّلام:

إنّه ليقول فيكذب، يعد فيخلف، و يسأل فيحلف، و يسأل فيبخل، و يخون العهد، و يقطع الإلّ ، فراجع إلى المختار ۸۲ من باب الخطب من النهج.

نعم إنّ تلك الفضيله لمن كانت الملائكه أعوانه فى الامور ألا و هو علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام فقد قال عليه السّلام: و لقد وليت غسله صلى اللّه عليه و آله و الملائكه أعوانى فراجع إلى المختار ۱۹۵ من باب الخطب من النهج أيضا.

و لمّا مات عليه السّلام قام ابنه ريحانه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أحد سيّدى شباب أهل الجنّه الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النبى صلى اللّه عليه و آله: ثمّ قال: ألا إنّه قد مضى فى هذه اللّيله رجل لم يدركه الأوّلون و لن يرى مثله الاخرون من كان يقاتل و جبريل عن يمينه و ميكائيل عن شماله فراجع إلى الكافى للكلينى قدّس سرّه و تاريخ اليعقوبى (ص ۱۹۰ ج ۲).

و قد جاء فى الأثر أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام أوصى بذلك ابنه أبا محمّد الحسن المجتبى عليه السّلام حيث قال: فاذا أنا متّ يا أبا محمّد فغسّلنى و كفّنى و حنّطنى ببقيّه حنوط جدّك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فإنّه من كافور الجنّه جاء به جبرئيل عليه السّلام إليه ثمّ ضعنى على سريرى و لا يتقدّم أحد منكم مقدّم السرير و احملوا مؤخّره و اتّبعوا مقدّمه فأىّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر فحيث قام سريرى فهو موضع قبرى - إلخ، فراجع إلى باب كيفيه شهادته عليه السّلام و وصيّته و غسله و الصّلاه عليه و دفنه من المجلّد التاسع من البحار (ص ۶۷۴ من طبع الكمبانى).

فانظر إلى تصرّف بنى اميّه فى الأخبار كيف سرقوها من محلّها

و أسندوها إلى غير أهلها، و كم لما نقلناها من نظير و لو لا خوف الإطناب لأتينا بطائفه منها فى الكتاب.

ثمّ إنّ بنى اميّه ما تصرّفوا فى الأخبار فقط بل تجاوزوا إلى القرآن و حرّفوا كلام اللّه عن مواضعه. قال الشارح الفاضل المعتزلى فى الجزء الرابع من شرحه على النهج (ص ۲۳ من الطبع الرّحلى): قال أبو جعفر: و قد روى أنّ معاويه بذل لسمره بن جندب مائه ألف درهم حتّى يروى أنّ هذه الايه انزلت فى علىّ عليه السّلام: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ » و أنّ الايه الثانيه نزل فى ابن ملجم و هى قوله تعالى: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ » فلم يقبل فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربع مائه ألف فقبل و روى ذلك. انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و صبيه أهل النار:

هم صبيه عقبه بن أبى معيط ، لما قد روى الواقدى فى غزوه بدر من كتابه فى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (ص ۸۴ من طبع مصر) من أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أقبل بالأسرى حتّى إذا كان بعرق الظبيه أمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أن يضرب عنق عقبه بن أبى معيط و كان أسره عبد اللّه بن سلمه العجلانى فجعل عقبه يقول: يا ويلى علام أقتل يا معشر قريش من بين من ههنا؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لعداوتك للّه و رسوله.

قال: يا محمّد منّك أفضل فاجعلنى كرجل من قومى إن قتلتهم قتلتنى و إن مننت عليهم مننت على، و إن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم يا محمّد من للصبيه ؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: النار قدّمه يا عاصم فاضرب عنقه، فقدّمه عاصم فضرب عنقه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: بئس الرجل كنت و اللّه ما علمت كافرا باللّه و برسوله و بكتابه مؤذيا لنبيّه [منك] فأحمد اللّه الّذى هو قتلك و أقرّ عينى منك.

ثمّ قال عليه السّلام:(و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّاله الحطب) يعنى بخير

نساء العالمين فاطمه بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله المعصومه الّتى أذهب اللّه عنها الرّجس و طهّرها تطهيرا، فقد روى أبو الحسين مسلم بن الحجّاج فى جامعه المعروف بصحيح مسلم (الباب التاسع من كتاب الفضائل فى فضائل أهل بيت النّبى صلى اللّه عليه و آله ص ۱۸۸۳ ج ۴ من طبع مصر) بإسناده عن أبى بكر بن أبى شيبه و محمّد بن عبد اللّه بن نمير، عن محمّد بن بشير، عن زكريّا، عن مصعب بن شيبه، عن صفيّه بنت شيبه قالت: قالت عائشه:

خرج النّبىّ صلى اللّه عليه و آله غداه و عليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمه فأدخلها، ثمّ جاء على فأدخله، ثمّ قال: إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا.

و فى الباب الخامس و الخمسين من ينابيع المودّه للفاضل الشّيخ سليمان النقشبندىّ الحنفى (ص ۱۴۸ من الطبع الناصرى): و فى جمع الفوائد، عائشه:

كنّ أزواج النّبىّ صلى اللّه عليه و آله عنده لا يغادر منهنّ واحده فأقبلت فاطمه تمشى ما تخطى مشيتها من مشيه النّبىّ صلى اللّه عليه و آله شيئا فلمّا رآها رحب بها، و قال: مرحبا يا بنتى ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سارّها فبكت بكاء شديدا، فلمّا رأى جزعها سارّ الثانيه فضحكت فلمّا قام سألتها ما قال لك أبوك ؟ قالت: ما كنت لأفشى على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سرّه فلمّا توفّى، قلت: عزمت عليك بما لى عليك من الحقّ حدّثنى ما قال لك أبوك صلى اللّه عليه و آله ؟ قالت: أمّا الان فنعم. أمّا حين سارّنى فى المرّه الاولى فأخبرنى أنّ جبرائيل كان يعارضنى القرآن فى كلّ سنه مرّه و عارضه الان مرّتين و إنّى لا أرى الأجل إلاّ قد اقترب فاتّقى اللّه و [اصبر [ى]] فإنّه نعم السلف أنا لك، فبكيت بكائى الّذى رأيت، فلمّا رأى جزعى سارّنى فى الثانيه فقال:

يا فاطمه أما ترضين أن تكون سيّده نساء المؤمنين أو سيّده نساء هذه الامّه فضحكت ضحك الّذى رأيت. و فى روايه: ثمّ سارّنى أنّى أوّل أهله يتبعه فضحكت و فى اخرى قال: أما ترضين أن تكونى سيّده نساء أهل الجنّه و أنّك أوّل أهلى لحوقا بى فضحكت، للشّيخين و الترمذى.

و قال: و فی صحیح البخاری: قال النّبی صلی اللّه علیه و آله: فاطمه سیّده نساء أهل الجنّه.

و قال أیضا: و فی جمع الفوائد: أنس رفعه حسبک من نساء العالمین مریم بنت عمران، و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمّد، و آسیه امرأه فرعون - للترمذی. انتهی.

قلت: روایه البخاری مذکوره فی باب مناقب فاطمه علیها السّلام (ص ۳۶ من الجزء الخامس من صحیح البخاری المشکول).

و فی الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور فی قوله تعالی: «إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ » (آل عمران: ۴۳):

أخرج الحاکم و صحّحه عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أفضل نساء العالمین خدیجه، و فاطمه، و مریم، و آسیه امرأه فرعون.

و أخرج ابن مردویه عن أنس قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إنّ اللّه اصطفی علی نساء العالمین أربعه: آسیه بنت مزاحم، و مریم بنت عمران، و خدیجه بنت خویلد و فاطمه بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله.

و أخرج أحمد و الترمذی و صحّحه و ابن المنذر و ابن حبّان و الحاکم عن أنس: أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال: حسبک من نساء العالمین، مریم بنت عمران و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله، و آسیه امرأه فرعون، و أخرجه ابن أبی شیبه عن الحسن مرسلا.

و أخرج ابن أبی شیبه و ابن جریر عن فاطمه علیها السّلام: قالت: قال لی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أنت سیّده نساء أهل الجنّه لا مریم البتول.

و أخرج ابن عساکر من طریق مقاتل عن الضحّاک، عن ابن عبّاس، عن النّبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: أربع نسوه سادات عالمهنّ : مریم بنت عمران، و آسیه بنت مزاحم، و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله، و أفضلهنّ عالما فاطمه.

انتهی ما أردنا من نقل ما فی الدّر المنثور.

أقول: و نزل فی آسیه امرأه فرعون و فی مریم قوله تعالی: «وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِینَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَکَ بَیْتاً فِی الْجَنَّهِ وَ نَجِّنِی مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِیهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِکَلِماتِ رَبِّها وَ کُتُبِهِ وَ کانَتْ مِنَ الْقانِتِینَ ».

ثمّ لمّا کانت فاطمه علیها السّلام بضعه من أبیها خاتم النبیّین سیّد ولد آدم کما رواها الفریقان فی جوامعهم الروائیه فهی علیها السّلام سیّده نساء العالمین مطلقا فقوله تعالی فی مریم علیها السّلام «وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ » محمول علی أنها مصطفاه علیهنّ لا مطلقا بل علی بعض الوجوه، فلیتأمّل فی قول الإمام أبی جعفر علیه السّلام فی معنی الایه: اصطفاک لذریه الأنبیاء و طهّرک من السفاح و اصطفیک لولاده عیسی من غیر فحل.

و فی قوله تعالی: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ » (آل عمران: ۳۴).

و فی قوله تعالی: «وَ لَقَدْ نَجَّیْنا بَنِی إِسْرائِیلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِینِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ کانَ عالِیاً مِنَ الْمُسْرِفِینَ وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلی عِلْمٍ عَلَی الْعالَمِینَ » (الدخان: ۳۳).

و فی قوله تعالی: «وَ لَقَدْ آتَیْنا بَنِی إِسْرائِیلَ الْکِتابَ وَ الْحُکْمَ وَ النُّبُوَّهَ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَی الْعالَمِینَ » (الجاثیه: ۱۷).

و فی قوله تعالی: «إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیهاً فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ » (آل عمران: ۴۶).

و فی قوله تعالی: «وَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِیها مِنْ رُوحِنا وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آیَهً لِلْعالَمِینَ » (الأنبیاء: ۹۲).

و فی قوله تعالی: «وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِیهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِکَلِماتِ رَبِّها وَ کُتُبِهِ وَ کانَتْ مِنَ الْقانِتِینَ » (آخر التحریم).

فإمّا أن یکون المراد من العالمین فی قوله تعالی: «وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ »

نساء عالمی زمانها کما مال إلیه غیر واحد من المفسّرین، و أمکن أن یؤیّد هذا المعنی بایتی الدّخان و الجاثیه، و لکنّ الإعراض عن اطلاق سیاق الایه لا یخلو من دغدغه.

و إمّا أنّ المراد من اصطفائها علی نساء العالمین اصطفائها علیهنّ من حیث إنّها آیه عجیبه إلهیّه کما بیّنه أبو جعفر علیه السّلام فی الخبر المذکور بقوله: و اصطفیک لولاده عیسی من غیر فحل، و یستفاد هذا المعنی من آیتی الأنبیاء و التحریم و یؤیّد بهما فلا تختصّ من هذه الجهه بنساء عالمی زمانها، و هذا الوجه الأخیر کأنّه الصّواب أو هو متعیّن.

قال الشارح الفاضل المعتزلی فی شرح قوله علیه السّلام: و منّا خیر نساء العالمین:

یعنی فاطمه علیها السّلام نصّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله علی ذلک لا خلاف فیه. انتهی.

حماله الحطب

.

هی العوراء امّ جمیل امرأه عبد العزّی المکنّی بأبی لهب بنت حرب اخت أبی سفیان عمّه معاویه الّتی ورد فیها و فی زوجها قوله تعالی: «تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما کَسَبَ سَیَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ».

و فی تفسیر الدّر المنثور و أخرج ابن جریر عن ابن زید أنّ امرأه أبی لهب کانت تلقی فی طریق النّبیّ صلی اللّه علیه و آله الشوک فنزلت «تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ »... «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ ».

و أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم عن ابن زید «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ » قال:

کانت تأتی بأغصان الشوک تطرحها باللیل فی طریق رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله.

و أخرج ابن أبی الدّنیا فی ذمّ الغیبه و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم عن مجاهد «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ » قال: کانت تمشی بالنمیمه «فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » من نار.

و أخرج ابن أبی جریر و ابن أبی حاتم عن قتاده «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ » قال:

كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض «فى جيدها حبل» قال: عنقها.

و أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن «حمّاله الحطب» قال: كانت تحمل النميمه فتأتى بها بطون قريش.

و أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن الأنبارى فى المصاحف عن عروه بن الزبير «فى جيدها حبل من مسد» قال: سلسله من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعا.

و فى التفسير الصّافى نقلا من قرب الأسناد عن الكاظم عليه السّلام فى حديث آيات النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: و من ذلك أنّ امّ جميل امرأه أبى لهب أتته حين نزلت سوره تبّت و مع النّبى أبو بكر بن أبى قحافه فقال: يا رسول اللّه هذا ام جميل محفظه أم مغضبه تريدك و معها حجر تريد أن ترميك به فقال صلى اللّه عليه و آله: إنّها لا ترانى، فقالت لأبى بكر: أين صاحبك ؟ قال: حيث شاء اللّه، قالت: لقد جئته و لو أراه لرميته فإنّه هجانى و اللّات و العزّى إنّى لشاعره، فقال أبو بكر: يا رسول اللّه لم ترك ؟ قال: لا، ضرب اللّه بينى و بينها حجابا.

و قال معاويه يوما و عنده عمرو بن العاص و قد أقبل عقيل: لأضحكنّك من عقيل فلمّا سلم قال معاويه: مرحبا برجل عمّه أبو لهب، فقال عقيل: و أهلا برجل عمّته حمّاله الحطب فى جيدها حبل من مسد، قال معاويه: يا أبا يزيد ما ظنّك بعمّك أبى لهب ؟ قال: إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمّتك حمّاله الحطب أ فناكح فى النار خير أم منكوح ؟ قال: كلا شرّ و اللّه، نقله الشارح المعتزلى فى الجزء الرّابع من شرحه على النهج (٢٧ من الطبع الرحلى).

و نقل الشّيخ الأجل المفيد قدس سرّه فى الإرشاد (ص ١٧٣ طبع طهران ١٣٧٧ ه): بعد السبب فى قبول الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام الهدنه و الصلح من معاويه ما هذا لفظه: فتوثق عليه السّلام لنفسه من معاويه بتوكيد الحجّه عليه و الإعذار فيما بينه و بينه عند اللّه تعالى و عند كافه المسلمين و اشترط عليه ترك سبّ أمير المؤمنين عليه السّلام و العدول عن القنوت عليه فى الصّلاه، و أن يؤمّن شيعته رضى اللّه عنهم و لا يتعرّض لأحد منهم بسوء و يوصل إلى كلّ ذى حقّ منهم حقّه.

فأجابه معاويه إلى ذلك كلّه و عاهده عليه و حلف له بالوفاء به فلمّا استتمّت الهدنه على ذلك سار معاويه حتّى نزل بالنخيله و كان ذلك يوم الجمعه فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم و قال فى خطبته: و اللّه ما قاتلتكم لتصلّوا و لا لتصوموا و لا لتحجوا و لا لتزكّوا انكم لتفعلون ذلك و لكنّى قاتلتكم لأتامّر عليكم و قد أعطانى اللّه ذلك و أنتم له كارهون، ألا و إنّى كنت منّيت الحسن عليه السّلام أشياء و أعطيته أشياء و جميعها تحت قدمى لا أفى بشىء منها له.

ثمّ سار حتّى دخل الكوفه فأقام بها أيّاما فلمّا استتمّت البيعه له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس و ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام و نال منه و نال من الحسن عليه السّلام ما نال و كان الحسن و الحسين عليهما السّلام حاضرين فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السّلام و أجلسه، ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّا أنا الحسن و أبى علىّ و أنت معاويه و أبوك صخر و امّى فاطمه و امّك هند و جدّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و جدّك حرب و جدّتى خديجه و جدّتك فتيله، فلعن اللّه أخملنا ذكرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قدما و أقدمنا كفرا و نفاقا، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين، انتهى قوله قدّس سره.

و روى قريبا منه المحدّث القمّى رضوان اللّه عليه فى مادّه حسن من سفينه البحار عن الشعبى، و قال الفاضل الشارح المعتزلى: إنّ هذا الحديث نقله الفضل بن الحسن المصرى عن يحيى بن معين قال و قال الفضل: قال يحيى: آمين، و قال الفضل: أنا أقول آمين، و قال علىّ بن الحسين الاصفهانى آمين، و قال الشارح المذكور أنا أقول آمين، و كذلك كاتب هذه الأحرف الحسن بن عبد اللّه الطبرى الاملى يقول آمين آمين و يرحم اللّه تعالى عبدا قال آمين.

تمّ قال عليه السّلام:(فى كثير ممّا لنا و عليكم) أى ما ذكرناه من فضائلنا و رذائلكم قليل فى كثير ممّا لنا من الفضائل و عليكم من الرذائل و قد تقدّم الكلام فى رؤيه النّبى صلى اللّه عليه و آله بنى اميّه فى المنام على صور قرود تصعد منبره و تردّ الناس عن الإسلام القهقرى، فراجع إلى شرح المختار العاشر من هذا الباب (ص ۴۷ ج ۱۸).

و قد سئل علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام عن بنى هاشم و بنى اميّه فقال عليه السّلام:

نحن أمجد و أنجد و أجود، و هم أغدر و أمكر و أنكر (المحجه البيضاء فى تهذيب الأحياء ص ۲۲۴ ج ۴).

ثمّ قال عليه السّلام:(فاسلامنا ما قد سمعتم، و جاهليّتنا لا تدفع) يريد أنّ فضائل بنى هاشم لا تختصّ بهم فى الإسلام فقط بل لهم تلك الفضائل فى زمن الجاهليه أيضا لا مدافع لهم فى ذلك، أى أنّهم كانوا من بيت شرف و مجد حيث كان الناس فى الجاهليّه الجهلاء، و قد مضى نقل طائفه منها فى شرح المختار التاسع من باب الكتب (ج ۱۷) و فى شرح المختار السابع عشر من ذلك الباب أيضا (ج ۱۸) فراجع.

و ينبغى أن نذكر فى هذا الموضع احتجاجات أتى بها نقله الاثار فى أسفارهم:

قال الشّيخ إبراهيم بن محمّد البيهقى فى كتاب المحاسن و المساوى: قيل و أتى الحسن بن علىّ عليهما السّلام معاويه بن أبى سفيان و قد سبقه ابن عباس فأمر معاويه فأنزل فبينا معاويه مع عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و زياد بن أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم و حديثهم و مجدهم فقال معاويه: أكثرتم الفخر فلو حضركم الحسن بن علىّ و عبد اللّه بن العبّاس لقصرا من أعنّتكما ما طال، فقال زياد: و كيف ذلك يا أمير المؤمنين ما يقومان لمروان بن الحكم فى غرب منطقه و لا لنا فى بواذخنا؟ فابعث إليهما فى غد حتّى نسمع كلامهما.

فقال معاويه لعمرو: ما تقول ؟ قال هذا، فابعث إليهما فى غد بعث إليهما معاويه ابنه يزيد، فأتياه و دخلا عليه و بدأ معاويه فقال: إنّى اجلّكما و أرفع قدر كما عن المسامره بالليل و لا سيّما أنت يا أبا محمّد فانّك ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سيّد شباب أهل الجنّه فشكّرا له، فلمّا استويا فى مجلسهما و علم عمرو أنّ الحدّه ستقع به قال: و اللّه لا بدّ أن أقول فإن قهرت فسبيل ذلك و إن قهرت أكون قد ابتدأت.

فقال: يا حسن إنّا تفاوضنا فقلنا: إنّ رجال بنى اميّه أصبر عند اللقاء و أمضى فى الوغى، و أوفى عهدا، و أكرم خيما، و أمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطّلب.

ثمّ تكلّم مروان فقال: و كيف لا تكون كذلك و قد قارعناكم فغلبناكم و حاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا و إن شئنا بطشنا.

ثمّ تكلّم زياد فقال: ما ينبغى لهم أن ينكروا الفضل لأهله و يجحدوا الخير فى مظانّه، نحن أهل الحمله فى الحروب و لنا الفضل على سائر الناس قديما و حديثا.

فتكلّم الحسن عليه السّلام فقال: ليس من العجز أن يصمت الرجل عند ايراد الحجّه، و لكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا و يصوّر الباطل بصوره الحقّ يا عمرو افتخارا بالكذب و جرأه على الإفك! ما زلت أعرف مثالبك الخبيثه أبديها مرّه و أمسك عنها اخرى فتأبى إلّا انهما كا فى الضلاله، أتذكر مصابيح الدّجى و أعلام الهدى و فرسان الطراد و حتوف الأقران و أبناء الطعان و ربيع الضيفان و معدن النبوّه و مهبط العلم و زعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم و قد تبيّن ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال و تساورت الأقران و اقتحمت الليوث و اعتركت المنيّه و قامت رحاؤها على قطبها و فرّت عن نابها و طار شرار الحرب فقتلنا رجالكم و منّ النبى صلى اللّه عليه و آله على ذراريكم فكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بنى عبد المطّلب! ثمّ قال: و أمّا أنت يا مروان فما أنت و الإكثار فى قريش و أنت طليق و أبوك طريد يتقلّب من خزايه إلى سوءه و لقد جيء بك إلى أمير المؤمنين فلمّا رأيت الضرغام قد دميت براثنه و اشتبكت أنيابه كنت كما قال:

ليث إذا سمع اللّيوث زئيره بصبصن ثمّ قذفن بالأبعار

و يروى رمين بالأبعار.

فلمّا منّ عليك بالعفو و أرخى خناقك بعد ما ضاق عليك و غصصت بريقك لا تقعد معنا مقعد أهل الشكر و لكن تساوينا و تجارينا و نحن ممّن لا يدركنا عار و لا يلحقنا خزايه!.

ثمّ التفت إلى زياد فقال: و ما أنت يا زياد و قريشا لا أعرف لك فيها أديما صحيحا و لا فرعا نابتا و لا قديما ثابتا و لا منبتا كريما بل كانت امّك بغيّا تداولها رجال

قريش و فخّار العرب فلمّا ولدت لم تعرف لك العرب والدا فادّعاك هذا - يعنى معاويه - بعد ممات أبيه، مالك افتخار تكفيك سميّه و يكفينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و أبى علىّ بن أبى طالب سيّد المؤمنين الّذى لم يرتدّ على عقبيه، و عمّى حمزه سيّد الشهداء و جعفر الطيار و أنا و أخى سيّدا شباب أهل الجنّه! ثمّ التفت إلى ابن عبّاس فقال: يا ابن العمّ إنّما هى بغاث الطير انقضّ عليها أجدل، فأراد ابن عبّاس أن يتكلّم فأقسم عليه معاويه أن يكفّ فكفّ ثمّ خرجا.

فقال معاويه: أجاد عمرو الكلام لو لا أنّ حجّته دحضت و تكلّم مروان لو لا أنّه نكص.

ثمّ التفت إلى زياد و قال: ما دعاك إلى محاورته ؟ ما كنت إلّا كالحجل فى كفّ البازى، فقال أفاخر رجلا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جدّه و هو سيّد من مضى و من بقى و امّه فاطمه الزّهراء السّواء، فقال عمرو: لقد أبقى عليك و لكنه طحن مروان طحن الرّحى بثفالها يأبى إلّا الإغراء بيننا و بينهم، لا جرم و اللّه لا شهدت مجلسا يكونان فيه إلّا كنت معهما على من فاخرهما.

فخلا ابن عبّاس بالحسن فقبّل بين عينيه و قال: افديك يا ابن عم، و اللّه ما زال بحرك يزخر و أنت تصول حتّى شفيتنى من أولاد البغايا.

ثم ان الحسن عليه السّلام غاب أيّاما ثمّ رجع حتى دخل على معاويه و عنده عبد اللّه بن الزبير، فقال معاويه: يا أبا محمّد انّى أظنك تعبا نصبا فأت المنزل فأرح نفسك فيه، فقام الحسن عليه السّلام فلمّا خرج قال معاويه لعبد اللّه بن الزبير: لو افتخرت على الحسن فانك ابن حوارىّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و ابن عمّته، و لأبيك فى الإسلام نصيب وافر، فقال ابن الزبير: أناله! فرجع و هو يطلب ليلته الحجج فلمّا أصبح دخل على معاويه و جاء الحسن عليه السّلام فحيّاه معاويه و سأله عن مبيته، فقال: خير مبيت و أكرم مستفاض، فلمّا استوى فى مجلسه قال ابن الزبير:

لولا أنّك خوّار فى الحرب غير مقدام ما سلّمت لمعاويه الأمر و كنت لا تحتاج إلى اختراق السهوب و قطع المفاوز تطلب معروفه و تقوم ببابه، و كنت

حریّا أن لا تفعل ذلک و أنت ابن علیّ فی بأسه و نجدته، فما أدری ما الّذی حملک علی ذلک أضعف رأی أم وهن نحیزه، فما أظنّ لک مخرجا من هاتین الخلّتین، أما و اللّه لو استجمع لی ما استجمع لک لعلمت أنّی ابن الزبیر و أنّی لا أنکص عن الأبطال و کیف لا أکون کذلک و جدّتی صفیّه بنت عبد المطّلب، و أبی الزبیر حواریّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و أشدّ النّاس بأسا و أکرمهم حسبا فی الجاهلیّه و أطوعهم لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله.

فالتفت إلیه الحسن علیه السّلام و قال: أما و اللّه لو لا أنّ بنی امیّه تنسبنی إلی العجز عن المقال لکففت عنک تهاونا، و لکن سابیّن ذلک لک لتعلم أنّی لست بالعیّ و لا کلیل اللّسان، إیّای تعیّر و علیّ تفتخر و لم یکن لجدّک بیت فی الجاهلیّه و لا مکرمه فزوّجته جدّتی صفیّه بنت عبد المطلب، فبذخ علی جمیع العرب بها و شرف بمکانها، فکیف تفاخر من هو من القلاده و اسطتها و من الأشراف سادتها نحن أکرم أهل الأرض زندا، لنا الشرف الثاقب و الکرم الغالب.

ثمّ تزعم أنّی سلمت الأمر لمعاویه فکیف یکون ذلک ویحک کذلک و أنا ابن أشجع العرب، و قد ولدتنی فاطمه سیّده نساء العالمین و خیر الإماء؟ لم أفعل ذلک ویحک جبنا و لا ضعفا و لکنّه بایعنی مثلک و هو یطلبنی ببرّه و یداجینی المودّه و لم أثق بنصرته لأنکم أهل بیت غدر، و کیف لا یکون کما أقول، و قد بایع أبوک أمیر المؤمنین ثمّ نکث بیعته و نکص علی عقبیه و اختدع حشیّه من حشایا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لیضلّ بها النّاس، فلمّا دلف نحو الأعنّه و رأی بربق الأسنّه قتل مضیعه لا ناصر له و اتی بک أسیرا قد وطئتک الکماه بأظلافها و الخیل بسنابکها و اعتلاک الأشتر فغصصت بریقک و أقعیت علی عقبیک کالکلب إذا احتوشته اللّیوث، فنحن ویحک نور البلاد و أملاکها و بنا تفخر الامّه و إلینا تلقی مقالید الأزمه، أنصول و أنت تختدع النّساء ثمّ تفتخر علی بنی الأنبیاء؟ لم تزل الأقاویل منا مقبوله و علیک و علی أبیک مردوده، دخل النّاس فی دین جدّی طائعین و کارهین، ثمّ بایعوا أمیر المؤمنین علیه السّلام فسار إلی أبیک و طلحه حین نکثا البیعه و خدعا عرس

رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقتل أبوك و طلحه و اتى بك أسيرا، فبصبصت بذنبك و ناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك، فأنت عتاقه أبى و أنا سيّدك و سيّد أبيك، فذق و بال أمرك.

فقال ابن الزبير: اعذر يا أبا محمّد فانّما حملنى على محاورتك هذا و أحبّ الإغراء بيننا فهلّا إذا جهلت أمسكت عنّى فإنّكم أهل بيت سجيّتكم الحلم و العفو.

فقال الحسن عليه السّلام: يا معاويه انظر هل أكيع عن محاوره أحد؟ ويحك أ تدرى من أىّ شجره أنا و إلى من أنتمى ؟ انته قبل أن أسمك بميسم تتحدّث به الركبان فى الافاق و البلدان.

فقال ابن الزبير: هو لذلك أهل، فقال معاويه: أما انّه قد شفى بلا بل صدرى منك و رمى مقتلك فصرت كالحجل فى كفّ البازى يتلاعب بك كيف أراد فلا أراك تفتخر على أحد بعدها.

و ذكروا أنّ الحسن بن علىّ عليه السّلام دخل على معاويه فقال متمثلا:

فيم الكلام و قد سبقت مبرّزا سبق الجواد من المدى و المقيس

فقال معاويه: إيّاى تعنى ؟ أما و اللّه لانبئنّك بما يعرفه قلبك و لا ينكره جلساؤك: أنا ابن بطحاء مكه، انا ابن أجودها جودا و أكرمها جدودا و أوفاها عهودا، أنا ابن من ساد قريشا ناشئا و كهلا.

فقال الحسن عليه السّلام: أجل إيّاك أعنى أفعلىّ تفتخر يا معاويه ؟ أنا ابن ماء السماء و عروق الثّرى و ابن من ساد أهل الدّنيا بالحسب الثابت و الشرف الفائق و القديم السابق، أنا ابن من رضاه رضى الرّحمن و سخطه سخط الرّحمن، فهل لك أب كأبى و قديم كقديمى ؟ فان قلت: لا تغلب، و إن قلت: نعم تكذب.

فقال معاويه: أقول لا تصديقا لقولك، فقال الحسن:

الحقّ أبلج ما تخون سبيله و الصدق يعرفه ذوو الألباب

و قال معاويه ذات يوم و عنده أشراف الناس من قريش و غيرهم: أخبرونى بخير الناس أبا و امّا و عمّا و عمّه و خالا و خاله و جدّا و جدّه، فقام مالك بن

العجلانـ فأومأ إلى الحسن فقال: هاهوذا أبوه علىّ بن أبى طالب رضوان اللّه عليهم و امه فاطمه بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و عمّه جعفر الطيار فى الجنان، و عمّته امّ هانىء بنت أبى طالب، و خاله القاسم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و خالته بنت رسول اللّه زينب و جدّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و جدّته خديجه بنت خويلد.

فسكت القوم و نهض الحسن، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال: أحبّ بنى هاشم حملك على أن تكلّمت بالباطل ؟ فقال ابن العجلانـ: ما قلت إلاّ حقّا و ما أحد من الناس يطلب مرضاه مخلوق بمعصيه الخالق إلاّ لم يعط أمنيّته فى دنياه و ختم له بالشقاء فى آخرته، بنو هاشم أنضرهم عودا و أوراهم زندا، كذلك يا معاويه ؟ قال: اللهمّ نعم.

قيل: و استاذن الحسن بن علىّ عليه السّلام على معاويه و عنده عبد اللّه بن جعفر و عمرو ابن العاص، فأذن له، فلمّا أقبل قال عمرو: قد جاءكم الأفّه العيّى الّذى كان بين لحييه عبله، فقال عبد اللّه بن جعفر: مه فو اللّه لقد رمت صخره ململمه تنحطّ عنها السيول و تقصر دونها الوعول و لا تبلغها السهام، فإياك و الحسن إيّاك، فانّك لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش و لقد رميت فما برح سهمك و قدحت فما أورى زندك.

فسمع الحسن الكلام فلمّا أخذ الناس مجالسهم قال: يا معاويه لا يزال عندك عبد راتعا فى لحوم الناس، أما و اللّه لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور و تحرّج منه الصدور ثمّ أنشأ يقول:

أتأمر يا معاوى عبد سهم بشتمى و الملا منّا شهود

إذا أخذت مجالسها قريش فقد علمت قريش ما ترید

قصدت إلىّ تشتمنى سفاها لضغن ما يزول و ما يبيد

فما لك من أب كأبى تسامى به من قد تسامى أو تكيد

و لا جدّ كجدّى يا ابن هند رسول اللّه إن ذكر الجدود

و لا امّ كامّى من قريش إذا ما يحصل الحسب التليد

فما مثلی تهكّم یا ابن هند و لا مثلی تجاریه العبید

فمهلا لا تهج منّا امورا یشیب لها معاویه الولید

و ذكروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاویه ذات یوم:

ابعث إلی الحسن بن علی فمره أن یخطب علی المنبر فلعلّه یحصر فیكون ذلك ممّا نعیّره به، فبعث إلیه معاویه فأصعده المنبر و قد جمع له الناس فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

یا أیّها الناس من عرفنی فأنا الّذی یعرف و من لم یعرفنی فانا الحسن بن علیّ بن أبی طالب ابن عمّ النّبی صلی اللّه علیه و آله، أنا ابن البشیر النذیر السراج المنیر أنا ابن من بعث رحمه للعالمین و سخطا للكافرین، أنا ابن من بعث إلی الجنّ و الإنس، أنا المستجاب الدّعوه، أنا ابن الشفیع المطاع، أنا ابن أوّل من ینفض رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من یقرع باب الجنّه، أنا ابن من قاتلت معه الملائكه و نصر بالرّعب من مسیره شهر، فافتنّ فی هذا الكلام و لم یزل حتّی أظلمت الدّنیا علی معاویه فقال: یا حسن قد كنت ترجو أن تكون خلیفه و لست هناك.

فقال الحسن: انما الخلیفه من سار بسیره رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و عمل بطاعه اللّه و لیس الخلیفه من دان بالجور و عطّل السنن و اتّخذ الدّنیا أبا و امّا، و لكنّ ذاك ملك أصاب ملكا یمتّع به قلیلا و كان قد انقطع عنه و استعجل لذّته و بقیت علیه تبعته فكان كما قال اللّه عزّ و جل: و إن أدری لعلّه فتنه لكم و متاع إلی حین ثمّ انصرف.

فقال معاویه لعمرو: و اللّه ما أردت إلّا هتكی، ما كان أهل الشام یرون أنّ أحدا مثلی حتّی سمعوا من الحسن ما سمعوا.

قیل: و قدم الحسن بن علیّ رضوان اللّه علیه علی معاویه فلمّا دخل علیه وجد عنده عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و المغیره بن شعبه و صنادید قومه و وجوه الیمن و أهل الشام: فلمّا نظر إلیه معاویه أقعده علی سریره و أقبل علیه بوجهه یریه السرور بمقدمه، فلمّا نظر مروان إلی ذلك حسده و كان معاویه قال

لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين فلقد قلّداكم العار و فضحاكم عند أهل الشام - يعنى الحسين بن على عليهما السّلام، و عبد اللّه بن العبّاس.

فقال مروان: يا حسن لو لا حلم أمير المؤمنين و ما قد بنى له آباؤه الكرام من المجد و العلاء ما أقعدك هذا المقعد و لقتلك و أنت له مستوجب بقودك الجماهير فلمّا أحسست بنا و علمت أن لا طاقه لك بفرسان أهل الشام و صناديد بنى اميّه أذعنت بالطاعه و احتجرت بالبيعه و بعثت تطلب الأمان، أما و اللّه لو لا ذلك لاريق دمك، و علمت أنّا نعطى السيوف حقّها عند الوغى، فاحمد اللّه إذا بتلاك بمعاويه فعفا عنك بحلمه ثمّ صنع بك ما ترى.

فنظر إليه الحسن فقال: ويحك يا مروان لقد تقلّدت مقاليد العارفى الحروب عند مشاهدتها و المخاذله عند مخالطتها، نحن - هبلتك الهوابل - لنا الحجج البوالغ و لنا إن شكرتم عليكم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاه و تدعوننا إلى النّار فشتّان ما بين المنزلتين، تفخر ببنى اميّه و تزعم أنّهم صبّر فى الحروب أسد عند اللقاء - ثكلتك امّك - اولئك البهاليل الساده و الحماه الذاده و الكرام القاده بنو عبد المطلب، أما و الله لقد رأيتهم و جميع من فى هذا البيت ما هالتهم الأهوال و لم يحيدوا عن الأبطال كاللّيوث الضاريه الباسله الحنقه، فعندها ولّيت هاربا و اخذت أسيرا فقلدت قومك العار لأنّك فى الحروب خوّار، أيراق دمى زعمت ؟ أفلا أرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما يذبح الجمل و أنت تثغو ثغاء النعجه و تنادى بالويل و الثبور كالأمه اللّكعاء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضلت عنه بسهم ؟ لقد ارتعدت فرائصك و غشى بصرك فاستغثت بى كما يستغيث العبد بربّه، فانجيتك من القتل و منعتك منه ثمّ تحثّ معاويه على قتلى و لو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عفّان، أنت معه أقصر يدا و أضيق باعا أجبن قلبا من أن تجسر على ذلك، ثمّ تزعم أنّى ابتليت بحلم معاويه أما و اللّه لهو أعرف بشأنه و أشكر لما ولّيناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضينّ جفنه على القذى معك، فو اللّه لأثخننّ أهل الشام بجيش يضيق عنها فضاؤها، و يستأصل

فرسانها ثمّ لا ينفعك عند ذلك الهرب و الرّوغان و لا يردّ عنك الطلب تدريجك الكلام فنحن ممّن لا يجهل آباؤنا القدماء الأكابر و فروعنا الساده الأخيار، انطق إن كنت صادقا.

فقال عمرو: ينطق بالخنى و تنطق بالصدق ثمّ أنشأ يقول:

قد يضرط العير و المكواه تأخذه لا يضرط العير و المكواه فى النار

ذق و بال أمرك يا مروان، و أقبل عليه معاويه فقال: قد نهيتك عن هذا الرجل و أنت تأبى إلّا انهماكا فيما لا يعنيك، اربع على نفسك فليس أبوك كأبيه و لا أنت مثله، أنت ابن الطريد الشريد و هو ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الكريم و لكن ربّ باحث عن حتفه و حافر عن مديته، فقال مروان: ارم من دون بيضتك و قم بحجّه عشيرتك، ثمّ قال لعمرو: طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصييك فلذلك تحذّره و قام مغضبا فقال معاويه: لا تجار البحور فتغمرك، و لا الجبال فتبهرك و استرح من الاعتذار.

قيل: و لقى عمرو بن العاص الحسن بن على عليه السّلام فى الطّواف فقال: يا حسن أزعمت أنّ الدّين لا يقوم إلّا بك و بأبيك ؟ فقد رأيت اللّه جلّ و عزّ أقامه بمعاويه فجعله راسيا بعد ميله و بيّنا بعد خفائه، أفرضى اللّه قتل عثمان أم من الحقّ أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطّحين ؟ عليك ثياب كغرقىء البيض و أنت قاتل عثمان، و اللّه إنّه لألمّ للشعث و أسهل للوعث أن يوردك معاويه حياض أبيك.

فقال الحسن عليه السّلام: إنّ لأهل النّار علامات يعرفون بها و هى الإلحاد لأولياء اللّه و الموالاه لأعداء اللّه، و اللّه إنّك لتعلم أنّ عليّا عليه السّلام لم يترتب فى الأمر و لم يشكّ فى اللّه طرفه عين، و أيم اللّه لتنتهينّ يا ابن امّ عمرو أو لأقرعنّ جبينك بكلام تبقى سمته عليك ما حييت، فإيّاك و الإبراز على فإنّى من قد عرفت لست بضعيف الغمزه، و لا بهشّ المشاشه، و لا بمرىء المأكله، و إنّى من قريش كأوسط القلاده، يعرف حسبى و لا ادعى لغير أبى، و قد تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك ألأمهم نسبا و أظهرهم لعنه، فإياك عنّى فانك رجس، و إنما

نحن بيت الطّهاره، أذهب اللّه عنّا الرجس و طهّرنا تطهيرا.

قيل: و اجتمع الحسن بن علىّ عليه السّلام و عمرو بن العاص، فقال الحسن عليه السّلام:

قد علمت قريش بأسرها أنّى منها فى عزّ أرومتها لم اطبع على ضعف و لم اعكس على خسف، اعرف بشبهى و ادعى لأبى.

فقال عمرو: قد علمت قريش أنّك من أقلّها عقلا و أكثرها جهلا، و انّ فيك خصالا لو لم يكن فيك إلّا واحده منهنّ لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك، لعمر اللّه لتنتهينّ عمّا أراك تصنع أو لأكبسنّ لك حافه كجلد العائط أرميك من خللها بأحرّ من وقع الأثافى أعرك منها أديمك عرك السلعه، فانّك طالما ركبت صعب المنحدر و نزلت فى اعراض الوعر التماسا للفرقه و إرصادا للفتنه و لن يزيدك اللّه فيها إلّا فظاعه.

فقال الحسن عليه السّلام: أما و اللّه لو كنت تسمو بحسبك و تعمل برأيك ما سلكت فجّ قصد و لا حللت رابيه مجد، و أيم اللّه لو أطاعنى معاويه لجعلك بمنزله العدوّ الكاشح فانّه طالما طويت على هذا كشحك و أخفيته فى صدرك و طمح بك الرجاء إلى الغايه القصوى الّتى لا يورق بها غصنك و لا يخضرّ لها مرعاك، أما و اللّه ليوشكنّ يا ابن العاص أن تقع بين لحيى ضرغام من قريش قوىّ متمنّع فروس ذى لبد يضغطك ضغط الرحى للحبّ لا ينجيك منه الروغان إذا التقت حلقتا البطان.

انتهى ما أتى به البيهقى فى المحاسن و المساوى فى المقام.

و فى محاسن البرقى: قال عمرو بن العاص للحسين عليه السّلام: ما بال أولادنا أكثر من أولادكم ؟ فقال عليه السّلام:

بغاث الطير أكثرها فراخا و امّ الصقر مقلاه نزور

فقال: ما بال الشيب إلى شواربنا أسرع منه إلى شواربكم ؟ فقال عليه السّلام:

إنّ نساءكم نساء بخره فاذا دنا أحدكم من امرأته نهكته فى وجهه فشاب منه شاربه فقال: ما بال لحاكم أوفر من لحائنا؟ فقال عليه السّلام: و البلد الطيّب يخرج نباته باذن ربّه و الذى خبث لا يخرج إلا نكدا، فقال معاويه: بحقّى عليك إلّا سكتّ

فانّه ابن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، فقال علیه السّلام:

إن عادت العقرب عدنا له و کانت النعل لها حاضره

قد علم العقرب و استیقنت أن لا لها دنیا و لا آخره

و روی ابن شهرآشوب و غیره عن أبان الأحمر أنّ شریک بن الأعور دخل علی معاویه، فقال له معاویه: و اللّه إنک لشریک و لیس للّه لشریک و أنک لابن الأعور و البصیر خیر من الأعور، و أنک لدمیم، و الجید خیر من الدمیم فکیف سدت قومک ؟ فقال له شریک: إنّک لمعاویه و ما معاویه إلاّ کلبه عوت و استعوت الکلاب، و انّک لابن صخر و السهل خیر من الصخر، و انّک لابن حرب و السلم خیر من الحرب و انّک لابن امیّه و ما امیّه إلاّ أمه صغرت فاستصغرت فکیف صرت أمیر المؤمنین ؟ فغضب معاویه و خرج شریک و هو یقول:

أ یشتمنی معاویه بن صخر و سیفی صارم و معی لسانی

فلا تبسط علینا یا ابن هند لسانک إن بلغت ذری الأمانی

و إن تک للشقاء لنا أمیرا فإنّا لا نقرّ علی الهوان

و إن تک فی امیّه من ذراها فانا فی ذری عبد المدان

و روی أنّ معاویه أرسل إلیه هدیه منها حلواء، یرید بذلک استمالته و صرفه عن حبّ علی بن أبی طالب علیه السّلام، فدخلت ابنه صغیره له خماسی أو سداسی علیه فأخذت لقمه من تلک الحلواء و جعلتها فی فمها، فقال لها أبو الأسود یا بنتی ألقیه فإنّه سمّ هذه حلواء أرسلها إلینا معاویه لیخدعنا عن أمیر المؤمنین علیه السّلام و یردّنا عن محبّه أهل البیت، فقالت الصبیّه: قبّحه اللّه یخدعنا عن السیّد المطهّر بالشّهد المزعفر تبّا لمرسله و آکله فعالجت نفسها حتّی قاءت ما أکلتها ثمّ قالت:

أبا لشهد المزعفر یا ابن هند نبیع علیک أحسابا و دینا

معاذ اللّه کیف یکون هذا و مولانا أمیر المؤمنینا

و یشبه هذا ما روی أنه دخل أبو أمامه الباهلی علی معاویه فقرّبه و أدناه ثمّ دعی بالطعام فجعل یطعم أبا أمامه بیده، ثمّ أوسع رأسه و لحیته طیبا بیده و أمر له

ببـدره من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: يا أبا أمامه باللّه أنا خير أم علىّ بن أبى طالب ؟ فقال أبو أمامه: نعم و لا كذب و لو بغير اللّه سـألتنى لصـدقت علىّ و اللّه خير منـك و أكرم و أقـدم إسـلاما و أقرب إلى رسـول اللّه صـلى اللّه عليه و آله قرابه و أشـدّ فى المشـركين نكايه و أعظم عند الامّه عناء، أ تدرى من علىّ يا معاويه ؟ ابن عمّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله، و زوج ابنته سيّده نساء العالمين، و أبو الحسن و الحسين سيّدى شباب أهل الجنّه، و ابن أخى حمزه سيّد الشهداء، و أخو جعفر ذى الجناحين، فأين تقع أنت من هـذا يا معاويه ؟ أظننت أنّى سأختيرك على علىّ عليه السّـلام بألطافك و طعامك و عطائك فأدخل إليك مؤمنا، و أخرج منـك كـافرا بئسـما سوّلت لـك نفسـك يـا معـاويه ثمّ نهض و خرج من عنـده فأتبعه بالمال، فقال: لا و اللّه لا أقبل منك دينارا واحدا.

قال تقى الدّين أبو بكر بن على الحموى فى ثمرات الأوراق فى المحاضرات: قلت:

و أمـا الأـجوبه الهاشـميّه و بلاغتها فهى فى المحل الأرفع، فمن ذلك أنه اجتمع عنـد معاويه عمرو بن العاص و الوليـد بن عقبه و عتبه بن أبى سـفيان و المغيره بن شـعبه فقـالوا: يا أمير المؤمنين ابعث لنا إلى الحسن بن على فقال لهم: فيم ؟ فقالوا: كى نوبّخه و تعرفه أنّ أبـاه قتـل عثمـان فقال لهم: إنّكم لا تنتصـفون منه و لا تقولون شـيئا إلّا كـذبكم الناس، و لا يقول لكم شـيئا ببلاغته إلّا صـدّقه الناس فقالوا: أرسل إليه فإنا سـنكفيك أمره فأرسل إليه معاويه فلمّا حضـر قال: يا حسن إنّى لم ارسل إليك و لكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع مقالتهم و أجب و لا تحرمنى.

فقال الحسن عليه السّلام فليتكلّموا و نسمع، فقام عمرو بن العاص فحمد اللّه و أثنى عليه قال: هل تعلم يا حسن أنّ أباك أوّل من أثار الفتنه و طلب الملك فكيف رأيت صنع اللّه به ؟.

ثمّ قـام الوليـد بن عقبه بن أبى معيط فحمـد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: يا بنى هاشم كنتم أصـهار عثمان بن عفان فنعم الصـهر كان يفضّـلكم و يقرّبكم ثمّ بغيتم عليه فقتلتموه و لقـد أردنا يا حسن قتل أبيك فأنقـذنا اللّه منه و لو قتلناه بعثمان ما كان علينا من اللّه ذنب.

ثمّ قام عتبه فقال: تعلم يا حسن أنّ أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك و الدّنيا فسلبها، و لقد أردنا قتل أبيك حتّى قتله اللّه تعالى.

ثمّ قام المغيره بن شعبه فكان كلامه كلّه سبّا لعلى و تعظيما لعثمان.

فقام الحسن عليه السّلام فحمد اللّه تعالى و أثنى عليه و قال: بك أبدأ يا معاويه لم يشتمنى هؤلاء، و لكن أنت تشتمنى بغضا و عداوه و خلافا لجدّى صلى اللّه عليه و آله، ثمّ التفت إلى الناس و قال: انشدكم الله أ تعلمون أنّ الرجل الّذى شتمه هؤلاء كان أوّل من آمن باللّه و صلّى القبلتين، و أنت يا معاويه يومئذ كافر تشرك باللّه، و كان معه لواء النّبىّ صلى اللّه عليه و آله يوم بدر، و مع معاويه و أبيه لواء المشركين.

ثمّ قال: أنشدكم اللّه و الإسلام، أ تعلمون أنّ معاويه كان يكتب الرسائل لجدّى صلى اللّه عليه و آله فأرسل إليه يوما فرجع الرسول و قال: هو يأكل، فردّ الرسول إليه ثلاث مرّات كلّ ذلك و هو يقول: هو يأكل، فقال النّبى صلى اللّه عليه و آله: لا أشبع اللّه بطنه، أما تعرف ذلك فى بطنك أما تعرف ذلك فى بطنك يا معاويه ؟ ثمّ قال: و أنشدكم اللّه، أ تعلمون أنّ معاويه كان يقود بأبيه على جمل و أخوه هذا يسوقه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لعن اللّه الجمل و قائده و راكبه و سائقه هذا كلّه لك يا معاويه.

و أمّا أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسه من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم حسبا و شرّهم منصبا ثمّ قمت وسط قريش فقلت: أتى شانئ محمّد فأنزل اللّه على نبيّه صلى اللّه عليه و آله: إنّ شانئك هو الأبتر، ثمّ هجوت محمّدا صلى اللّه عليه و آله بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبىّ صلى اللّه عليه و آله: اللهمّ إنّى لا أحسن الشعر و لكن العن عمرو بن العاص بكلّ بيت لعنه ثمّ انطلقت إلى النجاشى بما عملت و عملت فأكذبك اللّه و ردّك خائبا فأنت عدوّ بنى هاشم فى الجاهليّه و الإسلام فلم نلمك على بغضك.

و أمّا أنت يا ابن أبى معيط ، فكيف ألومك على سبّك لعلى و قد جلد ظهرك فى الخمر ثمانين سوطا، و قتل أباك صبرا بأمر جدّى، و قتله جدّى بأمر ربّى، و لمّا قدمه للقتل قال: من للصبيه يا محمّد، فقال: لهم النار فلم يكن لكم عن النبىّ صلى اللّه عليه و آله

إلاّ النّار، و لم يكن لكم عند عليّ غير السيف و السوط .

و أمّا أنت يا عتبه فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الّذى وجدته فى فراشك مضاجعا لزوجتك ثمّ أمسكتها بعد أن بغت.

و أمّا أنت يا أعور ثقيف ففى أىّ ثلاث تسبّ عليّا؟ أفى بعده من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ؟ أم فى حكم جائر؟ أم فى رغبه فى الدّنيا؟ فإن قلت شيئا من ذلك فقد كذبت أكذبك الناس، و إن زعمت أنّ عليّا قتل عثمان فقد كذبت و أكذبك الناس، و أمّا وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضه وقفت على نخله، فقالت لها: استمسكى فانى اريد أن أطير، فقالت لها النخله: ما عملت بوقوفك فكيف يشقّ علىّ طيرانك و أنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبّك، ثمّ نفض ثيابه و قام، فقال لهم معاويه:

ألم أقل لكم إنكم لا تنتصفون منه، فو اللّه لقد أظلم على البيت حتّى قام فليس فيكم بعد اليوم خير. انتهى.

قال سبط ابن الجوزى فى التذكره: قال أهل السير: و لمّا سلم الحسن الأمر إلى معاويه أقام يتجهّز إلى المدينه فاجتمع إلى معاويه رهط من شيعته منهم عمرو ابن العاص و الوليد بن عقبه و هو أخو عثمان بن عفّان لامّه و كان علىّ عليه السّلام قد جلّده فى الخمر، و عتبه و قالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزياره لنخجّله قبل مسيره إلى المدينه فنهاهم معاويه و قال: إنّه ألسن بنى هاشم فألحّوا عليه فارسل [إلى] الحسن فاستزاره فلمّا حضر شرعوا فتناولوا عليّا عليه السّلام و الحسن ساكت فلمّا فرغوا حمد الحسن اللّه و أثنى عليه و صلّى على رسوله محمد صلى اللّه عليه و آله قال:

إنّ الّذى أشرتم إليه قد صلّى إلى القبلتين و بايع البيعتين و أنتم بالجميع مشركون و بما أنزل اللّه على نبيّه كافرون، و أنّه حرّم على نفسه الشهوات و امتنع على اللّذات حتى أنزل اللّه فيه «يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّه لكم» و أنت يا معاويه ممّن قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه: اللهمّ لا تشبعه أو لا أشبع اللّه بطنك، أخرجه مسلم عن ابن عبّاس.

و بات أمير المؤمنين يحرس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من المشركين، و فداه بنفسه

ليله الهجره حتّى أنزل اللّه فيه «و من النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه» و وصفه بالإيمان فقال «إنما وليّكم اللّه و رسوله و الّذين آمنوا» و المراد به أمير المؤمنين و قال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: أنت منّى بمنزله هارون من موسى و أنت أخى فى الدّنيا و الاخره، و أنت يا معاويه نظر النّبى صلى اللّه عليه و آله إليك يوم الأحزاب فرأى أباك على جمل يحرّض النّاس على قتاله و أخوك يقود الجمل و أنت تسوقه فقال: لعن اللّه الراكب و القائد و السائق، و ما قابله أبوك فى موطن إلّا و لعنه و كنت معه، ولّاك عمر الشام فخنته، ثمّ ولّاك عثمان فتربّصت عليه و أنت الّذى كنت تنهى أباك عن الإسلام حتّى قلت مخاطبا له:

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا بعد الّذين ببدر أصبحوا مزقا

لا تركننّ إلى أمر تقلّدنا و الرّاقصات بنعمان به الحرقا

و كنت يوم بدر و احد و الخندق و المشاهد كلّها تقاتل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و قد علمت الفراش الّذى ولدت عليه.

ثمّ التفت إلى عمرو بن العاص و قال: أما أنت يا ابن النابغه فادّعاك خمسه من قريش غلب عليك ألأمهم و هو العاص و ولدت على فراش مشترك و فيك نزل «إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» و كنت عدوّ اللّه و عدوّ رسوله و عدوّ المسلمين و كنت أضرّ عليهم من كلّ مشرك و أنت القائل:

و لا أنثنى عن بنى هاشم بما اسطعت فى الغيب و المحضر

و عن عائب اللّات لا أنثنى و لو لا رضى اللّات لم تمطر

و أمّا أنت يا وليد فلا ألومك على بغض أمير المؤمنين فإنّه قتل أباك صبرا و جلّدك فى الخمر لمّا صلّيت بالمسلمين الفجر سكرانا و قلت أزيدكم و فيك يقول الحطيئه:

شهد الحطيئه حين يلقى ربّه أنّ الوليد أحقّ بالعذر

نادى و قد تمّت صلاتهم أ أزيدكم سكرا و ما يدرى

ليزيدهم اخرى و لو قبلوا لأتت صلاتهم على العشر

فأتوا أبا وهب و لو قبلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانک اذجريت و لو ترکوا عنانک لم تزل تجری

و سمّاک الله فی کتابه فاسقا، و سمّی أمیر المؤمنین مؤمنا فی قوله: «أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً لا یَسْتَوُونَ » و فیک یقول حسان بن ثابت و فی أمیر المؤمنین:

أنزل اللّه ذو الجلال علینا فی علیّ و فی الولید قرانا

لیس من کان مؤمنا عمرک اللّه کمن کان فاسقا خوّانا

سوف یدعی الولید بعد قلیل و علیّ إلی الجزاء عیانا

فعلیّ یجزی هناک جنانا و ولید یجزی هناک هوانا

و أمّا أنت یا عتبه فلا ألومک فی أمیر المؤمنین فإنّه قتل أباک یوم بدر و اشترک فی دم ابن عمّک شیبه، و هلّا أنکرت علی من غلب علی فراشک و وجدته نائما مع عرسک حتّی قال فیک نصر بن حجّاج:

نبّئت عتبه هیّأته عرسه لصداقه الهذلی من الحیّان

ألقاه معها فی الفراش فلم یکن فحلا و أمسک خشیه النسوان

لا تعتبن یا عتب نفسک حبّها إنّ النساء حبائل الشیطان

ثمّ نفض الحسن ثوبه و قام فقال معاویه:

أمرتکم أمرا فلم تسمعوا له و قلت لکم لا تبعثنّ إلی الحسن

فجاء و ربّ الرّاقصات عشیّه برکبانها یهوین من سرّه الیمن

أخاف علیکم منه طول لسانه و بعد مداه حین اجراره الرسن

فلمّا أبیتم کنت فیکم کبعضکم و کان خطابی فیه غبنا من الغبن

فحسبکم ما قال ممّا علمتم و حسبی بما ألقاه فی القبر و الکفن

ثمّ قال سبط ابن الجوزیّ : تفسیر غریب هذه الواقعه: قال الأصمعی و هشام ابن محمّد الکلبی فی کتابه المسمّی بالمثالب: و قد وقفت علیه معنی قول الحسن لمعاویه: قد علمت الفراش الّذی ولدت علیه أنّ معاویه کان یقال إنه من أربعه من قریش: عماره

بن الوليد بن المغيره المخزومی، و مسافر بن أبی عمرو و أبی سفیان

ص:۱۶۰

و العبّاس بن عبد المطّلب و هؤلاء كانوا ندماء أبى سفيان و كان كلّ منهم يتّهم بهند.

فأمّا عماره بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش و هو الّذى وشى به عمرو بن العاص إلى النّجاشى فدعى الساحر فنفث فى احليله فهام مع الوحش و كانت امرأه النّجاشى قد عشقته.

و أمّا مسافر بن أبى عمرو فقال الكلبى: عامه الناس على أنّ معاويه منه لأنّه كان أشدّ الناس حبّا لهند فلمّا حملت هند بمعاويه خاف مسافر أن يظهر أنّه منه فهرب إلى ملك الحيره و هو هند بن عمرو فأقام عنده، ثمّ إنّ أبا سفيان قدم الحيره فلقيه مسافر و هو مريض من عشقه لهند و قد سقى بطنه فسأله عن أهل مكّه فأخبره و قيل: إنّ أبا سفيان تزوّج هندا بعد انفصال مسافر عن مكّه فقال أبو سفيان انّى تزوجت هندا بعدك فازداد مرضه و جعل يذوب فوصف الكىّ فاحضروا المكاوىّ و الحجّام فبينا الحجّام يكويه إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق (قد يضرط - خ ل) العير و المكواه فى النّار فسارت مثلا ثمّ مات مسافر من عشقه لهند.

و ذكر هشام بن محمّد الكلبى أيضا فى كتاب المثالب و قال: كانت هند من المغيلمات و كانت تميل إلى السودان من الرجال فكانت إذا ولدت ولدا أسود قتلته قال: و جرى بين يزيد بن معاويه و بين إسحاق بن طابه بن عبيد كلام بين يدى معاويه و هو خليفه فقال يزيد لاسحاق إن خيرا لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّه أشار يزيد إلى انّ امّ إسحاق كانت تتّهم ببعض بنى حرب فقال له إسحاق انّ خيرا لك ان يدخل بنو العبّاس كلهم الجنّه فلم يفهم يزيد قوله و فهم معاويه فلمّا قام إسحاق قال معاويه ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك قال: قصدت شين إسحاق قال: و هو كذلك أيضا قال: و كيف ؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش فى الجاهليه يزعمون أنّى للعبّاس فسقط فى يدى يزيد.

و قال الشعبى: و قد أشار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى هند يوم فتح مكّه بشىء من هذا فانّها لما جاءت تبايعه و كان قد أهدر دمها فقالت: على ما ابايعك ؟ فقال:

على أن لا تزنين، فقالت: و هل تزنى الحرّه ؟ فعرفها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فنظر إلى

عمر فتبسم.

و أمّا قول الحسن عليه السّلام لعمرو بن العاص: ولدت على فراش مشترك فذكر الكلبى أيضا فى المثالب قال: كانت النابغه ام عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكّه فوقع عليها العاص بن الوائل فى عدّه من قريش منهم أبو لهب و اميّه بن خلف و هشام بن المغيره و أبو سفيان بن حرب فى طهر واحد.

قال ابن الكلبى: و كان الزّناه الّذين اشتهروا بمكّه جماعه منهم هؤلاء المذكورون، و اميّه بن عبد الشمس، و عبد الرّحمن بن الحكم بن أبى العاص أخو مروان بن الحكم، و عتبه بن أبى سفيان أخو معاويه، و عقبه بن أبى معيط فلمّا حملت النابغه بعمرو تكلّموا فيه فلمّا وضعته اختصم فيه الخمسه الّذين ذكرناهم كلّ واحد يزعم أنّه ولده و ألّب عليه العاص بن وائل و أبو سفيان بن حرب كلّ واحد يقول: و اللّه إنّه منّى فحكّما النابغه فاختارت العاص فقالت: هو منه، فقيل لها ما حملك على هذا و أبو سفيان أشرف من العاص ؟ فقالت: هو كما قلتم إلا انّه رجل شحيح، و العاص جواد ينفق على بناتى، و أبو سفيان لا ينفق عليهنّ و كان لها بنات.

و أمّا قول الحسن عليه السّلام للوليد بن عقبه: و جلدك علىّ فى الخمر، فذكر أرباب السّير قاطبه: أنّ عثمان بن عفّان ولّى الوليد بن عقبه الكوفه سنه ستّ و عشرين و كان الوليد مدمنا على شرب الخمر و كان يجلس على الشراب و عنده ندماؤه و مغنّوه طول الليل إلى الفجر فإذا أذنه المؤذّن بصلاه الفجر خرج سكرانا فصلّى بهم فخرج يوما فى غلاله لا يدرى أين هو فتقدّم إلى المحراب فصلّى بهم الفجر أربعا و قال: أزيدكم ؟ فقال له عبد اللّه بن مسعود: ما زلنا معك فى زياده منذ اليوم، و لما سجد قال فى سجوده: اشرب و اسقنى، فناداه عتاب بن غيلان الثقفى: سقاك اللّه المهل و من بعثك أميرا علينا، ثمّ حصبه و حصبه أهل المسجد، فدخل الوليد القصر و هو يترنّح فنام فى سريره، فهجم عليه جماعه منهم أبو جندب بن زهير الأسدىّ و ابن عوف الأزدىّ و غيرهما و هو سكران لا يعى فأيقظوه فلم يتنبه، ثمّ قاء عليهم

الخمر فنزعوا خاتمه من يده و خرجوا من فورهم إلى المدينه، فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد أنّه شرب الخمر، فقال: و ما يدريكم أنّه شرب خمرا؟ قالوا:

شرب الخمر الّذى كنّا نشر به فى الجاهليّه فزبرهما و نال منهما فخرجا من عنده فدخلا على علىّ عليه السّلام و أخبراه بالقصّه، فدخل على عثمان فقال له: دفعت الشهود و أبطلت الحدود، قال له: فما ترى ؟ فقال: تبعث إلى الفاسق فتحضره فان قامت عليه البيّنه حددته فأرسل إلى الوليد فأحضره فشهدوا عليه و لم يكن له حجّه فرمى عثمان السّوط إلى علىّ عليه السّلام و قال له: حدّه، فقال علىّ لولده الحسن: قم فحدّه، فامتنع الحسن عليه السّلام و قال: يتولّى حارّها من تولّى قارّها و القرّ البرد و معناه يتولاّه و الى الأمر، فقال لعبد اللّه بن جعفر: قم فاجلده فامتنع فلمّا رآهم لا يفعلون توقّيا لعثمان أخذ السوط و دنى من الوليد فسبّه الوليد فقال له عقيل بن أبى طالب: يا فاسق ما تعلم من أنت أ لست علجا من أهل صفوريّه قريه بين عكّا و اللّجون من أعمال الاردن كان أبوك يهوديّا منها فجعل الوليد يحيد عن علىّ فأخذه فضرب به الأرض فقال له عثمان: ليس لك ذلك فقال: بلى و شرّ من ذلك إذ فسق ثمّ يمتنع أن يؤخذ منه حقّ اللّه تعالى ثمّ جلده أربعين.

و قد أخرج أحمد فى المسند معنى هذا فقال: حدّثنا يزيد بن هارون، ثنا سعيد بن أبى عرونه، عن عبد اللّه بن الدّاناج، عن حصين بن المنذر بن الحرث بن و عله قال: لمّا قال علىّ عليه السّلام للحسن: قم فاجلده، قال: و فيم أنت و ذاك فقال علىّ عليه السّلام: بل عجزت و وهنت قم يا عبد اللّه بن جعفر فاجلده، فقام فجلده و علىّ عليه السّلام يعدّ حتّى بلغ أربعين، قال: أمسك، ثمّ قال: جلد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى الخمر أربعين، و ضرب أبو بكر أربعين، و ضربها عمر صدرا من خلافته، ثمّ أتمّ ثمانين و كلّ سنّه.

فان قيل: فقد روى أحمد فى المسند أيضا عن علىّ عليه السّلام انه قال: ما من رجل أقمت عليه حدّا فمات فأجد فى نفسى منه إلّا صاحب الخمر فانّه لو مات لوديته لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يسنّه و أخرجاه فى الصحيحين فكيف تقول: و كلّ سنّه ؟

قلنا: لا خلاف أنّ النّبیّ صلی اللّه علیه و آله ضرب فی الخمر فالضرب فی الجمله سنّه و العدد ثبت باجماع الصحابه.

قال السبط : و قیل: هذه القصّه إنّما جرت للحسن علیه السّلام مع معاویه و الولید و من سمیناهم بالشام لأنّ الحسن کان یعد علی معاویه کلّ حین و معه الحسین، قلت:

و قد دعی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله علی الولید بن عقبه لمّا ردّ أمانه، فقال أحمد فی المسند حدّثنا عبید اللّه بن عمر، ثنا عبد اللّه بن داود، ثنا نعیم بن حکیم، عن ابن أبی مریم عن علیّ علیه السّلام قال: جاءت امرأه الولید بن عقبه تشکوه إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قالت:

یا رسول اللّه إنّ الولید یضربنی فقال: اذهبی إلیه و قولی له: قد أجارنی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلم تلبث إلّا یسیرا، حتّی جاءت فقالت: ما زادنی إلّا ضربا، فأخذ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله هدبه من ثوبه فدفعها إلیها و قال لها: قولی هذا أمانی من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلم تلبث إلّا یسیرا حتّی جاءت فقالت: یا رسول اللّه ما زادنی إلّا ضربا، فرفع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یدیه و قال: اللهمّ علیک بالولید، و فی روایه علیک بالفاسق.

و اختلفوا فی معنی تسمیته بالفاسق علی قولین: أحدهما أنّ الولید قال یوما لعلی علیه السّلام: أ لست أبسط منک لسانا و أحدّ سنانا، فنزلت: «أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً لا یَسْتَوُونَ » ذکره ابن عبّاس.

و الثانی أنّ النّبیّ صلی اللّه علیه و آله بعثه سنه ثمان من الهجره إلی بنی المصطلق یصدقهم و کانوا قد أسلموا و بنوا المساجد، فلما بلغهم قدوم الولید خرجوا یتلقّونه بالهدایا و السلاح فرحا به، فلمّا رآهم ولّی راجعا إلی المدینه، فقال: یا رسول اللّه قد منعوا الزکاه و قاموا إلیّ بالسّلاح فابعث إلیهم البعوث، فقدم الحارث بن عباد علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال له: یا حارث أردت قتل رسولی و منعت الزکاه ؟! فقال: و الّذی بعثک بالحق ما وصل إلینا و إنّما رجع من الطریق، و لقد کذب فأنزل اللّه: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا » - الایه.

و ذکر هشام بن محمّد الکلبی عن محمّد بن إسحاق قال: بعث مروان بن الحکم و کان والیا علی المدینه رسولا إلی الحسن علیه السّلام فقال له: یقول لک مروان: أبوک الّذی فرّق الجماعه و قتل أمیر المؤمنین عثمان و أباد العلماء و الزّهاد - یعنی الخوارج

و أنت تفخر بغيرك، فاذا قيل لك من أبوك تقول: خالى الفرس.

فجاء الرسول إلى الحسن فقال له: يا أبا محمّد إنّى أتيتك برساله ممن يخاف سطوته و يحذر سيفه فإن كرهت لم أبلغك إيّاها و وقيتك بنفسى، فقال الحسن:

لا- بل تؤدّيها و نستعين عليه باللّه فأدّاها فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقا فاللّه يجزيك بصدقك، و إن كنت كاذبا فاللّه أشدّ نقمه، فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين فقال: من أين أقبلت ؟ فقال: من عند أخيك الحسن، فقال: و ما كنت تصنع ؟ قال: أتيت برساله من عند مروان، فقال: و ما هى ؟ فامتنع الرسول من أدائها، فقال: لتخبرنى أو لأقتلنّك فسمع الحسن فخرج و قال لأخيه: خلّ عن الرجل، فقال: لا و اللّه حتى أسمعها فأعادها الرسول عليه فقال له: قل له: يقول لك الحسين بن علىّ و فاطمه: يا ابن الزرقاء الداعيه إلى نفسها بسوق ذى المجاز، صاحبه الرايه بسوق عكاظ ، و يا ابن طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و لعينه، اعرف من أنت و من امّك و من أبوك.

فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا. فقال له: ارجع إلى الحسن و قل له: أشهد انك ابن رسول اللّه و قل للحسين: أشهد أنك ابن علىّ بن أبى طالب فقال للرسول قل له كلاهما لى و رغما.

قال قال الأصمعى: أما قول الحسين: يا ابن الداعيه إلى نفسها فذكر ابن إسحاق أنّ امّ مروان اسمها اميّه و كانت من البغايا فى الجاهليّه و كان لها رايه مثل رايه البيطار تعرف بها و كانت تسمى ام حتبل الزرقاء و كان مروان لا يعرف له أب و إنما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص.

و أما قوله: يا ابن طريد رسول اللّه يشير إلى الحكم بن أبى العاص بن اميّه ابن عبد شمس، أسلم الحكم يوم الفتح و سكن المدينه و كان ينقل أخبار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى الكفّار من الأعراب و غيرهم و يتجسّس عليه، قال الشعبى:

و ما أسلم إلاّ لهذا و لم يحسن إسلامه و رآه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوما و هو يمشى و يتخلّج فى مشيته يحاكى رسول اللّه فقال له: كن كذلك فما زال يمشى كأنه يقع على وجهه و نفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى الطائف و لعنه فلمّا توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كلّم عثمان أبا بكر

أن يردّه لأنه كان عمّ عثمان فقال أبو بكر: هيهات شيء فعله رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و اللّه لا اخالفه أبدا فلمّا مات أبو بكر و ولى عمر كلمه فيه فقال: يا عثمان أما تستحى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و من أبى بكر تردّ عدوّ اللّه و عدوّ رسوله إلى المدينه ؟ و اللّه لا كان هذا أبدا فلمّا مات عمرو ولّى عثمان ردّه فى اليوم الّذى ولّى فيه و قرّبه و أدناه و دفع له مالا عظيما و رفع منزلته فقام المسلمون على عثمان و أنكروا عليه و هو أوّل ما أنكروا عليه و قالوا: رددت عدوّ اللّه و رسوله و خالفت اللّه و رسوله فقال:

إنّ رسول اللّه وعدنى بردّه فامتنع جماعه من الصحابه عن الصّلاه خلف عثمان لذلك.

ثمّ توفى الحكم فى خلافته فصلّى عليه و مشى خلفه فشقّ ذلك على المسلمين و قالوا: ما كفاك ما فعلت حتّى تصلّى على منافق ملعون لعنه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و نفاه فخلعوه و قتلوه و اعطى ابنه مروان خمس غنائم افريقيّه خمسمائه ألف دينار، و لمّا بلغ عايشه أرسلت إلى عثمان أما كفاك أنك رددت المنافق حتّى تعطيه أموال المسلمين و تصلّى عليه و تشيّعه بهذا السبب ؟ قالت: اقتلوا نعثلا قتله اللّه فقد كفر، و لمّا بلغ مروان انكارها جاء إليها يعاتبها فقالت: اخرج يا ابن الزرقاء انّى أشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنه لعن أباك و أنت فى صلبه.

قال الشعبى: إنّ مروان ولد سنه اثنتين من الهجره و أبوه إنّما أسلم يوم الفتح و نفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بعد ذلك، قلت: و قد ذكر ابن سعد فى الطبقات معنى الحكايه الّتى حكيناها عن ابن إسحاق و رساله مروان إلى الحسن. انتهى ما أردنا من نقل كلام سبط ابن الجوزى فى التذكره.

و أقول: سيأتى توضيح كلام الإمام المجتبى عليه السّلام فى عمرو بن العاص العاصى:

فادّعاك خمسه من قريش فى تفسير كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عمرو بن العاص.

و أمّا قول الكلبى و الأصمعى أنّ معاويه كان من أربعه من قريش فقد روى الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار أيضا أنّ معاويه كان يعزى إلى أربعه:

إلى عمرو بن مسافر، و إلى عماره بن الوليد، و إلى العبّاس بن عبد المطّلب

و إلى الصباح مغنّ أسود كان لعماره، قال قالوا: كان أبو سفيان و سيما قصيرا، و كان الصباح عسيفا لأبى سفيان شابّا و سيما فدعته هند إلى نفسها، و قالوا: إنّ عتبه بن أبى سفيان من الصباح أيضا و انّها كرهت أن تضعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك و فى ذلك قال حسان بن ثابت:

لمن الصبى بجانب البطحاء فى الأرض ملقى غير ذى مهد

بخلت به بيضاء آنسه من عبد شمس صلته الخدّ

و أقول: هذان البيتان من أبيات توجد فى آخر ديوان حسّان على ما فى نسخه مخطوطه من ديوانه فى مكتبتنا، و الأبيات معنونه بهذا العنوان: و قال حسّان لهند بنت عتبه بن أبى ربيعه، و بعد البيتين:

تسعى الصباح معوله يا هند انك صلبه الحرد

فإذا تشادعت بمقطره تذكى لها بالودّه الهند

غلبت على شبه الغلام و قد بان السواد لحالك جعد

أشرت لكاع و كان عادتها دقّ المشاش بناجذ جلد

فحرّى لمعاويه أن يباهى و يفتخر قائلا: اولئك آبائى فجئنى بمثلهم.

و أمّا قوله: إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق (يضرط - خ ل) العير و المكواه فى النار فقال الميدانى فى مجمع الأمثال: و يقال: إنّ أوّل من قاله مسافر ابن أبى عمرو بن اميّه و ذلك أنّه كان يهوى بنت عتبه و كانت تهواه فقالت: إنّ أهلى لا يزوّجوننى منك انك معسر، فلو قد وفدت إلى بعض الملوك لعلك تصيب مالا فتتزوّجنى، فرحل إلى الحيره وافدا إلى النعمان فبيناهم مقيم عنده إذ قدم عليه قادم من مكّه فسأله عن خبر أهل مكّه بعده فأخبره بأشياء و كان منها أنّ أبا سفيان تزوّج هندا فطعن مسافر من الغمّ فأمر النعمان أن يكوى فأتاه الطبيب بمكاويه فجعلها فى النار ثمّ وضع مكواه منها عليه و علج من علوج النعمان واقف فلمّا رآه يكوى ضرط فقال مسافر: قد يضرط العير و يقال: إنّ الطبيب ضرط .

و أمّا ما نقل السبط من قول أمير المؤمنين على عليه السّلام لولده الحسن عليه السّلام: قم فحدّه فامتنع الحسن، و ما روى أحمد فى المسند من أنّ عليّا عليه السّلام لما قال للحسن عليه السّلام قم فاجلده قال الحسن عليه السّلام و فيم أنت و ذاك، ففيهما كلام لأنّ امتناع الإمام المجتبى عليه السّلام عمّا أمره به أبوه أمير المؤمنين عليه السّلام فدونه خرط القتاد.

و أمّا ما نقله من حدّ شارب الخمر و من أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام جلد الوليد أربعين فالبحث عنه يوجب الإسهاب فانّه يؤدّى إلى شعب كثيره من مسائل فقهيه و غيرها و لذلك نكتفى على نقل ما أتى به صاحب الجواهر فى شرح كتاب الحدود من كتاب الشرائع قال - ره -:

حدّ المسكر ثمانون جلده بلا خلاف أجده فيه بل الاجماع بقسميه عليه بل المحكى منهما مستفيض أو متواتر كالنصوص، لكن فى حسن الحلبى سئل الصّادق عليه السّلام أرأيت النبىّ صلى اللّه عليه و آله كيف يضرب بالخمر؟ قال: كان يضرب بالنعال و يزيد إذا أتى بالشارب ثمّ لم يزل الناس يزيدون حتّى وقف ذلك على ثمانين أشار بذلك علىّ عليه السّلام على عمر.

و نحوه خبر أبى بصير عنه عن أمير المؤمنين عليه السّلام معلّلا بأنه إذا شرب سكر و إذا سكر هذى و إذا هذى افترى فاذا فعل ذلك فاجلدوه حدّى المفترى ثمانين.

بل فى المسالك روى العامه و الخاصّه أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله كان يضرب الشارب بالأيدى و النعال و لم يقدّره بعدد فلمّا كان فى زمن عمر استشار أمير المؤمنين عليه السّلام فى حدّه فأشار عليه أن يضربه ثمانين معلّلا له بأنه إذا شرب سكر و إذا سكر هذى و إذا هذى افترى فجلده عمر ثمانين و عمل بمضمونه أكثر العامّه.

و ذهب بعضهم إلى أربعين مطلقا لما روى أنّ صحابه قد رووا ما فعل فى زمانه صلّى اللّه عليه و آله بأربعين و كان التقدير المزبور عن أمير المؤمنين عليه السّلام من التفويض الجائز لهم.

و من الغريب ما فى كتاب الإستغاثه فى بدع الثلاثه من أنّ حدّ الشارب

الثمانين من بدع الثانى، و أنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله جعل حدّه أربعين بالنعال العرين و جرائد النخل باجماع أهل الروايه، و انّ الثانى قال: إذا سكر افترى و انه افترى حدّ حدّ المفترى، و فى كشف اللثام و لعلّه أراد إلزامهم باعترافهم كما فى الطرائف من قوله و من طريف ما شهدوا به أيضا على خليفتهم عمر من تغييره لشريعه نبيّهم صلى اللّه عليه و آله و قلّه معرفته بمقام الأنبياء و خلفائهم ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين من مسند أنس بن مالك فى الحديث الحادى و التسعين من المتفق عليه انّ النّبى ضرب فى الخمر بالجرائد و النعال و جلد أبو بكر أربعين فلمّا كان عمر استشار الناس فقال عبد الرّحمن أخفّ الحدود ثمانون فأمر به عمر.

و ذكر الحميدى أيضا فى كتاب الجمع بين الصحيحين فى مسند السائب بن يزيد فى الحديث الرابع من أفراد البخارى قال: كنّا نؤتى بالشارب على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و إمره أبى بكر و شطر من خلافه عمر فنتقدّم إليه بأيدينا و نعالنا و ارديتنا حتّى كان آخر امره عمر فجلد أربعين حتّى إذا عتوا و فسقوا جلد ثمانين.

ثمّ إنّ ظاهر النصّ و الفتوى اعتبار الثمانين مترتبه لكن فى خبر زراره سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ الوليد بن عقبه حين شهد عليه بشرب الخمر قال عثمان لعلىّ عليه السّلام: اقض بينه و بين هؤلاء الّذين زعموا أنه شرب الخمر، قال: فأمر علىّ عليه السّلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلده فصارت ثمانين.

و فى خبره الاخر سمعته أيضا يقول: اقيم عبيد بن عمر و قد شرب الخمر فأمر عمر أن يضرب فلم يتقدّم عليه أحد يضربه حتّى قام علىّ عليه السّلام بنسعه مثنيه لها طرفان فضربه أربعين، و يمكن حملهما على جواز ذلك لمصلحه و اللّه العالم، و كيف كان فالمشهور بين الأصحاب شهره عظيمه كادت تكون اجماعا أنه لا فرق فى الثمانين رجلا كان الشارب أو امرأه حرّا كان أو عبدا بل عن صريح الغنيه و ظاهر غيرها الإجماع عليه، انتهى ما أردنا من نقل كلامه طيّب اللّه رمسه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و كتاب اللّه يجمع لنا - إلى قوله: أولى بالطاعه) احتجّ عليه السّلام بايتين من القرآن الكريم على أولويّته من غيره فى أمر الخلافه و استنتج من

الاولى أولويّته بالخلافه بقرابته إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و من الثانيه أولويّته بالخلافه بطاعه الرسول و لا يخفى على اولى الألباب حسن استنباطه عليه السّلام هذا المعنى من القرآن الكريم.

كما لا يخفى عليهم أنّه عليه السّلام كان من أخصّ اولى الأرحام بالرسول صلى اللّه عليه و آله، و كان أقرب الخلق إلى اتباعه و ناهيك فى المقام قوله عليه السّلام: و لقد قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و انّ رأسه لعلى صدرى و لقد سالت نفسه فى كفّى فأمر رتها على وجهى و لقد وليت غسله صلى اللّه عليه و آله و الملائكه أعوانى فضجّت الدار و الأفنيه ملأ يهبط و ملأ يعرج و ما فارقت سمعى هنيمه منهم يصلّون حتّى و ارياه فى ضريحه فمن ذا أحقّ به منّى حيّا و ميّتا؟، كما مضى فى المختار ۱۹۵ من باب الخطب، و قد مضت طائفه من كلامنا فى الإمام و صفاته فى شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب فراجع (ص ۳۵ - ۱۷۶ ج ۱۶).

ثمّ إنّه عليه السّلام أتى بعد آيه اولى الأرحام بالايه الثانيه لأنّ الأمر الأهمّ هو الإتباع و لولاه لا ينفع القرابه ألا ترى قوله عزّ و جلّ خطابا لنوح عليه السّلام فى أمر ولده: «انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح».

ثمّ قال عليه السّلام:(و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفه - إلى قوله:

على دعويهم) ثمّ احتجّ عليه السّلام على معاويه بما ظفر المهاجرون يوم السقيفه على الأنصار و ذلك أنّه قالت الأنصار يوم السقيفه للمهاجرين: منّا أمير و من قريش أمير و قال المهاجرون: نحن شجره الرسول و عشيرته و رووا عنه صلى اللّه عليه و آله الأئمه من قريش فغلبوا بذلك على الأنصار (ص ۱۸۳۸ من تاريخ الطبرى) فاحتجّ أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام على معاويه بأنّ ظفرهم على الأنصار إن كان لقربهم منه صلى اللّه عليه و آله فالحقّ لنا، أى فالحقّ لأهل بيته، و من كان من أخصّ اولى الأرحام بالرسول و أقربهم إليه أولى بذلك الحقّ ، و إن كان بغيره فالأنصار على دعويهم أى لم يتمّ حجّه المهاجرين عليهم فلم يتحقّق إجماع الصحابه على خلافه من جعل خليفه المسلمين منذ قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سيأتى عن قريب فى شرح هذا

الكتاب نحو احتجاجه هذا لمّا أتى به إلى أبى بكر للبيعه المنقول من كتاب الامامه و السياسه للدينورى.

و بالجمله أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام احتجّ على معاويه بالكتاب العزيز أوّلا بأنّه مرّه أولى بالخلافه بقرابه الرسول صلى اللّه عليه و آله و تاره أولى بها بالطاعه، ثمّ احتجّ عليه بما غلب المهاجرون على الأنصار يوم السقيفه بأنّ ظفر المهاجرين عليهم إن كان لقربهم من الرّسول صلى اللّه عليه و آله فهو عليه السّلام أولى بالخلافه من غيره لقربه من الرسول بمادريت، و إن كان لغير القرابه فلم يتمّ أمر الخلافه فى الخلفاء الثلاث فما كتب معاويه فى كتابه المنقول آنفا ليس بصحيح لأنّه قال فى ذلك الكتاب: فكان أفضلهم مرتبه و أعلاهم عند اللّه و المسلمين منزله الخليفه الأوّل الّذى جمع الكلمه - ثمّ الخليفه الثانى الّذى فتح الفتوح - ثمّ الخليفه الثالث المظلوم الّذى نشر الملّه - إلخ - فاذا كان الأنصار على دعويهم لم يتحقّق إجماع على خلافه هؤلاء.

على أنّ معاويه كان أجنبيّا من النّبى صلى اللّه عليه و آله و الأنصار كليهما بلا كلام فلا يجوز له دعوى الخلافه فليس لمثله حقّ فيها.

و قد مضى نحو كلامه عليه السّلام هذا فى المختار التاسع (ص ٣٣٠ ج ١٧) حيث قال عليه السّلام: لأنّ اللّه جلّ ذكره لمّا قبض نبيّه صلى اللّه عليه و آله قالت قريش: منّا أمير و قالت الأنصار: منّا أمير فقالت قريش: منّا محمّد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فنحن أحقّ بذلك الأمر فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولايه السلطان فاذا استحقّوها بمحمّد صلى اللّه عليه و آله دون الأنصار فانّ أولى النّاس بمحمّد صلى اللّه عليه و آله أحقّ بها منهم و إلّا فانّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيبا فلا أدرى أصحابى سلموا من أن يكونوا حقّى أخذوا أو الأنصار ظلموا عرفت أنّ حقّى هو المأخوذ - إلخ.

قلت: و من كلامه هذا يستفاد حمل قوله: و إن يكن بغيره فالأنصار على دعويهم، على أنّ دعويهم منّا أمير و منكم أمير بحالها، فانّهم أعظم العرب فيها نصيبا فهم منعوا عن حقّهم ظلما، و هذا وجه آخر فهم من كلامه هذا بقرينه كلامه ذلك، و إن كان يستلزم هذا الوجه المعنى الأوّل أيضا.

قال المسعودی فی مروج الذّهب: بایع النّاس أبا بکر فی سقیفه بنی ساعده ابن کعب بن الخزرج الأنصاری فی یوم الاثنین الّذی توفّی فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و لمّا بویع أبو بکر فی یوم السقیفه و جددت البیعه له یوم الثلاثاء، خرج علیّ علیه السّلام فقال: أفسدت علینا امورنا و لم تستشر و لم ترع لنا حقّا، فقال أبو بکر: بلی، و لکن خشیت الفتنه، و کان للمهاجرین و الأنصار یوم السقیفه خطب طویل و محادثه فی الإمامه، و خرج سعد بن عباده و لم یبایع، و لم یبایع أبا بکر أحد من بنی هاشم حتّی ماتت فاطمه علیها السّلام.

قال: و لما احتضر أبو بکر قال: ما أنا إلّا علی ثلاث فعلتها وددت أنّی ترکتها، و ثلاث ترکتها وددت أنّی فعلتها، و ثلاث وددت أنّی سألت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فأمّا الثلاث الّتی فعلتها و وددت أنّی ترکتها فوددت أنّی لم أکن فتشت بیت فاطمه و ذکر فی ذلک کلاما کثیرا، و وددت أنّی أکن حرقت الفجاءه و أطلقته نجیحا أو قتلته صریحا، و وددت أنّی یوم سقیفه بنی ساعده قد رمیت الأمر فی عنق أحد الرجلین فکان أمیرا و کنت وزیرا، إلخ.

قلت: قد ذکر نحو کلام المسعودی فی مروج الذهب ابن عبد البرّ فی کتاب الاستیعاب حیث قال فی ترجمه أبی بکر: أنه بویع له بالخلاقه الیوم الّذی قبض فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی سقیفه بنی ساعده، ثمّ بویع البیعه العامّه یوم الثلثاء من غد ذلک الیوم و تخلّف عن بیعته سعد بن عباده، و طائفه من الخزرج، و فرقه من قریش. انتهی.

و نقل نحوهما غیر واحد من حمله الأخبار غیرهما و فیه دلیل بیّن علی اختلاف القوم فی بیعته و عدم توافقهم فی خلافته.

و قال الیعقوبی فی تاریخه: اجتمعت الأنصار فی سقیفه بنی ساعده یوم توفّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هو بعد لم یغسل - إلی أن قال: و قام المنذر بن الأرقم فقال:

إنّ فیهم رجلا لو طلب هذا الأمر لم ینازعه فیه أحد - قال: یعنی علیّ بن أبی طالب - و جاء البراء بن عازب فضرب الباب علی بنی هاشم و قال: یا معشر بنی هاشم بویع أبو بکر، فقال بعضهم: ما کان المسلمون یحدّثون حدثا نغیب عنه و نحن أولی

بمحمّد صلى اللّه عليه و آله، فقال العبّاس: فعلوها و ربّ الكعبه.

قال: و كان المهاجرون و الأنصار لا يشكّون فى علىّ عليه السّلام فلما خرجوا من الدار، قام الفضل بن العبّاس و كان لسان قريش فقال: يا معشر قريش إنّه ما حقت لكم الخلافه بالتمويه و نحن أهلها دونكم و صاحبنا أولى بها منكم، و قام عتبه ابن أبى لهب فقال:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبى الحسن

عن أوّل النّاس إيمانا و سابقه و أعلم النّاس بالقرآن و السنن

و آخر النّاس عهدا بالنبىّ و من جبريل عون له بالغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

فبعث إليه علىّ عليه السّلام فنهاه، و تخلّف عن بيعه أبى بكر قوم من المهاجرين و الأنصار و مالوا مع علىّ بن أبى طالب منهم العبّاس بن عبد المطّلب، و الفضل بن العبّاس، و الزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسىّ ، و أبو ذرّ الغفارىّ ، و عمّار بن ياسر، و البراء بن عازب، و ابىّ ابن كعب. انتهى كلامه.

قلت: و من هنا سمّيت الطّائفه الحقّه الاثنا عشريّه بالرافضه كما قال شيخ الطائفه أبو جعفر الطوسى قدّس سرّه: من أنّ سبعه عشر رجلا من الصّحابه و مع علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام ثمانيه عشر أبوا عن بيعه أبى بكر، فقال غيرهم ممّن بايعوا أبا بكر فى هؤلاء: رفضونا أى تركونا و لم يوافقونا فى البيعه.

و كان فيمن تخلّف عن بيعه أبى بكر أبو سفيان بن حرب، و قال: أرضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم، و قال لعلىّ عليه السّلام: امدد يدك ابايعك، و مضى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام لمعاويه: و قد كان أبوك أتانى حين ولى النّاس أبا بكر فقال: أنت أحقّ بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله بهذا الأمر و أنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك ابسط يدك ابايعك فلم أفعل، فراجع إلى شرح المختار التاسع (ص ۳۳۱ ج ۱۷ و ص ۷ ج ۱۸).

قوله عليه السّلام:(و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت و على كلّهم بغيت - إلى قوله: ظاهر عنك عارها) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه، إلى قوله: ثمّ كرهت خلافه عمر و حسدته، إلى قوله: لم تكن أشدّ منك حسدا لابن عمّك عثمان إلى قوله: و ما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه و قال عليه السّلام فإن يكن ذلك كذلك أى لا نسلّم أوّلا على أنّى حسدت هؤلاء و أنت كاذب فى دعواك هذه.

أقول: قد مرّ تحقيق ذلك فى المختار ٢٣٧ من باب الخطب فى البحث عن الامامه من أنّ جميع الذّنوب أربعه أوجه لا خامس لها: الحرص و الحسد و الغضب و الشهوه فهذه منفيه عن الامام (فراجع إلى ص ۴۴ ج ١۶).

و ثانيا على فرض التسليم و المماشاه معكم فى تلك الدعوى بأن تكون صادقا فيها فليس الجنايه عليك حتّى أعتذر إليك و ذلك لما مرّ غير مرّه من أنّ معاويه لم يكن وليّ دم عثمان كى يطلب دمه بل كلامه فى ذلك من الفضول و خوض فيما لا يعنيه، على أنّ أمير المؤمنين عليًا عليه السّلام كان يذبّ عنه حتّى قال عليه السّلام:

ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّى لأستحى، و قد دريت أنّ عثمان قتل نفسه بأحداثه الّتى أحدثها ممّا نقمها الناس منه و طعنوا بها عليه فراجع إلى شرحنا على المختار التاسع من باب الكتب (ص ٣٩۵ ج ١٧)، و قد تمثّل عليه السّلام تأكيدا لكلامه ليس الجنايه عليك فيكون العذر إليك بقول أبى ذؤيب الهذلى و قد تقدّم بيانه فى شرح اللغات على التفصيل.

ثمّ قد مضى نحو كلامه هذا فى المختار التّاسع من باب الكتب حيث قال عليه السّلام: و ذكرت حسدى الخلفاء و إبطائى عنهم و بغيى عليهم فأما البغى فمعاذ اللّه أن يكون، و أمّا الإبطاء عنهم و الكراهه لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس - إلخ (ص ٣٣٠ ج ١٧).

قوله عليه السّلام:(و قلت: إنّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى ابايع - إلى قوله: بقدر ما سنح من ذكرها) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: و تلكّأت

فی بیعته حتّی حملت علیه قهرا تساق بحزائم الاقتسار کما یساق الفحل المخشوش.

و کان کلام معاویه فی کتابه المنقول فی شرح المختار التاسع (ص ۳۲۷ ج ۱۷) إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام: فکان أفضلهم فی إسلامه و أنصحهم للّه و لرسوله الخلیفه من بعده و خلیفه خلیفته، و الثالث الخلیفه المظلوم عثمان فکلّهم حسدت و علی کلّهم بغیت، عرفنا ذلک فی نظرک الشزر و فی قولک الهجر و فی تنفّسک الصعداء و إبطائک عن الخلفاء تقاد إلی کلّ منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتّی تبایع و أنت کاره.

و إنّما قال علیه السّلام: لقد أردت أن تذمّ فمدحت و أن تفضح فافتضحت، لأنّ قول معاویه: و تلکأت فی بیعته حتّی حملت علیه قهرا تساق بحزائم الاقتسار، کما یساق الفحل المخشوش، و کذا قوله: و فی إبطائک عن الخلفاء تقاد إلی کلّ منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتّی تبایع و أنت کاره، اعتراف صریح بأنّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام بایعهم علی إجبارهم إیّاه، فلم یکن إجماع الامّه علی خلافه الثلاث فلم یتمّ خلافتهم فاعترف معاویه بظلمهم علیّا علیه السّلام و أنّه علیه السّلام کان مظلوما، و کان معاویه جعل خلافتهم عرضه لأغراضه الفاسده سیما الثالث منهم کما لا یخفی فأراد معاویه أن یذمّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فمدحه، و أن یفضحه فافتضح هو نفسه بکلامه قال اللّه تبارک و تعالی: «وَ لا یَحِیقُ الْمَکْرُ السَّیِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ » (فاطر ۴۴).

ثمّ إنّ نحو هذا الإحتجاج وقع بین الأمیر علیه السّلام و بین أبی بکر و قد أتی به الطبرسی فی کتاب الاحتجاج قال: احتجاج أمیر المؤمنین علیه السّلام علی أبی بکر لمّا کان یعتذر إلیه من بیعه الناس له و یظهر الانبساط له، عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السّلام قال:

لمّا کان من أمر أبی بکر و بیعه الناس له و فعلهم بعلیّ لم یزل أبو بکر یظهر له الانبساط و یری منه الانقباض فکبر ذلک علی أبی بکر و أحبّ لقاءه و استخرج ما عنده و المعذره إلیه ممّا اجتمع الناس علیه و تقلیدهم إیّاه أمر الامّه و قله رغبته فی ذلک و زهده فیه، أتاه فی وقت غفله و طلب منه الخلوه فقال: یا أبا

الحسن و اللّه ما كان هذا الأمر عن مواطاه منّى و لا رغبه فيما وقعت عليه و لا حرص عليه و لا ثقه بنفسى فيما تحتاج إليه الامّه و لا قوّه لى بمال و كثره العشيره و لا استيشار به دون غيرى فما لك تضمّر علىّ ما لم أستحقّه منك، و تظهر لى الكراهه لما صرت فيه و تنظر إلىّ بعين الشناءه لى ؟.

قال: فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه و لا حرصت عليه و ثقت بنفسك فى القيام به ؟.

قال: فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إنّ اللّه لا يجمع امّتى على ضلال و لمّا رأيت إجماعهم اتّبعت قول النّبىّ صلى اللّه عليه و آله و أحلت أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى من الضلال فأعطيتهم قود الإجابه و لو علمت أنّ أحدا يتخلّف لامتنعت.

فقال علىّ عليه السّلام: أمّا ما ذكرت من قول النّبى صلى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه لا يجمع امّتى على ضلال أ فكنت من الامّه أم لم أكن ؟ قال: بلى، قال: و كذلك العصابه الممتنعه عنك من سلمان و عمّار و أبى ذرّ و المقداد و ابن عباده و من معه من الأنصار؟ قال: كلّ من الامّه، قال علىّ عليه السّلام: فكيف تحتجّ بحديث النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أمثال هؤلاء قد تخلّفوا و ليس للامّه فيهم طعن و لا فى صحبه الرسول و لصحبته منهم تقصير - إلى آخر الاحتجاج.

قال القاضى قدّس سرّه فى إحقاق الحقّ : إنّ إجماع الامّه بأجمعهم على امامه أبى بكر لم يتحقّق فى قت واحد و هذا واضح جدّا مع قطع النظر عن عدم حضور أهل البيت عليهم السّلام و سعد بن عباده سيّد الأنصار و أولاده و أصحابه و لهذا طوى صاحب المواقف دعوى ثبوت خلافه أبى بكر بالإجماع و اكتفى فى إثباته بالبيعه - إلى أن قال:

فإنّ بنى هاشم لم يبايعوا أوّلا ثمّ قهروا فبايعوا بعد ستّه أشهر و امتنع علىّ عليه السّلام و لزم بيته و لم يخرج إليهم فى جمعه و لا جماعه إلّا [إلى] أن وقع ما نقله أهل

الأحاديث و الأخبار و اشتهر كالشمس فى رابعه النهار حتّى أنّ معاويه بعث إلى علىّ عليه السّلام فى كتاب كتبه إليه يقول فيه: انك كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى تبايع، يعيّره و يؤنّبه بأنّه لم يبايع طوعا و لم يرض ببيعه أبى بكر حتّى استكره عليها خاضعا ذليلا كالجمل إذا لم يعبر على قنطره و شبهها فانه يكره و يخشّ بالرماح و غيرها ليعبر كرها.

فكتب إليه بالجواب عنه ما ذكر فى نهج البلاغه المتواتر نقله عنه عليه السّلام و هذا لفظه: و قلت: انّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى ابايع، و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضه فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه أو مرتابا فى يقينه و هذه حجّتى إلى غيرك.

انتهى ما أردنا من نقل كلامه فى المقام.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام:(و ما على المسلم من غضاضه) أى ذله و منقصه (فى أن يكون مظلوما) أى مغصوبا حقّه و هو الخلافه و الغاصب ظالم (ما لم يكن) المسلم المظلوم (شاكّا فى دينه و لا مرتابا بيقينه) فهو عليه السّلام يشير إلى أنّه كان على يقين و بصيره فى دينه و لا يضرّه و لا يضلّه عدول الناس عن العدل و ميلهم إلى الجور و سيأتى كلامه عليه السّلام فى المختار ۶۲ من هذا الباب: انّى و اللّه لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض كلّها ما باليت و لا استوحشت و إنّى من ضلالهم الّذى هم فيه و الهدى الّذى أنا عليه لعلى بصيره من نفسى و يقين من ربّى و إنّى إلى لقاء اللّه و لحسن ثوابه لمنتظر راج - إلخ.

كما مضى نحو كلامه هذا فى المختار العاشر من باب الخطب: ألا و إنّ الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست على بصيرتى نفسى و لا لبّس علىّ - إلخ، و كذا فى المختار ۱۳۵ من باب الخطب: و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست و لا لبّس علىّ - إلخ.

و فى الحديث الثانى عشر من كتاب العقل و الجهل من اصول الكافى للكلينى قدّس سرّه روى بإسناد عن هشام بن الحكم قال: قال لى أبو الحسن موسى بن

جعفر علیه السّلام: یا هشام إنّ اللّه تبارک و تعالی بشّر أهل العقل و الفهم فی کتابه - إلی أن قال علیه السّلام: یا هشام ثمّ ذمّ اللّه الکثره فقال: «وَ إِنْ تُطِعْ أَکْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ یُضِلُّوکَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ » و قال: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ » و قال: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَیَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ ».

یا هشام ثمّ مدح القلّه فقال: «وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ » و قال: «وَ قَلِیلٌ ما هُمْ » و قال: «وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ یَقُولَ رَبِّیَ اللّهُ » و قال: «وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِیلٌ » و قال: «وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ » و قال: «وَ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ » و قال: «و أکثرهم لا یشعرون» الحدیث.

ثمّ قال أمیر المؤمنین علیه السّلام (و هذه حجّتی إلی غیرک قصدها و لکنّی أطلقت لک منها بقدر ما سنح من ذکرها) یعنی علیه السّلام أنّ بیعته علیه السّلام الخلفاء علی إجبارهم إیّاه و إکراههم إیّاه حجّه علیهم لما دریت من احتجاجه علیه السّلام علی أبی بکر المنقول آنفا من کتاب الاحتجاج، و من احقاق الحقّ ، و لما لم یکن معاویه فی أمر الخلافه فی شیء کما دریت آنفا من عدم کونه فی مظنّه الاستحقاق بل کان غیر لائق له رأسا و کان أجنبیّا من النّبی و الأنصار کلیهما و لم یکن له حظّ و شأن فیه أصلا قال علیه السّلام: و هذه حجّتی إلی غیرک - إلخ.

و بما قدّمنا و حقّقنا فی معنی قوله علیه السّلام: و قلت إنّی کنت اقاد کما یقاد الجمل المخشوش - إلخ، تعلم أنّ ما ذهب إلیه الشارح البحرانی لیس کما ینبغی ترکنا نقل کلامه مخافه التطویل و من شاء فلیراجع إلی شرحه.

و لنذکر نبذه من کلام ابن قتیبه الدینوری فی إکراه القوم علیّا أمیر المؤمنین علیه السّلام للبیعه و إبایته البیعه فقال فی کتاب الإمامه و السیاسه المعروف بتاریخ الخلفاء (ص ۱۱ من طبع مصر):

ثمّ إنّ علیّا کرّم اللّه وجهه اتی به إلی أبی بکر و هو یقول: أنا عبد اللّه، و أخو رسوله، فقیل له: بایع أبا بکر فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منکم لا ابایعکم و أنتم

أولى بالبيعه لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احتججتم عليهم بالقرابه من النّبى صلى اللّه عليه و آله، و تأخذونه منّا أهل البيت غصبا؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد منكم فأعطوكم المقاده، و سلّموا إليكم الإماره و أنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيّا و ميّتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون و إلّا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنك لست متروكا حتّى تبايع، فقال له علىّ : احلب حلبا لك شطره و اشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا، ثمّ قال: و اللّه يا عمر لا أقبل قولك و لا ابايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك، فقال أبو عبيده ابن الجرّاح لعلى كرّم اللّه وجهه: يا ابن عمّ إنّك حديث السنّ و هؤلاء مشيخه قومك، ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك و أشدّ احتمالا و اضطلاعا به، فسلّم لأبى بكر هذا الأمر، فانّك إن تعش و يطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق فى فضلك و دينك و علمك و فهمك و سابقتك و نسبك و صهرك.

فقال علىّ كرّم اللّه وجهه: اللّه اللّه يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد فى العرب عن داره و قعر بيعته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه فى الناس و حقّه فو اللّه يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به لأنا أهل البيت و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه العالم بسنن رسول اللّه، المضطلع بأمر الرعيّه، المدافع عنهم الامور السّيئه القاسم بينهم بالسويه و اللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل اللّه فتزدادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد الأنصارى: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علىّ قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان.

قال: و خرج علىّ كرّم اللّه وجهه يحمل فاطمه بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على دابّه ليلا فى مجالس الأنصار تسألهم النصره فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه قد

مضت بيعتنا لهذا الرجل و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به، فيقول علىّ كرّم اللّه وجهه: أ فكنت أدع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى بيته لم أدفنه و أخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمه: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغى له و لقد صنعوا ما اللّه حسيبهم و طالبهم.

قال: و إنّ أبا بكر تفقد قوما تخلّفوا عن بيعته عند علىّ ، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم و هم فى دار علىّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب و قال: و الّذى نفس عمر بيده: لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمه، فقال: و إن. فخرجوا فبايعوا إلاّ علىّا فانّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج و لا أضع ثوبى على عاتقى حتّى أجمع القرآن فوقفت فاطمه على بابها فقالت: لا عهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جنازه بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا و لم تردّوا لنا حقا.

فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعه ؟ فقال أبو بكر لقنفذ و هو مولى له: اذهب فادع لى علىّا، فذهب إلى علىّ فقال له: ما حاجتك ؟ فقال: يدعوك خليفه رسول اللّه، فقال علىّ : لسريع ما كذبتم على رسول اللّه فرجع فأبلغ الرساله فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر الثانيه: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعه، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما امر به فرفع علىّ صوته فقال: سبحان اللّه! لقد ادّعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرساله فبكى أبو بكر طويلا ثمّ قام عمر فمشى معه جماعه حتّى أتوا باب فاطمه فدّقوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول اللّه ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبى قحافه.

فلمّا سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين و كادت قلوبهم تنصدع و أكبادهم تنفطر و بقى عمر و معه قوم فأخرجوا علىّا فمضوا به إلى أبى بكر فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا و للّه الّذى لا إله إلاّ هو

تضرب عنقك، قال: إذا تقتلون عبد اللّه و أخا رسوله، قال عمر: أمّا عبد اللّه فنعم و أمّا أخو رسوله فلا، و أبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمرك فيه بأمرك، فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمه إلى جنبه، فلحق عليّ بقبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يصيح و يبكى و ينادى يا ابن امّ إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلوننى.

قال فقال عمر لأبى بكر: انطلق بنا إلى فاطمه فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمه فلم تأذن لهما فأتيا عليّا فكلّماه فأدخلهما عليها فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السلام فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبه رسول اللّه و اللّه إنّ قرابه رسول اللّه أحبّ إليّ من قرابتى، و إنك لأحبّ إليّ من عائشه ابنتى، و لوددت يوم مات أبوك أنّى متّ و لا أبقى بعده أ فترانى أعرفك و أعرف فضلك و شرفك و أمنعك حقك و ميراثك من رسول اللّه إلاّ أنّى سمعت أباك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقه فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله تعرفانه و تفعلان به ؟ قالا: نعم، فقالت:

نشدتكما اللّه ألم تسمعا رسول اللّه يقول: رضا فاطمه من رضاى، و سخط فاطمه من سخطى، فمن أحبّ فاطمه ابنتى فقد أحبّنى، و من أرضى فاطمه فقد أرضانى، و من أسخط فاطمه فقد أسخطنى ؟ قالا: نعم سمعناه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، قالت: فإنّى اشهد اللّه و ملائكته أنكما أسخطتمانى و ما أرضيتمانى، و لئن لقيت النّبى لأشكونكما إليه، - إلى أن قال ابن قتيبه: فلم يبايع عليّ كرّم اللّه وجهه حتّى ماتت فاطمه رضى اللّه عنها و لم تمكث بعد أبيها إلاّ خمسا و سبعين ليله إلخ.

قلت: إنّ كلام الأمير عليه السّلام يا ابن امّ إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلوننى، اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ فيما جرى بين موسى كليم اللّه عليه السّلام و أخيه هارون و بين قومه الظالمين حيث قال عزّ من قائل: «وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ وَ لَمّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ وَ لَمّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » (الأعراف: ۱۴۹-۱۵۳).

و انّما تذكّر عليه السّلام فى التجائه بقبر النّبى صلى اللّه عليه و آله بهذه الايه لأنّه عليه السّلام كان من النّبيّ بمنزله هارون من موسى كما رواها الفريقان فى جوامعهم الروائيه و حديث المنزله من الأحاديث المتواتره و قد نقل المحدّث الخبير الرّبانى السيّد هاشم البحرانى طيّب اللّه رمسه و أعلى مقامه فى الباب العشرين من كتابه القيّم الموسوم بغايه المرام و حجّه الخصام فى تعيين الإمام من طريق الخاص و العامّ مائه حديث من طريق العامّه فى قول النّبى صلى اللّه عليه و آله لعليّ عليه السّلام: أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى، و فى الباب الحادى و العشرين منه سبعين حديثا من طريق الخاصّه فى ذلك.

فاذا كان لأمير المؤمنين عليّ عليه السّلام تلك المنزله الساميه ففى استشهاده بالايه يظهر مطالب لاولى الدرايه فتأمّل فيما تلوناه عليك من الايات القرآنيه.

ثمّ إنّ كلام أبى بكر لفاطمه عليها سلام اللّه المتعال: انّى سمعت أباك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: لا نورث إلخ،

فیظهر ما فیه بالتأمّل فی ما أفاده العلاّمه الحلّی قدس سرّه فی کتابه الموسوم بکشف الحقّ حیث قال:

و من المطاعن الّتی رواها السنّه فی أبی بکر أنّه منع فاطمه ارثها فقالت له:

یا ابن أبی قحافه أترث أباک و لا أرث أبی، و احتجّ علیها بروایه تفرّد بها هو عن جمیع المسلمین مع قلّه روایاته و قلّه علمه و کونه الغریم لأنّ الصدقه یحلّ علیه فقال لها: إنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: نحن معاشر الأنبیاء لا نورث ما ترکناه صدقه، و القرآن مخالف لذلک فإنّ صریحه یقتضی دخول النّبی صلی اللّه علیه و آله فیه بقوله تعالی: «یُوصِیکُمُ اللّهُ »

«فِی أَوْلادِکُمْ » و قد نصّ علی أنّ الأنبیاء یورثون فقال اللّه تعالی «وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ » و قال عن زکریّا «وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی وَ کانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ ».

و ناقض فعله أیضا بهذه الروایه لأنّ أمیر المؤمنین و العبّاس اختلفا فی بغله رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سیفه و عمامته و حکم بها میراثا لأمیر المؤمنین علیه السّلام و لو کانت صدقه علی علیّ علیه السّلام کان یجب علی أبی بکر انتزاعها منه، و لکان أهل البیت الّذین حکی اللّه تعالی عنهم بأنه طهّرهم تطهیرا مرتکبین ما لا یجوز، نعوذ باللّه من هذه المقالات الردّیه و الإعتقادات الفاسده.

و أخذ فدک من فاطمه و قد وهبها أباها رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلم یصدّقها مع أنّ اللّه تعالی طهّرها و زکّاها و استعان بها النّبی صلی اللّه علیه و آله فی الدّعاء علی الکفّار علی ما حکی اللّه تعالی و أمره بذلک فقال له: «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ » فکیف یأمره اللّه تعالی بالاستعانه و هو سیّد المرسلین بابنته و هی کاذبه فی دعواها غاصبه لمال غیرها نعوذ باللّه من ذلک.

فجاءت بأمیر المؤمنین علیه السّلام و شهد لها فلم یقبل شهادته قال: إنّه یجرّ إلی نفسه و هذا من قلّه معرفته بالأحکام، و مع أنّ اللّه تعالی قد نصّ فی آیه المباهله أنه نفس رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فکیف یلیق بمن هو بهذه المنزله و استعان به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بأمر اللّه تعالی فی الدّعاء یوم المباهله أن یشهد بالباطل و یکذب و یغصب المسلمین أموالهم نعوذ باللّه من هذه المقاله.

و شهد لها الحسنان علیهما السّلام فردّ شهادتهما و قال: هذان ابناک لا أقبل شهادتهما لأنهما یجرّ ان نفعا بشهادتهما، و هذا من قلّه معرفته بالأحکام مع أنّ اللّه تعالی قد أمر النّبیّ صلی اللّه علیه و آله بالاستعانه بدعائهما یوم المباهله فقال: «أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ » و حکم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بأنهما سیّدا شباب أهل الجنّه فکیف یجامع هذا شهادتهما بالزور و الکذب و غصب المسلمین حقّهم نعوذ باللّه من ذلک.

ثمّ جاءت بامّ أیمن فقال: امرأه لا یقبل قولها: مع أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: امّ

أيمن امرأه من أهل الجنّه فعند ذلك غضبت عليه و على صاحبه و حلفت أن لا تكلّمه و لا صاحبه حتّى تلقا أباها و تشكو له فلمّا حضرتها الوفاه أوصت أن تدفن ليلا و لا يدع أحدا منهم يصلّى عليها و قد رووا جميعا أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: يا فاطمه إنّ اللّه يغضب لغضبك و يرضى لرضاك، انتهى كلامه قدس سرّه فى المقام.

قوله عليه السّلام:(ثمّ ذكرت ما كان من أمرى و أمر عثمان - إلى قوله عليه السّلام:

و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكّلت) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: ثمّ لم تكن أشدّ منك حسدا لابن عمك عثمان - إلى قوله: و تلك من أمانى النّقوس و ضلالات الهواء.

و اعلم أنّ احتجاجه هذا على معاويه فى أمر عثمان يتّضح لك بعد استحضارك ما قدّمنا من الطبرى و غيره من قوله عليه السّلام: ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّى لأستحى، و قوله عليه السّلام: و اللّه لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثما، و ما قدّمنا من نصح أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام عثمان و طلبه قعوده فى البيت، فراجع إلى ص ۱۸۳ و ص ۲۰۳ و ص ۳۱۱ و ص ۳۲۵ من ج ۱۶. و ص ۳۹۵ من ج ۱۷، و ص ۳ من ج ۱۸.

قوله عليه السّلام:(حتّى أتى قدره عليه) أى حتّى أتى قتله المقدّر له.

و قوله عليه السّلام:(كلاّ و اللّه لقد علم اللّه المعوّقين منكم - إلخ) إشاره إلى قوله عزّ و جلّ فى أوائل سوره الأحزاب: «قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً».

و هى من الايات الّتى نزلت فى الأحزاب الّذين حاربوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى غزوه الخندق و كان من الأحزاب قريش و كان قائدهم أبو سفيان بن حرب كما نصّ به حمله الأخبار منهم أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ۱۴۶۵ ج ۳ من

طبع ليدن) و ابن هشام فى السيره النّبويه (ص ۲۱۵ ج ۲)، و كاتب الواقدى محمّد ابن سعد فى الطبقات الكبرى (ص ۶۶ ج ۲ من طبع مصر) حيث قال: فكان جميع القوم الّذين وافوا الخندق ممّن ذكر من القبائل عشره آلاف و هم الأحزاب و كانوا ثلاثه عساكر و عناج الأمر إلى أبى سفيان بن حرب - إلى آخر ما قال.

و المعوّقون هم الّذين يعوّقون أى يمنعون غيرهم عن الجهاد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و غزوه الأحزاب أى غزوه الخندق مذكوره فى كتب التفاسير فى سوره الأحزاب، و فى كتب المغازى و السير فراجع إلى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله للواقدى (ص ۲۹۰ من طبع مصر) و إلى السيره النّبويه لابن هشام (ص ۲۱۴ ج ۲ من طبع مصر) و إلى تاريخ الطبرى، و الطبقات الكبرى لابن سعد، حتّى يتبيّن لك ما فعلت الشجره الملعونه بنو اميّه بالإسلام و المسلمين.

قوله عليه السّلام:(و ذكرت أنه ليس لى و لا لأصحابى إلاّ السيف - إلخ) هذا الفصل جواب عن قول معاويه: و ليس لك و لأصحابك عندى إلاّ السيف - إلخ.

و قد مضى نحوه فى الكتاب التاسع، فأجابه بقوله (فلقد أضحكت بعد استعبار) و ذلك أنّ تهديد معاويه لمّا كان فى غير محلّه لأنّ مثل تخويفه أمير المؤمنين عليه السّلام بالسيف كصبىّ يخوّف بطلا محاميا قال عليه السّلام: لقد أضحكت، أى أضحكت غيرك من المؤمنين بتخويفك، و لمّا كان تصرّفه فى امور الدّين ممّا يبكى المؤمنين قال عليه السّلام: بعد استعبار، أى بعد استعبارك أهل الدّين بما يرون منك فى دين اللّه.

و قوله عليه السّلام:(من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان)اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ :«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »(التوبه:۱۰۰).

و ذرّيه بدريّه أى الّذين هم من ذرارى أهل بدر، و أخو معاويه، هو حنظله ابن أبى سفيان و خاله وليد بن عتبه و جدّه عتبه بن ربيعه و أهله أتباعه، و مضى نحو كلامه هذا فى الكتاب العاشر: فأنا أبو حسن قاتل جدّك و خالك و أخيك شدخا

یوم بدر و ذلک السیف معی و بذلک القلب ألقی عدوّی، و سیأتی نحوه فی الکتاب الرابع و السّتین: و عندی السیف الّذی أعضضته بجدّک و خالک و أخیک فی مقام واحد.

قوله علیه السّلام:(و ما هی من الظالمین ببعید) أراد بالظالمین معاویه و أتباعه، و هو بعض آیه من قوله تعالی فی قصّه قوم لوط : «فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَیْها حِجارَهً مِنْ سِجِّیلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَهً عِنْدَ رَبِّکَ وَ ما هِیَ مِنَ الظّالِمِینَ بِبَعِیدٍ » (هود: ۸۴) و هو علیه السّلام ذکر فی هذا الکتاب عدّه آیات لا یخفی مناسبه کلّ واحده منها لموردها.

و معنی سائر الجمل واضح إلّا أنّه علیه السّلام أخبر عن نفسه و عن الجحفل من المهاجرین و الأنصار و التابعین بأنّ أحبّ اللقاء إلیهم لقاء ربّهم و إنّما یلیق فی المقام أن نبحث عن لقاء اللّه تعالی، و لنا بفضله سبحانه رساله منفرده فی لقاء اللّه أری الاتیان بها ههنا و درجها فی هذا الشرح أولی من أن تطبع و تنشر علی حده فاطلبها بعد الترجمه.

الترجمه

این یکی از نامه های بسیار خوب أمیر علیه السّلام است که بمعاویه نوشت:

أمّا بعد: نامه ات بمن رسیده در آن گفتی: خدای تعالی پیمبر را برای دینش برگزید و یاورانش را یاری کرد، روزگار أمر شگفتی از تو بر ما پوشیده داشت که آزمون خدا را و نعمت وجود پیمبر را بما گزارش می دهی، در این کار برنده خرما به هجری، یا آنکه استاد تیراندازیش را به کارزار بخواند مانی.

پنداشتی که برترین مردم در اسلام فلانی و فلانی است، اگر راست است بتو چه، و اگر نه عیب آن دامن گیرت نشود، تو را با فراتر و فروتر، و با تدبیر و بی تدبیر چه کار، آزادشدگان و فرزندانشان را چه رسد به تمیز میان مهاجرین أوّل، و ترتیب درجات و تعریف طبقاتشان، تیری رها شد که از جنس تیرهای دیگر نبود، حرف بیجائی از دهن نا أهل در آمد، و در آن امور کسی دارد زبان

درازی میکند که دستور او فرمان بردن است.

آیا بر لنگی خود ایست نمی کنی، و آرام نمی گیری، و کوتاه دستیت را نمی دانی که در حدّ خود باشی و تجاوز نکنی، شکست و پیروزی این و آن بتو چه تو در گمراهی بسر می بری و از راستی بدری.

نمی خواهم که بتو خبر دهم و با تو سخن بگویم ولی نعمت خدای تعالی را بازگو می کنم که می گویم: مگر نمی بینی که چون از مهاجرین کسی شهید می شد - و البتّه برای هر یک فضلی است - یکی سیّد الشهداء بود که پیغمبر صلی اللّه علیه و آله بر جنازه اش هفتاد تکبیر بگفت ؟ و دیگری که دستهایش بریده شد او را طیّار گفتند که با دو بال در بهشت پرواز می کرد، و اگر خدای تعالی از خودستائی باز نمی داشت هر آینه فضائل کسی را می شنیدی که دلهای با إیمان بدانها آشنایند و شنونده ای انکار آنها نتواند کرد.

دست بردار از کسانی که گول دنیا خورده اند و از راه راست بدر رفتند ما برگزیدگان خدای خودیم و مردم برگزیدگان ما، آمیزش در زندگی با شما ما را از عزّت دیرین باز نداشته و شما را بزرگ نکرده، چه پیمبر از ما است، و أبو سفیان مکذّب از شما، حمزهٔ أسد اللّه از ما است، و أسد الأحلاف - کسانی که هم پیمان شدند برای کشتن پیمبر در جنگ بدر - از شما، حسن و حسین بزرگان جوانان أهل بهشت از ما، و عقبه بن أبی معیط پدر فرزندان دوزخی از شما، بهترین زنان روزگار فاطمه از ما است، و حمّاله الحطب زن أبو لهب از شما، و دیگر خوبیها و نکوئی ها که ما را است، و بدیها و زشتیها که شما را.

از اسلام ما که شنیدید و آگاهید، در زمان جاهلیّت هم روزگار ما را نیالود، و مهتر و بهتر همه بودیم، و کتاب خدا این پایه را بما داده که با پیمبرش به کریمهٔ اولو الأرحام وابسته، و به آیت إنّ أولی النّاس نزدیکیم، پس ما بحکم آیهٔ نخستین بقرابت به پیمبر سزاواریم، و بایهٔ دوّم بطاعت.

چون مهاجرین در روز سقیفه به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بر أنصار احتجاج کردند بر آن پیروز شدند، پس اگر به پیمبر پیروز شدند حق با ما است نه با شما، و اگر نه که

أنصار بر دعوای خود باقیند.

پنداشتی که من بر خلفا حسد بردم، و بر آنان ستم کردم، اگر این طور است به تو چه، دخل و ربطی به تو ندارد که از آنان بیگانه ای.

و گفتی: مرا چون شتر مهار کرده برای بیعت بردند، خواستی از این گفتارت مرا نکوهش کنی ستودی، و خواستی رسوایم کنی رسوا شدی، خواری برای مسلمانی که مظلوم گردد ولی در دینش و در یقینش دو دل نباشد نیست.

این سخنانم حجّت بر دیگرانست، روی سخنم با تو نیست، پارهٔ از آنها پیش آمد و گفتم.

سپس در کار من و عثمان حرف بمیان آوردی تو باید از جانب او در این باره پاسخ گوئی، پس بنگر که کدام یک از من و تو به کشتن او اقدام و راهنمائی کردیم آیا آن کسی که دستش را می گرفت و یاریش می کرد، و از بدعتها و بدیهایش بازش می داشت ؟ یا آنکه عثمان چون وی را بیاریش خواست سر باز زد، و دیگران را بر او بشورانید؟ نه بخدا که خدای متعال از خودداری کنندگان شما و کسانی که به برادرانشان گفتند بیائید بسوی ما و به کارزار نرفتند مگر اندکی، دانا است.

عذرخواهی نمیکنم از این که عثمان را از بدعتهایش باز می داشتم و کارهای ناروایش را تقبیح می کردم، حال اگر هدایت و إرشاد گناه است و موجب سرزنش می شود چه بسا سرزنش شده بیگناه است، و آنکه نخواهد نپذیرد از گفتار ناصح گمان بد می برد، و من تا آنجا که در قدرتم بود جز اصلاح نخواستم و توفیق از خدا خواهم و بس، و توکّلم با او است.

دیگر این که از شمشیر بیم داده ای، از این سخنت گریان را بخنده آوردی کی فرزندان عبد المطّلب از دشمن روی گردان بودند و از شمشیر ترسان، اندکی درنگ کن تا حمل شیر نر بکارزار در آید، که آن گاه کسی بگیردت که تو او را می خواستی، و بتو نزدیک می شود مرگی که از آن دوری می جستی.

و من با لشکری بزرگ از مهاجر و أنصار و تابعین باحسان شتابان بسوی تو

رهسپاریم، لشکر سخت أنبوهی که گرد سوارانش فضا را فرا گرفت و خود لباس مرگ در بر کرده اند بهترین دیدارشان دیدار خدایشان است، با آنان فرزندان و دودمان سربازان سلحشور و جنگاور روز بدرند، در دست آن پهلوانان شمشیر بنی هاشم است همان شمشیرهائی که در جنگ بدر بر سر برادر و دائی و جدّ و دودمانت فرود آمد، که آماده اند بر سر ستمکاران دیگر فرود آیند.

رساله منفرده فی لقاء الله تعالی

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحیم حمدا لک یا من شرّف أولیاءه بلقائه، و کرّم أحبّاءه بالعکوف علی فنائه سبحانک یا من انتجب أسرار أهله لرؤیه جماله، و احتجب عن أبصار خلیقته بحجاب جلاله، صلّ اللّهمّ علی مظهرک الأتم، و جامع الکلم و الحکم، المنزل علیه ما یهدی للّتی هی أقوم، و آله خیر الوری و أعلام الهدی و من اتّبع هدیهم من اولی النّهی.

و بعد فیقول العبد الراجی لقاء ربّه الکریم نجم الدّین حسن بن عبد اللّه الطبری المدعوّ بحسن زاده الاملی بلغه اللّه و جمیع المؤمنین إلی آمالهم، و رزقهم نعمه لقائه: یا أهل الوداد و السّداد! و طالبی الهدایه و الرشاد، یا إخوان الصفاء و خلّان الوفاء، إلی متی و حتّی متی جاز لنا الحرمان عن حرم الحبّ ، و الخذلان فی غیابه الجبّ ؟ و ما لنا ألّا نسیر إلی نواحی القدس ؟ و لا نطیر إلی ریاض الانس ؟ أو ترون أنّا خلقنا عبثا، أو ترکنا سدی ؟ نأکل و نتمتّع کالأنعام السائمه، غافلین عن لقاء اللّه عزّ و جلّ إلی أن یدرکنا الأجل، و یلهینا الأمل ؟ کلّا و حاشاکم عن هذا الظنّ و إنّ بعض الظنّ إثم «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ ».

خلیلیّ نحن نیام فی فراش الغفله، و قد أدبرت العاجله و أقبلت الاخره إنّ هؤلاء یحبّون العاجله و یذرون ورائهم یوما ثقیلا، یوما عبوسا قمطریرا، یوما

كان شرّه مستطيرا.

قد أتى يوم تبلى فيه السرائر، و ما زرع فى الأوّل يحصد فى الاخر، فانظروا بما أسلفتم فى الأيّام الخاليه، و اقرءوا ألواح أنفسكم تخبركم عن غدكم و أمسكم و رمسكم.

و استمع ما ذا يقول برهان السالكين و إمام المتقين و قائد الغرّ المحجّلين علىّ أمير المؤمنين: احذروا عباد اللّه الموت و نزوله، و خذوا له فإنّه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شرّ أبدا، و شرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّه من عاملها، و من أقرب إلى النار من عاملها.

ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير إلى الجنّه أم إلى النّار؟ أعدوّ هو للّه أم ولىّ له ؟ فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنّه و شرع له طريقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ لأوليائه فيها فرغ من كلّ شغل، و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوّا فتحت له أبواب النّار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعدّ اللّه لأهلها و استقبل كلّ مكروه.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد اليوم أشدّ و أدهى: نار قعرها بعيد، و حرّها شديد، و عذابها جديد، و مقامعها حديد، و شرابها صديد، لا يفتر عذابها، و لا يموت ساكنها، دار ليس للّه سبحانه فيها رحمه، و لا يسمع فيها دعوه.

فطوبى لمن انتبه عن النّوم و تشمّر الذيل لتدارك اليوم، ثمّ طوبى لمن راقب سرّه عمّا سوى اللّه و ما طالب إلّا القرب منه و لقاءه و رضاه، فإنّا امرنا ألّا نعبد إلّا إيّاه و لا نطلب إلّا إيّاه، فوحّد اللّه سبحانه بصدق السريره حتّى ترى بعين البصيره أن لا هو إلّا هو و لا إله إلّا هو، فأينما تولّوا فثمّ وجه اللّه، و هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن، و هو معكم أينما كنتم.

خليلىّ إنّى لأستحيى من نفسى فضلا عن غيرى بأن أقول: هذه رساله عملتها يداى فى لقاء اللّه تعالى، كيف لا و أنّى لهذا المطرود عن صفّ النعال، بل المردود عن الباب أن يأتى فيه بكتاب ؟ و هل هذا إلّا الخروج عن الزّىّ ؟ و لا يخرج

عنه إلاّ البذیّ .

قال أفلاطن الالهیّ : إنّ شاهق المعرفه أشمخ من أن یطیر إلیه کلّ طائر و سرادق البصیره أحجب من أن یحوم حوله کلّ سائر، (الفصل الرابع من شرح رساله زینون الکبیر الیونانی تلمیذ ارسطاطالیس، للمعلم الثانی أبی نصر الفارابی ص ۸ من طبع حیدرآباد الدکن).

و قال الشّیخ الرئیس أبو علی سینا فی آخر النمط التاسع من الإشارات فی مقامات العارفین: جلّ جناب الحقّ عن أن یکون شریعه لکلّ وارد أو یطّلع علیه إلاّ واحد بعد واحد.

و قال أبو الفتح یحیی بن حبش بن أمیرک الملقّب شهاب الدّین السهروردی الحکیم المقتول: الفکر فی صوره قدسیّه یتلطف بها طالب الأریحیّه، و نواحی القدس دار لا یطأها القوم الجاهلون و حرام علی الأجساد المظلمه أن تلج ملکوت السماوات فوحّد اللّه و أنت بتعظیمه ملاءن، و اذکره و أنت من ملابس الأکوان عریان، و لو کان فی الوجود شمسان لا نطمست الأرکان و أبی النظام أن یکون غیر ما کان (نقلنا کلامه من تاریخ ابن خلّکان) و قال العارف السنائی:

بار توحید هر کسی نکشد طعم توحید هر خسی نچشد

و قال العارف الرومی:

یاد او اندر خور هر هوش نیست حلقهٔ او سخرهٔ هر گوش نیست

و بالجمله هذا المحروم بقصور باعه مقرّ، فی إقراره مصرّ، و علی نفسه بصیر، و بأمره خبیر، یفوه من شدّه الخجل أخفی من الهمس، و یبوه من کثره الوجل کعلیل دان حلوله فی الرّمس و یقول:

جز تو ما را هوای دیگر نیست جز لقای تو هیچ در سر نیست

این ره است و دگر دوم ره نیست این در است و دگر دوم در نیست

دلگشاتر ز محضر قدست محضر هیچ نیک محضر نیست

جانفزاتر ز نفحهٔ انست نفحهٔ مشک و عود و عنبر نیست

خوشتر از گفته تو گفتاری بهتر از دفتر تو دفتر نیست

دفتری بیکرانه دریائی کاندرو هر خسی شناور نیست

نرسد تا بسرّ گفتارت دست جانی اگر مطهّر نیست

بهر وصف صفات نیکویت در همه دهر یک سخنور نیست

آنچه را گفته اند و می گویند از هزاران یکی مقرّر نیست

کرمک شب فروز بی پا را قدرت وصف مهر خاور نیست

هر چه و هر که را که می بینم در حریم تو جز که مضطر نیست

نبود ذرّه ای که در کارش تحت فرمان تو مسخّر نیست

آنچه از صنع تو پدید آمد خیر محض است و خردلی شر نیست

در همه نقش بو العجب که بود وین عجب نقطه ای مکرر نیست

یار و دلدار و شاهد و معشوق هر چه گویند جز تو دلبر نیست

ره نیابد بسویت آنکه درو تیر عشقت نشسته تا پر نیست

بسری شور عشقت ار نبود بحقیقت دم است و آن سر نیست

دل که از نور تو ندیده فروغ تیره جانی بود منوّر نیست

برضای تو سالک صادق هر چه پیش آیدش مکدّر نیست

کانچه آمد مقدّر است همان و آنچه کو نامده مقدّر نیست

سالک راه را ره آوردی جز خموشی و فکر آخر نیست

عاشق تشنه وصالت را خبر از هر چه هست یکسر نیست

بهر راز و نیاز درگاهت تن او را نیاز بستر نیست

با تو محشور هم در امروز است انتظارش بروز محشر نیست

آتشی کو فتاده در جانش عین نار اللّه است و أخگر نیست

عاشقی کار شیر مردانست سخرهٔ کودکان معبر نیست

اوفتادن در آتش سوزان جز که در عهدهٔ سمندر نیست

آنچه عاشق کند تماشایش ای برادر به دیدهٔ سر نیست

ص:۱۹۲

لذّه خلوت شبانهٔ او در گل قند و شهد و شکّر نیست

مزهٔ بادهٔ حضورش در چشمهٔ سلسبیل و کوثر نیست

آنچه اندر حضور می یابد خامه در شرح او توانگر نیست

عوض گریهٔ سحرگاهش گر بگوید امید باور نیست

لاجرم آن سعید فرزانه در پی تاج و تخت و افسر نیست

هست ایمان باللّهش سدّی که چنو صد سد سکندر نیست

بهتر از لا إله إلّا اللّه هیچ حصنی و برج و سنگر نیست

اندرین کشور بزرگ جهان جز خدای بزرگ داور نیست

کشتی ممکنات عالم را جز که نام خدای لنگر نیست

آنچه پنهان و آشکار بود جز که مجلای یار و مظهر نیست

نیست جز او زدار و من فی الدّار نی که همسنگ او و همسر نیست

قائل و قیل و قولی و قالا جز که اطوار قول مصدر نیست

زین مثل آنچه بایدش گفتن گفتم و بیش ازین میسّر نیست

ای که دوری ز گلشن عشّاق جانت از بوی خوش معطّر نیست

ای که غافل ز حال خویشتنی گویمت چون تو کوری و کر نیست

گر بدی کرده ای ز خود میدان گنه مهر و ماه و أختر نیست

تو بهشت خودی و دوزخ خود جز که نفس تو مار و أژدر نیست

مسلم همدم هوا و هوس مشرکست و باسم کافر نیست

آن شکم پرور است حیوانی گر چه نامش حمار و أستر نیست

ای که خو کرده ای به نادانی این ره مردمان بافر نیست

آدمی را درین سرای سپنج جز بدانش جمال و زیور نیست

علم آب حیات جان باشد بهر تحصیل سیم یا زر نیست

رو پی مصطفی شوی بوذر فیض حقّ وقف خاص بوذر نیست

تو در آ از حجاب نفسانی تا که بینی هر آنچه مبصر نیست

ص:۱۹۳

آخر ای دوستان بخود رحمی کافرینش به لاف و تسخر نیست

حسن نجم آملی طبعش چشمهٔ حکمت است و دیگر نیست

ثمّ أقول: لا ریب أنّ الاقتحام فی ذلک المشهد العظیم فوق شأن هذا المسکین الّذی لم یذق حلاوه ذکر اللّه و لم یتنعّم بنعمه المراقبه و الحضور و لم یخرج من سجن الدّنیا الدنیّه و من ظلمه دار الغرور، إلی عالم النور و السرور، یا حسرتی علی ما فرّطت فی جنب اللّه، و للّه درّ الشاعر قائلا:

خلق اللّه للحروب رجالا و رجالا لقصعه و ترید

و لکن کما قیل: ألق فی الدّلاء دلوک نشیر إلی عدّه آیات و روایات و أدعیه و أذکار و مطالب رشیقه أنیقه من کبار تنبیها للغافلین و أنا منهم، و تذکره للمستبصرین، فنقول: قد بحثنا عن رؤیته تعالی فی شرحنا علی المختار الثامن من کتب أمیر المؤمنین علیه السّلام من النهج (ص ۲۴۲ - إلی ۳۲۳ ج ۱۷) لکنّ ذلک البحث کان طورا، و هذا البحث طور آخر، و إن کان أحدهما یعاضد الاخر، و قد أشرنا هنا لک إلی هذا المطلب الأسنی أعنی البحث عن لقاء اللّه أیضا إجمالا فإن شئت قلت إنّ هذا البحث مکمّل ذلک.

اعلم أنّ القرآن الکریم قد نطق فی مواضع کثیره بلقائه تعالی فنأتی بها لأنّها شفاء و رحمه للمؤمنین:

۱ - «فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَ لا یُشْرِکْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الکهف).

۲ - «قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِلِقاءِ اللّهِ حَتّی إِذا جاءَتْهُمُ السّاعَهُ بَغْتَهً قالُوا یا حَسْرَتَنا عَلی ما فَرَّطْنا فِیها وَ هُمْ یَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلی ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ » (الأنعام: ۳۲).

۳ - «ثُمَّ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ تَماماً عَلَی الَّذِی أَحْسَنَ وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ یُؤْمِنُونَ » (الأنعام: ۱۵۵).

۴ - «إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أُولئِكَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ » (یونس: ۸).

۵ - «اَللّهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی یُدَبِّرُ الْأَمْرَ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ بِلِقاءِ رَبِّکُمْ تُوقِنُونَ » (الرعد: ۳).

۶ - «مَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ » (العنکبوت: ۶).

۷ - «أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّی وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَکافِرُونَ » (الروم: ۹).

۸ - «اَلَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْ ءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ قَلِیلاً ما تَشْکُرُونَ وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِی الْأَرْضِ أَ إِنّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ کافِرُونَ » (الم السجده: ۸-۱۱).

۹ - «سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ شَهِیدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِی مِرْیَهٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ مُحِیطٌ » (آخر فصّلت، حم السجده).

۱۰ و ۱۱ - «إِنَّ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ آیاتِنا غافِلُونَ أُولئِکَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ یَهْدِیهِمْ رَبُّهُمْ بِإِیمانِهِمْ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِی جَنّاتِ النَّعِیمِ دَعْواهُمْ فِیها سُبْحانَکَ اللّهُمَّ وَ تَحِیَّتُهُمْ فِیها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ وَ لَوْ یُعَجِّلُ اللّهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَیْرِ لَقُضِیَ إِلَیْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ » (یونس: ۸-۱۲).

۱۲ - «وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما یُوحی »

«إِلَيَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّی عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (يونس: ۱۶).

۱۳ - «وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَهُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً » (الفرقان: ۲۲).

۱۴ - «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِی الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَزْناً » (الكهف: ۱۰۶).

۱۵ - «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِی وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » (العنكبوت: ۲۴).

۱۶ - «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَهٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ » (البقره: ۴۷).

۱۷ - «قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللّهِ كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ » (البقره: ۲۵۰).

۱۸ - «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّی لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ » - إلى قوله: «وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجرِیَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّی أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ » (هود: ۳۰).

۱۹ - «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَهً وَ أَصِيلاً هُوَ الَّذِی يُصَلِّی عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً » (الأحزاب: ۴۵).

۲۰ - «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ » (الإنشقاق: ۷).

۲۱ - «رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَیْ ءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » (المؤمن، غافر: ۱۸).

۲۲ - «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ إِلى رَبِّها ناظِرَهٌ » (القيامه: ۲۴).

۲۳ - «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ »

«مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَیْ ءٍ وَ ما مِنْ حِسابِکَ عَلَیْهِمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَکُونَ مِنَ الظّالِمِینَ » (الأنعام: ۵۳).

۲۴ - «وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَیْناکَ عَنْهُمْ » - الایه (الکهف: ۲۹).

۲۵ - «وَ الَّذِینَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاهَ » - الایه (الرعد: ۲۳).

۲۶ و ۲۷ - «فَآتِ ذَا الْقُرْبی حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ ذلِکَ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یُرِیدُونَ وَجْهَ اللّهِ » - الایه، «وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاهٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » (۳۹ و ۴۰ الروم).

۲۸ - «فَأَنْذَرْتُکُمْ ناراً تَلَظّی لا یَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَی اَلَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّی وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی اَلَّذِی یُؤْتِی مالَهُ یَتَزَکّی وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزی إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلی وَ لَسَوْفَ »، (آخر سوره اللیل).

و اعلم أنّ غیر واحد من المفسّرین ذهبوا فی تفسیر لقاء اللّه إلی لقاء العبد ثواب أعماله أو عقابها و نحوهما، و هذا الرأی کأنّما نشأ من توهّم القوم اللقاء بمعنی الرؤیه بالأبصار و لا یدرکه الأبصار و هو یدرک الأبصار و هو اللطیف الخبیر، فلمّا فهموا من اللقاء هذا المعنی احتاجوا إلی تقدیر الثواب أو العقاب، أو حمل اللّقاء علی معنی آخر یناسب ما توّهموه، و لکن ما مالوا إلیه و هم و لیس اللقاء إلاّ الرؤیه القلبیّه کما قال أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام فی جواب حبر قال له: یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربّک حین عبدته ؟ فقال علیه السّلام: ویلک ما کنت أعبد ربّا لم أره، قال: و کیف رأیته ؟ قال: ویلک لا تدرکه العیون فی مشاهده الأبصار و لکن رأته القلوب بحقائق الإیمان، و قال علم الهدی فی الغرر و الدّرر (ص ۱۵۰ ج ۱): أتی أعرابیّ أبا جعفر محمّد بن علی علیه السّلام فقال له: هل رأیت ربّک حین عبدته، نحو الخبر المذکور إلی آخره.

و قد فسّرنا هذا الحدیث فی شرحنا علی المختار الثامن من باب الکتب من النهج و قد بیّنّا هناک أنّ ما یتبادر إلی الأذهان من معنی الرؤیه و نحوها هو

الرؤیه بالعین و ذلک للالف بالمحسوسات و الحشر معها، و أمّا السیر إلی باطن هذه النشأه و السفر إلیه و ادراک ما عبّی فی کلام اللّه المتعال و سفرائه و وجدانها من الدقائق و اللطائف فلا یتیسّر إلّا لواحد بعد واحد.

کما دریت أیضا أنّ الرؤیه القلبیّه به تعالی هی الکشف الحضوریّ و شهوده تعالی للعبد علی مقدار تقرّبه منه تعالی بقدم المعرفه و درج معارف العقل، فراجع إلی المجلّد السابع عشر من ص ۳۰۸، إلی ۳۲۳.

قلوب العارفین لها عیون تری ما لا یراه الناظرونا

و قلت فی قصیدتی التوحیدیّه:

آنچه عاشق کند تماشایش ای برادر بدیدهٔ سر نیست

و لا نعنی من اللّقاء الرؤیه بکنهه تعالی فإنّ معرفته بالاکتناه لا یتیسّر لما سواه و ذلک لأنّ المعلول لا یری علّته إلّا بمقدار سعه وجوده، و المعلول ظلّ علّته و عکسها و الظلّ مرتبه ضعیفه من ذیه و لذا قالوا إنّ العلم بالعلّه من العلم بالمعلوم علم بها من وجه یعنی أنّه علم ناقص بالعلّه بقدر ظرف المعلول سعه و ضیقا، لا یحیطون به علما و عنت الوجوه للحیّ القیّوم.

و قد أفاد فی ذلک فیلسوف العرب یعقوب بن إسحاق الکندی رحمه اللّه علیه بقوله: إذا کانت العلّه الاولی متّصله بنا لفیضه علینا و کنّا غیر متّصلین به إلّا من جهته فقد یمکن فینا ملاحظته علی قدر ما یمکن للمفاض علیه أن یلاحظ المفیض فیجب أن لا ینسب قدر إحاطته بنا إلی قدر ملاحظتنا له لأنّها أغزر و أوفر و أشدّ استغراقا.

و نعم ما أفاد، للّه درّه، و لا یخفی علی اولی النّهی أنّ هذا الکلام سام بعید الغور.

و ما أجاد قول المحقّق العارف أفضل الدّین الکاشی فی المقام:

گفتم همه ملک حسن سرمایهٔ تست خورشید فلک چو ذرّه در سایهٔ تست

گفتا غلطی ز ما نشان نتوان یافت از ما تو هر آنچه دیده ای پایهٔ تست

و تبصّر ممّا قدّمنا أنّه ما من موجود إلّا و هو علم الحقّ تعالى لأنّ علمه بما سواه حضورى إشراقى، لم يعزب عن علمه مثقال ذرّه.

و أفاد العلامه الشّيخ البهائى فى شرح الحديث الثانى من كتابه الأربعين:

المراد بمعرفه اللّه تعالى الإطّلاع على نعوته و صفاته الجلاليه و الجماليّه بقدر الطاقه البشريه، و أما الإطّلاع على حقيقه الذات المقدّسه فممّا لا مطمع فيه للملائكه المقرّبين و الأنبياء المرسلين فضلا عن غيرهم، و كفى فى ذلك قول سيّد البشر صلى اللّه عليه و آله: ما عرفناك حقّ معرفتك، و فى الحديث إنّ اللّه احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار و إنّ الملاء الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم.

فلا تلتفت إلى من يزعم أنّه قد وصل إلى كنه الحقيقه المقدّسه بل احث التراب فى فيه فقد ضلّ و غوى و كذب و افترى فإنّ الأمر أرفع و أطهر من أن يتلوّث بخواطر البشر، و كلّما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، و أقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غايه مبلغه من التدقيق و ما أحسن ما قال:

آنچه پيش تو غير از آن ره نيست غايت فهم تست اللّه نيست

بل الصفات الّتى تثبتها له سبحانه إنّما هى على حسب أو هامنا و قدر أفهامنا فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفى النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصره و هو تعالى أرفع و أجلّ من جميع ما نصفه به.

و فى كلام الإمام أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام إشاره إلى هذا المعنى حيث قال: كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم و لعل النّمل الصغار تتوهّم أنّ للّه تعالى زبانيتين فإنّ ذلك كمالها، و تتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما و هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى به.

انتهى كلامه صلوات اللّه عليه و سلامه.

قال بعض المحقّقين - يعنى به المولى الجلال الدوانى -: هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التّحقيق و مورد التّدقيق، و السرّ فى ذلك أنّ التكليف

إنّما يتوقّف على معرفه اللّه بحسب الوسع و الطاقه، و إنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات الّتى ألفوها و شاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئه عن انتسابها إليهم.

و لما كان الإنسان واجبا بغيره عالما قادرا مريدا حيّا متكلّما سميعا بصيرا كلّف بأن يعتقد تلك الصفات فى حقّه تعالى مع سلب النقائص الناشئه عن انتسابها إلى الإنسان بأن يعتقد أنه تعالى واجب لذاته لا- بغيره، عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات و هكذا فى سائر الصفات، و لم يكلّف باعتقاد صفه له تعالى لا يوجد فيه مثالها و مناسبها، و لو كلّف به لما أمكنه تعقّله بالحقيقه، و هذا أحد معانى قوله عليه السّلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، انتهى كلامه.

و اعلم أنّ تلك المعرفه الّتى يمكن أن تصل إليها أفهام البشر لها مراتب متخالفه و درج متفاوته، قال المحقّق الطوسى طاب ثراه فى بعض مصنفاته: إنّ مراتبها مثل مراتب معرفه النار مثلا فإنّ أدناها من سمع أنّ فى الوجود شيئا يعدم كلّ شىء يلاقيه، و يظهر أثره فى كلّ شىء يحاذيه، و أىّ شىء اخذ منه لم ينقص منه شىء و يسمّى ذلك الموجود نارا، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه المقلّدين الّذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّه.

و أعلى منها مرتبه من وصل إليه دخان النار و علم أنّه لا بدّ له من مؤثّر فحكم بذات لها أثر هو الدّخان، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه أهل النظر و الإستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعه على وجود الصانع.

و أعلى منها مرتبه من أحسّ بحراره النار بسبب مجاورتها و شاهد الموجودات بنورها و انتفع بذلك الأثر، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى سبحانه معرفه المؤمنين الخلّص الّذين اطمأنّت قلوبهم باللّه و تيقّنوا أنّ اللّه نور السموات و الأرض كما وصف به نفسه.

و أعلى منها مرتبه من احترق بالنّار بكليّته و تلاشى فيها بجملته، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه أهل الشهود و الفناء فى اللّه و هى الدرجه العليا و المرتبه القصوى رزقنا اللّه الوصول إليها و الوقوف عليها بمنّه و كرمه، انتهى

كلامه أعلى اللّه مقامه، هذا آخر ما أردنا من نقل ما أتى به العلّامه الشّيخ البهائى طاب ثراه فى المقام.

و معنى قوله - ره -: «فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفى النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصره» أنّ العقل ينظر إلى الحياه و عدمها و هما نقيضان فيرى أنّ الحياه أشرف من الموت فيعتقد باتّصافه سبحانه بها فيقول: إنّه حىّ ، و ينظر إلى العلم و نقيضه الجهل فيعتقد باتّصافه تعالى بالأشرف منهما فيقول: انه عالم و هكذا.

و معنى كلام الدوانى: «و لم يكلّف باعتقاد صفه له تعالى لم يوجد فيه مثالها و مناسبها» يعلم من كلامنا الاتى فى أسماء اللّه المستأثره إنشاء اللّه تعالى.

و بالجمله أنّ ما يفهم الناس فى مقام خطابهم اللّه تعالى و ندائهم إيّاه هو ما يجده أهل المعرفه و يسمّون ذلك الوجدان بالكشف و الشهود.

قال العلامه الشّيخ البهائى قدس سره فى الكشكول (ص ۴۱۶ من طبع نجم الدوله): العارف من أشهده اللّه تعالى صفاته و أسماءه و أفعاله فالمعرفه حال تحدث عن شهود، و العالم من اطّلعه اللّه على ذلك لا عن شهود بل عن يقين.

و من ذاق هذه الحلاوه و التذّ بتلك اللّذه و تنعّم بتلك النعمه فقد فاز فوزا عظيما، و هذا الوجدان الشهودى الحضورى الحاصل لأهله يدرك و لا يوصف و هو طور وراء طور العقل يتوصّل إليه بالمجاهدات الكشفيّه دون المناظرات العقليه.

و لا يقدر أهله أن يقرّره لغيره على النحو الّذى أدركه، و لا يعدله لذّه و لا ابتهاج، و انظر إلى قول وليّ اللّه المتعال الإمام أبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام رواه ثقه الإسلام الكلينى فى الكافى باسناده عن جميل بن دراج عنه عليه السّلام قال:

لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه اللّه تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع به الأعداء من زهره الحياه الدّنيا و نعيمها و كانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطئونه بأرجلهم، و لنعموا بمعرفه اللّه تعالى، و تلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء اللّه، إنّ معرفه اللّه انس من كلّ وحشه، و صاحب من كلّ وحده و نور من كلّ ظلمه، و قوّه من كلّ ضعف، و شفاء من كلّ سقم، قال: قد كان قبلكم

قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيق عليم الأرض برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه من غير تره وتروا من فعل ذلك بهم و لا أذى ممّا نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا باللّه العزيز الحميد، فسلوا ربّكم درجاتهم و اصبروا على نوائب دهركم، (باب ثواب العالم و المتعلم من المجلّد الأوّل من الوافى ص ۴۲).

ثمّ إنّ التوغّل فى عالم الطبيعه الّذى هو عالم الكثره و الشتات صار حجابا للمتوغّلين فيه و لو خلصوا منه و أقبلوا إلى ما هو الحقّ الأصيل و عرفوا معنى التوحيد و الفناء فيه و صاروا موحّدين على النهج الّذى قال عزّ من قائل: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ » (الحديد: ۴) بلا تنزيه محض و تشبيه باطل لارتفع الخلاف و النزاع بينهم، و لما شاجروا أهل المعرفه فى ما يجدونه و يرونه قائلين: ما كنّا نعبد ربّا لم نره.

كما أنّ من لم يقدر الجمع بين الجمع و التفرقه إذا سمع من الفائزين به ينكره كلّ الإنكار.

و إذا تفوّه فان فى التوحيد بقوله: ليس فى الدّار غيره ديار، أو ليس الدّار و من فى الدّار إلّا هو، أو أنّ اللّه كلّ الأشياء أو نحوها من العبارات تقوّل عليه من لم يدرك فهم كلامه بعض الأقاويل و لم يعلم أنّ سببه إنما هو تراكم عروق سبل الجهل المركب الناشئه من التقليدات الراسخه المانعه له عن ذلك الإدراك.

بل كثيرا ما نرى أصاغر لا يبالون بما يقولون إذا سمعوا من متألّه أنّ الوجود واحد لا تعدّد فيه و الوجود هو اللّه تعالى أسندوه إلى الكفر و الإلحاد و الزندقه و لم يعلموا أنّ نفى الوجود الحقيقىّ عن الأشياء ليس قولا بأنّ كلّ شيء هو اللّه و ليس قولا بالإتّحاد و قد نقل طود العلم و التّقى العارف المتألّه المولى ميرزا جواد آقا الملكىّ التبريزى أعلى اللّه تعالى درجاته فى كتابه القيّم المعمول فى لقاء اللّه تعالى حكايه بقوله:

حكى أنّ حكيما كان فى أصبهان و كان من دأبه أنّه إذا حضر وقت غذائه يرسل خادمه يشترى له و لمن كان عنده كائنا من كان غذاء يأكل معه، و اتّفق فى يوم أن جاءه واحد من طلّاب البلد لحاجه وقت الغذاء، فقال الحكيم لخادمه:

اشتر لنا غذاء نتغذّى و ذهب الخادم و اشترى لهما غذاء و أحضره، قال الحكيم للفاضل:

بسم اللّه، تعال، نتغذى، قال الشّيخ: أنا لا أتغذّى، قال: تغذّيت ؟ قال: لا، قال:

لم لا تتغذّى و أنت ما تغذّيت بعد؟! قال: احتاط أن آكل من غذائكم، قال:

ما وجه احتياطك ؟ قال: سمعت أنّك تقول بوحده الوجود و هو كفر و لا يجوز لى أن آكل من طعامك معك لأنّه ينجس من ملاقاتك، قال: ما فرضت أنت معنى وحده الوجود و حكمت بكفر قائله ؟ قال: من جهه أنّ القائل به قائل بأنّ اللّه كلّ الأشياء و جميع الموجودات هو اللّه، قال: أخطأت تعال تغذّ لأنّى قائل بوحده الوجود و لا أقول بأنّ جميع الأشياء هو اللّه لأنّ من جمله الأشياء جنابك و أنا لا أشكّ فى كونك بدرجه الحمار أو أخسّ منها فأين القول بإلهيتك ؟! فلا احتياط و لا إشكال تعالى تغذّ انتهى.

و قلت: قدر أى حكيم ناسكا جاهلا فى يده سبحه يذكر الحكماء واحدا بعد واحد و يلعنهم فقال له: لما ذا تلعنهم و ما أوجب لعنهم ؟ قال: لأنهم قائلون بوحده واجب الوجود، فتبسّم الحكيم ضاحكا من قوله فقال له: أنا أيضا قائل بوحده واجب الوجود فاشتدّ الناسك غضبا فقال: اللهمّ العنه.

و اعلم أنّ البحث عن وحده الوجود تاره يتوهّم أنّ الوجود شخص واحد منحصر بفرد هو الواجب بالذّات و ليس لمفهوم الوجود مصداق آخر، و غيره من الموجودات كالسماء و الأرض و النبات و الحيوان و النفس و العقل خيالات ذلك الفرد أى ليس سوى ذلك الفرد شىء و هذه الموجودات ليست أشياء اخرى غيره كماء البحر و أمواجه حيث إنّ تلك الأمواج المختلفه فى الكبر و الصغر ليست إلاّ ماء البحر، إلاّ أنّ اختلاف الأمواج و كثرتها يوهم أنّها موجودات بحيالها غير الماء فهذا التوهم مخالف لكثير من القواعد العقليّه الحكميّه الرصينه المبانى، لأنّه يوجب نفى عليّه الحقّ و معلوليّه الممكنات حقيقه و عدم افتقار الممكنات رأسا، بل يوجب نفيها أصلا، و بالجمله أنّ مفاسدها كثيره عقلا و شرعا و لم يتفوّه به أحد من الحكماء المتألهين و العرفاء الشامخين و نسبته إليهم

اختلاق كبير و إفك عظيم.

على أنّ الاثـار المختلفه المتنوّعه المشـهوره من أنواع الموجودات حسّا و عيانا تردّ هـذا الوهم و تبطله و تنادى بأعلى صوتها أنّها مولود من فطانه بتراء.

قال صدر المتألّهين فى مبحث العلّه و المعلول من الأسـفار (الفصل ٢٧ من المرحله الرابعه فى اثبـات التكثّر فى الحقائق الإمكانيه ص ١٩٠ ج ١ من الرحلى و ص ٣١٨ ج ٢ من الطبع الجديد):

إنّ أكثر النـاظرين فى كلاـم العرفـاء الالهيّين حيث لم يصـلوا إلى مقامهم و لم يحيطوا بكنه مرامهم ظنّوا أنه يلزم من كلامهم فى إثبات التوحيد الخاصى فى حقيقه الوجود و الموجود بما هو موجود وحده شخصيّه أنّ هويّات الممكنات امور اعتباريه محضه و حقائقهـا أوهام و خيالات لا تحصل لها إلّا بحسب الإعتبار حتّى أنّ هؤلاء الناظرين فى كلامهم من غير تحصـيل مرامهم صـرّحوا بعـدميّه الـذوات الكريمه القدسـيّه و الأشـخاص الشـريفه الملكوتيّه كالعقـل الأـوّل و سـائر الملاـئكه المقرّبين و ذوات الأنبيـاء و الأولياء و الأجرام العظيمه المتعـدّده المختلفه بحركاتها المتعدّده المختلفه جهه و قدرا و آثارها المتفنّنه و بالجمله النظام المشاهد فى هـذا العالم المحسوس و العوالم الّتى فوق هـذا العالم مع تخالف أشـخاص كلّ منها نوعا و تشـخّصا و هويّه و عـددا و التّضاد الواقع بين كثير من الحقائق أيضا.

ثمّ إنّ لكـلّ منهـا آثـارا مخصوصه و أحكامـا خـاصّه و لاـ نعنى بـالحقيقه إلاّـ ما يكون مبـدأ أثر خارجى و لا نعنى بالكثره إلّا ما يوجب تعدّد الأحكام و الاثار فكيف يكون الممكن لا شيئا فى الخارج و لا موجودا فيه.

و مـا يتراءى من ظواهر كلمـات الصوفيّه أنّ الممكنـات امور اعتباريّه أو انتزاعيّه عقليّه ليس معناه ما يفهم منه الجمهور ممّن ليس لـه قـدم راسـخ فى فقـه المعـارف و أراد أن يتفطّن بأغراضـهم و مقاصـدهم بمجرّد مطـالعه كتبهم كمن أراد أن يصـير من جمله الشعراء بمجرّد تتبّع قوانين العروض من غير سليقه يحكم باستقامه الأوزان او اختلالها عن نهج الوحده الإعتداليّه.

فانّک إن کنت ممّن له أهلیّه التفطّن بالحقائق العرفانیّه لأجل مناسبه ذاتیه و استحقاق فطری یمکنک أن تتنبّه ممّا أسلفناه من أنّ کلّ ممکن من الممکنات یکون ذا جهتین: جهه یکون بها موجودا واجبا لغیره من حیث هو موجود و واجب لغیره و هو بهذا الإعتبار یشارک جمیع الموجودات فی الوجود المطلق من غیر تفاوت، و جهه اخری بها یتعیّن هویّتها الوجودیه و هو اعتبار کونه فی أیّ درجه من درجات الوجود قوّه و ضعفا کمالا و نقصا فإنّ ممکنیّه الممکن إنما ینبعث من نزوله عن مرتبه الکمال الواجبی و القوّه الغیر المتناهیه و القهر الأتم و الجلال الأرفع و باعتبار کلّ درجه من درجات القصور عن الوجود المطلق الّذی لا یشوبه قصور و لا جهه عدمیّه و لا حیثیّه امکانیّه یحصل للوجود خصائص عقلیّه و تعیّنات ذهنیّه هی المسمّات بالمهیّات و الأعیان الثابته فکلّ ممکن زوج ترکیبی عند التحلیل من جهه مطلق الوجود و من جهه کونه فی مرتبه معیّنه من القصور، إلی آخر ما أفاد قدّس سرّه.

و قال الحکیم السبزواری رضوان اللّه علیه فی بیانه: المغالطه نشأت من خلط الماهیّه بالهویه و اشتباه الماهیّه من حیث هی بالحقیقه و لم یعلموا أنّ الوجود عندهم أصل فکیف یکون الهویّه و الحقیقه عندهم اعتباریّا، أم کیف یکون الجهه النورانیّه من کلّ شیء الّتی هی وجه اللّه و ظهوره و قدرته و مشیّته المبینه للفاعل لا للمفعول اعتباریّا، تعالی ذیل جلاله عن علوق غبار الإعتبار، فمتی قال العرفاء الأخیار أولو الأیدی و الأبصار: إنّ الملک و الفلک و الإنسان و الحیوان و غیرها من المخلوقات اعتباریه، أرادوا شیئیات ماهیاتها الغیر المتأصّله عند أهل البرهان و عند أهل الذوق و الوجدان و أهل الإعتبار ذهب أوهامهم إلی ماهیاتها الموجوده بما هی موجوده أو إلی وجوداتها حاشاهم عن ذلک بل هذا نظر عامی منزّه ساحه عزّ الفضلاء عن ذلک.

نظیر ذلک إذا قال: الإنسان مثلا وجوده و عدمه علی السّواء أو مسلوب ضرورتی الوجود و العدم أراد بشیئیّه ماهیه الإنسان و نحوه أنها کذلک و ظنّ

العامی الجاهل أنه أراد الانسان الموجود فی حال الوجود أو بشرط الوجود و لم یعلم أنّه فی حال الوجود و بشرطه محفوف بالضرورتین و لیست النسبتان متساویتین و لا جائزتین إذ سلب الشیء عن نفسه محال و ثبوت الشیء لنفسه واجب، بل لو قیل: بأصاله الماهیّه فالماهیّه المنتسبه إلی حضره الوجود أصلیّه عند هذا القائل لا الماهیّه من حیث هی فإنّها اعتباریّه عند الجمیع، و قول الشّیخ الشبستری: تعیّنها امور اعتباریست، ینادی بما ذکرناه.

و بما حقّقناه علمت أنّ ما توهّمه بعض من أنّ الوجود مع کونه عین الواجب و غیر قابل للتجزّی و الانقسام قد انبسط علی هیاکل الموجودات و ظهر فیها فلا یخل منه شیء من الأشیاء بل هو حقیقتها و عینها و إنما امتازت و تعیّنت بتقیّدات و تعیّنات و تشخّصات اعتباریّه، و یمثل ذلک بالبحر و ظهوره فی صوره الأمواج المتکثره مع أنه لیس هناک إلاّ حقیقه البحر فقط ، لیس علی ما ینبغی بل وهم، اللهمّ إلاّ أن یقال: إنّ مراده من قوله: و یمثل ذلک بالبحر و ظهوره فی صوره الأمواج المتکثره لیس محمولا علی ظاهره بل المراد شدّه افتقار ما سواه تعالی به فانّ الکلّ قائم به کالأمواج بالبحر مثلا، أو نحو هذا المعنی.

و تاره یعقل من الوحده الدایره فی ألسنتهم الوحده السنخیّه لا الوحده الشخصیّه المذکوره بمعنی أنّ أعلی مرتبه الوجود کالأوّل تعالی متحد مع أدنی مرتبته و أضعف الموجودات کالجسم و الهیولی فی سنخ أصل حقیقه الوجود و التفاوت و التمایز إنما فی الشدّه و الضعف و النقص و الکمال و عظم درجه الوجود و صغرها و تفاوت شئون الوجود من الحیاه و العلم و القدره و نحوها، و بالجمله أنّ ما به الامتیاز عین ما به الإتّفاق و أهل الحکمه یسمّون هذا المعنی بالوحده السنخیّه، و الاشتراک المعنوی فی الوجود، و هذا رأی الفهلویین من الحکماء نظمه المتألّه السبزواری قدّس سرّه فی غرر الفرائد بقوله:

الفهلویون الوجود عندهم حقیقه ذات تشکّک تعم

مراتبا غنی و فقرا تختلف کالنور حیثما تقوی و ضعف

و هـذا الرأى لا ينافى أمرا من الامور العقليّه، و لا المبانى الشـرعيّه، بل ذهب أكثر المحقّقين إلى أنّ صدور المعلول من العلّه إنّما يصحّ على هذا المبنى، لأنّ الموجودات لو كانت حقائق متبائنه كما اسـند إلى طائفه يستلزم مفاسد كثيره منها عدم كون ما سوى اللّه تعالى آياته و علاماته لأنّ السنخيّه بين العلّه و المعلول حكم عقلى لا يشوبه ريب، و ذلك لأنّ الشىء لا يصدر عنه ما يضادّه و لا ـ يثمر مـا يبـاينه و إلّا يلزم أن لا يكون وجود العلّه حـدّا تامّا لوجود معلولها، و لا وجود المعلول حـدّا ناقصا لوجود علّته، كما يلزم أن لا يكون حينئذ العلم بالعلّه مستلزما للعلم بالمعلول، و الكلّ كما ترى.

و أمّـا هؤلاء الطـائفه فظـاهر الكلاـم الحكيم المتـألّه السبزوارى قـدّس سرّه الشـريف فى الغرر هم المشـاءون كلّهم حيث قال: و الوجود عند طائفه مشّائيّه من الحكماء حقائق تباينت، و الدائر فى ألسـنه كثير ممّن عاصرناهم كذلك أيضا، و لكن صريح كلام ابن تركه فى كتاب التمهيد فى شـرح رساله قواعد التوحيد: أنّ مذهب المشاءين فى هذه المسأله التشـكيك، حيث قال فى شرح كلام المصنّف تركه:

«ثمّ إنّ الوجود الحاصل للماهيات المختلفه و الطّبايع المتخالفه - إلخ»:

أقول: هـذا دليل على بطلان القول بالتشـكيك الّـذى هو مبنى قواعـد المشاءين فى هذه المسأله و عمده عقائدهم. انتهى ما أردنا من نقل كلامه (ص ۴۸ طبع ايران ۱۳۵۱).

و لا يخفى عليك أنّ كلام ابن تركه يبائن كلام السبزوارى، و لا يبعد أن يقال: إنّ مراده من طائفه مشائيه بعضـهم و اللّه سـبحانه أعلم.

و ثـالثه يعقـل من الوحـده الوحـده الشخصـيّه غير الوجه الأـوّل الباطـل بل بمعنى أنّ الوجود واحـد كثير، أى إنّه مع كونه واحـدا بالشـخص كثير و تلـك الكثره و التعـدّد و اختلاـف الأـنواع و الاثار لا تنافى وحـدته لأنّ الوحـده من غايه سـعتها و إحاطتها بما سواهـا تشـمل على جميع الكثرات الواقعيه، و الوجود حقيقه واحـده و لهـا وحـده لاـ تقابل الكثره و هى الوحـده الـذاتيه، و كثره ظهوراتها و صورها لا تقدح

فی وحده ذاتها.

و یعبّرون عن هذا المعنی بالوحده فی عین الکثره، و الکثره فی عین الوحده، و یمثّلونه بالنفس الناطقه الإنسانیّه لأنّ کلّ إنسان شخص واحد بالضروره، قال عزّ من قائل: «ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ » (الأحزاب: ۴) و النّفس النّاطقه مع أنّها واحده بالشخص هی عین جمیع قواها الظاهره و الباطنه و تلک القوی مع کونها کثیره هی عین النّفس النّاطقه الواحده بالشخص.

فالنّفس بالحقیقه هی العاقله المتوهّمه المتخیّله الحسّاسه المحرّکه المتحرّکه و غیرها و هی الأصل المحفوظ فی القوی لا قوام لها إلّا بها، قال المتألّه السبزواری فی بعض تعالیقه علی کتابه غرر الفرائد: و الحقّ أنّ وجود النّفس ذا مراتب و أنها الأصل المحفوظ فیها و أنّ کلّ فعل لأیّه قوّه تنسب فی الحقیقه فعلها بلا مجاز وجدانیّ ، و هذا ذوق أرباب العرفان، قال الشّیخ العربی فی فتوحاته:

النّفس النّاطقه هی العاقله و المفکّره و المتخیّله و الحافظه و المصوّره و المغذیه و المنمیه و الجاذبه و الدّافعه و الهاضمه و الماسکه و السامعه و الباصره و الطاعمه و المستنشقه و اللّامسه و المدرکه لهذه الامور، فاختلاف هذه القوی و اختلاف الأسماء لیست بشیء زائد علیها، بل هی عین کلّ صوره هذا کلامه.

فأنوار المراتب المسمّاه بالقوی کلّها فانیه فی نور النّفس النّاطقه، و التنزیه الّذی یراعیه الحکماء إنّما هو لئلّا یقف الأذهان فی مراتب جسمها و جسمانیّتها کأذهان الطباعیّه و العوام و هو یرجع إلی تنزیه مرتبه منها هی أعلی مراتبها و هی المسمّاه بذاتها، و البواقی اشراقاتها المتفاضله، انتهی کلامه - قدّه.

قال صدر المتألّهین قدّس سرّه فی الأسفار: إنّ النّفس الإنسانیّه لیس لها مقام معلوم فی الهویّه و لا لها درجه معیّنه فی الوجود کسائر الموجودات الطبیعیّه و النفسیّه و العقلیّه الّتی کلّ له مقام معلوم، بل النّفس الانسانیّه ذات مقامات و درجات متفاوته، و لها نشئات سابقه و لاحقه، و لها فی کلّ مقام عالم و صوره اخری.

و بیان هذا القول المنیع الشریف یطلب من کتابه فی المبدأ و المعاد حیث قال فیه (ص ۲۸۲): الوحده الشخصیّه فی کلّ شیء لیست علی وتیره واحده و درجه واحده فإنّ الوحده الشخصیّه فی الجواهر المجرّده حکمها غیر الوحده الشخصیّه فی الجواهر المادّیه، فإنّ فی الجسم الواحد الشخصی یستحیل أن یجتمع أوصاف متضادّه و أغراض متقابله من السواد و البیاض و السعاده و الشقاوه و اللذّه و الألم و العلوّ و السفل و الدّنیا و الاخره و ذلک لضیق حوصله ذاته و قصر ردائه الوجودی عن الجمع بین الامور المتخالفه بخلاف وجود الجوهر النطقی من الإنسان فإنّها مع وحدتها الشخصیّه جامعه للتجسّم و التجرّد و حاصره للسعاده و الشقاوه فانها قد یکون فی وقت واحد فی أعلی علّیین و ذلک عند تصوّر أمر قدسی، و قد یکون فی أسفل سافلین و ذلک عند تصوّر أمر شهویّ ، و قد یکون ملکا مقرّبا باعتبار و شیطانا مریدا باعتبار.

و ذلک لأنّ إدراک کلّ شیء هو بأن ینال حقیقه ذلک الشیء المدرک بما هو مدرک بل بالاتّحاد معه کما رآه طائفه من العرفاء و أکثر المشاءین و المحققون و صرّح به الشّیخ أبو نصر فی مواضع من کتبه، و الشّیخ اعترف به فی کتابه المسمّی بالمبدإ و المعاد و فی موضع من الشفاء حیث قال فی الفصل السّادس من المقاله التاسعه من الإلهیّات بهذه العباره:

ثمّ کذلک حتّی یستوفی فی النّفس هیئه الوجود کلّه فینقلب عالما معقولا- مقبولا- موازیا للعالم الموجود کلّه مشاهدا لما هو الحسن المطلق و الخیر المطلق و الجمال الحقّ و متّحده به و منتقشه بمثاله و هیئاته و منخرطه فی سلکه و سائره من جوهره.

و ممّا یؤیّد ذلک أنّ المدرک بجمع الإدراکات و الفاعل بجمیع الأفاعیل الواقعه من الإنسان هو نفسه الناطقه النازله إلی مرتبه الحواس و الالات و الأعضاء و الصّاعده إلی مرتبه العقل المستفاد و العقل الفعال فی آن واحد و ذلک لسعه وجودها و بسط جوهریّتها و انتشار نورها فی الأکناف و الأطراف بل یتطوّر ذاتها بالشئون

و الأطوار و تجلّيها على الأعضاء و الأرواح، و تحلّيها بحليه الأجسام و الأشباح مع كونها من سنخ الأنوار و معدن الأسرار.

و من هذا الأصل تبيّن و تحقّق ما ادّعيناه من كون شيء واحد، تاره محتاجا فى وجوده إلى عوارض مادّيه و لواحق جسميّه و ذلك لضعف وجوده و نقص تجوهره، و تاره ينفرد بذاته و يتخلّص بوجوده و ذلك لاستكمال ذاته و تقوى انيّته و ما اشتهر بين متقدّمى المشاءين أنّ شيئا واحدا لا يكون له إلّا أحد نحوى الوجود الرابطى و الاستقلالى غير مبرهن عليه بل الحق خلافه، نعم لو اريد منه أنّ الوجود الواحد من جهه واحده لا يكون ناعتيّا و غير ناعتىّ لكان صحيحا. انتهى كلامه قدّس سرّه.

و يعبّرون عن الوحده الجمعيه الّتى فى الحقّ سبحانه بالوحده الحقّه الحقيقيّه و الّتى فى النّفس بالوحده الحقّه الظلّيه، و من كان عين بصيرته مفتوحه يعرف من هذا سرّ قوله صلى اللّه عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، قال علم الهدى الشريف المرتضى رضوان اللّه عليه فى المجلس التاسع عشر من أماليه غرر الفوائد و درر القلائد (۲۷۴ ج ۱):

روى أنّ بعض أزواج النّبىّ صلى اللّه عليه و آله سألته متى يعرف الإنسان ربّه ؟ فقال: إذا عرف نفسه، و فى ص ۳۲۹ ج ۲ منه روى عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أنّه قال: أعلمكم بنفسه أعلمكم بربّه، قال العارف الرومى:

سايهٔ يزدان بود بندهٔ خدا مردهٔ اين عالم و زندهٔ خدا

كيف مدّ الظلّ نقش أوليا است كو دليل نور خورشيد خدا است

و تسمّى هذه الكثره بالكثره النوريّه، و هى كلّما كانت أوفر كانت فى الوحده أوغر، و قد اختار الخواجه لسان الغيب هذا المعنى فى قوله:

زلف آشفتهٔ او موجب جمعيّت ما است چون چنين است پس آشفته ترش بايد كرد

و فى قوله الاخر:

از خلاف آمد دوران بطلب كام كه من كسب جمعيّت از آن زلف پريشان كردم

و قد اختار صدر المتألّهين المولى صدرا قدّس سرّه الشريف هذا الوجه،

و شنّع على القسم الأوّل و أبطله فى مبحث العلّه و المعلول من الأسفار، كما دريت و هذا وجه وجيه شريف دقيق يوافقه البرهان و ذوق العرفان و الوجدان و لا ينافى أمرا.

و رابعه يعقل معنى الوحده على وجه أدقّ و ألطف من الوجوه المتقدّمه و أعلى و أرفع منها، و الإخلاص فى العباده كما ندب إليه العقل و النقل مقدّمه لحصول هذا المقام المنيع الأسنى، و سلّم للارتقاء إلى هذا المنظر الرفيع الأعلى، و من راقب الإخلاص و الحضور يستعدّ للوصول إلى هذه الرتبه العظمى و الجنّه العليا و فيها ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين فيرى ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و قد سلك إليه العرفاء الشامخون.

تقريره: أنه لا شبهه بوجود الكثره و التعدّد و اختلاف الأنواع و الأصناف و الأفراد، و اللّه جلّ جلاله فى إيجاد الممكنات المختلفه و تكوينها، قد ظهر و تجلّى بالحياه و القدره، و العلم و الإراده تجلّى المتكلّم الفصيح البليغ فى كلامه، و ظهور عاكس كإنسان مثلا فى مرائى متعدّده مختلفه جنسا و لونا و شكلا وجهه و عظما و صغرا و غيرها من الصفا و الكدره و لا ريب أنّ ما يرى من عكوسه المختلفه فى أنحاء كثيره فى تلك المرائى ظهوره فيها لا وجوده فيها، و لا حلوله فيها، و لا اتّحاده معها، و كذا الكلام فى تجلّى المتكلّم فى كلامه.

فإذا نظر شخص آخر فى تلك المرائى و المظاهر يرى عكوس الأوّل المتعدّده المختلفه فيها، كما يرى تلك المرائى أيضا، فمن وقع نظره على العكوس المتفاوته بالمحالّ و المجالى من غير أن يجعلها عنوانات للعاكس فهو يزعمها أشياء مستقلّه بذواتها، و قد غاب عن العاكس كما هو مذهب عامّه النّاس.

و من جعل نظره فى العاكس فقط بحيث إنّ كلّه مشغول بكلّه، و من فرط العشق به لم يلتفت إلى غيره من الصّور و المرائى، و لم يشاهد فى تلك الكثرات و التعيّنات إلّا إيّاه، أعنى أصل الصور و صاحبها، فهذا وحده الوجود فى النظر و فناء فى الصوره.

زهر رنگی که خواهی جامه می پوش که من آن قدّ رعنا می شناسم

فالموحّد الحقیقی إذا أسقط الإضافات و لم یشاهد أعیان الممکنات و الحقائق الوجودیّه الإمکانیّه و الجهات الکثیره الخلقیّه، و لم ینظر إلیها و لم یر فیها إلّا تجلّیه تعالی و ظهور قدرته و صفاته الکمالیّه حیث لم تشغله تلک الخلیقه عن الوجود الواجبی و لم تنسه عن لقاء اللّه عزّ و جلّ ، و لم تذهله عن وجهه فی کلّ شیء فهو فان فی اللّه مرزوق عنده و لا یری إلاّ إیّاه و لا یرزق التوحید بهذا المعنی إلّا الأوحدیّ من أهل اللّه، الفائز بنعمه لقائه العظمی.

لقد ظهرت فلا تخفی علی أحد إلّا علی أکمه لا یعرف القمرا

و الموحّد فی ذلک المشهد یری ما سواه من الأرض و السماء و الغیب و الشهاده مرتبطا بعضها ببعض و لا یری فصلا بینها کارتباط أجزاء بدن واحد بعضها ببعض، و بهذا المعنی قد جعل وحده العالم دلیلا علی توحیده تبارک و تعالی، و إن کان کلّ شیء بحیاله یدلّ علی وحدانیّته تعالی کما قرّر فی محلّه.

و فی کلّ شیء له آیه تدلّ علی أنّه واحد

هر گیاهی که از زمین روید وحده لا شریک له گوید

و روی الصّدوق فی باب الردّ علی الثنویه و الزنادقه من التوحید ص ۲۵۴ باسناده عن هشام بن الحکم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: ما الدّلیل علی أنّ اللّه واحد؟ قال: اتّصال التّدبیر و تمام الصنع، کما قال عزّ و جلّ : «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا ».

و إذا نال الموحّد هذا المقام العظیم یجد سلطان اللّه تعالی علی ما سواه و یری أنّه «ما مِنْ دَابَّهٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها »، و یقول: «لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » و یصل إلی سرّ قول إمام الموحّدین أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام:

«مع کلّ شیء لا بمقارنه و غیر کلّ شیء لا بمزایله».

قال القصیری فی شرح الفصّ الإدریسی من فصوص الحکم: انظر أیّها السالک طریق الحقّ ما ذا تری من الوحده و الکثره جمعا و فرادی ؟ فإن کنت

تری الوحده فقط فأنت مع الحقّ وحده لارتفاع الإثنیّه، و إن کنت تری الکثره فقط فأنت مع الخلق وحده، و إن کنت تری الوحده فی الکثره محتجبه، و الکثره فی الوحده مستهلکه، فقد جمعت بین الکمالین و فزت بمقام الحسنیین. انتهی کلامه.

و بما قرّرنا علم سرّ قول کاشف الحقائق الإمام جعفر بن محمّد الصّادق علیهما السّلام: «و اللّه لقد تجلّی اللّه عزّ و جلّ لخلقه فی کلامه و لکن لا یبصرون» رواه عنه علیه السّلام العارف الربّانی مولانا عبد الرزّاق القاسانی فی تأویلاته کما فی آخر کشکول العلاّمه البهائی ص ۶۲۵ من طبع نجم الدوله، و کذا الشّیخ الأکبر محیی الدّین فی مقدّمه تفسیره (ص ۴ ج ۱)، کذا رواه عنه علیه السّلام أبو طالب محمّد بن علیّ الحارثی المکّی فی قوّه القلوب (ص ۱۰۰، ج ۱ من طبع مصر ۱۳۸۱ ه) و قد روی قریبا منه ثقه الإسلام الکلینیّ فی روضه الکافی (۲۷۱ من الطبع الرّحلی) عن مولانا أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام فی خطبه خطب بها فی ذی قار حیث قال علیه السّلام:

فتجلّی لهم سبحانه فی کتابه من غیر أن یکونوا رأوه، و أتی بها الفیض المقدّس فی الوافی ص ۲۲ م ۱۴، و قد نقلناها فی شرح المختار ۲۲۹ من الخطب، فراجع إلی ص ۱۹ من ج ۱۵.

و بعد اللّتیا و الّتی نقول: و للّه المثل الأعلی، و التوحید علی الوجه الرابع أدقّ من التمثیل المذکور أعنی مثل صور عاکس فی المرایا، و نعم ما قاله الشّیخ العارف محیی الدّین العربی فی الباب الثالث و الستّین من کتاب الفتوحات المکّیه کما فی الأسفار: إذا أدرک الإنسان صورته فی المرآه یعلم قطعا أنه أدرک صورته بوجه و أنه ما أدرک صورته بوجه لما یراه فی غایه الصغر لصغر جرم المرآه أو الکبر لعظمه و لا یقدر أن ینکر أنّه رأی صورته و یعلم أنّه لیس فی المرآه صورته و لا هی بینه و بین المرآه فلیس بصادق و لا کاذب فی قوله رأی صورته و ما رأی صورته فما تلک الصوره المرئیه، و أین محلّها و ما شأنها فهی منتفیه ثابته موجوده معدومه معلومه مجهوله أظهر سبحانه هذه الحقیقه لعبده ضرب المثال لیعلم و یتحقّق أنه إذا عجز و حار فی درک حقیقه هذا و هو من العالم و لم یحصل علما بحقیقته فهو بخالقها إذن

أعجز و أجهل و أشدّ حيره. انتهى.

قال الغزالى فى الإحياء فى بيان الوجه الأخير من التوحيد: هو أن لا يرى فى الموجود إلّا واحدا و هو مشاهده الصدّيقين و يسمّيه الصوفيّه الفناء فى التوحيد لأنّه من حيث لا يرى إلّا واحدا لا يرى نفسه أيضا بمعنى أنّه فنى عن رؤيه نفسه.

فإن قلت: كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلّا واحدا و هو يشاهد السّماء و الأرض و سائر الأجسام المحسوسه و هى كثيره ؟ فاعلم أنّ هذا غايه علوم المكاشفات و أنّ الموجود الحقيقى واحد، و أنّ الكثره فيه فى حقّ من يفرق نظره، و الموحّد لا يفرق نظر رؤيه السماء و الأرض و سائر الموجودات بل يرى الكلّ فى حكم الشىء الواحد، و أسرار علوم المكاشفات لا يسطر فى كتاب، نعم ذكر ما يكسر سوره استبعادك ممكن و هو أنّ الشىء قد يكون كثيرا بنوع مشاهده و اعتبار، و يكون بنوع آخر من المشاهده و الاعتبار واحدا كما أنّ الإنسان كثير إذا نظر إلى روحه و جسده و سائر أعضائه و هو باعتبار آخر و مشاهده اخرى واحد إذ نقول إنّه إنسان واحد فهو بالإضافه إلى الإنسانيّه واحد، و كم من شخص يشاهد إنسانا و لا يخطر بباله كثره أجزائه و أعضائه و تفصيل روحه و جسده، و الفرق بينهما و هو فى حاله الاستغراق و الاستهتار مستغرق واحد ليس فيه تفرّق و كأنّه فى عين الجمع و الملتفت إلى الكثره فى تفرقه.

و كذلك كلّ ما فى الوجود له اعتبارات و مشاهدات كثيره مختلفه و هو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد و باعتبار آخر سواه كثير بعضه أشدّ كثره من بعض.

و مثال الانسان و إن كان لا يطابق الغرض و لكن ينبّه فى الجمله على كشف الكثير و يستفيد معا من هذا الكلام بترك الإنكار و الجحود بمقام لم تبلغه و تؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب منه، و إن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنّك إذا آمنت بالنّبوّه كان لك نصيب منه، و إن لم يكن بيّنا و هذه المشاهده الّتى لا يظهر فيها إلّا الواحد الحقّ سبحانه تاره يدوم

و تاره یطرأ کالبرق الخاطف و هو أکثر و الدوام نادر عزیز جدّا.

و قال فی موضع آخر من الکتاب: و أمّا من قویت بصیرته و لم یضعف نیّته فانّه فی حال اعتدال أمره لا یری إلّا اللّه و لا یعرف غیره، و یعلم أنّه لیس فی الوجود إلاّ اللّه تعالی و أفعاله أثر من آثار قدرته فهی تابعه له فلا وجود لها بالحقیقه و إنّما الوجود للواحد الحقّ الّذی به وجود الأفعال کلّها، و من هذا حاله فلا ینظر فی شیء من الأفعال إلّا و یری فیه الفاعل و یذهل عن الفعل من حیث إنّه سماء و أرض و حیوان و شجر بل ینظر فیه من حیث إنّه صنع فلا یکون نظره مجاوزا له إلی غیره کمن نظر فی شعر إنسان أو خطّه أو تصنیفه، فرأی فیه الشاعر و المصنّف و رأی آثاره من حیث إنّه آثاره لا من حیث إنه حبر و عفص و زاج مرقوم علی بیاض، فلا یکون قد نظر إلی غیر المصنّف و کلّ العالم تصنیف اللّه فمن نظر إلیها من حیث إنّها فعل اللّه و أحبّها من حیث إنّها فعل اللّه لم یکن ناظرا إلاّ فی اللّه، و لا عارفا إلاّ باللّه، و لا محبّا إلاّ اللّه، بل لا ینظر إلی نفسه من حیث نفسه بل من حیث إنّه عبد اللّه فهذا الّذی یقال إنّه فنی فی التوحید، و إنّه فنی فی نفسه و إلیه الإشاره بقول من قال: کنّا بنا فغبنا عنّا فبقینا بلا نحن، فهذه امور معلومه عند ذوی البصائر اشکلت لضعف الأفهام عن درکها، و قصور قدر العلماء بها عن إیضاحها و بیانها بعباره مفهمه موصله للغرض إلی الأفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم و اعتقادهم أنّ بیان ذلک لغیرهم ممّا لا یغنیهم. انتهی کلامه.

قلت: قد رأیت لیله الاثنین الثالثه و العشرین من ربیع الأوّل من شهور السنّه السّابعه و الثمانین و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره بعض مشایخی متّع اللّه المسلمین بطول بقائه فی منامی، قد ناولنی رساله فی السیر و السلوک إلی اللّه تبارک و تعالی، ثمّ قال لی: «التوحید أن تنسی غیر اللّه» و لمّا قصصت علیه الرؤیا، قال مدّ ظلّه العالی:

نشانی داده اندت از خرابات که التوحید إسقاط الإضافات

و البیت من گلشن راز للشبستری قدّس سرّه.

و خامسه يعنى بالوحده ما يفوه به من يبوح قائلا من عرّف سرّ القدر فقد ألحد.

فبما قدّمنا علمت أنّ المراد من وحده الوجود ليس ما توهّمه أوهام من لم يصل إلى مغزا مرامهم و سرّ كلامهم، و أنّ لقاء اللّه تعالى الحاصل لأهله ليس كما يتصوّره الجهّال الّذين لم يجمعوا بين الجمع و التفرقه، و قد جاء حديث عن معدن الحقائق الإمام أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق صلوات اللّه تعالى عليه:

«إنّ الجمع بلا تفرقه زندقه، و التفرقه بدون الجمع تعطيل، و الجمع بينهما توحيد».

و قال المولى الحكيم العارف المتألّه ميرزا محمّد رضا القمشى قدّس سرّه فى تعاليقه على تمهيد القواعد لابن تركه فى شرح قواعد التوحيد لتركه فى بيان الحديث:

ذهبت طائفه من المتصوّفه إلى أنّ الوجود حقيقه واحده لا تكثّر فيها و لا تشأن لها و ما يرى من الممكنات المكثّره امور موهومه باطله الذوات كثانى ما يراه الأحول، و هذا زندقه و جحود و نفى له تعالى لأنّ نفى الممكنات يستلزم نفى فاعليّته تعالى، و لمّا كان فاعليّته تعالى نفس ذاته فنفى فاعليّته يستلزم نفى ذاته و إليه أشار عليه السّلام بقوله: إنّ الجمع بلا تفرقه زندقه.

و ذهبت طائفه اخرى منهم إلى أنّ الممكنات موجوده مكثره و لا جاعل و لا فاعل لها خارجا عنها، و الوجود المطلق متّحد بها بل هو عينها و هذا إبطال لها و تعطيل لها فى وجودها فإنّه حينئذ لا معطى لوجودها لأنّ المفروض أن لا واجب خارجا عنها و الشىء لا يعطى نفسها و لا يوصف الممكن بالوجوب الذاتى، و إليه أشار عليه السّلام بقوله: و التفرقه بدون الجمع تعطيل، و يظهر من ذلك البيان أنّ كلا القولين يشتمل على التناقض لأنّ الجمع بلا تفرقه يستلزم نفى الجمع، و التفرقه بدون الجمع يستلزم نفى التفرقه. انتهى كلامه رفع مقامه.

و إن شئت تقرير ذلك المطلب الأسنى على اسلوب آخر أبين و أوضح ممّا تقدّم، فاعلم أنّ ما يخبر عنه و يصدر عنه أثر هو الوجود لا غير و سواه ليس محض و عدم

صرف و باطل بالذات و ما ليس بشيء ليس بشيء حتّى يكون ذا أثر، و إذا تأمّلت فى الأشياء الممكنه تجدها أنّ ظهورها بالوجود، و لولاه لم يكن لها ظهور فضلا عن أن يكون لها أثر فاذا تحقّق الوجود فى موطن يتبعه أثر لائق بذلك الموطن.

و تجد أنّ لها اعتبارين: أحدهما وجودها و الاخر حدودها فتصير وجودات مقيّده محدوده، فبالقيد و الحدّ تسمّى بأسماء لفظيه، فيقال: هذه أرض، و تلك شمس و ذلك قمر و فلك و ملك و هكذا، و تلك الحدود يعبّر عنها فى الكتب الحكميّه بل فى الجوامع الروائيّه بالماهيّه، و لمّا لم يكن للأوّل تعالى حدّ لم تعلم له ماهيّه، و فى دعاء اليمانى لإمام الموحّدين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام رواه السيّد الأجلّ ابن طاوس عليه رحمه الملك القدّوس، مسندا فى مهج الدعوات (ص ١٠٥):

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم اللهمّ أنت الملك الحقّ الّذى لا إله إلاّ أنت - إلى أن قال بعد سطور: لم تعن فى قدرتك، و لم تشارك فى إلهيّتك، و لم تعلم لك مائيّه فتكون للأشياء المختلفه مجانسا، إلخ.

و فى باب نفى الجسم و الصوره و التشبيه من ثانى البحار نقلا عن روضه الواعظين:

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال له رجل: اين المعبود؟ فقال عليه السّلام: لا يقال له أين لأنّه أيّن الأيّنيّه، و لا يقال له كيف لأنّه كيّف الكيفيّه، و لا يقال له ما هو لأنّه خلق الماهيّه - الحديث.

و الماهيّه و المائيّه بمعنى واحد و هى مشتقّه عن ما هو، كما هو صريح روايه أمير المؤمنين عليه السّلام، و كما صرّح به المحقّق الخواجه نصير الدّين الطوسى قدّس سرّه فى أوّل الفصل الثانى من المقصد الأوّل من التجريد، و المتألّه السبزوارى فى أوّل الفريده الخامسه من غرر الفرائد، و تعبير الماهيّه بالمائيّه فى كتب القدماء بل فى الروايات كثيره جدّا، و قد كان فيلسوف العرب الكندى يعبّرها فى رسائله بالمائيّه، كما ترى فى رسائله الفلسفيّه المطبوعه فى مصر، و قد روى الشّيخ الجليل الصّدوق فى باب تفسير «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » من كتاب التوحيد بإسناده عن وهب بن وهب القرشى قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: قدم وفد من أهل فلسطين على

الباقر عليه السّلام فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثمّ سألوه عن الصمد، فقال: تفسيره فيه، الصمد خمسه أحرف: فالألف دليل على انّيته، و هو قوله عزّ و جلّ «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» و ذلك تنبيه و إشاره إلى الغائب عن درك الحواس، و اللام دليل على إلهيّته بأنّه هو اللّه - إلى أن قال: لأنّ تفسير الإله هو الّذى أله الخلق عن درك مائيّته و كيفيّته بحسّ أو وهم - إلى أن قال: فمتى تفكّر العبد فى مائيّه البارى و كيفيّته أله فيه و تحيّر - إلخ، و الإنيّه مشتقّه من الإنّ ، كما قال الإمام عليه السّلام من حسن صنيعته: و هو قوله عزّ و جلّ : «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» و التعبير عن تحقّق الشىء و وجوده بالإنيّه و عن حدوده بالماهيّه أو المائيّه غير عزيز فى ألسنه أهل اللّه.

و الماهيّات بأسرها ظاهره بالوجود فهى ليست نورى الذّات بل بذاتها ليس محض و ظلمه و إنّما أيسها و نورها بغيرها و هو الوجود، و لما لم يكن للّه جلّ جلاله حدّ و نهايه فلا يتصوّر فيه ماهيّه تعالى عن أن يكون مجانسا لمخلوقاته و فى الحديث: ربّنا نورى الذّات، حىّ الذات، قادر الذّات، عالم الذّات، من قال أنه قادر بقدره، عالم بعلم، حىّ بحياه، فقد اتّخذ مع اللّه آلهه اخرى و ليس على ولايتنا من شىء.

و فى التوحيد عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول:

إنّ اللّه نور لا ظلمه فيه، و علم لا جهل فيه، و حياه لا موت فيه.

و فيه بإسناده عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال لى:

أتنعت اللّه ؟ قلت: نعم، قال عليه السّلام: هات، فقلت: هو السميع البصير، قال عليه السّلام هذه صفه يشترك فيها المخلوقون، قلت: و كيف ننعته ؟ فقال عليه السّلام: هو نور لا ظلمه فيه، و حياه لا موت فيه، و علم لا جهل فيه، و حقّ لا باطل فيه، فخرجت من عنده و أنا أعلم الناس بالتوحيد.

و لمّا كان النور ظاهرا بذاته و مظهرا لغيره كما ترى الأنوار المحسوسه

من نور القمر و الكواكب و ضياء الشمس و غيرها، و يطلق عليها النور من هذه الحيثيّه كما أنّ النّور يطلق على العلم من حيث ظهوره للعالم، كذلك فقد جاء فى الخبر عن سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله: العلم نور و ضياء يقذفه اللّه فى قلوب أوليائه كما فى جامع الأسرار للسيّد المتألّه حيدر الاملى قدّس سرّه (ص ۵۱۳) و فى خبر آخر عنه صلى اللّه عليه و آله: ليس العلم بكثره التعلّم إنّما هو نور يقذفه اللّه فى قلب من يريد أن يهديه، كما فى قرّه العيون للفيض المقدّس رضوان اللّه عليه (ص ۲۲۰) و فى الحديث الاتى عن عنوان البصرى عن الإمام الصّادق عليه السّلام اطلق على شمس الوجود المضيئه لغيرها من ماهيّات القوالب و الهياكل الإمكانيّه بل مخرجها من اللّيس إلى الايس اسم النور أيضا بل هو النور حقيقه و يستنير سائر الأنوار الحسّيه به لما دريت من أنّ ظهور كلّ شىء به، فالوجود ظاهر بذاته و مظهر لغيره من أشباح الماهيات و هياكلها، كما يرشدك إليه قوله عزّ و جلّ : «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » - الايه.

و قد روى الشّيخ الجليل الصّدوق فى أوّل باب تفسير قول اللّه عزّ و جلّ :

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » إلى آخر الايه بإسناده عن العبّاس بن هلال قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ : «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » فقال: هاد لأهل السّماء و هاد لأهل الأرض، قال: و فى روايه البرقى: هدى من فى السّماوات و هدى من فى الأرض.

و ذلك لأنّ كلّ من هدى إلى حقيقه فإنّما هدى بنور الوجود و لولاه لكانت الظلمات غالبه فالنور أى الوجود هو الهادى فليس إلاّ، صدق وليّ اللّه الأعظم فى قوله حيث فسّر النور بالهادى.

فان قلت: قد جاءت فى عدّه آيات و كثير من أدعيّه و روايات أنه تعالى مضلّ أيضا كقوله تعالى: «مَنْ يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الأنعام: ۴۰)، و قوله تعالى: «فَإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ » (فاطر: ۸) و نحوهما فكيف التوفيق ؟

قلت: الإضلال: إخراج الغير عن الطريق من دواع نفسانيّه و أغراض شخصيّه من إعمال حقد و حسد و نحوهما حتّى يحصل التشفّى للمضلّ بإضلاله الغير، و لا يخفى عليك أنّ إسناد الاضلال إليه تعالى قبيح عقلا لعدم تجويز العقل إسناده إليه فليس الإضلال بمعناه الحقيقى مسندا إليه تعالى من غير التوسّل بوسط .

فنقول: لا كلام أنّه تعالى مضلّ ، من يشإ اللّه يضلله، و لكن تحت هذا سرّ و يتّضح لك بإيراد مثال و هو أن نقول: لو كان لك أولاد و لم تأمرهم بعمل و دستور لا يصحّ أن يقال: إنّ فلانا أطاع أباه، و فلانا عصاه، و أمّا إذا جعلت لهم دستورا يأمرهم بالخير قبله بعض و أبى بعض آخر، فحينئذ يقال للأوّل: المطيع، و للثانى:

العاصى، ثمّ لمّا كان ذلك الدستور حاويا لما فيه صلاحهم و رشادهم، فأنت هاد للبعض الأوّل، و حيث إنّ الثانى ظلم نفسه و أعرض عن الدستور، فحينئذ يقال له:

هو ضالّ و أنت مضلّ له، بمعنى أنّه لو لم يكن جعل هذا الدستور لم يتميّز الهدايه من الضلاله، و لم يصحّ قبل تعيين الطريق، أن يقال: فلان اهتدى و فلان ضلّ ، فبالحقيقه أنّ الثانى إنّما ضلّ عن دستورك و طريقك فأنت مضلّ له بهذا المعنى الدقيق اللّطيف.

فإذا فهمت المثال فهمت جواب السؤال و ذلك لأنّه لو لا إرسال الرسل و إنزال الكتب لما يتميّز الخبيث عن الطيّب و لم يصحّ أن يقال: فلان هدى إلى الصراط المستقيم فأفلح، و فلان ضلّ فعصى و غوى، و حيث إنّ الدستور هو القرآن و هو الصراط و المعيار و الميزان و إنّ اللّه تعالى أنزله هدايه للعباد فمن استكبر و أبى فقد ضلّ و ظلم نفسه، و بهذا المعنى يقال: إنّ اللّه أضلّه أو هو مضلّ و نحوهما، ألا ترى أنّ الإضلال يضاف إلى الظّالمين و الخاسرين و الكافرين و نحوها، نحو قوله تعالى: «وَ يُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ » (إبراهيم: ٢٧)، و قوله تعالى: «وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ » (الأعراف: ١٧٨) و قوله: «كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ الْكافِرِينَ » و أمثالها، فتبصّر و خذه و اغتنم.

قال القیصری فی مقدّمته علی شرح الفصوص: و الوجود خیر محض و کلّ ما هو خیر فهو منه و به و قوامه بذاته لذاته، إذ لا یحتاج فی تحقّقه إلی أمر خارج عن ذاته فهو القیّوم الثابت بذاته و المثبت لغیره.

و لیس له ابتداء و إلّا لکان محتاجا إلی علّه موجوده لإمکانه حینئذ، و لا له انتهاء و إلّا لکان معروضا للعدم فیوصف بضدّه أو الإنقلاب فهو أزلی و أبدی فهو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن لرجوع کلّ ما ظهر فی الشهاده أو بطن فی الغیب إلیه، و هو بکلّ شیء علیم لإحاطته بالأشیاء بذاته و حصول العلم لکلّ عالم إنّما هو بواسطته فهو أولی بذلک بل هو الّذی یلزمه جمیع الکمالات و به تقوم کلّ من الصّفات کالحیاه و العلم و الإراده و القدره و السمع و البصر و غیر ذلک فهو الحیّ العلیم المرید القادر السمیع البصیر بذاته لا بواسطه شیء آخر إذ به یلحق الأشیاء کلّها کمالاتها بل هو الّذی یظهر بتجلّیه و تحوّله فی صوره مختلفه بصور تلک الکمالات فیصیر تابعا للذوات لأنّها أیضا وجودات خاصّه مستهلکه فی مرتبه أحدیّته ظاهره فی واحدیّته.

و هو حقیقه واحده لا تکثّر فیها و کثره ظهوراتها و صورها لا یقدح فی وحده ذاتها و تعیّنها، و امتیازها بذاتها لا بتعیّن زائد علیها إذ لیس فی الوجود ما یغایره لیشترک معه فی شیء و یتمیّز عنه بشیء و ذلک لا ینافی ظهورها فی مراتبها المتعیّنه بل هو أصل جمیع التعیّنات الصفاتیه و الأسمائیه و المظاهر العلمیّه و العینیّه.

و لها وحده لا یقابل الکثره هی أصل الوحده المقابله لها و هی عین ذاتها الأحدیّه، و الوحده الأسمائیّه المقابله للکثره الّتی هی ظلّ تلک الوحده الأصلیّه الذاتیّه أیضا عینها من وجه.

و هو نور محض إذ به یدرک الأشیاء کلّها و لأنّه ظاهر بذاته و مظهر لغیره و منوّر سماوات الغیوب و الأرواح و أرض الأجسام لأنّها به توجد، و تتحقّق و منبع جمیع الأنوار الروحانیّه و الجسمانیّه، و حقیقته غیر معلومه لما سواه، و لیست عباره عن الکون و لا عن الحصول و التحقّق و الثبوت، إن ارید بها المصدر

لأنّ كلّا منها عرض حينئذ ضروره، و إن اريد بها ما يراد بلفظ الوجود فلا نزاع كما أراد أهل اللّه بالكون وجود العالم، و حينئذ لا- يكون شيء منها جوهرا و لا- عرضا و لا- معلوما بحسب حقيقته، و إن كان معلوما بحسب انّيته، و التعريف اللّفظى لا بدّ أن يكون بالأشهر ليفيد العلم و الوجود أشهر من الكون و غيره ضروره.

و الوجود العام المنبسط على الأعيان فى العلم ظلّ من أظلاله لتقيّده بعمومه و كذلك الوجود الذهنى و الوجود الخارجى ظلّان لذلك الظلّ لتضاعف التقييد و إليه الإشاره بقوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً » فهو الواجب الوجود الحقّ سبحانه و تعالى الثابت بذاته المثبت لغيره الموصوف بالأسماء الإلهيّه المنعوت بالنعوت الربّانيّه المدعوّ بلسان الأنبياء و الأولياء الهادى خلقه إلى ذاته الداعى مظاهره بأنبيائه إلى عين جمعه و مرتبه الوهيّته أخبر بلسانهم أنّه بهويّته مع كلّ شيء، و بحقيقته مع كلّ حيّ ، و نبّه أيضا أنّه عين الأشياء، بقوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ ءٍ عَلِيمٌ » فكونه عين الأشياء بظهوره فى ملابس أسمائه و صفاته فى عالمى العلم و العين و كونه غيرها باختفائه فى ذاته و استعلائه بصفاته عمّا يوجب النقص و الشين و تنزّهه عن الحصر و التعيين و تقدّسه عن سمات الحدوث و التكوين.

و إيجاده للأشياء اختفاؤه فيها مع اظهاره إيّاها، و إعدامه لها فى القيامه الكبرى ظهوره بوحدته و قهره إيّاها بازاله تعيّناتها و سماتها و جعلها متلاشيه، كما قال: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » «هُوَ كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » و فى الصغرى تحوّله من عالم الشهاده إلى عالم الغيب، أو من صوره إلى صوره فى عالم واحد، فالمهيّات صور كمالاته و مظاهر أسمائه و صفاته ظهرت أوّلا فى العلم ثمّ فى العين بحسب حبّه إظهار آياته و رفع أعلامه و راياته فتكثر بحسب الصّور و هو على وحدته الحقيقيّه و كمالاته السرمديّه و هو يدرك حقائق الأشياء بما يدرك حقيقه ذاته لا بأمر آخر كالعقل الأوّل و غيره لأنّ تلك الحقائق أيضا عين ذاته حقيقه و إن كانت غيرها تعيّنا.

و لا يدركه غيره كما قال: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ » «وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » نبّه عبّاده تعطّفا منه و رحمه لئلّا يضيّعوا أعمارهم فيما لا يمكن حصوله.

و إذا علمت أنّ الوجود هو الحق علمت سرّ قوله: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ » «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ » «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ » «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ » و قوله: «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و اللّه «بِكُلِّ شَيْ ءٍ مُحِيطٌ » و كنت سمعه و بصره، و سرّ قوله عليه السّلام: لو دليتم بحبل لهبط على اللّه و أمثال ذلك من الأسرار المنبّهه للتوحيد بلسان الإشاره. انتهى ما أردنا من نقل كلام القيصرى.

و لمّا كان حكم السنخيّه بين العلّه و المعلول ممّا لا يتطرّق إليه شكّ و شبهه فكلّ واحد ممّا سواه تعالى آيه و علامه له و آيه الشيء تحاكى عنه من وجه و لا تباينه من جميع الوجوه و نسبتها إليه كظلّ إلى ذيه، و لو لا حكم السنخيّه لما يصحّ كون الموجودات الافاقيّه و الأنفسيّه أعنى ما سواه آيات له و تأمّل فى ألفاظ الايه و أخواتها المذكوره فى القرآن الكريم ترشدك إلى الصواب.

قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّهٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (البقره: ۱۶۵).

و قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ » إلى آخر الايات الخمس (آل عمران: ۰۰) قال فى المجمع: و قد اشتهرت الروايه عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أنّه لما نزلت هذه الايات قال: ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها.

و قد روى ثقه الإسلام الكلينى قدّس سرّه فى كتاب فضل القرآن من اصول الكافى (ص ۴۴۶ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن حفص بن غياث، عن الزّهرى قال:

سمعت علیّ بن الحسین علیهما السّلام یقول: آیات القرآن خزائن فکلّما فتحت خزانه ینبغی لک أن تنظر ما فیها.

و هذه اللّفظه أعنی الایه و أخواتها تنادی بأعلی صوتها أنّ الوجود أصل و أنّ ما سواه تعالی علامه و فیء له تعالی، و لو لا الوجود لما کان عن الأشیاء عین و أثر، و لمّا کان الوجود نورا فما صدر عنه تعالی نور أیضا لحکم السنخیّه بین العلّه و معلولها.

و فی المجلّد الأوّل من البحار نقلا عن کتاب علل الشرائع فی سؤالات الشامی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام عن أوّل ما خلق اللّه تبارک و تعالی ؟ فقال علیه السّلام:

النّور.

و فی التاسع عشر من البحار ص ۱۸۳ فی دعاء عن مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: اللهمّ إنّی أسئلک یا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه.

ففیه دلاله علی أنّه لا حجاب مضروب بینه و بین خلقه إلاّ شدّه ظهوره و قصور بصائرنا فضلا عن أبصارنا عن اکتناه نوره کما تقدّم آنفا بیانه.

جمالک فی کلّ الحقائق سائر و لیس له إلاّ جمالک ساتر

حجاب روی تو هم روی تست در همه حال نهانی از همه عالم ز بس که پیدائی

و هذا الدّعاء معروف بدعاء احتجاب، نقله الشّیخ العلاّمه البهائی قدّس سرّه فی الکشکول أیضا (ص ۳۰۳ من طبع نجم الدوله) و رواه السیّد الأجلّ ابن طاوس - ره - عن أمیر المؤمنین علیه السّلام عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی مهج الدعوات (ص ۷۵).

و تأمّل فی حرز مولانا و إمامنا محمّد بن علیّ الجواد علیهما السّلام، رواه السیّد الأجلّ ابن طاوس رفع اللّه تعالی درجاته فی مهج الدّعوات (ص ۳۶) و فی ذلک الحرز:

و أسألک یا نور النّهار و یا نور اللّیل و یا نور السّماء و الأرض و نور النّور و نورا یضیء به کلّ نور - إلی أن قال علیه السّلام، و ملأ کلّ شیء نورک.

و فی قوله علیه السّلام: «ملأ» دقیقه و هی أنّ ذلک النور لم یترک مکانا لغیره حتّی یوجد شیء مؤلّف منه و من غیره بل کلّ شیء لیس إلاّ ذلک النّور فقط

و حدودها أعدام ذهنيّه اعتباريّه.

غيرتش غير در جهان نگذاشت لا جرم عين جمله أشيا شد

و فى دعاء إدريس عليه السّلام نقله السيّد الجليل المذكور قدّس سرّه فى المهج أيضا (ص ۳۰۵): يا نور كلّ شىء و هداه أنت الّذى فلق الظلمات نوره.

و فى دعاء إبراهيم خليل الرحمن صلوات اللّه عليه (المهج ص ۳۰۶): يا اللّه يا نور النّور قد استضاء بنورك أهل سماواتك و أرضك.

و فى دعاء لنبيّنا صلى اللّه عليه و آله: فيا نور النّور و يا نور كلّ نور - إلخ، رواه السيّد قدّس سرّه فى الاقبال (ص ۱۲۶).

و فى المهج أيضا (ص ۸۸) و من ذلك دعاء آخر علّمه جبرائيل عليه السّلام النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أيضا: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم يا نور السّماوات و الأرض يا جمال السّماوات و الأرض - إلخ.

و فى دعاء السحر لإمامنا محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام: اللهمّ إنّى أسألك من نورك بأنوره و كلّ نورك نيّر اللهمّ إنّى أسئلك بنورك كلّه، و نحوها من الأذكار و الأدعيّه المأثوره عن حجج اللّه تعالى كثير جدّا و إنّما نقلنا طائفه منها ضياء و نورا للمستضيئين، و ليعلم أنّ المعارف كلّها عند خزنه علم اللّه جلّ و علا.

از رهگذر خاك سر كوى شما بود هر نافه كه در دست نسيم سحر افتاد

و ذلك النور الّذى ملأ كلّ شىء هو وجهه تعالى «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » «كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » «وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ».

قال العارف المتألّه السيّد حيدر الاملى قدّس سرّه فى جامع الأسرار (ص ۲۱۰):

حكى أنّ جماعه من الرّهبانيّين و ردوا المدينه فى عهد خلافه أبى بكر و دخلوا عليه و سألوه عن النّبى و كتابه، فقال لهم أبو بكر: نعم جاء نبيّنا و معه كتاب، فقالوا له: و هل فى كتابه وجه اللّه ؟ قال: نعم، قالوا: و ما تفسيره ؟ قال أبو بكر: هذا السّؤال منهىّ عنه فى ديننا، و ما فسّره نبيّنا بشىء، فضحك الرهبانيّون كلّهم و قالوا:

و اللّه ما كان نبيّكم إلّا كذّابا و ما كان كتابكم إلّا زورا و بهتانا.

و خرجوا من عنده فعرف بذلك سلمان فدعاهم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و قال لهم: إنّ هذا خليفته الحقيقى و ابن عمّه فاسألوه، فسألوا عن السؤال بعينه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال لهم: ما نقول جوابكم بالقول بل بالفعل فأمر باحضار شىء من الفحم و باشعاله فلمّا اشتعل و صار كلّه نارا، سأل عليه السّلام الرّهبان و قال:

يا رهبان! ما وجه النّار؟ فقال الرّهبان هذا كلّه وجه النّار، فقال عليه السّلام: فهذا الوجود كلّه وجه اللّه، و قرأ «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ » «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فأسلم الرّهبانيّون كلّهم بذلك على يده و صاروا موحّدين عارفين.

و قال - رضوان اللّه عليه -: و حكى أيضا أنّ حيتان البحر اجتمعوا يوما عند كبيرهم و قالوا له: يا فلان نحن عزمنا على التوجّه إلى البحر الّذى نحن به موجودون و بدونه معدومون فلا بدّ من أن تعلّمنا جهته و تعرّفنا طريقه حتّى نتوجّه إليه و نصل إلى حضرته لأنّا بقينا مدّه متطاوله نسمع به و ما نعرفه و لا نعرف مكانه و لا جهته.

فقال لهم كبيرهم: يا أصحابى و إخوانى ليس هذا الكلام يليق بكم و لا بأمثالكم لأنّ البحر أعظم من أن يصل إليه أحد و هذا ليس بشغلكم و لا هو من مقامكم، فاسكتوا عنه و لا تتكلّموا بعد ذلك بمثل هذا الكلام بل يكفيكم أنكم تعتقدون أنكم موجودون بوجوده و معدومون بدونه.

فقالوا له: هذا الكلام ما ينفعنا و لا هذا المنع يدفعنا، لا بدّ لنا من التوجّه إليه و لا بدّ لك من إرشادنا إلى معرفته و دلالتنا إلى وجوده.

فلمّا عرف الكبير صوره الحال و أنّ المنع لا يفيد شرع لهم فى البيان و قال:

يا اخوانى البحر الّذى أنتم تطلبونه و تريدون التوجّه إليه هو معكم و أنتم معه، و هو محيط بكم و أنتم محاطون به، و المحيط لا ينفكّ عن المحاط به، و البحر عباره عن الّذى أنتم فيه فأينما توجّهتم فى الجهات فهو البحر و ليس غير البحر عندكم شىء

فالبحر معكم و أنتم مع البحر، و أنتم فى البحر و البحر فيكم، و هو ليس بغائب عنكم، و لا أنتم بغائبين عنه، و هو أقرب إليكم من أنفسكم.

فحين سمعوا هذا الكلام منه قاموا كلّهم إليه و قصدوه حتّى يقتلوه، فقال لهم: لم تقتلونى و لأىّ ذنب أستحقّ هذا؟ فقالوا له: لأنّك قلت البحر الّذى نحن نطلبه هو الّذى نحن فيه و الّذى نحن فيه هو الماء فقط ، و أين الماء من البحر فما أردت بهذا إلّا إضلالنا عن طريقه وحيداننا عنه.

فقال كبيرهم: و اللّه ما كان كذلك و ما قلت إلّا الحقّ و الواقع فى نفس الأمر لأنّ البحر و الماء شىء واحد فى الحقيقه و ليس بينهما مغايره أصلا، فالماء اسم للبحر بحسب الحقيقه و الوجود، و البحر اسم له بحسب الكمالات و الخصوصيّات و الانبساط و الانتشار على المظاهر كلّها.

فعرف ذلك بعضهم و صار عارفا بالبحر و سكت عنه، و أنكر البعض الاخر و كفر بذلك و رجع عنه مطرودا محجوبا.

و الّذى حكيت عن لسان الحيتان لو حكيته عن لسان الأمواج لكان أيضا صحيحا و كلاهما جائز، و إذا تحقّق هذا فكذلك شأن الخلق فى طلب الحقّ فإنّهم إذا اجتمعوا عند نبىّ أو إمام أو عارف و سألوا عن الحقّ ، فقال هذا النّبىّ أو الإمام أو العارف: إنّ الحقّ الّذى تسألون عنه و تطلبونه هو معكم و أنتم معه، و هو محيط بكم و أنتم محاطون به، و المحيط لا ينفكّ عن المحاط ، و هو معكم أينما كنتم، و هو أقرب إليكم من حبل وريدكم «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَهٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا » «و هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ عَلِيمٌ » «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ » «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » و هو ليس بغائب عنكم و لا أنتم بغائبين عنه، أينما توجّهتم فثمّ ذاته و وجهه و وجوده و هو مع كلّ شىء و هو عين كلّ شىء، بل هو كلّ شىء و كلّ شىء به قائم و بدونه زائل، و ليس لغيره وجود أصلا، لا ذهنا و لا خارجا، و هو الأوّل بذاته، و الاخر

بكمالاته، الظاهر بصفاته، و الباطن بوجوده، و إنّه للكلّ مكان، فى كلّ حين و أوان، و مع كلّ إنس و جان.

فلمّا سمع الخلق ذلك قاموا إليه كلّهم و قصدوه ليقتلوه، فقال لهم لم تقتلونى و لأىّ ذنب أستحقّ هذا؟.

فقالوا له: لأنّك قلت الحقّ معكم و أنتم معه، و ليس فى الوجود إلاّ هو، و ليس لغيره وجود لا ذهنا و لا خارجا، و نحن نعرف بالحقيقه أنّ هناك موجودات غيره من العقل و النّفس و الأفلاك و الأجرام و الملك و الجنّ و غير ذلك، فما أنت إلاّ كافر ملحد زنديق، و ما أردت بذلك إلاّ إغواءنا و إضلالنا عن الحقّ و طريقه.

فقال لهم: لا و اللّه ما قلت لكم غير الحق و لا غير الواقع، و ما أردت بذلك إضلالكم و إغواءكم، بل قلت ما قال هو بنفسه، و أخبركم إيّاه على لسان نبيّه، و إلاّ فأىّ شىء معنى قوله: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ » - الايه، و معنى قوله:

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » - الايه، و معنى قوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ » و لأىّ شىء قال: «ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ »؟، و لم قال: «ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم »؟ لأنّه يعرف أنّ كلّ واحد ما يعرف ذلك و لا يقدر عليه، كما قال أيضا: «إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى » «و «إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ » «و «إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ ».

فعرف ذلك بعضهم و قبل منه و صار عارفا موحّدا، و أنكر ذلك بعضهم، و رجع عنه محجوبا مطرودا ملعونا نعوذ باللّه منه و من أمثاله، هذا آخر الأمثله المضروبه فى هذا الباب، و اللّه أعلم بالصواب و إليه المرجع و الماب «وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِى هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ »، انتهى ما أردنا من نقل كلامه رحمه اللّه عليه فى المقام.

و لمّا لم يكن للمهيّات أصاله، و لم يكن لها أثر و ظهور إلاّ بنور الوجود، و لم

يكن الوجود إلاّ ذاته سبحانه و شئونه و دريت أنّه ملأ كلّ شيء و فتق ظلمات الماهيّات نوره فأوّل ما يرى و يدرك و يعلم فى دار الوجود هو الوجود ليس إلاّ- فهو ظاهر بذاته لا- يحتاج إلى معرّف و دليل يدلّ عليه لأنّ ذلك الدّليل إمّا وجود أو غيره و الوجود وجود، و الغير عدم و العدم لا- شيء محض و ما ليس بشيء رأسا كيف يدلّ على ما هو شيء و موجود، نعم إنّ غير الوجود من ماهيّات أشباح الموجودات الممكنه بأسرها يعرف به، و قد سئل نبيّنا صلى اللّه عليه و آله بما ذا عرفت ربّك ؟ قال صلى اللّه عليه و آله: باللّه عرفت الأشياء، و قال مولانا علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام: اعرفوا اللّه باللّه.

و روى ثقه الإسلام الكلينى بإسناده عن عبد الأعلى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: اسم اللّه غيره و كلّ شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا- اللّه - إلى أن قال عليه السّلام: من زعم أنّه يعرف اللّه بحجاب أو بصوره أو بمثال فهو مشرك لأنّ حجابه و مثاله و صورته غيره و إنّما هو واحد موحّد فكيف يوحّده من زعم أنه عرفه بغيره، و إنّما عرف اللّه من عرفه باللّه، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنّما يعرف غيره ليس بين الخالق و المخلوق شيء - الحديث (حديث ۴ من باب حدوث الأسماء من اصول الكافى ج ۱ ص ۸۸ من المعرب).

و فى التوحيد (ص ۴۹۴) عن منصور بن حازم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام:

إنّى ناظرت قوما فقلت لهم: إنّ اللّه أجلّ و أكرم من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون باللّه، فقال عليه السّلام: رحمك اللّه.

و فى دعاء عرفه لسيّد الشهداء أبى عبد اللّه الحسين عليه السّلام: كيف يستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك، كما تقدّم آنفا، و لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام «فى وجوده» فإن لهذا الكلام شأنا من الشأن.

و ممّا يرشدك أيضا إلى أنّ ما سواه تعالى شئونه و مجالى ذاته و مظاهر أسمائه و صفاته كلمه فاطر، و فطر و أخواتهما فى القرآن الكريم نحو قوله عزّ من قائل:

«أَ فِي اللّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » (إبراهيم: ۱۱) و قوله تعالى:

«إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً » (الأنعام: ۸۰) و کذا فی عدّه آیات اخر، لأنّ أصل الفطر الشقّ ، یقال: تفطّر الشّجر بالورق و الورد إذا أظهرهما، کما فی غرائب القرآن للنیسابوری.

قال الراغب: أصل الفطر: الشقّ طولا، یقال: فطر فلان کذا فطرا و أفطر هو فطورا و انفطر انفطارا، و فطرت الشاه حلبتها باصبعین، و فطرت العجین إذا عجنته فخبزته من وقته، و منه الفطره، و فطر اللّه الخلق و هو ایجاده الشیء و إبداعه علی هیئه مترشّحه لفعل من الأفعال، فقوله: «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » فإشاره منه تعالی إلی ما فطر، أی أبدع و رکز فی الناس من معرفته تعالی، و فطره اللّه هی ما رکز فیه من قوّته علی معرفه الإیمان و هو المشار إلیه بقوله:

«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللّهُ » و قال: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و قال: «اَلَّذِی فَطَرَهُنَّ » - و «اَلَّذِی فَطَرَنا » أی أبدعنا و أوجدنا، یصحّ أن یکون الإنفطار فی قوله: «اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ » إشاره إلی قبول ما أبدعها و أفاضه علینا منه. انتهی.

و کلمه فطر و مشتقّاتها تنبئک أنّ ما سواه تعالی تفطّر منه و کلّ واحد منهم علی حیاله مشتقّ منه و منشقّ عنه و صوره و آیه له، و من دعاء سیّد السّاجدین علیه السّلام فی الصّلاه علی آدم علیه السّلام، کما فی ملحقات الصّحیفه: اللهمّ صلّ علی آدم و آدم بدیع فطرتک - إلخ.

و لمّا اتّصف کلّ واحد منهم بالوجود، اتّصف علی قدر قابلیّته و سعته و ضیقه بالأسماء و الصّفات اللّازمه للوجود أیضا، و فی أیّ موطن ظهر منک الوجود ظهر معه أتباعه من الأسماء و الصفات اللّائقه به إلّا الأسماء المستأثره کالوجوب الذّاتی فانّها صفایا الملک الواحد القّهار، أسماء مخزونه عنده تعالی لا یمکن لغیره أن یتّصف به و لا یسع غیره أن یطلبها منه و یتعب نفسه لإدراکها.

و فی حرز مولانا محمّد بن علیّ الجواد علیه السّلام: و بأسمائک المقدّسات المکرّمات المخزونات فی علم الغیب عندک، رواه السیّد الأجلّ ابن طاوس قدّس سرّه فی

مهج الدّعوات (ص ۳۶).

و فی أعمال لیله عید الفطر: أسألک بکلّ اسم فی مخزون الغیب عندک، رواه السیّد المذکور قدّس سرّه فی الإقبال (۲۷۳).

و فی دعاء مولانا و إمامنا موسی بن جعفر الکاظم علیه السّلام أتی به الشّیخ الکفعمی نوّر اللّه مضجعه فی البلد الأمین (ص ۵۲۱): و بالاسم الّذی حجبت عن خلقک فلم یخرج منک إلاّ إلیک.

و فی آخر دعاء مرویّ عن مولانا الحسین بن علیّ علیهما السّلام الدعاء المعروف بدعاء الشابّ المأخوذ بذنبه، رواه السیّد الجلیل ابن طاوس قدّس سرّه فی مهج الدّعوات (ص ۱۵۱): أسألک بکلّ اسم سمّیت به نفسک، أو أنزلته فی شیء من کتبک، أو استأثرت به فی علم الغیب عندک. إلخ.

و فی الدّعاء الخمسین من الصحیفه السجّادیه: فأسألک اللهمّ بالمخزون من أسمائک.

و فی ریاض السالکین فی شرح صحیفه سیّد السّاجدین للعالم الربّانی صدر الدّین علیّ بن أحمد نظام الدّین الحسینی المدعوّ بالسیّد علی خان قدّس سرّه (۵۶۵): روی عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: إنّ للّه تعالی أربعه آلاف اسم: ألف لا یعلمها إلاّ اللّه، و ألف لا یعلمها إلاّ اللّه و الملائکه، و ألف لا یعلمها إلاّ اللّه و الملائکه و النّبیّون، و أمّا الألف الرابع فالمؤمنون یعلمونه، فثلاثمائه فی التوراه، و ثلاثمائه فی الإنجیل، و ثلاثمائه فی الزبور، و مائه فی القرآن، تسعه و تسعون ظاهره و واحد منها مکتوم من أحصاها دخل الجنّه.

و روی ثقه الإسلام الکلینیّ نوّر اللّه مضجعه فی الحدیث الأوّل من باب حدوث الأسماء من اصول الکافی (ص ۸۷ ج ۱ من المعرب) بإسناده عن إبراهیم ابن عمر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی خلق اسما بالحروف غیر متصوّت و باللّفظ غیر منطق و بالشخص غیر مجسّد و بالتشبیه غیر موصوف و باللّون غیر مصبوغ منفیّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ کلّ متوهّم

مستتر غير مستور، فجعله كلمه تامّه على أربعه أجزاء معا ليس منها واحد قبل الاخر فأظهر منها ثلاثه أسماء لفاقه الخلق إليها و حجب منها واحدا و هو الاسم المكنون المخزون - الحديث.

و رواه رئيس المحدّثين الشّيخ الصّدوق رضوان اللّه عليه أيضا فى باب أسماء اللّه تعالى، و الفرق بين معانيها و بين معانى أسماء المخلوقين من كتاب التوحيد ص ۱۸۳ من طبع ايران ۱۳۲۱ ه .

و روى الكلينى فى الحديث الأوّل من باب ما أعطى الأئمّه عليهم السّلام من اسم اللّه الأعظم من اصول الكافى (ص ۱۷۹ ج ۱ من المعرب) بإسناده عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثه و سبعين حرفا و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه العين، و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف واحد عند اللّه تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلىّ العظيم.

و فى الحديث الثانى منه: و إنّ اسم اللّه الأعظم ثلاثه و سبعون حرفا اعطى محمّد صلى اللّه عليه و آله اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه حرف واحد.

و فى الثالث منه: و عندنا منه اثنان و سبعون حرفا و حرف عند اللّه مستأثر به فى علم الغيب.

و فى الحديث السادس عشر من باب الدّعاء للكرب و الهمّ و الحزن و الخوف من كتاب الدّعاء من الكافى (ص ۴۰۸ ج ۲ من المعرب) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام:

اللهمّ إنّى أسألك بكلّ اسم هو لك أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت فى علم الغيب عندك - الحديث.

و الأخبار و الأدعيّه فى ذلك كثيره جدّا، و للحكيم المتألّه المولى الصالح المازندرانى السروى قدّس سرّه فى شرح الأبواب المذكوره من الكافى، و كذا لاستاذنا العلاّمه ميرزا أبى الحسن الشعرانى متّع اللّه علماء المسلمين بطول بقائه

معارف حقّه إلهيّه فى بيان تلك الأسرار الصادره عن خزنه علم اللّه تعالى فعليك بطلبها فى مظانّها.

و بالجمله إنّ الوجود إذا ظهر أينما كان لا ينفكّ عنه توابعه النوريّه و صفاته العليا بحكم السنخيّه المستفاد من الفطر أيضا، و إنّما التفاوت بحسب قرب الأشياء من مبدئها و بعدها عنها طولا فكلّما كان أقرب كان سعه وجوده أكثر و آثاره الوجوديّه أشدّ و أوفر فتنتهى كلّها إلى من واجب وجوده، و لا ينقطع جوده طرفه عين، و ليس ما سواه إلاّ فيضه القائم به و هو قيامه، فإذا جميع الصّفات الكماليه ينتهى إليه أيضا و لا يتصوّر فوقه وجود و لا كمال، قال عزّ من قائل: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّهً » و قال تعالى: «إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » و قال جلّ و علا: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ » و قال جلّت عظمته: «يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللّهِ وَ اللّهُ هُوَ الْغَنِىُّ » و قال تبارك و تعالى: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ » و قال تعالى: «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا» و قال تعالى: و الله «بِكُلِّ شَىْ ءٍ مُحِيطٌ » و قال تعالى «إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً » و قال تعالى: «وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ».

و ممّا يتفرّع على هذه الدقيقه أنّه ما من موجود إلاّ و له ملكوت ناطق بالحقّ بلسان يليق به، قال اللّه تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » (الاسراء: ۴۵) و قال تعالى: «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ » (الرّحمن: ۷).

و قال تبارك و تعالى: «قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْ ءٍ » (فصّلت، حم السجده: ۲۲).

و قال تعالى: «فَلَمّا أَتاها نُودِىَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَهِ الْمُبارَكَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ يا مُوسى إِنِّى أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ » (قصص ۳۱).

و قال تعالى: «وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ » (النمل: ١٧).

و قال تعالى: «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها » - إلخ» (النمل: ١٩».

و قال تعالى: «وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ » - إلى قوله: «فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ » - إلى آخر الايات» (النمل: ٢٢).

و قال تعالى فى سوره يس: «اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ »، و غيرها من الايات القرآنيه.

و أمّا الأخبار فى تكلّم الحيوانات بل الجمادات لحجج اللّه تعالى و أوليائه فكثيره جدّا.

قال العلّامه البهائى قدّس سرّه فى أوائل المجلّد الثانى من الكشكول: العالم بأجزائه حىّ ناطق و إن من شىء إلّا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم، لكن نطق البعض يسمع و يفهم ككلام الاثنين المتّفقين فى اللّغه إذا سمع كلّ منهما كلام الاخر و فهمه، و نطق البعض يسمع و لا يفهم كالاثنين المختلفى اللّغه و منه سماعنا أصوات الحيوانات و سماع الحيوانات أصواتنا، و منه ما لا يسمع و لا يفهم كغير ذلك، و هذا بالنسبه الى المحجوبين، و أمّا غيرهم فيسمعون كلام كلّ شىء.

و قال فى آخر الكشكول (ص ۶۲۵ من طبع نجم الدوله): روى العارف الربّانى المولا عبد الرزاق القاسانى فى تأويلاته: أنّ الصادق جعفر بن محمّد عليه السّلام خرّ مغشيّا عليه فى الصّلاه فسئل عن ذلك فقال: ما زلت اردّد الايه حتّى سمعتها من المتكلّم بها، ثمّ قال: نقل الفاضل الميبدى فى شرح الديوان عن الشّيخ السهروردى أنّه قال بعد نقل هذه الحكايه عن الصادق عليه السّلام: أنّ لسان الإمام فى ذلك الوقت كان كشجره موسى عند قول: «إِنِّى أَنَا اللّهُ » و هو مذكور فى الإحياء فى تلاوه القرآن. انتهى.

قال الشّيخ العارف محيى الدّين فى أوائل الفصّ الهودى: و كلّ ما سوى الحقّ فهو دابّه لأنّه ذو روح و ما ثمّه من يدبّ بنفسه و إنّما يدبّ بغيره فهو يدبّ بحكم التبعيّه للذى هو على الصّراط المستقيم فانّه لا يكون صراطا إلّا بالمشى عليه.

إذا دان لك الخلق فقد دان لك الحق و إن دان لك الحق فقد لا يتبع الخلق

فحقّق قولنا فيه فقولى كلّه حقّ فما فى الكون موجود تراه ماله نطق

و ما خلق تراه العين إلّا عينه حقّ و لكن مودع فيه لهذا صوره حقّ

و قال القيصرى فى بيان قوله: فما فى الكون موجود تراه ماله نطق: أى ليس فى الوجود موجود تراه و تشاهده إلّا و له روح مجرّد ناطق بلسان يليق به، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » و هذا اللّسان ليس لسان الحال كما يزعم المحجوبون، قال الشّيخ رضى اللّه عنه فى آخر الباب الثانى عشر من الفتوحات: و قد ورد أنّ المؤذّن يشهد له مدى صوته من رطب أو يابس، و الشرائع و النبوات من هذا القبيل مشحونه و نحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد رأينا الأحجار رؤيه عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفين بجلال اللّه ممّا ليس يدركه كلّ إنسان، و إنّما اختفى نطق بعض الموجودات لعدم الاعتدال الموجب لظهور ذلك الفعل فلا يسمعه كلّ أحد فبقى نطقه باطنا و المحجوب يزعم أنّه لا نطق له و الكامل لكونه مرفوع الحجاب لشاهد روحانيّه كلّ شىء، و يدرك نطق كلّ حىّ باطنا و ظاهرا و الحمد للّه أوّلا و آخرا.

و أفاد العارف المولى عبد الرزاق القاسانى فى المقام بقوله: إذا كان الحقّ هو المتجلّى فى كل موجود فلا موجود إلّا هو ناطق بالحقّ لأنّه لا يتجلّى فى مظهر إلّا فى صوره اسم من أسمائه، و كلّ اسم موصوف بجميع الأسماء لأنّه لا يتجزّى لكن المظاهر متفاوته فى الاعتدال و التسويه، فإذا كانت التسويه فى غايه الاعتدال تجلّى بجميع الأسماء، و إذا لم يكن و لم يخرج عن هذا الاعتدال الإنسانى ظهر النطق و بطن سائر الأسماء و الكمالات و إذا انحطّ عن طور الاعتدال الإنسانى بقى النطق فى الباطن فى الجميع حتّى الجماد، فإنّ الّتى لم يظهر عليه من الأسماء

الإلهيّه و الصفات كانت باطنه فيه لعدم قابليّه المحلّ لظهوره فلا موجود إلّا و له نطق ظاهرا أو باطنا، فمن كوشف ببواطن الوجود سمع كلام الكلّ حتّى الحجر و المدر. انتهى.

و قال القيصرى فى الفصل الرابع من مقدّماته على شرح الفصوص: و لا تظنّ أن مبدأ النطق الّذى هو النفس الناطقه ليس للحيوان لينضمّ معه فيصير الحيوان به إنسانا مع أنّه غير صالح للفصليّه لكونه موجودا مستقلا فى الخارج بل هذا المبدأ مع كلّ شىء حتّى الجماد أيضا فإنّ لكلّ شىء نصيبا من عالم الملكوت و الجبروت و قد جاء ما يؤيّد ذلك من معدن الرساله المشاهد للأشياء بحقائقها صلوات اللّه عليه مثل تكلّم الحيوانات و الجمادات معه، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » و ظهور النطق لكلّ واحد بحسب العاده و السنّه الإلهيّه موقوف على اعتدال المزاج الإنسانى، و أمّا للكمّل فلا لكونهم مطّلعين على بواطن الأشياء مدركين لكلامها، و ما قال المتأخّرون بأنّ المراد بالنطق هو إدراك الكلّيات لا التكلّم مع كونه مخالفا لوضع اللّغه لا يفيدهم لأنّه موقوف على أنّ الناطقه المجرّده للإنسان فقط ، و لا دليل لهم على ذلك، و لا شعور لهم على أنّ الحيوانات، ليس لهم إدراك كلّى و الجهل بالشىء لا ينافى وجوده، و امعان النظر فيما يصدر منها من العجائب يوجب أن يكون لها إدراكات كلّيه، و أيضا لا يمكن إدراك الجزئى بدون كلّيه إذ الجزئى هو الكلّى مع التشخّص، و اللّه الهادى.

و قال الحكيم المتألّه المولى صدرا قدّس سرّه فى شرح الحديث الثالث من باب النسبه من كتاب التوحيد من اصول الكافى: عن عاصم بن حميد قال: قال سئل علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن التوحيد، فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ علم أنه يكون فى آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل اللّه تعالى «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » و الايات من سوره الحديد - إلى قوله: «وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » فمن رام وراء ذلك فقد هلك.

ثمّ اعلم أنّ كلّ واحده من هذه الايات السّته المشار إليها فى هذا الحديث متضمّنه لباب عظيم من علم التوحيد و الإلهيّه محتويه على أمر حكيم من الأحكام الصمديّه و الربوبيّه لو أمهل الزّمان و ساعد الدّهر الخوّان لعارف ربّانى و حكيم إلهىّ أخذ علمه من مشكاه النّبوّه المحمّديّه على صادعها و آله أفضل الصّلاه و التحيّه و اقتبس حكمته عن أحاديث أصحاب العصمه و الطهاره و التزكيه سلام اللّه عليهم لكان من حقّه و حقّهما أن يكتب فى تفسير كلّ منها ما يثخن به مجلّدا كبيرا بل مجلّدات كثيره، و لكن سنذكر فى كلّ آيه منها ما هو كالشاهد لما ادّعيناه و كالأنموذج لما شاهدناه فنقول:

أمّا الايه الالى ففى الأخبار عن تسبيح كلّ ما فى السماوات و ما فى الأرض من الموجودات حتّى الجماد و النّبات و الأجساد و الموادّ و الأرض الموات و جثث الأموات للّه تعالى، و معرفه هذا التسبيح الفطرى و العرفان الكشفى الوجودى من غوامض العلوم و دقائق الأسرار الّتى عجزت عن إدراكها أذهان جمهور العلماء و أكثر الحكماء فضلا عن غيرهم و ليس عندهم فى هذا الباب إلاّ مجرّد التقليد، إيمانا بالغيب أو حمل التسبيح على ما فيها من الأدلّه الدّالّه على وحدانيّه اللّه و تنزيهه (تنزّهه - خ ل) عن صفات النقص من التجسّم و التغيّر و التكثّر.

و قال بعضهم: إنّ كلمه ما ههنا بمعنى من، و قيل: معناه كلّ ما يتأتّى منه التسبيح، هذا تمام كلام الأعلام فى هذا المقام، و لا يخفى عدم ملائمه كلّ من الوجهين الأخيرين، بل كلّ ما قيل من التأويل و التخصيص لكثير من الايات القرآنيّه و الأخبار النبويّه الدالّه على تسبيح المسمّى بالجماد و النّبات من الشجر و الحجر و الصخر و المدر فضلا عن المسمّى بالحيوان و الطير و البشر.

منها قوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ ».

و منها قوله: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَىْ ءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ » و كذا نظائرها من الايات الدالّه على وقوع

التسبيح من جميع الموجودات حقيقه.

و حكايه تسبيح الحصى فى كفّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سماعه و إسماعه مشهور، و فى ألسنه الرواه مذكور، و ما روى أيضا عن ابن مسعود أنّه قال: كنت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بمكّه فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله حجر و لا مدر إلّا و يقول:

السّلام عليك يا رسول اللّه، و أمثاله كثيره فى الروايات دالّه على أنّ هذا التسبيح و السجود و التسليم واقع على وجه التحقيق.

حتّى أنّ كثيرا من المنتسبين إلى الكشف و العرفان، زعموا أنّ النبات بل الجماد فضلا عن الحيوان له نفس ناطقه كالإنسان، و ذلك أمر باطل و البراهين ناهضه على خلافه من لزوم التعطيل و المنع عما فطر اللّه طبيعه الشىء عليه و دوام القصر على أفراد النوع و الإبقاء له على القوّه و الإمكان للشىء من غير أن يخرج إلى الفعليّه و الوجدان إلى غير ذلك من المفاسد الشنيعه المصادمه للبرهان و الحكمه.

بل هذا تسبيح فطرى و سجود ذاتى و عباده فطريه نشأت عن تجلّ إلهى و انبساط نور وجودى على كافه الخلائق على تفاوت درجاتها و تفاضل مقاماتها فى نيل الوجود و درك الشهود و مع هذا التفاوت و التفاضل فى القرب و البعد و الشرف و الخسّه فأفراد العالم كلّه كأجزاء شخص واحد تنال من روح الحياه و روح المعرفه ما ناله الكلّ دفعه واحده فأنطقها اللّه الّذى أنطق كلّ شىء فأحبّته و خضعته و سجدت له بسجود الكلّ و سبّحت له بتسبيحات هى تسبيح الكلّ «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ».

و الّذى يمنع عن هذه العباده الفطريّه الأفكار الوهميّه و التصرّفات النفسانيّه لأكثر الانس الموجبه للخروج عن الفطره الأصليّه و استحقاقيّه العذاب كما فى قوله تعالى: «وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ ».

و بالجمله تحقيق هذا التسبيح الفطرى و إثبات هذه العباده الذاتيّه ممّا يختصّ به الكاملون فى الكشف و العرفان الراسخون فى العلم و الإيقان، و أمّا سماع

اللّفظ أو إسماعه كما هو المروى عن النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و صحبه فكذلك من باب المعجزه الواقعه نفسه القدسيّه على إنشاء الأصوات و الأشكال على موازنه المعانى و الأحوال انتهى كلامه طيّب اللّه رمسه فى المقام.

و قلت: الظاهر من كلامه: حتّى أنّ كثيرا من المنتسبين - إلخ - يوهم التناقض بينه و بين كلام القيصرى المذكور آنفا حيث قال: «لأنّه موقوف على أنّ النّاطقه المجرّده للإنسان فقط ، و لا دليل لهم على ذلك» و لكن بعد التأمّل الدقيق فى كلامهما يظهر عدم التناقض بينهما و كلاهما يشيران إلى معنى واحد، و بيان عدم التنافى بينهما يعلم بما قدّمنا من كلام المولى عبد الرزاق القاسانى فإنّك إذا أمعنت النظر فيه تدرى أنّ المولى صدرا و القيصرى يسلكان ما سلكه القاسانى و يفيدان ما أفاده و لا اختلاف و لا تفرقه بينهم، و قد أجاد العارف صاحب المثنوى بقوله نظما:

گر تو را از غيب چشمى باز شد با تو ذرّات جهان همراز شد

نطق خاك و نطق آب و نطق گل هست محسوس حواسّ أهل دل

هر جمادى با تو مى گويد سخن كو ترا آن گوش و چشم أى بو الحسن

گر نبودى واقف از حق جان باد فرق كى كردى ميان قوم عاد

سنگ أحمد را سلامى مى كند كوه يحيى را پيامى مى كند

جملهٔ ذرات در عالم نهان با تو مى گويند روزان و شبان

ما سميعيم و بصير و با هشيم با شما نامحرمان ما خامشيم

از جمادى سوى جان جان شويد غلغل أجزاى عالم بشنويد

فاش تسبيح جمادات آيدت وسوسه تأويلها بزدايدت

چون ندارد جان تو قنديلها بهر بينش كرده اى تأويلها

فإذا دريت أنّ ما سواه آيه له و مشتقّ منه و منفطر منه، و أنّه إنّ من شىء إلّا أنّه حاك عنه و مثال و صوره له و للّه المثل الأعلى و أن الوجود لا ينفكّ عن آثاره النّوريّه، علمت أنّ ما يخاطبنا اللّه جلّ جلاله بكتابه و كلامه و يدعونا إلى

ما فيه خيرنا و سعادتنا كلقائه مثلا، فلا بدّ من أن يكون فطرتنا مناسبه و متشابهه له و لو بوجه و إلّا لم يصحّ الخطاب و نزيدك فى ذلك بيانا.

و نقول: قال محيى الدّين فى الفصّ الادمىّ من الفصوص: و لما كان استناده - أى استناد الحادث - إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كلّ شىء من اسم و صفه ما عدا الوجوب الذاتى فإنّ ذلك لا يصحّ للحادث، و إن كان واجب الوجود و لكن وجوده بغيره لا بنفسه.

و قال القيصرى فى شرحه: أى اقتضى هذا الاستناد أن يكون الحادث على صوره الواجب، أى يكون متّصفا بصفاته، و جميع ما ينسب إليه من الكمالات ما عدا الوجوب الذاتى و إلاّ لزم انقلاب الممكن من حيث هو ممكن واجبا، و ذلك لأنّه اتّصف بالوجود و الأسماء و الصفات لازمه للوجود، فوجب أيضا اتّصافه بلوازم الوجود و إلاّ لزم تخلّف اللاّزم عن الملزوم، و لأنّ المعلول أثر العلّه و الاثار بذاتها و صفاتها دلائل على صفات المؤثّر و ذاته، و لا بدّ أن يكون فى الدليل شىء من المدلول لذلك صار الدليل العقلى أيضا مشتملا على النتيجه، فإنّ إحدى مقدّمتيه مشتمله على موضوع النتيجه، و الاخرى على محمولها، و الأوسط جامع بينهما، و لأنّ العلّه الغائيّه من إيجاد الحادث عرفان الموجد كما قال تعالى: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ » و العباده تستلزم معرفه المعبود و لو بوجه، مع أنّ ابن عبّاس رضى اللّه عنه فسّرها هنا بالمعرفه و لا يعرف الشىء إلّا بما فيه من غيره لذلك قال عليه السّلام حين سئل بم عرفت اللّه: عرفت الأشياء باللّه، أى عرفته به أوّلا ثمّ عرفت به غيره و لما كان وجوده من غيره صار أيضا وجوبه بغيره، و غير الإنسان من الموجودات، و إن كان متّصفا بالوجود لكن لا صلاحيّه له بظهور جميع الكمالات فيه. انتهى.

و قال العارف الجامى فى شرحه على الفصوص: قوله: «فيما ينسب إليه من كلّ شىء من اسم و صفه» من اسم و صفه بيان لشىء، فحاصله أن يكون على صفته تعالى فى كلّ اسم و صفه ينسب إليه تعالى يعنى كما أنه ينسب كلّ اسم و صفه إليه

تعالى كذلك ينسب إلى الحادث فإنّه بأحديّه جمعه الأسمائى متجلّ و سار فيه و لذا قيل كلّ موجود متّصف بصفات السبع الكماليّه لكن ظهورها فيه بحسب استعداده و قابليّته.

و قال بعض المحشيّين على شرح القيصرى: قوله: «لأنّه اتّصف بالوجود» يظهر من هذا أنّ ذات الواجب بصرافه ذاته لا يكون فى الممكن و إلّا يلزم أن يكون الممكن متّصفا بالوجوب الذاتى أيضا بعين هذا الدليل بأن يقال انّ الممكن متصف بالوجود الّذى يكون واجبا لذاته و الوجوب لازم للواجب فوجب اتصاف الممكن بذلك اللازم أيضا، انتهى، يعنى أنّ الممكن غير متصف بالوجود الصرف الواجب الوجود حتّى يلزم انقلاب الممكن واجبا.

و أفاد بعض اساتيذنا و هو العالم المحقّق النحرير محمّد حسين ابن المولى عبد العظيم التونى الشهير بالفاضل التونى تغمّده اللّه بغفرانه فى تعليقته على قول القيصرى المنقول آنفا «و لا يعرف الشىء إلّا بما منه فى غيره»:

لأنّه لا يعرف الغائب إلاّ بالشاهد بمعنى أنه لا يمكن أن يعرف شىء إلّا أن يكون له مثال فى ذات العالم فاذا قيل لك كيف يكون الواجب تعالى عالما بذاته فالجواب كما أنّك تعلم ذاتك فتفهم علمه تعالى بذاته، و إذا قيل كيف يعلم الواجب تعالى غيره فيقال كما تعلم أنت غيرك، و إذا قيل كيف يعلم الواجب تعالى بعلم واحد بسيط سائر المعلومات فيقال كما تعلم جواب مسائل دفعه بدون تفصيل ثمّ تنتقل بالتفصيل، و إذا قيل كيف علمه مبدء لوجود الأشياء فيقال كما يكون توهمك للسقوط عن الجدار مبدء للسقوط و إذا قيل كيف يعلم الأشياء كلّها فيقال كما يعلم المنجم الخسوف أو الكسوف من العلم بأسبابها، و الحاصل أنّك لا تقدر أن تفهم شيئا من اللّه تعالى إلّا بالمقايسه إلى شىء من نفسك فإذا لم يكن لشىء نظير فى نفسك فلا يمكنك العلم به كالوجوب الذاتى و الوجود بلا مهيّه و لمّا لم يكن لهما نظير فى نفسك لم يمكنك العلم بهما فلا تتعب نفسك فى العلم بهما و لذا قال تعالى «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » انتهى كلامه رفع مقامه و له

قدس سرّه تعليقات أنيقه على شرح الفصوص القيصرى من بدو الكتاب إلى ختمه و قد طبع طائفه منها على مقدمات القيصرى على شرح الفصوص.

فبما قدّمنا علمت معنى قول ثامن الأئمه علىّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّه و الثناء: «قد علم أولو الألباب أنّ ما هنالك لا يعلم إلّا بما ههنا» و هذا الكلام الوجيز بعيد الغور جدّا، ككلام جدّه باب مدينه العلم أمير المؤمنين على عليه السّلام فى الصوره الإنسانيه: «و هى الشاهده على كلّ غائب» كما فى شرح الأسماء للمتأله السبزوارى ص ۱۲ من الطبع الناصرى، كما علمت أن الإنسان متّصف بحسب استعداده و قابليته بأوصاف وجوديّه تحاكى عن أصلها قال عزّ من قائل:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها » و التفاوت بينها و بين الأصل كتفاوت مرحلتى الوجودين حيث انّ وجود الإنسان كغيره فيض من وجوده تعالى و فىء له و قائم به و واجب به و فقير إليه و كذا صفاته المنطبعه فى فطرته «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ».

و من بحثنا هذا تنتقل إلى أنّ دين الإسلام هو دين الفطره ما ذا؟ و قد أفاد فى ذلك استادنا العلّامه الطباطبائى البارع فى الحكمه الحقّه جزاه اللّه تعالى عنّا أفضل جزاء المعلّمين و أدام أيّام إفاضاته فى الجزء السابع من تفسيره القيّم:

الميزان، فى قوله تعالى: «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً » (الأنعام ۷۹) بقوله:

و فى تخصيص فطر السموات و الأرض من بين صفاته تعالى الخاصّه و كذا من بين الألفاظ الدّاله على الخلقه كالبارى و الخالق و البديع إشاره إلى ما يؤثره إبراهيم عليه السّلام من دين الفطره و قد كرّر وصف هذا الدين فى القرآن الكريم بأنّه دين إبراهيم الحنيف و دين الفطره أى الدين الّذى بنيت معارفه و شرائعه على خلقه الإنسان و نوع وجوده الّذى لا يقبل التبدّل و التغيّر فإنّ الدين هو الطريقه المسلوكه الّتى يقصد بها الوصول إلى السعاده الحقيقيّه و السعاده الحقيقيّه هى الغايه المطلوبه الّتى يطلبها الشىء حسب تركّب وجوده و تجهّزه بوسائل الكمال طلبا خارجيا واقعيّا، و حاشا أن يسعد الإنسان أو أى شىء آخر

من الخليقه بأمر و لم يتهيّأ بحسب خلقته له أو هيّئ لخلافه كأن يسعد بترك التغذّى أو النكاح أو ترك المعاشره و الاجتماع و قد جهّز بخلافها، أو يسعد بالطيران كالطّير أو بالحياه فى قعر البحار كالسمك و لم يجهّز بما يوافقه.

فالدين الحقّ هو الذى يوافق بنواميسه الفطره و حاشا ساحه الربوبيّه أن يهدى الإنسان أو أىّ مخلوق آخر مكلّف بالدين - إن كان - إلى غايه سعيده مسعده و لا يوافق الخلقه أو لم يجهّز بما يسلك به إليها فإنّما الدين عند اللّه الإسلام و هو الخضوع للّه بحسب ما يهدى إليه و يدلّ عليه صنعه و إيجاده، انتهى ما أفاد مدّ ظلّه العالى فى المقام.

فتبصّر بما قدّمناه أنّ أصل المعرفه فطرىّ للأشياء و قال اللّه تعالى: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ » و إنّما ضلّ عنهم المعرفه بالمعرفه و البصيره بالرؤيه، و أنّ المعرفه و الرؤيه القلبيّه ترجعان إلى أمر واحد و إنهما تثمران الايمان على البصيره، و لا نعنى من اللقاء إلّا المعرفه و الرؤيه بهذا المعنى ففى التوحيد عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال قلت له: أخبرنى عن اللّه عزّ و جلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامه ؟ قال عليه السّلام: نعم و قد رأوه قبل يوم القيامه فقلت:

متى ؟ قال عليه السّلام: حين قال لهم: أ لست بربكم قالوا بلى، ثمّ سكت ساعه ثمّ قال و انّ المؤمنين ليرونه فى الدّنيا قبل يوم القيامه، أ لست تراه فى وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فاحدّث بهذا عنك ؟ فقال عليه السّلام: لا فانك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما نقوله ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفر و ليست الرؤيه بالقلب كالرؤيه بالعين، تعالى عما يصفه المشبّهون و الملحدون.

و فى آخر باب نفى المكان و الزمان عنه تعالى من كتاب التوحيد أيضا ص ۱۷۶ باسناده عن إسحاق السبيعى عن الحارث الأعور، عن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل (فاذا هو مرّ برجل - خ د) مولّيه ظهره يقول:

لا و الّذى احتجب بالسبع قال اللّه يا أمير المؤمنين، قال أخطأت ثكلتك امّك انّ اللّه عزّ و جلّ ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنّه معهم أينما كانوا، قال: ما كفاره

ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال: أن تعلم أنّ اللّه معك حيث كنت قال: أطعم المساكين ؟ قال: لا إنما حلفت بغير ربّك.

و من سلك هذا المسلك فقد حيى بحياه طيّبه و يدخل فى ملك لا يبلى و جنّه الخلد الّتى وعد المتقون، ففى التوحيد عن الحارث بن المغيره النضرى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ : «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » قال: كلّ شىء هالك إلاّ من أخذ طريق الحقّ .

و اعلم أنّ الوجود مع وحده حقيقتها و كثره تشأنّها، كلّ يوم هو شأن له مراتب طوليّه تختلف غنى و فقرا و سعه و ضيقا فتنتهى إلى ذات واجب الوجود الّذى تلك الكثرات مجاليه و مظاهره و مراياه و اللّه تعالى من ورائهم محيط فله تعالى مرتبه متحققه مجرّده عن المظاهر و المجالى غير متناهيه فى جميع الصفات النوريه أشدّ و أقوى ممّا سواه وجودا، قال عزّ من قائل: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّهً » (فصّلت ١۶)، و لا يحيطون به علما لأن الدّانى لا يسعه الإحاطه بالعالى المحيط به، كما أنّ النفس مع كونها فى وحدتها كلّ القوى و كلّها مجاليها و مظاهرها ليست هى بمجموع تلك القوى الظاهره و الباطنه تعلّقت بالبدن فحسب بل لها مرتبه فوقها أعلى و أشمخ منها رتبه و آثارا و هى جهتها المجرّده الّتى تلى ربّها، و إن كانت تلك القوى مراتبها النازله، و المرتبه النازله منها كالواهمه مثلا لا تحيط بالمرتبه العاليه كالعاقله المحيطه بها.

قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى شرحه للهدايه: و الصنف الثالث و هم الراسخون فى العلم من الحكماء قائلون بأنّ العالم ليس عباره عن الممكن الصرف و لا عن الوجود الحقيقى الصرف بل من حيث هو موجود بالوجود الحقيقى له اعتبار و من حيث إنّه ينقسم إلى العقول و النفوس و غيرها له اعتبار آخر فالعالم زوج تركيبى من الممكن و السنخ الباقى الّذى هو بذاته موجود و وجود فليس العالم عباره عن الذوات المتعدّده كما حسبه المحجوبون بل ذاته واحد و هو الحقّ الّذى هو الوجود الحقيقى و لا وجود للممكنات إلاّ بارتباطها به لا بأن يفيض

علیها وجودات مغایره للوجود الحقیقی و برهان ذلک مذکور فی کتابنا المسمّی بالأسفار الأربعه.

و قال فی مبحث العله و المعلول من الأسفار: (ص ۱۹۶ من الرحلی) تنبیه:

إنّ بعض الجهله من المتصوّفین المقلّدین الّذین لم یحصّلوا طریق العلماء العرفاء و لم یبلغوا مقام العرفان توهّموا لضعف عقولهم و وهن عقیدتهم و غلبه سلطان الوهم علی نفوسهم أن لا تحقق بالفعل للذّات الأحدیّه المنعوته بألسنه العرفاء بمقام الأحدیّه و غیب الهویه و غیب الغیوب مجرّده عن المظاهر و المجالی بل المتحقّق هو عالم الصوره و قواها الروحانیّه و الحسیّه و اللّه هو الظاهر المجموع لا بدونه و هو حقیقه الإنسان الکبیر و الکتاب المبین الّذی هذا الإنسان الصغیر أنموذج و نسخه مختصره عنه، و ذلک القول کفر فضیح و زندقه صرفه لا یتفوّه به من له أدنی مرتبه من العلم و نسبه هذا الأمر إلی أکابر الصوفیّه و رؤسائهم افتراء محض و افک عظیم یتحاشی عنها أسرارهم و ضمائرهم، و لا یبعد أن یکون سبب ظنّ الجهله بهؤلاء الأکابر اطلاق الوجود تاره علی ذات الحقّ و تاره علی المطلق الشامل و تاره علی المعنی العام العقلی فإنّهم کثیرا ما یطلقون الوجود علی المعنی الظلّی الکونی فیحملونه علی مراتب التعیّنات و الوجودات الخاصّه فیجری علیه أحکامها.

و بما تقدّم من أنّ ما سواه تعالی مظاهر أسمائه و صفاته و مجالی إشراقات نور وجهه و مرایا ظلّ ذاته علمت معنی الإخلاص فی التوحید أعنی التوحید الذاتی الّذی ینطق به الموحّدون و إمامهم علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام: أوّل الدین معرفته و کمال معرفته التصدیق به، و کمال التصدیق به توحیده، و کمال توحیده الإخلاص له، و کمال الإخلاص له نفی الصفات عنه، لشهاده کلّ صفه أنّها غیر الموصوف، و شهاده کلّ موصوف أنّه غیر الصفه فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّاه و من جزّاه فقد جهله و من جهله فقد أشار إلیه و من أشار إلیه فقد حدّه و من حدّ فقد عدّه إلخ (الخطبه الاولی من نهج البلاغه).

و لا يخفى عليك أنّ كلامه عليه السّلام يشير إلى التوحيد الذاتى و اخلاصه تمحيض حقيقه الأحديّه عن شائبه الكثره، قال العارف السيّد حيدر الاملى فى رساله نقد النقود فى معرفه الوجود (ص ۶۳۶): و اذا تحقّق هذا و ثبت أنّ الوجود المطلق موجود فى الخارج و ليس لغيره وجود أصلا، و ثبت أنّ هذا الوجود المطلق هو الحقّ تعالى فاعلم أنّ مرادهم بالوجود من حيث هو الوجود، الوجود الصرف و الذات البحت الخالص بلا اعتبار شىء معه أصلا أعنى تصوّره من حيث هو هو لا بشرط الشىء و لا بشرط اللا شىء أى مجردا عن جميع النسب و الإضافات و القيود و الاعتبارات.

و معلوم أنّ كلّ شىء له اعتباران: اعتبار الذات من حيث هى هى، و اعتبارها من حيث الصفات أى وصفها بصفه مّا أيّه صفه كانت، فهذا هو اعتبار الذات فقط أعنى اعتبار الذات بقطع النظر عن جميع الاعتبارات و الإضافات المخصوصه بالحضره الأحديّه و أنّ مرادهم بالمطلق هو الذات المطلقه المنزّهه عن جميع هذه الاعتبارات، و ليس اطلاق لفظ المطلق على الوجود الصرف إلّا من هذه الحيثيّه لا من جهه المطلق الّذى هو بازاء المقيد، و لا من جهه الكلى الّذى هو بازاء الجزئى، و لا من جهه العام الذى هو بازاء الخاص لأنه - أى الوجود الصرف - من حيث هو غنىّ عن إطلاق شىء عليه اسما كان أو صفه، سلبا كان أو ثبوتا، إطلاقا كان أو تقييدا، عامّا كان أو خاصّا، لأنّ كلّ واحد منها - اى من هذه الامور المتقابله - يقتضى سلب الاخر، أو يقتضى التقيّد و التعيّن فيه، و هو أعنى الوجود المطلق المحض منزّه عن الكلّ حتّى عن الإطلاق و عدم الإطلاق لأنّ الإطلاق تقييد يقيّد الإطلاق، كما أنّ اللّا إطلاق قيد بعدم الاطلاق و كذلك التعيّن و اللّا تعيّن و غير ذلك من الصفات كالوجود و القدم و العلم و القدره و أمثالها.

و عن هذا التنزيه النزيه و التقديس الشريف أخبر مولانا و إمامنا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فى قوله: أوّل الدين معرفته - إلخ و الغرض

أنّ كلّ ذلك إشاره إلى إطلاقه و تجرّده و تنزّهه و تقدّسه عن الكثره الوجوديّه و الإعتباريّه، لأنّ قوله عليه السّلام و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه إشاره إلى الوجود المطلق المحض و الذات البحت الخالص الّذى لا يمكن وصفه بشىء أصلا و لا يكون قابلا للإشاره أبدا كما أشار إليه عليه السّلام فى موضع آخر فى قوله:

الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره.

قلت: قوله عليه السّلام: الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره، بعض حديث الحقيقه المخاطب به كميل بن زياد رضوان اللّه عليه سأله عليه السّلام عن الحقيقه بقوله: ما الحقيقه ؟ قال عليه السّلام: مالك و الحقيقه ؟! قال: أ و لست صاحب سرّك ؟ قال: بلى، و لكن يرشح عليك ما يطفح منّى، قال: أو مثلك يخيّب سائلا؟! قال: الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره، قال: زدنى فيه بيانا، قال:

محو الموهوم مع صحو المعلوم، قال: زدنى فيه بيانا، قال: هتك الستر لغلبه السرّ قال: زدنى فيه بيانا، قال: جذب الأحديّه بصفه التوحيد، قال: زدنى فيه بيانا قال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل آثاره، قال: زدنى فيه بيانا قال: أطف السراج فقد طلع الصبح.

نقله العارف المذكور فى جامع الأسرار ص ۱۷۰ و شرحه فى عدّه مواضع من ذلك الكتاب، و العلاّمه الشّيخ البهائى فى الكشكول و القاضى نور اللّه الشهيد نوّر اللّه مرقده فى مجالس المؤمنين و العارف الشّيخ عبد الرزاق اللاّهجى فى شرح گلشن راز، و الخوانسارى فى روضات الجنّات، و المحدّث القمّى فى سفينه البحار و غيرهم من أساطين الحكمه و العرفان فى صحفهم القيّمه، و شرحه العلاّمه قطب الدين الشيرازى فى رساله معموله فى ذلك فقط ، و شرحه أيضا بعض أساتيذنا بالنظم الفارسى و لقد أحسن و أجاد، ألا و هو العارف الرّبانى محيى الدّين مهدى الالهى القمشئى أدام اللّه أيّام إفاضاته.

و قال العارف الاملى المذكور فى جامع الأسرار فى تعريف التوحيد: اعلم أنّ حقيقه التوحيد أعظم من أن يعبّر عنها بعباره أو يؤمى إلى تعريفها بإشاره

فالعباره فی طریق معرفتها حجاب، و الإشاره علی وجه إشراقها نقاب، لأنّها یعنی حقیقه التوحید منزّهه عن أن تصل إلی کنهها العقول و الأفهام، مقدّسه عن أن تظفر بمعرفتها الأفکار و الأوهام، شعر:

تجول عقول الخلق حول حمائها و لم یدرکوا من برقها غیر لمعه

و إلی صعوبه إدراکها یعنی حقیقه التوحید و شدّه خفائها أشار مولانا و إمامنا أمیر المؤمنین و یعسوب المسلمین سلطان الأولیاء و الوصیین وارث علوم الأنبیاء و المرسلین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فی قوله: ما وحّده من کیّفه، و لا حقیقته أصاب من مثّله، و لا إیّاه عنی من شبّهه، و لا قصده من أشار إلیه و توهّمه.

و فی قوله: هو الأحد لا بتأویل عدد، و الخالق لا بمعنی حرکه و نصب و السمیع لا بأداه، و البصیر لا بتفریق آله، و الشاهد لا بمماسّه، و البائن لا بتراخی مسافه، و الظاهر لا برؤیه، و الباطن لا بلطافه، بان من الأشیاء بالقهر لها و القدره علیها، و بانت الأشیاء منه بالخضوع له و الرجوع إلیه، من وصفه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله، و من قال کیف فقد استوصفه، و من قال أین فقد حیّزه، عالم إذ لا معلوم، و ربّ إذ لا مربوب و قادر إذ لا مقدور.

و فی قوله: أوّل الدین معرفته - إلخ.

و کذلک الشّیخ العارف الشبلی البغدادی رحمه اللّه علیه فی قوله: من أجاب عن التوحید بعباره فهو ملحد، و من أشار إلیه باشاره فهو زندیق، و من أومی إلیه فهو عابد وثن، و من نطق فیه فهو غافل، و من سکت عنه فهو جاهل، و من وهم أنّه إلیه واصل فلیس له حاصل، و من ظنّ أنّه منه قریب فهو عنه بعید، و من به تواجد فهو له فاقد، و کلّ ما میّزتموه بأوهامکم و أدرکتموه بعقولکم فی أتمّ معانیکم فهو مصروف مردود إلیکم، محدث مصنوع مثلکم.

و لیس مرادهم من هذه الإشارات الامتناع من حصوله، و لا الیأس من وصوله بل المراد منها إعلاء أعلام منزلته، و ارتفاع أرکان درجته، و بیان أنّه لیس

بقابل للإشاره و لا بمحلّ للعباره، لأنّه عباره عن الوجود المطلق المحض و الذات الصرف البحت المسمّى بالحقّ جلّ جلاله الّذى لا يقبل الإشاره أصلا و رأسا و لا العباره قولا و فعلا و ذلك لا يكون إلّا عند فناء الطالب فى المطلوب و الشاهد فى المشهود و حين الاستغراق و الاستهلاك فى المطلق المحيط و لا شكّ أنّه لا يبقى مع ذلك لا الإشاره و لا المشير، و لا من الغير أثر فى العقل و الضمير.

و إليه أشار الإمام عليه السّلام بقوله أيضا: «الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره» اظهارا بأنّه لا ينكشف الحقّ حقيقه على أحد إلّا عند ارتفاع الكثره مطلقا اسما كان أو صفه و لهذا قال سبحات الجلال بدون الجمال لأنّ الجمال مخصوص بالأسماء و الصفات الّتى هى منشأ الكثره لا الجلال، انتهى ما أردنا من نقل كلام العارف السيّد حيدر الاملى قدّس سرّه الشريف فى التوحيد الذاتى.

و الشّيخ العارف المحقّق أبو إسماعيل خواجه عبد اللّه بن إسماعيل الأنصارى الهروى قد ذكر فى آخر كتابه الموسوم بمنازل السائرين بابا مفردا فى التوحيد و قسمه على ثلاثه أوجه، و قد بذل الجهد فى ذلك جدّا، و لكنّه موجز يحتاج إلى البيان و قد شرح ذلك الكتاب المولى العارف المحقّق كمال الدّين عبد الرزّاق الكاشانى يفضل ذلك الشرح على سائر الشروح كفضله على سائر الشراح، و ذلك الباب باب إلى ما كنّا فى صدده، و قد أشار الشارح المذكور إلى المتن بحرف الميم، و إلى الشرح بحرف الشين فنأتى بالباب على هديه و طريقته من غير تغيير وضعه و اسلوبه و هو مايلى:

(م) باب التوحيد، قال اللّه تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ ».

(ش) إنّما خصّ بعض الايه بالذكر لأنّ هذا محض التوحيد الجمعى و هو أن لا يكون معه شىء فلو ذكر و الملائكه و اولو العلم لكان نزولا عن الجميع إلى الفرق فيكون معه غيره فلا يبقى التوحيد المحض فهو الشاهد بنفسه لنفسه فلم يشهد أن لا إله إلّا هو غيره فمن تحقّق هذا بالذوق فقد شهد التوحيد بالحقيقه.

(م) التوحيد تنزيه اللّه عزّ و جلّ عن الحدث و إنّما نطق العلماء بما نطقوا به

و أشار المحقّقون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من حال أو مقام فكلّه مصحوب العلل.

(ش) قوله: التوحيد تنزيه اللّه عزّ و جل عن الحدث. مجمل يتناول تنزيه العقلاء من الحكماء و المسلمين، و تنزيه العرفاء الموحّدين لأنّ جميع العقلاء و أهل الفكر يدّعون تنزيه اللّه تعالى مع كونهم مقيّدين لأنّ العقل لا يقول إلّا بالتقييد و يثبتون الحدث و ينفونه عن الحقّ تعالى و ينزّهونه عنه، و أما العرفاء المحقّقون فلا يثبتون الحدث أصلا و رأسا فإنّ شهود التوحيد ينفيه عن أصله ثمّ يثبته بعد نفيه بالحقّ بمعنى تجلّى الحقّ مع الايات بوجوهه فى الصّور فيكون الحدوث عندهم ظهوره فى الصّور المختلفه بالتجلّيات المتعاقبه الغير المتكرّره.

و مراد الشّيخ قدّس اللّه روحه هذا التنزيه و لا يهتدى العقل إلى طريق التوحيد الّذى لا يكون فيه مع الحقّ سواه و لا يرى الحقّ عين الكلّ و لا يرى الحقّ عين الكلّ بحيث لا يكون فى الوجود شىء غيره.

و إنما نطق العلماء بما نطقوا به و أشار المحقّقون إلى ما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد أى ما نطقوا و ما أشاروا إلّا لقصد تصحيح هذا المقام السنّى لأنّه المقصد الأقصى و الموقف الأعلى و ما دون ذلك من الأحوال و المقامات فكلّه مصحوب العلل لا صحّه لها لبقاء الرسوم فيها و لو فى الحضره الواحديّه و التجلّيات الأسمائيه هذا ما ذهب إليه خاطرى.

و وجه آخر مبنىّ على أنّ «ما» فى إنّما نطق موصوله حقها أن تكتب مفصوله على معنى أنّ كلّ ما نطق به العلماء و أشار إليه المحقّقون لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من الأحوال و المقامات فكلّه مصحوب العلل لا يخلو منها يعنى أنّ التوحيد بالعلم لا يخلص عن العلل و كذا إثبات الأحوال و المقامات بطريق العلم و إشارات المحقّقين لا يخلو من العلل فإنّها مواجيد ذوقيّه لا تندرج تحت العبارات و لا يحيط به الإشارات و لا تفى ببيانها الكلمات و العلل هى الجهالات.

(م) و التوحيد على ثلاثه وجوه: الوجه الأوّل توحيد العامه الّذى يصحّ

بالشواهد، و الوجه الثانی توحید الخاصّه و هو الّذی یثبت بالحقائق، و الوجه الثالث توحید قائم بالقدم و هو توحید خاصّه الخاصّه.

(ش) الشواهد هی الأکوان و المصنوعات الّتی یستدلّ بها علی المکوّن الصانع و بالجمله الدلائل الّتی یستدلّ بها العلماء بالنظر و الفکر و براهین العقل فتوحید العامّه إنّما یصحّ بالإستدلال مثل قوله تعالی: «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا »، و لکن ما فسدتا فلیس فیهما آلهه غیر اللّه و أمثال ذلک.

و أما توحید الخاصّه و هم المتوسطون فهو الذی یثبت بالحقائق المذکوره فی القسم التاسع و هی المکاشفه و المشاهده و المعاینه و الحیاه و القبض و البسط و السکر و الصحو و الإتّصال و الانفصال.

و أما توحید خاصّه الخاصّه فهو التوحید القائم بالقدم یعنی توحید الحقّ لنفسه أزلا و أبدا کما قال: شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو، و قیامه بالقدم أزلیّه و امتناع قیامه بالحدث و إلاّ کان مثبتا للغیر فلم یکن توحیدا و أهل هذا المقام هم المذکورون فی الدرجه الثالثه من کل باب من أبواب أقسام النهایات.

(م) فأما التوحید الأوّل فهو شهاده أن لا إلاّ اللّه وحده لا شریک له الأحد الصمد الّذی لم یلد و لم یولد و لم یکن له کفوا أحد، هذا هو التوحید الظاهر الجلیّ الّذی نفی الشرک الأعظم و علیه نصبت القبله، و به وجبت الذمّه، و به حقنت الدّماء و الأموال، و انفصلت دار الإسلام عن دار الکفر، و صحّت به الملّه العامّه و إن لم یقوموا بحقّ الاستدلال بعد أن سلموا من الشّبهه و الحیره و الریبه بصدق شهاده صحّحها قبول القلب.

(ش) هذا ظاهر غنیّ عن الشرح و هو أصل التوحید التقلیدی الّذی صحّت به الملّه للعامّه بصدق شهاده صحّحها فی الشرع قبول قلوبهم لها تقلیدا و إن لم یقدروا علی الاستدلال بعد أن لم تعتورهم الشّبهه و الحیره و الشک و سلمت قلوبهم من ذلک.

(م) هذا توحید العامّه الّذی یصحّ بالشواهد، و الشواهد هی

الرساله و الصنائع.

(ش) أی الأخبار الّتی وردت بها الرساله و المصنوعات المتقنه المحکمه الدالّه بحسن صنعتها و إتقانها علی وجود الصّانع و علمه و حکمته و قدرته.

(م) یجب بالسمع و یوجد بتبصیر الحقّ و ینمو علی مشاهده الشواهد.

(ش) أی یجب قبول هذا التوحید بالأدلّه السمعیّه و هی أخبار الکتاب و السنّه الّتی یسمعها من النّبی صلی اللّه علیه و آله کقوله: فاعلم أنّه لا إله إلاّ اللّه. و قوله:

و إلهکم إله واحد، و شهد اللّه، و سوره الإخلاص و أمثالها، و لا توجد حقیقته و حلاوته و إدراک معناه إلاّ بتبصیر الحقّ إیّاه بنوره المقذوف فی قلب المؤمن و یزید و ینمو بالمواظبه علی مشاهده الشواهد بنظر الإعتبار و التفکّر فیها و مطالعه حکمه صانعها فی أحوالها.

(م) و أمّا التوحید الثانی الّذی یثبت بالحقائق فهو توحید الخاصّه و هو إسقاط الأسباب الظاهره و الصعود عن منازعات العقول و عن التعلّق بالشواهد و هو أن لا تشهد فی التوحید دلیلا، و لا فی التوکل سببا، و لا للنّجاه وسیله.

(ش) إسقاط الأسباب الظاهره هو أن لا یعلّق المسبّبات بالأسباب المعروفه بین الناس و لا یری لها تأثیرا و لا لغیر الحقّ فعلا، و یشهد بالحقیقه أن لا مؤثّر إلاّ اللّه، و الصعود عن منازعات العقول هو الترقّی إلی مقام الکشف و التخلّص عن منازعات العقول أحکام الشرع لعماها عن حکمها، و احتجابها بقیاساتها، و عن منازعات بعض العقول بعضا، و مجادلاتها فی الأحکام لثبوت الأوهام إیّاها، و معارضاتها فی المناظرات باتّهامها فی الأحکام (بإتمامها فی الأحکام - خ ل) و تصفیه الباطن عن المخالفات و المجادلات مجاوزا طور العقل إلی نور الکشف و عن التعلّق بالشواهد أی الصعود عن طور الاستدلال و التمسّک بالأدلّه استغناء عنها بنور التجلّی و العیان.

قوله: «و هو» إشاره إلی الصعود عن التعلق بالشواهد أی و ذلک الصعود أن لا تشهد فی التوحید دلیلا فیکون التوحید عندک أجلی من کلّ دلیل فإنّ نور

الحقّ إنما لا يدرک لشدّته و قوّه نوريّته کما قيل، شعر:

خفیّ لإفراط الظهور تعرّضت لإدراکه أبصار قوم أخافش

«و لا فی التوکّل سببا» أی و أن لا تشهد فی التوکّل سببا لقوّه يقينک فی أن لا مؤثّر إلّا اللّه و رؤيتک الأفعال کلّها منه فيتلاشی الأسباب فی المسبّب فی شهودک لشهودک التّأثير منه دون السبب «و لا للنّجاه وسيله» أی و أن لا تشهد للنّجاه من العذاب و العقوبه و الطرد وسيله من الأعمال الصالحه و الحسنات.

(م) فتکون مشاهدا سبق الحقّ بحکمه و علمه و وضعه الأشياء مواضعها و تعليقه إيّاها بأحايينها، و إخفائه إيّاها فی رسومها و تحقّق معرفه العلل و تسلک سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصّه الّذی يصحّ بعلم الفناء و يصفو فی علم الجمع و يجذب إلی توحيد أرباب الجمع.

(ش) أی فتکون أنت مشاهدا أنّ الحقّ سبق بحکمه علی الأشياء بما هی عليه فی الأزل فلا تکون إلّا کما حکم به، و کذا سبق بعلمه و تقديره الأشياء علی ما هی عليه، و حکمه تعالی علی الأشياء تابع لعلمه فتکون الأشياء علی مقتضی سابق علمه و قضائه، «و وضعه الأشياء مواضعها» أی و تکون مشاهدا لوضع الحقّ تعالی کلّ شیء فی موضعه بتقديره و حکمته فی الأزل، و کذا تشاهد «تعليقه إيّاها بأحايينها» فلا تقع إلّا فی الوقت الّذی قدر وقوعها فيه، «و اخفائه إيّاها فی رسومها» أی و تکون مشاهدا سبق الحقّ بإخفائه الأشياء فی رسومها عن أعين المحجوبين فإنّهم لا يرون أنّها بفعل الحقّ و حکمه و تقديره فی القضاء السابق جاريه علی مجراها فينسبونها إلی أسبابها و مقتضيات رسومها الخلقيّه و طبائعها و أوقاتها، فيجعلون لکلّ تغيّر حال من أحوالها سببا، و يحتجبون بها عن التصرّف الالهیّ و التقدير الأزليّ ، و ذلک هو إخفاؤها فی الرسوم.

قوله «و تحقّق» عطف علی «فتکون» أی فتکون مشاهدا و تحقّق معرفه العلل و هی الوسائط و إسناد أحوالها إلی ما سوی اللّه تعالی من الأسباب و الرسوم الخلقيه من الطبايع و اختيار الخلق و إرادتهم و قدرتهم و إلی حرکات الأفلاک

و أوضاع الكواكب و أمثالها، و كلّ ذلك علل يحتجب أهل العادات عن اللّه تعالى و توحيده.

و أما العرفاء الموحّدون فهم يعرفون هذه العلل و يسقطون الحدث و يسلكون سبيل علم القدم بإسقاط الحدث فلا يرون إلّا سابقه حكم الأزل فيكونون مع الحقّ فى جريان الأحول و يشهدون تصريفاته للأشياء بفعله على مقتضى حكمه و تقديره و حكمته الأزليّه و قدرته و إرادته الأوليّه فيشاهدون الحقّ و أسماءه و صفاته لا غير.

هذا توحيد الخاصّه أى المتوسطين الّذى يصحّ بعلم الفناء لا بنفس الفناء الاتى بعده فإنّ علم الفناء يحصل بالفناء فى حضره الصفات و الأسماء أى الحضره الواحديّه قبل الفناء فى الذات الأحديّه الّتى هى عين الجمع و يصفو بعلم الجمع لا بعين الجمع و اضمحلال الرسوم بل قبله عند فناء علمه فى علم الحقّ و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع الّذى يأتى فى قوله.

(م) و أما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصّه اللّه لنفسه و استحقّه بقدره و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفه من صفوته، و أخرسهم من نعته و أعجزهم عن بثّه.

(ش) اختصّه اللّه لنفسه أى استأثره اللّه به ليس لغيره منه نصيب و لا فيه قدم لأنّه إنّما يتحقّق بفناء الحقّ كلّهم و بقاء الحقّ وحده فلا يمكن لغيره عنه عباره و لا إليه إشاره و لا شىء من أحكام الخلق و أوصافهم يصل إليه لحصوله بفنائهم و استحقّه بقدره أى لا يستحقّه بمقدار كنهه و حقيقته إلّا هو و لا يبلغه غيره و ما قدروا اللّه حقّ قدره، و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفه من صفوته حال البقاء بعد الفناء فى عين الجمع لأنّهم حال الفناء قد استغرقوا فيه فانين عن أسرارهم غائبين عنها، و فى حال البقاء ردّوا إلى الخلق باقين به فعرفوا أنّ الحضره الأحديّه لا نعت لها و كلّ ما ينعت به فهو من الحضره الواحديّه فأخرسهم اللّه عن نعته لا بمعنى أنهم يعرفون نعته فمنعهم عن التكلّم به بل لأنّهم عرفوا أنّ حضره النعوت تحت مقام الجمع فهو كقوله: شعر: على لاـ حب لا يهتدى بمناره، و كذا معنى قوله:

«و أعجزهم عن بثّه» أى عن إظهار ذلك اللّائح و الإخبار به لأنّه لا يقبل الإخبار عنه كما لا يقبل النعت.

(م) و الذى يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث و إثبات القدم، على أنّ هذا الرمز فى ذلك التوحيد علّه لا يصحّ ذلك التوحيد إلّا باسقاطه.

(ش) «و الّذى يشار به إليه» مبتداء، خبره «أنّه إسقاط الحدث» أى و أحسن ما يشار به إلى هذا التوحيد و ألطفه هو هذا الكلام المرموز، مع أنّ هذا الرمز فى ذلك التوحيد علّه لا يصحّ ذلك التوحيد إلّا باسقاطه فانّ الحدث لم يزل ساقطا، و إنّ القدم لم يزل ثابتا، فما معنى إسقاط ذلك و إثبات هذا و من المسقط و المثبت و ما ثمّ إلّا وجه الحقّ تعالى ؟ فهذه علّه و هؤلاء ظنوا أنّهم قد حصّلوا تعريفه و ليسوا فى حاصل.

(م) هذا قطب الإشاره إليه على ألسن علماء هذا الطريق و إن زخرفوا له نعوتا و فصّلوه فصولا فإنّ ذلك التوحيد يزيده العباره خفاء، و الصفه نفورا و البسط صعوبه.

(ش) «هذا» أى قولهم إسقاط الحدث و إثبات القدم قطب مدار الإشاره إلى هذا الطريق و أعظم الإشارات و أحكمها و هو مع ذلك معلول يجب إسقاطه فى تصحيح هذا التوحيد و الباقى من المتن ظاهر.

(م) و إلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضه و أرباب الأحوال و المعارف و له قصد أهل التعظيم و إيّاه عنى المتكلّمون فى عين الجمع، و عليه تصطلم الإشارات ثمّ لم ينطق عنه لسان و لم يشر إليه عباره فإنّ التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن، أو يتعاطاه حين، أو يقلّه سبب.

(ش) «و إلى هذا التوحيد شخص» أى ذهب «أهل الرياضه» السالكون «و عليه تصطلم الإشارات» أى تنقطع و تستأصل «فإنّ التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن» أى مخلوق، لأنّه لا يصحّ إلّا بفناء الرسوم كلّها و صفاء الأحديّه عن

الكثيره العددیه فلا مجال للإشاره فیه، «أو یتعاطاه حین» أی وراء ما یتداوله زمان لأنّه فی عین القدم فوق طور الزمان و الحدث، «أو یقلّه سبب» أی وراء ما یحمله سبب لأنّه قائم بمسبّب الأسباب وحده فکیف یحمله سبب ؟ و کلامه ظاهر لا یحتاج إلی الشرح.

(م) و قد أجبت فی سالف الزمان سائلا سألنی عن توحید الصوفیّه بهذه القوافی الثلاث:

ما وحّد الواحد من واحد إذ کلّ من وحّده جاحد

توحید من ینطق عن نعته عاریه أبطلها الواحد

توحیده إیّاه توحیده و نعت من ینعته لاحد

(ش) یعنی ما وحّد الحقّ تعالی حقّ توحیده الذّاتی أحد إذ کلّ من وحّده أثبت فعله و رسمه بتوحیده فقد جحده باثبات الغیر إذ لا توحید إلّا بفناء الرسوم و الاثار کلّها «توحید من ینطق من نعته عاریه» إذ لا نعت فی الحضره الأحدیه و لا نطق و لا رسم لشیء و النطق و النعت یقتضیان الرسم و کلّ ما یشمّ منه رائحه الوجود فهو للحقّ عاریه عند الغیر فیجب علیه ردّها إلی مالکها حتّی یصحّ التوحید و یبقی الحقّ واحدا واحدا فلذلک أبطل الواحد الحقیقی تلک العاریه الّتی هی ذلک التوحید مع بقاء رسم الغیر فإنّه باطل فی نفسه فی الحضره الأحدیّه «توحیده إیّاه توحیده» أی توحید الحقّ ذاته بذاته هو توحیده الحقیقی «و نعت من ینعته لاحد» أی وصف الّذی یصفه هو أنّه مشرک جائز عن طریق الحقّ مائل عنه لأنّه أثبت النعت و لا نعت ثمّه و أثبت رسمه باثبات النعت و لا رسم لشیء فی الحضره الأحدیّه و لا أثر و إلّا لم تکن أحدیه، انتهی.

فإن قلت: إنّ ما استفید ممّا تقدّم فی معنی التوحید أنّه تعالی أحد لا بتأویل عدد، کما صرّح به الأمیر علیه السّلام فی کلامه المذکور آنفا و قد قال سیّد الساجدین و زین العابدین علیّ بن الحسین علیهما السّلام فی الدّعاء الثامن و العشرین من الصحیفه السّجادیّه و هو کان من دعائه علیه السّلام متفزعا إلی اللّه عزّ و جلّ : «لک یا

إلهى وحدانيّه العدد، و ملكه القدره الصمد، و فضيله الحول و القوّه، و درجه العلوّ و الرّفعه، و من سواك مرحوم فى عمره، مغلوب على أمره، مقهور على شأنه، مختلف الحالات، متنقل فى الصفات، فتعاليت عن الأشباه و الأضداد و تكبّرت عن الأمثال و الأنداد، فسبحانك لا إله إلّا أنت».

فكيف التوفيق بين قوله عليه السّلام: لك يا إلهى وحدانيّه العدد، و بين ما مرّ من أنّ اللّه تعالى منزّه عن الوحده العدديّه ؟.

قلت: قد أفاد العالم المحقّق صدر الدّين المعروف بالسيّد على خان رضوان اللّه عليه فى شرحه ما أتلوه عليك أوّلا ثمّ أذكر ما عندى، قال رحمه اللّه تعالى:

تقديم المسند لإفاده قصر المسند إليه عليه، أى لك وحدانيّه العدد لا تتخطّاك إلى غيرك، و وحدانيّه الشىء كونه واحدا لأنّ ياء النسب إن الحقت آخر الاسم و بعدها هاء التأنيت أفادت معنى المصدر كالالوهيه و الربوبيه و الألف و النون مزيدتان للمبالغه.

و العدد قيل: هو كثره الاحاد و هى صوره تنطبع فى نفس العادّ من تكرار الاحاد، و على هذا فالواحد ليس عددا، و قيل: هو ما يقع جوابا لكم فيكون الواحد عددا.

و قد اختلف أقوال الأصحاب فى معنى قوله عليه السّلام: لك يا إلهى وحدانيّه العدد، لمنافاتها ظاهرا وجوب تنزيهه تعالى عن الوحده العدديّه نقلا و عقلا.

أمّا النقل فمستفيض من أخبارهم عليهم السّلام و منه قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبه له: الواحد بلا تأويل عدد، و قوله فى خطبه اخرى: واحد لا بعدد و دائم لا بأمد.

و منه ما رواه رئيس المحدّثين فى كتاب التوحيد أنّ أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال يا أمير المؤمنين أتقول انّ اللّه واحد؟ فحمل الناس عليه و قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: دعوه فإنّ الّذى يريده الأعرابى هو الّذى نريده من القوم

ثم قال: يا أعرابى إنّ القول بأنّ اللّه تعالى واحد على أربعه أقسام فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزّ و جلّ ، و وجهان يثبتان فيه:

فأما اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثه ؟.

و قول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه و جلّ ربّنا عن ذلك و تعالى.

و أما الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلك ربّنا، و قول القائل: إنّه عزّ و جلّ أحدى المعنى يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم كذلك ربّنا عزّ و جلّ .

و أما العقل فلأنّ الوحده العدديّه إنّما تتقوّم بتكرّرها الكثره العدديّه و يصحّ بحسبها أن يقال إنّ المتصف بها أحد أعداد الوجود أو أحد آحاد الموجودات و عزّ جنابه سبحانه أن يكون كذلك، بل الوحده العدديّه و الكثره العدديّه الّتى هى فى مقابلتها جميعا من صنع وحدته المحضه الحقيقيّه الّتى هى نفس ذاته القيّومه و هى وحده حقّه صرفه وجوبيّه قائمه بالذات لا مقابل لها و من لوازمها نفى الكثره كما أشار إليه أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه فى الحديث المذكور آنفا أنه أحدى المعنى لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ قوله عليه السّلام: لك يا إلهى وحدانيّه العدد، ليس مرادا به الوحده العدديّه بل لا بدّ له من معنى آخر يصحّ تخصيصه به تعالى و قصره عليه كما يقتضيه تقديم المسند على المسند إليه.

فقال بعضهم: المراد به نفى الوحده العدديّه عنه تعالى لا إثباتها له، و هو غير ظاهر.

و قيل: معناه انّ لك من جنس العدد صفه لوحده و هو كونك واحدا لا شريك لك و لا ثانى لك فى الربوبيّه.

و قيل: معناه إذا عددت الموجودات كنت أنت المتفرد بالوحدانيّه من بينها.

و قيل: اريـد به أنّ لک وحـدانيّه العدد بالخلق و الإيجاد لها فإنّ الوحده العدديّه من صـنعه و فيض وجوده وجوده و لا يخفى أنه بمعزل عن المقام.

و قال بعضهم: أراد بوحدانيّه العدد جهه وحده الكثرات و أحديه جمعها لا إثبات الوحده العدديّه له تعالى.

و قيل: معناه أنّه لا كثره فيک أى لا جزء لک و لا صفه لک يزيدان على ذلک و هو أنسب المعانى المذكوره بالمقام، و توضيح المراد أنّ قوله عليه السّلام لک يا إلهى وحدانيّه العدد يفسّره قوله عليه السّلام: و من سواک مختلف الحالات متنقل فى الصفات فإنّه عليه السّـلام قابل كلّ فقره من الفقرات الأربع المتضـمّنه للصـفات الّتى قصرها عليه سبحانه بفقره متضمّنه لخلافها فمن سواه على الطريق اللّف و النشـر الّـذى يسـمّيه أرباب البـديع معكوس الترتيب و هو أن يذكر متعدد تفصـيلا ثمّ تذكر أشـياء على عدد ذلک كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم من غير تعيين ثقه بأنّ السامع يرد كلّ واحد إلى ما يليق به و يكون الأوّل من النشـر للاخر من اللف و الثانى لما قبله و هكـذا على الترتيب كعباره الدّعاء فإنّ قوله عليه السّـلام: مختلف الحالات متنقل فى الصـفات راجع إلى قوله: لک يا إلهى وحدانيّه العدد، و قوله: مقهور على شأنه راجع إلى قوله: و ملكه القدره الصمد، و قوله:

مغلوب على أمره راجع إلى قوله: و فضيله الحول و القوّه، قوله: مرحوم فى عمره راجع إلى قوله: درجه العلو و الرفعه.

إذا علمت ذلـک ظهر لـک أنّ المراد بوحـدانيّه العـدد له تعالى معنى يخالف معنى اختلاف الحالات و التنقل فى الصـفات لغيره سبحانه فيكون المقصود إثبات وحدانيه ما تعدّد من صـفاته و تكثر من جهاته و أنّ عددها و كثرتها فى الاعتبارات و المفهومات لا يقتضـى اختلافا فى الجهات و الحيثيات و لا تركيبا من الأجزاء بل جميع نعوته و صفاته المتعدّده موجوده بوجود ذاته، و حيثيه ذاته بعينها حيثيه علمه و قدرته و سائر صفاته الإيجابيّه فلا تعدّد و لا تكثر فيها أصلا

بل هی وحدانیه العدد موجوده بوجود واحد بسیط من کل وجه إذ کل منها عین ذاته فلو تعددت لزم کون الذات الواحده ذواتا تعالی اللّه عن ذلک علوا کبیرا.

و هذا معنی قولهم واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جمیع الجهات فجمیع صفاته الإیجابیّه عین ذاته من غیر لزوم تکثر.

فإن قلت: کیف تکون صفاته عین ذاته و مفهوم الصفه غیر مفهوم الذات ؟ و أیضا فإنّ مفهوم کلّ صفه غیر مفهوم صفه اخری فکیف تتّحد بالذات ؟.

قلت: قد تکون المفهومات المتعدّده موجوده بوجود واحد فالصفات بحسب المفهوم و إن کانت غیر الذات و بعضها یغایر بعضها إلّا أنها بحسب الوجود لیست أمرا وراء الذات أعنی أنّ ذاته الأحدیه تعالی شأنه هی بعینها صفاته الذاتیه بمعنی أنّ ذاته بذاته وجود و علم و قدره و حیاه و سمع و بصر، و هی أیضا موجود عالم قادر حیّ سمیع بصیر یترتّب علیها آثار جمیع الکمالات و یکون هو من حیث ذاته مبدء لها من غیر افتقار إلی معان اخر قائمه به تسمّی صفاتا تکون مصدرا للاثار لمنافاته الوحده و الغناء الذاتیین و الإختصاص بالقدم فذاته صفاته و صفاته ذاته لا زائده علیها کصفات غیره من المخلوقین فإنّ العلم مثلا فی غیره سبحانه صفه زائده علی ذاته مغایره للسمع فیه و فیه نفسه تعالی و هو بعینه سمعه و قس علی ذلک سائر الصفات الثبوتیه.

فتبیّن أنّ المراد بقصر وحدانیه العدد علیه تعالی هذا المعنی المخالف لصفات من سواه و حالاته فانّها کیفیات نفسانیّه انفعالیّه و حالات متغایره و معان مختلفه له إذ کان یسمع بغیر ما یبصر، و یبصر بغیر ما یسمع إلی غیر ذلک من صفاته المتعدّده المتکثّره الّتی توجب اختلاف الحالات و التنقل فی الصفات و بالجمله فمعنی قصر وحدانیه العدد علیه سبحانه نفی التعدّد و التکثّر و الاختلاف عن الذات و الصفات علی الاطلاق، و هذا المعنی مقصور علیه تعالی لا یتجاوزه إلی غیره، و اللّه أعلم بمقاصد أولیائه، و فی المقام کلام طویل طویناه علی عزّه. انتهی کلامه رفع مقامه.

أقول: أوّلا- إنّ حديث الأعرابى يوم الجمل قد نقله العلاّمه الشّيخ بهاء الدّين قدّس سرّه أيضا فى أوائل المجلّد الثالث من الكشكول (ص ۲۵۸ من طبع نجم الدوله) من كتاب أعلام الدّين تأليف أبى محمّد الحسن بن أبى الحسن الديلمى، عن مقداد بن شريح البرهانى، عن أبيه قال: قام رجل يوم الجمل إلى علىّ عليه السّلام - إلخ، و ثانيا الحكم فى اصول العقائد و المعيار فيها هو العقل فحسب فما حكم به العقل الناصع فهو المتّبع فاذا ورد أمر من أهل بيت الوحى و خزنه أسرار اللّه فإن كان ممّا يدركه العقل، و إلاّ فإن عجز عن إدراكه فإمّا كان العجز من حيث إنه كلام عال سام لا تبلغه العقول بلا تلطيف سرّ و تدقيق فكر و نور علم فلا- بدّ من الورود فيها من أبوابها، أو من حيث إنّ ظاهره ينافى حكم صريح العقل فلا بدّ من التأمّل فيه حقّ التأمّل لأنّ الكلام حينئذ ليس محمولا على ظاهره قطعا و ذلك للعلم القطعى بأنّ ما صدر عن أولياء اللّه تعالى لا سيّما عن حججه و وسائط فيضه ليس ما ينافى حكم العقل واقعا بل منطقهم عقل ليس إلاّ، فما يحرى على الفاحص مغزا كلامهم، و المستفيد من مأدبه مرامهم أن يسأل اللّه تعالى فهم ما أفاضوه، و نيل ما أفادوه، فقد روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب من كتاب الحجّه من اصول الكافى بإسناده عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لا- يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد صلى اللّه عليه و آله فلانت له قلوبكم و عرفتموه فاقبلوه، و ما اشمأزّت منه قلوبكم و أنكرتموه فردّوه إلى اللّه و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمّد صلى اللّه عليه و آله و إنما الهالك أن يحدّث أحدكم بشىء منه لا- يحتمله فيقول: و اللّه ما كان هذا، و اللّه ما كان هذا و الإنكار هو الكفر (۳۳۰ ج ۱ من الكافى المشكول) و قريب منه ما قد أتى به السيّد الرضى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى الخطبه ۱۸۷ من النهج أوّلها: فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا فى القلوب.

فنقول: العقل حاكم على أنّه تعالى ليس بواحد عددىّ أى شخصىّ لأنّ

ما لا ثانی له لا یدخل فی باب الأعداد و الوحده العددیّه معروضها هویّات آحاد عالم الإمکان، علی أنّه قد تحقق فی محلّه أنّ العدد لا یعرض المفارق العقلی لا بالذات و لا بالعرض و هو عارض للنفوس بواسطه البدن، بل اللّه تعالی واحد بالوحده الحقّه الّتی هی حقّ الوحده إذ لا مهیّه له سوی الوجود البحت البسیط و الوجود هو الوحده القائمه بذاتها و الوحده هی الوجود.

فاعلم أنّ الوحده هی ما یقال به لشیء ما واحد، و العدد هو الکمّیه المتألّفه من الوحدات، کما فی صدر المقاله السابعه من اصول أقلیدس، فالوحده لیست بعدد لأنّ العدد ما فیه انفصال لأنّه کمّ و الکمّ یقبل الانقسام و الوحده لا تقبله، و من جعلها عددا أراد بالعدد ما یدخل تحت العدّ، کما قال العلاّمه الخواجه الطوسی فی الصدر المذکور: «و قد یقال لکلّ ما یقع فی مراتب العدّ عدد فیقع اسم العدد علی الواحد أیضا بهذا الاعتبار» فالنزاع لفظی، و قد یحدّ العدد بأنّه نصف مجموع حاشیته کالأربعه مثلا حاشیتاها ثلاثه و خمسه و هی نصف مجموعها، فیخرج الواحد منه أیضا.

و الوحده مبدء العدد المتقوم بها فالحق کما صرّح به العلاّمه الشّیخ البهائی فی خلاصه الحساب أنّ الواحد لیس بعدد و إن تألفت منه الأعداد کما أنّ الجوهر الفرد عند مثبتیه لیس بجسم و إن تألّفت منه الأجسام، مثلا أنّ العشره متقومه بالواحد عشر مرّات و لیست متقومه بخمسه و خمسه و لا- بستّه و أربعه و لا- بسبعه و ثلاثه و لا بثمانیه و اثنین لأن ترکّبها من الخمستین لیس بأولی من ترکّبها من الستّه و الأربعه و غیرها من أنواع الأعداد الّتی تحتها و لهذا قال الفیلسوف المقدم ارسطاطالیس - کما فی الخامس من ثالثه إلهیات الشفاء -: لا تحسبنّ أنّ ستّه ثلاثه و ثلاثه بل هو ستّه مره واحده.

و قال الشّیخ فی الفصل المذکور: و حدّ کلّ واحد من الأعداد إن أردت التحقیق هو أن یقال إنّه عدد من اجتماع واحد و واحد و واحد و تذکر الاحاد کلّها و ذلک لأنّه لا یخلو إمّا أن یحدّد العدد من غیر أن یشار إلی ترکیبه ممّا رکّب منه بل بخاصیه من خواصّه فذلک یکون رسم ذلک العدد لا حدّه من

جوهره، و إمّا أن يشار إلى تركيبه ممّا ركّب منه، فإن اشير إلى تركيبه من عددين دون الاخر مثلا أن يجعل العشره من تركيب خمسه و خمسه لم يكن ذلك أولى من تركيب سته مع أربعه و ليس تعلق هويّتها بأحدهما أولى من الاخر و هو بما هو عشره مهيه واحده و محال أن تكون مهيه واحده و ما يدلّ على مهيه من حيث هى واحده حدود مختلفه فاذا كان كذلك فحدّه ليس بهذا و لا بذاك بل بما قلنا و يكون إذا كان ذلك كذلك فقد كان له التراكيب من خمسه و خمسه و من سته و أربعه و من ثلاثه و سبعه لازما لذلك و تابعا فيكون هذه رسوما له.

فنقول: كما أنّ الوحده مبدء العدد و ليست منه و تتألف منه الأعداد بكثرتها و لم تجد فى مراتبها المختلفه بعد الفحص و التفتيش غير الوحده و قد علمت أن مفاهيم الأعداد تتحقّق بتكرّر المفهوم الوحده لا غير كذلك الوحده الحقّه الّتى هى حقّ الوحده مبدء للحقائق و بتكرّر تجلّياته تتحقّق الحقائق بلا تكثر فى المتجلّى، و كأنّ ما فى زبور آل محمّد صلى اللّه عليه و آله من أنّ له تعالى وحدانيّه العدد يشير إلى هذا السرّ المكنون و قد سلك أهل السرّ هذا المسلك الأقوم و الطريق الأوسط .

فقال السيّد المحقّق الداماد قدّس اللّه روحه معناه: أنّ الوحده العدديّه ظلّ لوحده الحقّه الصرفه القيّوميه، و قال مولانا محسن الفيض قدس سرّه:

وحدانيّه العدد أى جهه وحده الكثرات و أحديّه جمعها لأنّ العدديّه منتفيه عنه سبحانه تعالى البتّه و إنّما الثابت له معنى الوحده ليس إلّا الوحده الحقيقيّه كما ثبت فى محلّه عقلا و نقلا.

و قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى الشواهد الربوبيّه: و من اللّطائف أنّ العدد مع غايه تباينه عن الوحده و كون كلّ مرتبه منه حقيقه برأسها موصوفه بخواصّ و لوازم لا توجدان فى غيرها إذا فتّشت فى حاله و حال مراتبه المختلفه لم تجد فيها غير الوحده.

و قال الحكيم المتألّه السبزوارى رضوان اللّه عليه فى الحاشيه: فكلّ عدد من

الأعداد الّتی من النسب الأربع فیه التباین مع الاخر لیس أجزاؤه إلّا الواحد فالاثنان واحد و واحد، و الثلاثه واحد و واحد و واحد و هکذا فالواحد رسم بتکراره الأعداد المتباینه و لو فی غایه التباین، و تکرار الشیء لیس إلّا ظهوره ثانیا و ثالثا بالغا ما بلغ، و ظهورات الشیء لیست مکثره له فاذا ظهر زید فی البیت مرّه بعد اولی و کرّه غبّ اخری لم یتعدّد تعدّدا شخصیّا أو نوعیّا، و هذا الواحد لا- بشرط صار باللحاظات الکثیره أعدادا متباینه لها أحکام و آثار متخالفه ممّا هی مشروحه فی علم الحساب و علم الأعداد و غیرهما فمفهوم الواحد فی مفاهیم الأعداد کحقیقه الوجود بالنسبه إلی أنحاء الوجودات و لعلّ هذا معنی قول سیّد الساجدین علیّ بن الحسین علیهما السّلام: یا الهی لک وحدانیه العدد، أی لک وحدانیه آیتها الوحدانیه الّتی هی راسمه الأعداد و علّه قوامها و عادّها و مفنیها، انتهی.

و قد نقلنا بیان هؤلاء العظام من تعلیقه الحکیم المتأله البارع الاخوند الهیدجیّ علی الفریده الثالثه من المقصد الأوّل من غرر الفرائد للمتألّه السبزواری قدّس سرّهما.

و أنت تعلم أنّ کلامهم مبنیّ علی ذلک السرّ المشار إلیه و قد بسط القول فیه غیر واحد من أجلّه المتالّهین منهم محیی الدّین فی الفصّ الإدریسی من کتاب فصوص الحکم، و منهم المولی صدرا فی الفصل الرابع من المرحله الخامسه من السفر الأوّل من الأسفار الأربعه، و منهم المولی محسن الفیض فی عین الیقین.

و نأتی بکلام الأوّلین تتمیما للفائده و تکمیلا لها قال أوسطهم: فصل فی بعض الأحکام الوحده و الکثره، انّ الوحده لیست بعدد و إن تألّف منها لأنّ العدد کم یقبل الانقسام و الوحده لا یقبله و من جعل الوحده من العدد أراد بالعدد ما یدخل فی تحت العدّ فلا نزاع معه لأنّه راجع إلی اللفظ بل هی مبدء للعدد لأنّ العدد لا یمکن تقوّمه إلّا بالواحده لا بما دون ذلک العدد من الأعداد فإنّ العشره لو تقویت بغیر الوحدات لزم الترجیح من غیر مرجّح فإنّ تقوّمها بخمسه و خمسه لیس أولی من تقوّمها بسته و أربعه، و لا من تقوّمها بسبعه و ثلاثه

و التقوم بالجميع غير ممكن و إلّا لزم تكرّر أجزاء المهيّه المستلزم لاستغناء الشيء عمّا هو ذاتی له لأنّ كلّا منها كان فی تقوّمها فيستغنی به عمّا عداه، و إن أخذ تقويمها باعتبار القدر المشترك بين جميعها لا باعتبار الخصوصيّات كان اعترافا بما هو المقصود إذ القدر المشترك بينها هو الوحدات.

و من الشواهد أنّه يمكن تصوّر كل عدد بكنهه مع الغفله عمّا دونه من الأعداد فلا يكون شيء منها داخلا فی حقيقته فالمقوّم لكلّ مرتبه من العدد ليس إلّا الوحده المتكرّره فإذا انضم إلی الوحده مثلها حصلت الاثنيّه و هی نوع من العدد و إذا انضم إليها مثلاها حصلت الثلاثه و هكذا يحصل أنواع لا تتناهی بتزايد واحد واحد لا إلی نهايه إذا التزايد لا ينتهی إلی حدّ لا يزاد عليه فلا ينتهی الأنواع إلی نوع لا يكون فوقه نوع آخر.

و أمّا كون مراتب العدد متخالفه الحقائق كما هو عند الجمهور فلاختلافها باللوازم و الأوصاف من الصمم و المنطقيّه و التشارك و التباين و العاديّه و المعدوديه و التجذير و الماليه و التكعّب و أشباهها، و اختلاف اللوازم يدلّ علی اختلاف الملزومات.

و هذا ممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه فی باب الوجود من أنّ الاختلاف بين حقائقها إنّما نشأ من نفس وقوع كلّ حقيقه فی مرتبه من المراتب فكما أنّ مجرّد كون العدد واقعا فی مرتبه بعد الاثنيّه هو نفس حقيقه الثلاثه إذ يلزمها خواصّ لا توجد فی غيره من المراتب قبلها أو بعدها فكذلك مجرّد كون الوجود واقعا فی مرتبه من مراتب الأكوان يلزمه معان لا توجد فی غير الوجود الواقع فی تلك المرتبه فالوحده لا بشرط فی مثالنا بازاء الوجود المطلق، و الوحده المحضه المتقدّمه علی جميع المراتب العدديه بازاء الوجود الواجبی الّذی هو مبدأ كلّ وجود بلا واسطه و مع واسطه أيضا، و المحمولات الخاصّه المنتزعه من نفس كلّ مرتبه من العدد بازاء المهيات المتّحده مع كلّ مرتبه من الوجود، و كما أنّ الاختلاف بين الأعداد بنفس ما به الاتفاق فكذلك التفاوت بين الوجودات بنفس هويّاتها

المتوافقه فی سنخ الموجودیّه.

و علی ما قرّرنا یمکن القول بالتخالف النوعی بین الأعداد نظرا إلی التخالف الواقع بین المعانی المنتزعه عن نفس ذواتها بذواتها و هی الّتی بازاء المهیات المتخالفه المنتزعه عن نفس الوجودات.

و یمکن القول بعدم تخالفها النوعی نظرا إلی أنّ التفاوت بین ذواتها لیس إلاّ بمجرّد القلّه و الکثره فی الوحدات و مجرّد التفاوت بحسب قلّه الأجزاء و کثرتها فی شیء لا یوجب الاختلاف النوعی فی أفراد ذلک الشیء، و أمّا کون اختلاف اللوازم دلیلا علی اختلاف الملزومات فالحق دلالته علی القدر المشترک بین التخالف النوعی و التخالف بحسب القوّه و الضعف و الکمال و النقص. انتهی کلامه رفع مقامه.

و أمّا ما أفاده فی المقام أوّلهم فی الفصّ الإدریسی، فلمّا کان کشف دقائقه علی طالبیه مبتنیا علی زیاده إیضاح فالحریّ بنا أن نأتی به مع شرح کاشف معضلات کتابه فصوص الحکم داود بن محمود القیصری مشیرا إلی المتن بحرف المیم و إلی الشرح بالشین، کما یلی:

(م) فاختلطت الامور و ظهرت الأعداد بالواحد فی المراتب المعلومه.

(ش) أی فاختلطت الامور و اشتبهت بالتکثر الواقع فیها علی المحجوب الغیر المنفتح عین بصیرته و إن کانت ظاهره راجعه إلی الواحد الحقیقی عند من رفعت الأستار عن عینه و انکشف الحق إلیه بعینه، و الاختلاط بالتجلّیات المختلفه صار سببا لوجود الکثره کما ظهرت الأعداد بظهور الواحد فی المراتب المعلومه، و لمّا کان ظهور الواحد فی المراتب المتعدّده مثالا تامّا لظهور الحقّ فی مظاهره جعل هذا الکلام توطئه و شرع فی تقریر العدد و ظهور الواحد فیه لیستدلّ المحجوب به علی الکثره الواقعه فی الوجود المطلق مع عدم خروجه عن کونه واحدا حقیقیّا و قال:

(م) فأوجد الواحد العدد و فصل العدد الواحد.

(ش) أى أوجد الواحد بتكرّره العدد إذ لو لم يتكرّر الواحد لم يكن حصول العدد، و فصل العدد مراتب الواحد مثل الاثنين و الثلاثه و الأربعه و غير ذلك إلى ما لا يتناهى لأنّ كلّ مرتبه من مراتب الاحاد و العشرات و المات و الالوف ليس غير الواحد المتجلّى بها لأنّ الاثنين مثلا ليس إلّا واحدا و واحدا اجتمعا بالهيئه الوحدانيّه فحصل منها الاثنان فمادّته هو الواحد المتكرّر و صورته أيضا واحده فليس فيه شيء سوى الواحد المتكرّر فهو مرتبه من مراتبه و كذلك البواقى، فايجاد الواحد بتكراره العدد مثال لإيجاد الحق الخلق بظهوره فى الصوره الكونيّه، و تفصيل العدد مراتب الواحد مثال لإظهار الأعيان أحكام الأسماء الإلهيّه و الصفات الرّبانيه و الارتباط بين الواحد و العدد مثال للارتباط بين الحق و الخلق و كون الواحد نصف الاثنين و ثلث الثلاثه و ربع الأربعه و غير ذلك مثال للنسب اللازمه الّتى هى الصفات للحق.

(م) و ما ظهر حكم العدد إلّا بالمعدود فالمعدود منه عدم و منه وجود، فقد يعدم الشيء من حيث الحسّ و هو موجود من حيث العقل.

(ش) أى العدد لكونه كمّا منفصلا و عرضا غير قائم بنفسه لا بدّ أن يقع فى معدود ما سواء كان ذلك المعدود موجودا فى الحس أو معدوما فيه موجودا فى العقل و ظهور العدد بالمعدود مثال لظهور الأعيان الثابته فى العلم بالموجودات و هى بعضها حسيّه و بعضها غيبيّه كما أنّ بعض المعدود فى الحس و بعضه فى العقل.

(م) فلا بدّ من عدد و معدود و لا بدّ من واحد ينشئ ذلك فينشأ بسببه.

(ش) أى إذا كان لا يظهر حكم العدد إلّا بالمعدود، و لا يتبيّن مراتب الواحد إلّا بالعدد فلا بدّ من عدد و معدود، و لمّا كان العدد ينشأ بتكرار الواحد فلا بدّ من واحد ينشئ ذلك العدد فينشأ، أى يظهر الواحد فى مراتبه و مقاماته المختلفه بسبب ظهور العدد فالسبب هنا السبب القابلى، و لا بدّ من واحد ينشئ العدد فينشأ العدد بسبب ذلك الواحد فالسبب السبب الفاعلى و الأوّل أنسب.

(م) فإن كان كلّ مرتبه من العدد حقيقه واحده كالتسعه مثلا و العشره إلى أدنى و أكثر إلى غير نهايه ما هى مجموع و لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد

فإن الإثنين حقيقه واحده و الثلاثه حقيقه واحده بالغا ما بلغت هذه المراتب.

(ش) و فی بعض النسخ فإنّ لكلّ مرتبه من العدد حقيقه و الظاهر أنّه تصرّف ممّن لا يعرف معناه و مقصوده رضی اللّه عنه أن كان كلّ مرتبه حقيقه واحده أی إن عبرنا فی كلّ مرتبه ما به يمتاز العدد المعيّن فيها من غيرها و هو ما به الاثنان اثنان و الثلاثه ثلاثه مثلا- فما هی مجموع الاحاد فقط بل ينضم إليها أمر آخر يميّزها عن غيرها و لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد لأنّه كالجنس لها فلا بدّ منها فإنّ الاثنين حقيقه واحده ممتازه من الثلاثه و هی أيضا كذلك حقيقه واحده متميزه عن الاخری إلی ما لا نهايه له، فقوله: ما هی مجموع جواب الشرط و الجمله الإسميّه إذا وقعت جواب الشرط يجوز حذف الفاء منه عند الكوفيين كقول الشاعر: من يفعل الحسنات اللّه يجزيها، و إن لم تعتبر الامور المتميّزه بعضها عن بعضها و تأخذ القدر المشترك بين الكل الّذی هو جمع الاحاد و تعتبره لا- يبقی الامتياز بين كلّ منها كما نعتبر الجنس الّذی بين النوعين كالإنسان و الفرس فيحكم عليهما بأنهما حيوان فكذلك يحكم فی الإثنين و الثلاثه و الأربعه بأنها مجموع من الاحاد مع قطع النظر عمّا به يمتاز بعضه عن البعض الاخر و هو المراد بقوله:

(م) و إن كانت واحده فما عين واحده منهنّ عين ما بقی.

(ش) و هذا الشق يدلّ علی ما ذهبنا إليه من أنّ الأصحّ فإن كان كلّ مرتبه من العدد حقيقه أی و إن كانت المراتب كلّها واحده فی كونها جمع الاحاد أو مجموعها فليس عين مرتبه واحده من تلك المراتب عين ما بقی منها لأنّ كل مرتبه منها حقيقه برأسها موصوفه بخواصّ لا توجد فی غيرها، و يجوز أن يكون ما بمعنی الّذی أی و إن كانت المراتب كلّها واحده بحسب رجوعها إلی حقيقه واحده هی جمع الاحاد فالّذی عين واحده من مراتب الاثنين و الثلاثه و غير ذلك عين ما بقی فی كونه عباره عن جمع الاحاد و هذا أنسب بقوله:

(م) فالجمع يأخذها فيقول بها منها و يحكم بها عليها.

(ش) أى إذا كان لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد فجمع الاحاد الّذى هو كالجنس لتلك المراتب يأخذها و يجمعها و يتناولها و يصدق عليها صدق الجنس على أنواعه فنقول بتلك المراتب من تلك الحقيقه الجامعه إياها و يحكم بها عليها أى الجامع بين المراتب يحكم عليها بما يعطيه من الأحكام كما يحكم الحقّ على الأعيان بما يعطيه من الأحوال.

(م) و قد ظهر فى هذا القول عشرون مرتبه فقد دخلها التركيب.

(ش) أى حصل فى هذا القول و هو أن كان كل مرتبه حقيقه عشرون مرتبه أولها مرتبه الواحد المنشئ للعدد، ثمّ مرتبه الاثنين إلى التسعه فصار تسعه ثمّ مرتبه العشره و العشرين إلى تسعين و هى تسعه اخرى فصار ثمانيه عشر، ثمّ مرتبه المائه و الألف و على الباقى يدخل التركيب و ضمير دخلها يرجع إلى المراتب العشرين.

(م) فما تنفكّ ثبت عين ما هو منفىّ عندك لذاته.

(ش) أى لا تزال ثبت فى كلّ مرتبه من المراتب عين ما تنفيه فى مرتبه اخرى كما ذكر من أنّ الواحد ليس من العدد باتفاق جمهور أهل الحساب مع أنّه عين العدد إذ هو الّذى بتكرّره توجد الأعداد فيلزمه فى كلّ مرتبه من مراتب العدد لوازم و خصوصيّات متعدّده و كذلك نقول لكلّ مرتبه أنها جمع الاحاد و نثبت أنّها ليست غير مجموع الاحاد مع أنّه منفىّ عندك بأنّها ليست مجموع الاحاد فقط .

(م) و من عرف ما قرّرناه فى الأعداد و أنّ نفيها عين ثبتها علم أنّ الحقّ المنزّه هو الخلق المشبّه و إن كان قد تميّز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق و الأمر المخلوق الخالق.

(ش) أى و من عرف أنّ العدد هو عباره عن ظهور الواحد فى مراتب متعدّده و ليس من العدد بل هو مقوّمه و مظهره و العدد أيضا فى الحقيقه ليس غيره، و أنّ نفى العدديّه من الواحد عين إثباتها له لأنّ الأعداد ليست إلّا عين مجموع الاحاد

مادّه و صوره علم أنّ الحق المنزه عن نقائص الإمكان بل عن كمالات الأكوان هو بعينه الخلق المشبّه، و إن كان قد تميّز الخلق بإمكانه من الخالق فالأمر الخالق أى الشىء الّذى هو الخالق هو المخلوق بعينه، لكن فى مرتبه اخرى غير المرتبه الخالقيّه، و الأمر المخلوق هو الخالق بعينه لكن باعتبار ظهور الحق فيه.

و اعلم أنّ الاثنين مثلا- ليس عباره إلاّ- عن ظهور الواحد مرّتين مع الجمع بينهما، و الظاهر فرادى و مجموعا فيه ليس إلاّ الواحد فما به الاثنان اثنان و تغاير الواحد ليس إلاّ أمر متوهّم لا حقيقه له كذلك شأن الحقّ مع الخلق فإنّه هو الّذى يظهر بصور البسائط ثمّ بصور المركّبات فيظنّ المحجوب أنّها مغايره بحقائقها و ما يعلم أنّها امور متوهّمه و لا موجود إلاّ هو.

(م) كلّ ذلك من عين واحده لا بل هو العين الواحده و هو العيون الكثيره.

(ش) أى كلّ ذلك الوجود الخلقى صادر من الذات الواحده الإلهيّه ثمّ أضرب عنه لأنّه مشعر بالمغايره فقال: بل ذلك الوجود الخلقى هو عين تلك العين الواحده الظاهره فى مراتب متعدّده و ذلك العين الواحده الّتى هى الوجود المطلق هى العيون الكثيره باعتبار المظاهر المتكثّره، كما قال:

(م) سبحان من أظهرنا سوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثمّ بدا فى خلقه ظاهرا فى صوره الاكل و الشارب

فانظر ما ذا ترى.

(ش) أى انظر أيها السالك طريق الحقّ ما ذا ترى من الوحده و الكثره جمعا و فرادى ؟ فإن كنت ترى الوحده فقط فأنت مع الحقّ وحده لارتفاع الإثنيّه، و إن كنت ترى الكثره فقط فأنت مع الخلق وحده، و إن كنت ترى الوحده فى الكثره محتجبه و الكثره فى الوحده مستهلكه فقد جمعت بين الكمالين و فزت بمقام الحسنيين، هذا آخر ما أفاد هذا الفحل العارف المتأله فى المقام.

فبما قدّمنا ظهر لك سرّ كلام ولىّ اللّه الأعظم زين العابدين و سيّد

الساجدين علىّ بن الحسين عليهما السّلام: لك يا إلهى وحدانيه العدد، و كلام هؤلاء الأكابر سيما الأخير منهم تفصيل ذلك الكلام الموجز المفاض من صقع الملكوت و قد عرّفه جدّه قدوه المتألّهين و إمام العارفين و برهان السالكين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: «إنّا لامراء الكلام، و فينا تنشبّت عروقه و علينا تهدّلت غصونه» (المختار ٢٣١ من خطب النهج)، و بقوله: «هم عيش العلم و موت الجهل إلخ» (المختار ٢٣٧ من خطب النهج) فراجع إلى شرحنا عليهما فى المجلّدين الأوّل و الثانى من تكمله منهاج البراعه.

و حيث انجرّ البحث إلى التوحيد و ساقنا لقاء اللّه إليه فلنشر إلى نبذه ممّا أودع فى سوره التوحيد أعنى سوره الإخلاص كى يستقرّ التوحيد على ما شاهده أهله فى قلوب مستعدّيه، و يتّضح معنى اللقاء المبحوث عنه أتمّ إيضاح لمبتغيه على أنّ هذه السوره نسبته تبارك و تعالى و وصفه، و الحبيب يشتاق ذكر حبيبه و يلتذّ بوصفه كما يحبّ الخلوه معه، و الانس به، و آثاره من رسوله و كتابه و أوليائه.

ففى آخر الباب الحادى و العشرين من إرشاد القلوب للديلمى قدس سرّه فى الذكر و المحافظه عليه: قال الصادق عليه السّلام إنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله صلّى على سعد بن معاذ و قال: لقد وافى من الملائكه للصلاه عليه تسعون ألف ملك و فيهم جبرئيل يصلّون عليه فقلت: يا جبرئيل بما استحقّ صلاتكم ؟ قال: يقرأ قل هو اللّه أحد قائما و قاعدا و راكبا و ماشيا و ذاهبا و جائيا.

و قد انعقد الشّيخ أبو جعفر الصّدوق رضوان اللّه عليه بابا فى كتاب التوحيد فى تفسير سوره قل هو اللّه أحد و أتى من أئمه الدين بأحاديث قيّمه فليراجع الطالب إليه و إلى شرح المقتبس من مشكاه الولايه القاضى السعيد القمّى أعلى اللّه درجاته على ذلك الكتاب، و لكنّا إنّما نكتفى بنقل بعضها، و بما أفاده العارف المتألّه الميرزا محمّد رضا القمشئى قدّس سرّه فى تعليقته على شرح الفصوص للقيصرى، و الحكيم البارع المولى صدرا قدس سرّه فى شرح اصول الكافى فى تفسير سوره الإخلاص لأنّ نقل جميع تلك الأحاديث ينجرّ إلى الإطاله لكونها

صعبا مستصعبا جدّا لا بدّ من تفسيرها و كشف معضلاتها.

فأمّا ما قال القمشئی رضوان اللّه علیه فی تعلیقته علی الفصل الأوّل من مقدّمات القیصری علی شرح الفصوص فی الإشاره إلی نبذ ممّا فی سوره التوحید فهو مایلی:

اعلم أنّ الوجود لمّا کان حیث ذاته حیث التحقّق و الإنیّه فهو متحقّق بنفس ذاته و لما کان واجبا بذاته و الواجب بالذات مهیّته إنیّته فلیس فیه سوی حیث الوجود حیث، و لما لم یکن فیه سوی حیث الوجود حیث فلم یکن معه شیء فکان اللّه و لم یکن معه شیء و الان کما کان و هذا هو الّذی یوهم أنّه وجود بشرط لا و الأمر کذلک إلّا أنّ کونه بشرط لا من لوازم ذاته و لا دخل فی وجوب ذاته.

فإن قلت: فما معنی سریان تلک الحقیقه فی الواجب و الممکن ؟ أقول: معنی السریان الظهور فقد یکون ظاهرا بنفس ذاته لذاته و هذا سریانه فی الواجب و قد یکون ظاهرا فی ملابس الأسماء و الأعیان الثابته فی العلم، و قد یکون ظاهرا فی ملابس أعیان الموجودات فی الأعیان و الأذهان، و هذا السریان فی الممکن و الکلّ شئونه الذاتیّه، فالوجود المأخوذ لا بشرط عین الوجود بشرط بحسب الهویّه و الإختلاف فی الاعتبار و إلیه اشیر فی قوله تعالی: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فإنّ لفظه هو ضمیر یشیر إلی أنّه لا اسم له، و لفظه اللّه اسم للذات بحسب الظهور الذّاتی، و لفظه أحد قرینه دالّه علی أنّ اسم اللّه هناک للذات فإنّه مشترک بینها و بین الذات الجامعه لجمیع الصفات و فی الظهور الذاتی لا نعت له و لا صفه بل الصفات منفیّه کما قال علیه السّلام: و کمال التوحید نفی الصفات عنه تعالی، أی الغیب المجهول هو الذات الظاهره بالأحدیه، و لمّا کان لفظه أحد قد یطلق لمعنی سلبی کما فی هذا الموضع فإنّه یسلب عنه جمع الأشیاء بل الأسماء و الصفات أیضا فیوهم أنّه خال عن الأشیاء فاقد لها بل عن النعوت و الکمالات و هو تعالی بوحدته کلّ الأشیاء و جمیع النعوت و الکمالات فاستدرک بقوله تعالی: «اَللّهُ الصَّمَدُ »

فانّ الصمد هو الواحد الجامع، ثمّ استدل عليه بأنّه لم يلد و لم يولد أى لم يخرج عنه شىء و لم يخرج عن شىء ليكون ناقصا بخروج الشىء عنه أو بخروجه عن شىء فأحديّته بسلب تعيّنات الأشياء عنه، و صمديّته تثبت باندماج حقائقها فيه. انتهى كلامه.

قلت: ما أفاده قدّس سرّه شريف متين جدّا و تجد فى تلك المعانى الدقيقه الفائضه من عرش التحقيق إشارات أنيقه من أئمّه الدّين صلوات اللّه عليهم أجمعين و من تأمّل فى الجوامع الروائيّه الإماميّه رأى بالعيان أنّ أصل العرفان تنشبّت عروقه فيهم، و تهدّلت غصونه عليهم إلاّ أنّ الجهله من المتصوّفه و أشباه العرفاء و لا عرفاء إنّما ردّوا النّاس عن الدّين القهقرى، و ما سمعت من كلام هذا العارف الجليل فى «هو» مأخوذ من خزنه العلم و عيب أسرار اللّه، فقد روى أبو جعفر الصدوق رضوان اللّه عليه فى باب تفسير «قُلْ هُوَ اللّهُ » من كتابه التوحيد بإسناده عن أبى البخترى وهب بن وهب القرشى، عن أبى عبد اللّه الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علىّ الباقر عليهم السّلام فى قول اللّه تبارك و تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ »:

قال: «قل» أى أظهر ما أوحينا إليك و نبّأناك به بتأليف الحروف الّتى قرأتها لك ليهتدى بها من ألقى السمع و هو شهيد، و «هو» اسم مكنّى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه على معنى ثابت، و الواو إشاره إلى الغائب عن الحواس، كما أنّ قولك: هذا إشاره إلى الشاهد عند الحواسّ ، و ذلك أنّ الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشاره الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسه المدركه بالأبصار فأشر أنت يا محمّد إلهك الّذى تدعو إليه حتّى نراه و ندركه و لا نأله فيه، فأنزل اللّه تبارك و تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فالهاء تثبيت للثابت، و الواو إشاره إلى الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواسّ ، و أنّه تعالى عن ذلك، بل هو مدرك الأبصار و مبدع الحواس، حدّثنى أبى، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: رأيت الخضر عليه السّلام فى المنام قبل بدر بليله، فقلت له: علّمنى شيئا أنصر به على الأعداء، فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلاّ هو، فلما أصبحت قصصتها على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، فقال لى: يا علىّ علّمت الاسم الأعظم، فكان على لسانى يوم بدر

و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قرأ «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فلمّا فرغ قال: يا هو يا من لا هو إلاّ هو اغفر لى و انصرنى على القوم الكافرين، و كان علىّ عليه السّلام يقول ذلك يوم صفين و هو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات ؟ قال: اسم اللّه الأعظم و عماد التوحيد للّه لا إله إلاّ هو، ثمّ قرأ: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و آخر الحشر - ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال.

بيان: قوله: و لا نأله فيه أى لا نتحيّر فيه من أله كفرح أى تحيّر، و قوله:

حدّثنى أبى عن أبيه من تتمّه الحديث و القائل هو الإمام محمّد بن علىّ الباقر يقول حدّثنى أبى زين العابدين علىّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علىّ ، عن أبيه أمير المؤمنين علىّ عليهم السّلام، و قوله: قبل بدر بليله، يعنى قبل غزوه بدر بليله.

و أمّا ما أفاده الحكيم المتألّه مولى صدرا فى تفسير السوره، فقال قدّس سرّه فى شرح الحديث الثالث من باب النسبه من كتاب التوحيد من اصول الكافى المذكور من قبل عن سيّد السّاجدين عليه السّلام فى سوره التوحيد و الايات من الحديد:

أمّا سوره التوحيد، فلا يخفى لمن تدبّر و تعمّق فيها اشتمالها على غوامض علوم التوحيد و لطائف أسرار التقديس، فقد علمت نبذا من أسرارها العميقه مع أنّ المذكور يسير من كثير ما علمناه، نزر حقير فى جنب ما ستر فيها من العلوم الأحديّه و الأسرار الصّمديّه.

و اعلم أنّ كثره الأسامى و الألقاب يدلّ على مزيد الفضيله و الشرف، كما لا يخفى فأحدها سوره التفريد، و الثانى سوره التجريد، و ثالثها سوره التوحيد، و رابعها سوره الاخلاص، لأنّه لم يذكر فى هذه السوره الصفات السلبيّه الّتى هى صفات الجلال، و لأنّ من اعتقدها كان مخلصا فى دين اللّه، و لأنّ غايه التنزيه و التفريد و التوحيد يستلزم غايه الدنوّ و القرب المستلزم للمحبّه و الاخلاص فى الدّنيا.

و خامسها سوره النجاه لأنّها تنجيك من التشبيه و الكفر فى الدّنيا، و عن

النار فی الاخره، و سادسها سوره الولایه لأنّ من قرأها عارفا بأسرارها صار من أولیاء اللّه، و سابعها سوره النسبه لما روی أنّه ورد جوابا لسؤال من قال: انسب لنا ربّک، ثامنها سوره المعرفه، و روی جابر رضی اللّه عنه: أنّ رجلا صلّی فقرأ:

«قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فقال النبیّ صلی اللّه علیه و آله: إنّ هذا عبد عرف ربّه فسمّیت سوره المعرفه لذلک.

و تاسعها سوره الجمال لأنّ الجلال غیر منفک عن الجمال کما أشرنا إلیه، و لما روی أنّه قال صلی اللّه علیه و آله: إنّ اللّه جمیل یحبّ الجمال، سألوه عن ذلک فقال: أحد صمد لم یلد و لم یولد، و عاشرها سوره المقشقشه، یقال: قشقش یقشقش المریض برأ، فمن عرفها تبرّأ من الشرک و النفاق لأنّ النفاق مرض کما فی قلوبهم مرض، الحادی عشر المعوّذه، روی أنّه صلی اللّه علیه و آله دخل علی عثمان بن مظعون یعوذه بها و باللّتین بعدها، ثمّ قال: تعوّذ بهنّ فما تعوّذت بخیر منها، و الثانی عشر سوره الصمد، و الثالث عشر سوره الأساس لما روی أنّه قال: اسّست السماوات السبع و الأرضون السبع علی قل هو اللّه أحد، و ممّا یدلّ علیه أن القول بالثلاثه سبب لخراب السماوات و الأرض بدلیل قوله تعالی: «تَکادُ السَّماواتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا » فوجب أن یکون التوحید سببا لعماره العالم و نظامه.

و الرابع عشر سوره المانعه لما روی أنّها تمنع فتانی القبر و نفخات النیران و الخامس عشر سوره المحضره لأن الملائکه تحضر لاستماعها إذا قرأت و السادس عشر سوره المنفره لأنّ الشیطان ینفر عند قراءتها، السابع عشر البراءه لانها تبرىء من الشرک، و لما روی أنّه صلی اللّه علیه و آله رأی رجلا یقرأها فقال: أمّا هذا فقد برىء من الشرک، الثامن عشر سوره المذکره لأنها یذکر العبد خالص التوحید التاسع عشر سوره النور لأنّ اللّه نور السموات و الأرض و السوره فی بیان معرفته و معرفته النور، و نوره المعرفه، و لما روی أنّه صلی اللّه علیه و آله قال: إنّ لکلّ شیء نورا و نور القرآن قل هو اللّه أحد، و نظیره أنّ نور الإنسان فی أصغر أعضائه و هو

الحدقه فصارت السوره للقرآن کالحدقه للإنسان.

العشرون سوره الأمان قال صلی اللّه علیه و آله: إذا قال العبد لا إله إلاّ اللّه دخل فی حصنی و من دخل فی حصنی أمن من عذابی، فهذه عشرون اسما من أسامی هذه السوره و لها فضائل کثیره و معانی و نکات غیر محصوره، و ما روی فی فضل قراءتها و ثواب الصلاه المشتمله علی عدد منها فلا یعدّ و لا یحصی.

فمن فضائلها أنّها ثلث القرآن و ذکروا لذلک وجوها أجودها أنّ المقصود الأشرف من جمیع الشرائع و العبادات معرفه ذات اللّه، و معرفه صفات اللّه و معرفه أفعاله و هذه السوره مشتمله علی معرفه الذات فکانت معادله لثلث القرآن.

و من فضائلها أیضا أنّ الدلائل و البراهین قائمه علی أنّ أعظم درجات العبد و أجلّ سعاداته أن یکون قلبه مستنیرا بنور جلال اللّه و کبریائه و هو إنما یحصل بعرفان هذه السوره فکانت هذه السوره أفضل السور و أعظمها.

فإن قیل: صفات اللّه تعالی مذکور فی سائر السور؟، قلنا: لکن لهذه السوره خصوصیّه و هی أنّها مع و جازتها مشتمله علی عظائم أسرار التوحید فتبقی محفوظه فی القلب معقوله للعقل فیکون ذکر جلال اللّه حاضرا بهذا السبب فلا جرم امتازت عن سائر السور.

و أما المعانی و النکات فمنها ما سبق، و منها وجوه اخری کثیره لو ذهبنا إلی تفسیر هذه السوره مستقصی لخرجنا عمّا نحن بصدده من شرح الأحادیث و لکن نذکر أنموذجا ینبّه علی الکثیر لمن هو أهله فنقول:

قوله: هو اللّه أحد ثلاثه ألفاظ کل واحد منها إشاره إلی مقام من مقامات السالکین إلیه تعالی: المقام الأوّل للمقرّبین و هم أعلی السائرین إلی اللّه تعالی فهؤلاء رأوا أنّ موجودیه المهیّات بالوجود و أنّ أصل حقیقه الوجود بذاته موجود و بنفسه واجب الوجود متعیّن الذات لا بتعیّن زائد فعلموا أنّ کل ذی مهیّه معلول محتاج و أنّه تعالی نفس حقیقه الوجود و الوجوب و التعیّن فلهذا

سمعوا كلمه هو علموا أنّه الحقّ تعالى لأنّ غيره غير موجود بذاته و ما هو غير موجود بذاته فلا إشاره إليه بالذات.

و المقام الثانى مقام أصحاب اليمين و هؤلاء شاهدوا الحقّ موجودا و الخلق أيضا موجودا فحصلت كثره فى الموجودات فلا جرم لم يكن هو كافيا فى الإشاره إلى الحقّ بل لا بدّ هناك من مميّز يميّز الحقّ عن الخلق فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرن لفظه اللّه بلفظه هو فقيل لأجله هو اللّه لأنّ اللّه هو الموجود الّذى يفتقر إليه ما عداه و هو مستغن عن كلّ ما عداه فيكون أحديّ الذات لا محاله إذ لو كان مركبا كان ممكنا محتاجا إلى غيره فلفظه الجلاله دال على الأحديّه من غير اقتران إلى لفظ أحد به.

المقام الثالث مقام أصحاب الشمال و هو أدون المقامات و أخسّها و هم الّذين يجوزون كثره فى واجب الوجود أيضا كما فى أصل الوجود فقورن لفظ أحد بكلمه اللّه ردّا عليهم و ابطالا لمقالهم فقيل: قل هو اللّه أحد.

و ههنا بحث آخر أدق و أشرف و هو أنّا نقول كلّ ماله مهيّه غير انيّته فلا يكون هو هو لذاته و كلّما يكون مهيّته عين هويته و حقيقته نفس تعيّنه فلا اسم و لا حدّ له و لا يمكن شرحه إلاّ بلوازمه الّتى يكون بعضها إضافيّه و بعضها سلبيّه و الأكمل فى التعريف ما يجمع ذينك النوعين جميعا و هو كون تلك الهويّه إلها فإنّ الالهيّه يقتضى أن ينسب إليه غيره و لا ينسب هو إلى غيره، و المعنى الأوّل إضافى، و الثانى سلبى فلا جرم ذكر اللّه عقيب قوله هو.

ثمّ اعلم أنّ الّذى لا سبب له و إن لم يكن تعريفه بالحدّ إلاّ أنّ البسيط الّذى لا سبب له و هو مبدء الأشياء كلّها على سلسله الترتيب النازل من عنده طولا و عرضا فمن البيّن أنّ ما هو أقرب المجعولات إليه بل اللاّزم الأقرب المنبعث عن حاق الملزوم إذا وقع التعريف كان أشدّ تعريفا من غيره، و أقرب اللوازم له تعالى كونه واجب الوجود غنيّا عمّا سواه و كونه مبدءا و مفتقرا إليه الجميع و مجموع هذا الأمرين هو معنى الالهيّه فلأجل ذلك وقع قوله اللّه عقيب هو

شرحا و تعريفا له.

و لمّا ثبت مطلوب الهليّه البسيطه بقوله هو الدال على أنّه الهو المطلق الّذى لا يتوقف هويته على غيره، و لأجل ذلك هو البرهان على وجود ذاته و ثبت مطلوب الهليّه البسيطه بقوله فحصلت بمجموع الكلمتين معرفه الإنيّه المهيه اريد أن يذكر عقيبهما ما هو كالصفات الجلاليّه و الجماليّه فقوله تعالى: أحد مبالغه فى الوحده، و الوحده التامّه ما لا ينقسم و لا يتكثر بوجه من الوجوه أصلا لا- بحسب العقل كالانقسام بالجنس و الفصل، و لا بحسب العين كالانقسام من المادّه و الصوره و لا فى الحسّ و لا فى الوهم كالانقسام بالأعضاء و الأجزاء و كان الأكمل فى الوحده ما لا كثره فيه تعالى أصلا فكان اللّه تعالى غايه فى الوحده، فقوله تعالى أحد دلّ على أنّه واحد من جميع الوجوه و إنما قلنا أنه واحد كذلك لأنّه لو لم يكن كذلك لم يكن إلها لأنّ كل ما هو مركّب فهو مفتقر إلى أجزائه و أجزاؤه غيره فيكون مفتقرا إلى غيره فلم يكن واجب الوجود و لا- مبدء الكلّ ثمّ إنّ هذه الصفه و هى الأحديه التامّه الخالصه عن شوب الكثره كما توجب التنزّه عن الجنس و الفصل و الماده و الصوره، و عن الجسميّه و المقداريه و الأبعاض و الأعضاء و الألوان و سائر الكيفيّات الحسيّه الانفعاليّه و كلّما يوجب قوّه أو استعدادا أو إمكانا لك يقتضى كل صفه كماليّه من العلم التام و القدره الكامله و الحياه السرمديه و الإراده التامه و الخير المحض و الجود المطلق فإنّ من أمعن النظر و تأمل تأملا كافيا يظهر له أن الأحديّه التامّه منبع الصفات الكماليّه كلّها، و لو لا مخافه الإطناب لبيّنت استلزامها لواحده واحده منها لكنّ اللبيب يدرك صحّه ما ادّعيناه.

و قوله تعالى «اَللّهُ الصَّمَدُ » قد مرّ أنّ الصمديّه لها تفسيران أحدهما ما لا جوف له، و الثانى السيّد فمعناه على الأوّل سلبى و هو إشاره إلى نفى المهيه فإنّ كل ماله مهيّه كان له جوف و باطن و كان من جهه اعتبار مهيّه قابلا للعدم و كلّ ما لا جهه و لا اعتبار له إلّا الوجود المحض فهو غير قابل للعدم فواجب الوجود من

كلّ جهه هو الصمد الحقّ ، و على التفسير الثانى يكون معنى إضافيا و هو كونه سيّد الكلّ أى مبدأ الجميع فيكون من الصفات الإضافيّه.

و ههنا وجه آخر و هو أنّ الصمد فى اللّغه هو المصمت الّذى لا جوف له و إذا استحال هذا فى حقّه تعالى فوجب حمله على الفرد المطلق أعنى الواحد المنزّه عن المثل و النظير إما ابتداءا، أو بعد نقله إلى معنى الأحديه المستلزمه للواحديّه كما مرّ فيكون الصمد إشاره إلى نفى الشريك كما الأحد إلى نفى الانقسام.

فانظر كيف عرّف أوّلا هويّته و إنّيته، ثمّ عرّف أنه تعالى خالق لهذا العالم، ثمّ عرّف أنّ الامور الّتى لأجلها افتقر هذا العالم إلى الخالق كالتركيب و الإمكان و المهيّه و العموم و الاشتراك و الاحتياج لا بدّ أن يكون منفيّا عنه تعالى لئلا يلزم الدور أو التسلسل.

ثمّ لمّا كان من عاده المحقّقين أن يذكروا أوّلا ما هو الأصل و القاعده ثمّ يخرجون عليه المسائل فذكر أوّلا كونه موجودا إلها ثمّ توصل به إلى كونه صمدا ثمّ رتّب عليه أحكاما ثلاثه أحدها أنّه «لَمْ يَلِدْ » لاستيجاب التوليد للتركيب لأنّه عباره عن انفصال بعض ناقص من أبعاضه ثمّ يترقّى فيصير مساويا له فى الذات و الحقيقه و من البيّن أنّ نقصان البعض يستلزم تركيب الكلّ ، و ثانيها قوله: «وَ لَمْ يُولَدْ » لاستلزامه للحدوث و النقصان و الافتقار إلى العلل من جهات شتّى كالإعداد و الإحداث و الإبقاء و التربيّه و التكميل، و ثالثها قوله: «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ » و بيانه أنّا لو فرضنا مكافيا له فى رتبه الوجود فذلك المكافى لو كان ممكن الوجود كان محتاجا إليه متأخّرا عنه فى الوجود فكيف يكون مكافيا له ؟ و إن كان واجب الوجود و قد علمت أن تعدّده ينافى الأحديّه و أنّه يستلزم التركيب فهذا أنموذج من دقائق أسرار التوحيد تحويها هذه السوره، انتهى كلامه قدّس سرّه الشريف.

خاتمه

نذكر فيها أمرين لمن أراد أن يتذكّر، و يسعى إلى لقاء ربّه و يتنعّم به

أحـدهما نقل عدّه أذكار و أدعيّه عن خزنه علم اللّه عزّ و جلّ و عيب وحيه الّذين أنعم اللّه عليهم بلقائه و كانوا يناجون بها ربّهم الجليل لأنّها جلاء القلوب عن رين علائقها الـدّنياويه، و إرشاد للطالب إلى لقاء ربّه المتعال، و ثانيهما نبـذه ممّا هى آداب مبتغى اللقاء و الفائزين به.

أمّا الأوّل فقد روى السيّد الأجلّ جمال العارفين ابن طاوس قدّس سرّه الشريف فى أعمال شعبان من كتابه القيّم الكريم المسمّى بالإقبال (ص ۶۸۵ من الطبع الرحلى) عن ابن خـالويه - إلى أن قـال: إنّهـا مناجاه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام و الأئمّه من ولده عليهم السّلام كانوا يدعون بها فى شهر شعبان:

اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و اسمع دعائى إذا دعوتك - إلى قوله عليه السّلام:

إلهى هب لى كمـال الإنقطـاع إليـك و أنر أبصـار قلوبنـا بضـياء نظرهـا إليك حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معـدن العظمه و تصـير أرواحنـا معلّقه بعزّ قـدسك - إلى أن قال عليه السّـلام: إلهى إن أنا متنى الغفله عن الاسـتداد للقائك فقد نبّهتنى المعرفه بكرم آلائـك - إلى أن قـال عليه السّـلام: و ألحقنى بنور عزّك الأبهـج فـأكون لك عارفا و عن سواك منحرفا و منك خائفا مراقبا يا ذا الجلال و الاكرام، و رواه العلّامه المجلسى فى البحار أيضا (ص ۸۹ ج ۱۹ من طبع الكمبانى).

و قال السيّد المذكور فى أعمال شهر رجب من ذلك الكتاب (ص ۶۴۶):

و من الـدعوات فى كلّ يوم من رجب ما رويناه أيضا عن جدّى أبى جعفر الطوسـى رضـى اللّه عنه فقال: أخبرنى جماعه عن ابن عيّاش قال: ممّا خرج على يد الشّـيخ الكبير أبى جعفر محمّد بن عثمان بن سـعيد رضى اللّه عنه من الناحيه المقدّسه ما حدّثنى به خير بن عبد اللّه قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:

بسم الرّحمن الرّحيم ادع فى كلّ يوم من أيّام رجب: اللهمّ إنّى أسـئلك بمعانى جميع ما يـدعوك به ولاه أمرك المأمونون على سرّك المستبشرون [المستسرّون - خ ل] بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك، و أسألك

بما نطق فيهم من مشيّتك، فجعلتهم معادن لكلماتك و أركانا لتوحيدك و آياتك و مقاماتك الّتى لا تعطيل لها فى كلّ مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك و بينها إلاّ أنّهم عبادك و خلقك، فتقها و رتقها بيدك بدؤها منك و عودها إليك. إلخ.

قلت: هذا التوقيع من أسرار اللّه المكنونه المخزونه، و الحقائق المودعه فيها تدرك و لا توصف ينالها من كان له قلب و لو تصدّينا لشرحه على قدر باعنا القصيره و بضاعتنا المزجاه لا نجرّ إلى تأليف كتاب على حده، و الضمير المجرور فى لها و بها و بينها راجعه إلى المقامات و كذلك الضمير المنصوب فى إلاّ أنّهم عبادك و ضميرهم لذوى العقول فالمقامات من ذوى العقول، و لا بأس بإتيان الضمير، تاره من غير ذوى العقول و تاره من ذوى العقول، و ذلك نحو قوله تبارك و تعالى:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَهِ » أورد الضمير ثانيا من ذوى العقول إشاره إلى أنّ الأسماء ليست ألفاظا دالّه على معانيها لأنّ معرفه الألفاظ تعدّ من العلوم الأدبيّه و هى لا توجب شرح الصدر و سعه الذات، بل المراد بها حقائق المخلوقات و مقامات دار الوجود على ما هى عليه.

قوله عليه السّلام: لا فرق بينك و بينها إلاّ أنّهم عبادك، قال القيصرى فى آخر الإشاره إلى بعض المراتب الكلّيه من الفصل الأوّل من مقدّماته على شرح الفصوص (ص ١١ من الطبع الناصرى): و مرتبه الإنسان الكامل عباره عن جمع جميع المراتب الإلهيه و الكونيّه من العقول و النفوس الكلّيه و الجزئيه، و مراتب الطبيعه إلى آخر تنزلات الوجود و يسمّى بالمرتبه العمائيه أيضا فهى مضاهيه للمرتبه الإلهيّه، و لا فرق بينهما إلاّ بالربوبيّه و المربوبيّه لذلك صار خليفه اللّه - إلخ.

إنّما نقلنا كلام القيصرى فى المقام لكى يعلم أنّ أصل ما تفوّه به العرفاء الشامخون مقتبس من مشكاه بيت آل النّبى صلى اللّه عليه و آله، نعم انهم و اللّه ينابيع الحكمه و المعرفه و العرفان و خزنه الحقائق كلّها.

و فى دعاء عرفه لمولانا الحسين بن علىّ صلوات اللّه عليهما، كما أتى به السيّد المذكور فى الإقبال أيضا (ص ٣۴٨): إلهى تردّدى فى الاثار يوجب بعد

المزار فاجمعنى عليك بخدمه توصلنى إليك كيف يستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ؟ أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ؟ و متى بعدت حتّى تكون الاثار، هى الّتى توصل إليك ؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا، و خسرت صفقه عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا.

إلهى أمرت بالرجوع إلى الاثار فارجعنى إليك بكسوه الأنوار و هدايه الاستبصار حتّى أرجع إليك منها، كما دخلت إليك منها مصون السرّ عن النظر إليها، و مرفوع الهمّه عن الاعتماد عليها إنّك على كلّ شىء قدير.

إلهى هذا ذلّى ظاهر بين يديك، و هذا حالى لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، و بك أستدلّ عليك، فاهدنى بنورك إليك، و أقمنى بصدق العبوديه بين يديك.

إلهى علّمنى من علمك المخزون، و صنّى بسرّك [بسترك - خ ل] المصون.

إلهى حقّقنى بحقائق أهل القرب، و اسلك بى مسلك أهل الجذب.

و روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب الدّعاء فى أدبار الصلوات من الكافى (ص ۳۹۹ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن محمّد بن الفرج قال: كتب إلىّ أبو جعفر ابن الرّضا - يعنى الإمام الجواد عليه السّلام - بهذا الدّعاء و علّمنيه - إلى أن قال عليه السّلام: و أسألك الرضا بالقضاء و بركه الموت بعد العيش و برد العيش بعد الموت و لذّه المنظر إلى وجهك و شوقا إلى رؤيتك و لقائك من غير ضرّاء مضرّه و لا فتنه مضلّه. إلخ.

و فى دعاء يوم الاثنين للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام: و أسألك خشيتك فى السرّ و العلانيه و العدل فى الرضا و الغضب و القصد فى الغنى و الفقر و أن تحبّب إلىّ لقاءك فى غير ضرّاء مضرّه و لا فتنه مضلّه. إلخ. رواه الكفعمى رضوان اللّه عليه فى البلد الأمين (ص ۱۱۸) و فى المصباح أيضا (ص ۱۱۵).

و فى الدّعاء السابع و الأربعين من الصحيفه السجاديّه: و أخفنى مقامك و شوّقنى لقاءك.

و فی المناجاه الخمس عشره لمولانا علیّ بن الحسین صلوات اللّه علیه - و قال العلّامه المجلسی رحمه اللّه علیه فی التاسع عشر من البحار (ص ۱۰۵ من الطبع الکمبانی): و قد وجدتها مرویه عنه علیه السّلام فی بعض کتب الأصحاب رضوان اللّه علیهم. انتهی.

و عدّها المحدث الخبیر و العالم الجلیل الشّیخ حرّ العاملی صاحب الوسائل فی الصحیفه الثانیه من الأدعیّه السجادیّه علیه السّلام و نسبها إلیه من غیر تردید.

ففی مناجاه الخائفین: و لیتنی علمت أمن أهل السعاده جعلتنی و بقربک و جوارک خصصتنی فتقرّ بذلک عینی و تطمئنّ له نفسی - إلی أن قال علیه السّلام: إلهی لا تغلق علی موحّدیک أبواب رحمتک و لا تحجب مشتاقیک عن النظر إلی جمیل رؤیتک.

و فی مناجاه الراغبین: إلهی إن کان قلّ زادی فی المسیر إلیک فلقد حسن ظنّی بالتوکّل علیک - إلی أن قال علیه السّلام: و إن أنا متنی الغفله عن الاستعداد للقائک فقد نبّهتنی المعرفه [المغفره - خ ل] بکرمک و آلائک - إلی أن قال علیه السّلام:

أسألک بسبحات وجهک و بأنوار قدسک، و أبتهل إلیک بعواطف رحمتک و لطائف برّک أن تحقق ظنّی بما اؤمّله من جزیل إکرامک و جمیل إنعامک فی القربی منک و الزلفی لدیک و التمتع بالنظر إلیک.

و فی مناجاه المطیعین للّه: اللهمّ احملنا فی سفن نجاتک و متّعنا بلذیذ مناجاتک و أوردنا حیاض حبّک، و أذقنا حلاوه ودّک و قربک.

و فی مناجاه المریدین: و لقاؤک قرّه عینی، و وصلک منی نفسی، و إلیک شوقی و فی محبّتک ولهی و إلی هواک صبابتی و رضاک بغیتی، و رؤیتک حاجتی و جوارک طلبی، و قربک غایه سؤلی، و فی مناجاتک انسی و راحتی [روحی - خ ل].

و فی مناجاه المحبّین: إلهی من ذا الّذی ذاق حلاوه محبّتک، فرام منک بدلا؟! و من ذا الّذی أنس بقربک فابتغی عنک حولا؟! إلهی فاجعلنا ممّن اصطفیته لقربک و ولایتک، و أخلصته لودّک و محبّتک، و شوّقته إلی لقاءک، و رضّیته

بقضائك، و منحته بالنظر إلى وجهك - إلى أن قال: و اجتبيته لمشاهدتك.

و فى مناجاه المتوسّلين: و اجعلنى من صفوتك الّذين أحللتهم بحبوحه جنّتك و بوّأتهم دار كرامتك، و أقررت أعينهم بالنظر إليك يوم لقائك، و أورثتهم منازل الصدق فى جوارك.

و فى مناجاه المفتقرين: ولوعتى لا يطفيها إلّا لقاؤك، و شوقى إليك لا يبلّه إلّا النظر إلى وجهك.

و فى مناجاه العارفين: فهم إلى أو كار الأفكار يأوون، و فى رياض القرب و المكاشفه يرتعون - إلى أن قال: و قرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، إلى أن قال: ما أطيب طعم حبّك، و ما أعذب شرب قربك.

و فى مناجاه الذاكرين: فلا تطمئن القلوب إلّا بذكراك، و لا تسكن النفوس إلّا عند رؤياك - إلى أن قال: و أستغفرك من كلّ لذّه بغير ذكرك، و من كلّ راحه بغير انسك، و من كلّ سرور بغير قربك.

و فى مناجاه الزاهدين: و اقرر أعيننا يوم لقائك برؤيتك.

فعليك بتلك المناجاه الخمس عشره سيما مناجاه العارفين و مناجاه المحبّين منها فانّها جلاء للقلوب.

و فى آخر الدّعاء السابع و الأربعين من الصحيفه و كان من دعائه عليه السّلام فى يوم عرفه: و أ تحفنى بتحفه من تحفاتك، و اجعل تجارتى رابحه، و كرّتى غير خاسره، و أخفنى مقامك، و شوّقنى لقاءك - إلخ.

و فى باب فى أنه عزّ و جلّ لا يعرف إلّا به من توحيد الصّدوق رضوان اللّه عليه باسناده عن زياد بن المنذر، عن أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام أنّه قال: إنّ رجلا قام إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و قال: بماذا عرفت ربّك ؟ قال: بفسخ العزم، و نقض الهمم لما هممت فحيل بينى و بين همّى و عزمت فخالف القضاء عزمى علمت أنّ المدبّر غيرى، قال: فبما ذا شكرت نعماه ؟ قال: نظرت إلى بلاء قد صرفه عنّى و أبلى به غيرى فعلمت أنّه قد أنعم علىّ فشكرته، قال:

فبما ذا أحببت لقاه ؟ قال: لما رأيته قد اختار لى من دين ملائكته و رسله و أنبيائه علمت أنّ الّذى أكرمنى بهذا ليس ينسانى فأحببت لقاه.

روى الكلينى فى باب الاهتمام بامور المسلمين و النصيحه لهم و نفعهم باسناده عن سفيان بن عيينه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: عليك بالنصح للّه فى خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه.

و اعلم أنّ ما تقدّم من التوقيع الشريف الصادر من الناحيه المقدّسه و فيه قوله عليه السّلام: لا فرق بينك و بينها إلّا أنهم عبادك و خلقك، و ما مرّ فى ذيله من كلام القيصرى: لا فرق بينهما إلّا بالربوبيّه و المربوبيّه كأنّما يفيدان وجها خامسا فى وحده الوجود أعلى و أشمخ و أدقّ و أشرف من الأربعه المتقدّمه المبيّنه، و لعلّ كلام العارف الربّانى الخواجه صائن الدين على تركه اصفهانى يشير إلى هذا الوجه المنيع حيث قال: فهو العابد باعتبار تعيّنه و تقيّده بصوره العبد الّذى هو شأن من شئونه الذاتيّه و هو المعبود باعتبار إطلاقه، اعلم أنّ الشهود الأتم الأكمل قضى أنّ كلّ ما يسمّى مرآه و مجلى و مظهرا و عينا و نحو ذلك ليس سوى تعينات صور أحوال الحقّ على ما بينها من التفاوت فى الحكم و الحقّ من حيث هو باطن هويّته متجلى فى عين كل فرد فرد من أحواله المتميّزه الّتى تغيب و ظهرت له انتهى كلامه.

و اللّه تعالى أعلم بمراد أوليائه، اللّهم ارزقنا فهم ما أودعت فى كلماتك التامّه، قال عزّ من قائل: «يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ».

ای برتر از خیال و قیاس و گمان و وهم وز آنچه گفته اند و شنیدیم و خوانده ایم

مجلس تمام گشت و باخر رسید عمر ما همچنان در أوّل وصف تو مانده ایم

و أما الأمر الثانى فنقول: لا يعرج الإنسان إلى ذى المعارج إلّا بجناحى العلم و العمل قال عزّ من قائل: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى » (النجم: ۴۰) و قال تعالى: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى » (النازعات: ۳۵)، «وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَهَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً » (الاسراء: ۲۰)

و قال تعالى: «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الكهف).

ثمّ تأمّل تأمّلا- كاملا- فى قوله تعالى: «لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى »، فإن ما هو خارج عن ذاتك ليس لك حقيقه بل له ارتباط مّا إليك فاسع إلى ما هو لك بل هو أنت و أنت هو على الحقيقه لما ثبت بالبراهين العقليه المعاضده بالأدله النقليه من اتّحاد العاقل بمعقوله، و نعم ما أفاده الشّيخ أبو على الرئيس رضوان اللّه عليه فى النمط الثامن من كتاب الإشارات: كمال الجوهر العاقل أن يتمثل فيه جليّه الحقّ الأوّل قدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائه الّذى يخصّه ثمّ يتمثل فيه الوجود كلّه على ما هو عليه مجردا عن الشوب مبتدأ فيه بعد الحقّ الأوّل بالجواهر العقليّه العاليه ثمّ الرّوحانيّه السماويه ثمّ ما بعد ذلك تمثّلا لا يمايز الذات.

فاعلم أنّ الخبر ليس كالمعاينه، و العلم بالشىء غير النيل لوصوله و وجدانه و حصوله، و لا- يبلغ مرتبه علم اليقين مرتبه عين اليقين فضلا عن مرتبه حقّ اليقين بل الأوّل دون الثانى بمراحل و الثانى دون الثالث بمنازل، قال الشّيخ الرئيس قدّس سرّه فى أواخر النمط التاسع من كتاب الإشارات: من أحبّ أن يتعرّفها - يعنى أن يتعرّف الدرجات الّتى يجدها السالك - فليتدرّج إلى أن يصير من أهل المشاهده دون المشافهه و من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر.

و قال الخواجه نصير الدين الطوسى رضوان اللّه عليه فى الشرح بعد كلام فى الدرجات: و اعلم أنّ العباره عن هذه الدرجات غير ممكنه لأنّ العبارات موضوعه للمعانى الّتى يتصوّرها أهل اللغات ثمّ يحفظونها ثمّ يتذكرونها ثمّ يتفاهمونها تعليما و تعلّما، أما الّتى لا يصل إليها إلّا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ فضلا عن أن يعبّر عنها بعباره، و كما أنّ المعقولات لا تدرك بالأوهام و الموهومات لا تدرك بالخيالات و المتخيلات لا تدرك بالحواس كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين فلا- يمكن أن تدرك بعلم اليقين فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبرهان.

قلت: قد مضى فى ذلك كلامنا آنفا و تقدّم قول الإمام الصّادق عليه السّلام فيه.

و لا يتيسّر الوصول إلى لقائه تعالى إلاّ بالعمل الصالح و الإخلاص فى عبادته كما فى آيه الكهف الكريمه و إنما يتأتّى لمن تخلّص عن العلائق النفسانيّه و الشواغل الدنياويه و إلاّ لم يحصل معها ذوق اللذائذ العقليّه حتّى يحصل الشوق إليها فمن لم يعشق العباده فإنّما لتمكن تلك العوائق فيه و نعم ما قال الشّيخ فى النمط الثامن من الإشارات: الان إذا كنت فى البدن و فى شواغله و علائقه فلم تشتق إلى كما لك المناسب أو لم تتألّم بحصول ضدّه فاعلم أنّ ذلك منك لا منه.

و ما قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى رضوان اللّه عليه فى الفصوص: إنّ لك منك غطاء فضلا عن لباسك من البدن فاجهد أن ترفع الحجاب فحينئذ تلحق فلا تسأل عمّا تباشره، فإن ألمت فويل لك، و إن سلمت فطوبى لك و نفسك و أنت فى بدنك كأنك لست فى بدنك و كأنك فى صقع الملكوت فترى ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فاتّخذ لك عند الحقّ عهدا إلى أن تأتيه فردا.

قلت: قوله: فلا تسأل عمّا تباشره، كلام عميق بعيد الغور يفسّره قول الشّيخ الرئيس فى آخر النمط التاسع فى مقامات العارفين: و العارف ربما ذهل فيما يصار به إليه فغفل عن كل شىء فهو فى حكم من لا يكلّف، و كيف و التكليف لمن يعقل التكليف حال ما يعقله و لمن اجترح بخطيئته إن لم يعقل التكليف.

و قال الخواجه نصير الدين الطوسى فى الشرح: و المراد أنّ العارف ربما ذهل فى حال اتّصاله بعالم القدس عن هذا العالم فغفل عن كلّ ما فى هذا العالم و صدر عنه إخلال بالتكاليف الشرعيّه فهو لا يصير بذلك متأثّما لأنه فى حكم من لا يكلف لأنّ التكليف لا يتعلّق إلاّ بمن يعقل التكليف فى وقت تعقّله ذلك، أو بمن يتأثّم بترك التكليف إن لم يكن يعقل التكليف كالنائمين و الغافلين و الصبيان الّذين هم فى حكم المكلفين.

و إلى هذا المعنى أشار الخواجه عبد اللّه الأنصار بقوله: صاحب غلبهٔ عشق

از خود آگاه نیست آنچه مست می کند او را گناه نیست، و الخواجه شمس الدین الحافظ بقوله:

رشتهٔ تسبیحم ار بگسست معذورم بدار دستم اندر ساعد ساقی سیمین ساق بود

و بیانه أوضح من ذلک یطلب من شرح اللاّهیجی علی گلشن راز للشبستری (ص ۱۹۸ من الطبع الأوّل)، و من شرح الأمیر إسماعیل الشنب غازانی التبریزی علی فصوص الفارابی (ص ۷۱) رحمه اللّه علیهم.

و قوله: و أنت فی بدنک کانّک إلخ، و منه أخذ الشّیخ الرئیس أبو علی بن سینا کلامه فی أوّل النمط التاسع فی مقامات العارفین: فکأنّهم و هم فی جلابیب من أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها إلی عالم القدس إلخ، و کأنّ هذا الکلام مأخوذ من مشکاه الولایه العلویه حیث قال إمام الموحدین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فی صفه الزّهاد: کانوا قوما من أهل الدّنیا و لیسوا من أهلها فکانوا فیها کمن لیس منها إلخ (نهج البلاغه آخر المختار ۲۲۸ من باب الخطب) و حیث قال علیه السّلام لکمیل بن زیاد: صحبوا الدّنیا بأبدان أرواحها معلقه بالمحلّ الأعلی إلخ (المختار ۱۴۷ من باب الحکم و المواعظ من النهج)، و إلی هذا المعنی أشار السعدی بقوله:

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده ای من در میان جمع و دلم جای دیگر است

و قوله: فتری ما لا عین رأت، مأخوذ من حدیث عن النّبی صلی اللّه علیه و آله أنّه قال: قال اللّه تعالی: أعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر.

و قوله: فاتخذ لک عند الحقّ فردا، کأنّما إشاره إلی قوله تبارک و تعالی:

«لا یَمْلِکُونَ الشَّفاعَهَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً » (مریم: ۸۸)، و قوله: إلی أن تأتیه فردا إشاره إلی قوله تعالی: «وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَرْداً » (مریم: ۹۶).

ثمّ اعلم أنّ معرفه النفس هی مرقاه إلی معرفه الربّ ، و من عرف نفسه فقد عرف ربّه کما تقدّمت الإشاره إلیه إجمالاً و فی الخبر المروی تاره عن أمیر المؤمنین

علیّ علیه السّلام کما فی الصافی للفیض قدس سرّه، و اخری عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق علیهما السّلام کما فی المجلی لابن جمهور الأحسائی رضوان اللّه علیه: الصوره الإنسانیه هی أکبر حجج اللّه علی خلقه، و هی الکتاب الّذی کتبه بیده، و هی الهیکل الّذی بناه بحکمته، و هی مجموع صور العالمین، و هی المختصر من اللوح المحفوظ ، و هی الشاهده علی کلّ غائب، و هی الحجّه علی کلّ جاحد، و هی الطریق المستقیم إلی کلّ خیر، و هی الجسر (الصراط - خ ل) الممدود بین الجنّه و النّار.

و هذا الخبر الشریف باب بل أبواب إلی معارف حقّه و أسرار مکنونه و لعمری جدیر أن یقال فیه کلّ الصید فی جوف الفراء، شرحه یخرجنا إلی الإسهاب، و یجرّنا إلی تألیف رساله علیحده أو کتاب، و حیث إنّ الصوره الإنسانیه هی مجموع صور العالمین قالوا فی حدّ الفلسفه: هی معرفه الإنسان نفسه، کما فی رساله الکندی فی حدود الأشیاء و رسومها (ص ۱۷۳ من طبع مصر) و قد أتی الکندی فیها فی حدّ الفلسفه بسته حدود من القدماء و هذا أحدها، و قال بعد نقله الحدّ المذکور: و هذا قول شریف النهایه بعید الغور مثلا أقول: إنّ الأشیاء إذا کانت أجساما و لا أجسام، و ما لا أجسام إما جواهر و إما أعراض، و کان الإنسان هو الجسم و النفس و الأعراض، و کانت النفس جوهرا لا جسما فإنّه إذا عرف ذاته عرف الجسم بأعراضه و العرض الأوّل و الجوهر الّذی هو لا جسم فإذن إذا علم ذلک جمیعا فقد علم الکلّ ، و لهذه العلّه سمّی الحکماء الإنسان العالم الأصغر.

و قال العارف المتنزّه المیرزا جواد الملکی قدّس سرّه فی کتابه المسمّی بلقاء اللّه: انّ الإنسان له عوالم ثلاثه: عالم الحسّ و الشهاده، و عالم الخیال و المثال، و عالم العقل و الحقیقه، فمن جهه أنّ إنیّته الخاصّه إنّما بدأت من عالم الطبیعه کما فی الایه الکریمه المبارکه «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ » صار عالمه هذا له بالفعل و عرف نفسه و حقیقته بعالمه هذا، بل لو سمع من عارف أو عالم

عـالميه الاـخرين أنكره، بـل لو أخبره أحـد بصـفات عالمه العقلى لكفّره، و ذلك لأنّ عالمه الطبيعى له بالفعل و عالميه الاخرين بالقوّه، و لم ينكشف له بالكشف التام إلاّ عالم الطبيعه، و آثار من عالم المثال، و شىء قليل من عالمه العقلى.

و انسـانيته انمـا بعـالمه العقلى و إلاّـ فهو مشترك مع سـائر بنى جنسه من الحيوان فى عـالميه الاـخرين، و إن كان عالماه الاخران أيضا من جهه المرتبه أشرف من عالمى سائر الحيوانات.

و بهـذه العوالم الثلاثه و ترتيبها وقع التلويـح بل التصـريح فى دعاء سـجده ليله النصف من شـعبان عن النّبى صـلى اللّه عليه و آله حيث قال فيها: و سجد لك سوادى و خيالى و بياضى.

و بـالجمله فعـالمه الحسّـى عباره عن بـدنه الّذى له مادّه و صوره، و عالمه المثالى عباره عن عالمه الّذى حقائقه صور عاريه عن المواد، و عالمه العقلى عباره عن عالمه الّذى هو حقيقته و نفسه بلا مادّه و لا صوره.

و لكـلّ من هـذه العوالم لوازم و آثـار خـاصّه لاـزمه لفعليّتها، فمن انغمر فى عالم الطبيعه و تحقّقت باثارها و تحرّكت بحكمها و ضعفت فيه آثار عالمه العقلى فقد أخلد إلى الأرض و صار موجودا بما هو حيوان بل أضلّ من الحيوان كما هو الصـريح فى قوله تعالى: «إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً »، و من ترقّى إلى العالم العقلى و غلب آثاره على آثار عالميه الطبيعى و الخيالى و كـان الحاكم فى مملكه وجوده العقل يصـير موجودا روحانيا حتّى يتكامل فى العقلائيّه و انكشف له حقيقته و نفسه و روحه فإذا ترتفع عنه الحجب الظلمانيه بل النورائيّه أو غالبها بينه و بين معرفه اللّه جلّ جلاله و يتحقّق فى حقّه قوله صلى اللّه عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

و إذا تمهّد لك هذه الإجماليات فراجع إلى تفصـيل لوازم كل عالم من العوالم و اشـتغل بتدبير السفر و توكّل على الرب الرّحيم و استعن منه و توسّل بأوليائه فى كلّ جزئى و كلى من شئونك:

و اعلم أنّ هـذا العـالم الحسـى هو عـالم الموت و الفنـاء و الفقـد و الظلمه و الجهل و هو ذات ماده و صوره سائلتين زائلتين دائم التغير و الانقسـام و لا ـ شـعور له و لا ـ إشـعار إلاّ ـ بتبعيه العالمين الاخرين و إنّما ظهوره للحسّ بتوسط الأعراض من حيث وحـدته الإتصاليّه أمّا من حيث كثرته المقداريه المتجزّيه عند فرض القسـمه فكل واحد من الأجزاء معدوم عن الاخر و مفقود عنه فالكلّ غائب عن الكلّ و معدوم عنه و ذلك من جهه أنّ المادّه مصحوبه بالعدم بل هو جوهر مظلم و أوّل ما ظهر من الظلام.

و لأنّهـا فى ذاتها بالقوّه و بما لها فى أصـلها من عالم النور تقبل الصور النوريه و تـذهب ظلماتها بنور صورها فهـذه النشأه اختلط نورها بظلامها و ضـعف وجودها و ظهورها و لضـعفها احتاجت إلى مهـد المكان و ظئر الزمان و أهلها المخصوصون بها أشـقياء الجن و الإـنس و الحيوان و النبـات و الجماد، و فى الحـديث القدسـى: ما نظرت إلى الأجسام منـذ خلقتها، و هم الّـذين علومهم مختصّه بهـذا العالم و يعلمون ظاهرا من الحيوه الـدّنيا و هم عن الاخره غافلون، و لم يتجاوز علمهم عن المحسوسات و لم يعرفوا من العوالم العاليه إلاّ الأسماء، و كلما سمعوا حكايه منها قدروا له لوازم عالمهم و أنكروا ما يقال لهم من لوازم غير عالمهم.

و بالجمله مرعيهم و مأنسـهم و وطنهم هـذا العالم المحسوس و ملاذهم و مقاصدهم كلّها من مألوفات هذا العالم و هم الّذين قلنا إنّهم من الّـذين أخلـدوا إلى الأرض و هم يعتقدون أنّ أنفسـهم هو هذا البدن و أرواحهم هى الروح الحيوانى، و أنّ الجماد كلّها موجـودات متأصّـله متحقّقه و جـواهر قـائمه بـذواتها مخلـوقه فى عالمهـا و حيّزهـا، و أنّ موجودات العوالم الاـخر على القول بها موجودات اعتباريه خياليّه لا حقيقه لها و أنّ اللّذه إنّما هى فى المأكل و المشرب و المنكح و جاه هذا العالم، و ذكرهم و فكرهم و خيالهم و آمالهم و علومهم كلّها متعلّقه بالمحسوسات و انسـهم بها يحبّونها و يسـتأنسون بها، و يشـتاقون لما لم يصـلوا إليه من زخارفها و حلوها و خضرتها بل يعشقونها و شغفهم حبّها كالعاشق المستهتر.

فمن كان منهم مع ذلك مؤمنا باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر و لكن بايمان مستقر غير زائل عند الموت لضعفه و قله نوره و شدّه ظلمه المعاصى و خلط مع ذلك عملا صالحا و آخر سيئا اولئك ممّن يرجى له المغفره و لو بعد حين.

و أما الطائفه الاولى فهم الأشقياء الكافرون ليس لهم فى الاخره إلّا النار لأنهم من أهل السجين و يوم القيامه إذا ميّزت الحقائق و التحقت الفروع بالاصول التحق ما فى هذا العالم من النور إلى عوالمه و بقى ظلمتها و نارها و تبدّلت صور كل واحد من الأفعال و الأخلاق بما يناسب عالم القيامه من الحيات و العقارب و عذب بها فاعلها و مختلقها، و من كان يريد الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون اولئك ليس لهم فى الاخره إلّا النار.

و لو فرض لهم عمل خير يوفّ إليهم فى حياتهم الدنيا أو ينقص بقدره من عذابهم فى الاخره و بالجمله أنّ الإنسان لما خلق ابتداء من هذه الأرض فإن بقى فيها بعد ما خلق فيه الروح و العقل و استأنس بها و ألف لذاتها كان ممّن أخلد إلى الأرض فيوم القيامه ملتحق بالسجّين.

و إن خلص منها بعد ذلك بمعنى أن تحقّق باثار العقل و الروح و صار جسدا عقلانيا، و هيكلا نورانيا فيوم القيامه يرتقى إلى أعلى علّيين، و بعباره و ضحى خلق اللّه الإنسان فى أوّل ما خلق من سلاله من طين، و بقى مده فى صوره السلاله و النطفه و العلقه و المضغه و العظم و اللحم، ثمّ أعطاه الحياه و بقى حيّا إلى أن وهبه قوّه الحركه و البطش، و بقى على ذلك حتّى وهبه قوّه التميّز بين النافع و الضار فأراد النافع و كره الضار فإن اتبع إرادته لإراده اللّه جلّ جلاله فى جميع حركاته و سكناته و لم يبق له إراده مخالفه لإرادته تعالى فهذا مقام الرضا و هذا الشخص دائما يكون فى الجنّه و لهم فيها ما يشاءون و لذلك كان اسم خازن الجنّه الرضوان.

و فى حديث المعراج انّ اللّه قال: فمن عمل برضاى ألزمته (الزمه - خ ل) ثلاث خصال: أعرفه شكرا لا يخالطه جهل، و ذكرا لا يخالطه النسيان، و محبه لا يؤثر على محبّتى محبّه المخلوقين.

ثمّ إن عرف أنّ قدرته منتفيه فى قدره اللّه و لم ير قدره لغير اللّه لا لنفسه و لا لغيره فهو مقام التوكّل - و من يتوكّل على اللّه فهو حسبه.

ثمّ إن وفق مع ذلك أن ينفى علمه أيضا فى علم اللّه لئلا يكون بنفسه شيئا فهذا مقام الوحده (التوحيد - خ ل) اولئك الّذين أنعم اللّه عليهم.

فإن اتبع إراده نفسه و عمل فى حركاته و سكناته بهواه، و الحقّ لا- يتبع بهوى غيره، فيخالف هواه مع هوى الحقّ فيكون هوى الحقّ و لا- يكون هواه و حيل بينهم و بين ما يشتهون، إلى أن يوصله الهوى إلى الهاويه و يقيده بالأغلال و السّلاسل فى جميع مراداته و هذا شأن المماليك بالنسبه إلى مراداتهم و لذلك سمى خازن جهنم مالكا.

و إن تخلّف عن التوكّل يقع فى الخذلان، و إن تخلّف عن جليل مرتبه التوحيد (الوحده - خ ل) ردّ إلى سفلى الدركات و هى دركه اللّعنه اولئك يلعنهم اللّه و يلعنهم اللاعنون، - إلى أن قال قدّس سرّه:

و لا- يذهب عليك أنّ ما ذكرنا من العوالم إنّما هى داخل هذا العالم و ليس خارجا عنه بمعنى أنّ هذا العالم حاله و كيفيه للموجودات فى حدّ و مرتبه من الوجود و عالم المثال حاله و كيفيه اخرى ألطف من هذه الكيفيات فى باطن هذا العالم و ليس خارجا منه فمن كان له نور لعينه الحسيّه و اجتمع بنور الشمس أو القمر الحسيّين يرى العالم الحسّى بكيفيات حسيّه و صور حسيّه و من كان لعينيه المثاليّه نور مثالى و اجتمع نوره بنور الكواكب المثاليّه يرى مثال هذا العالم بكيفيّات مثاليّه و صور مثاليه فإنّ كيفيات العوالم و صورها مختلفه كل بحسبها و مناسبتها و هكذا.

و يكشف عن هذا الإختلاف الرؤيا و تعبيرها بما يرى واقعه مطابقا لصورتها المثاليه يرى النائم اللبن و يفسّره المعبّر بالعلم و يقع فى الواقع ما يرى على وفق التعبير.

و يكشف عن ذلك أيضا الأخبار الكثيره الوارده فى أحوال البرزخ و القيامه و تجسيم الأعمال بما يناسبها من الصور، فحصل من جميع ما قلنا أنّ الموجود

الحقّ الواقعی إنّما هو الذات جلّ جلاله فی عالمها و سائر العوالم انما هو شأن من شئون و تجلی من تجلیاتها مثلا تجلی بالتجلی الأوّل فوجد منه العالم العقلی ثمّ تجلّی ثانیا فظهر العالم النفسی، و هکذا إلی أن خلق هذا العالم الحسّی ففی الخارج موجود حقیقی حقّ ثابت و شئونه فکل شأن من شئونه عباره عن عالم من العوالم تامّ فی مرتبته و لکلّ عالم آثار و صفات حتّی ینتهی إلی أحسن العوالم و أکثفها و أضیقها و هو هذا العالم المحسوس و هذا العالم کیفیه خاصه و صور و حدود شتّی لازم لهذه المرتبه من الوجود، و وجوده و آثاره مخصوصه بعالمها و هکذا.

و عالم الرؤیاء إنّما هو من عالم المثال فکلما یری فیها فهو من هذا العالم أرضها و سماؤها و جمادها و نباتها بل و صور المرایا أیضا منه و الصور الخیالیه أیضا منه و هذا العالم عالم واسع بل عوالم کثیره بل قیل إنّ فی عالم المثال ثمانیه عشر ألف عالم.

و حکی عن بعض العرفاء أنّ کلما ورد فی الشّرع ممّا ظاهره مجاز فی عالمنا فقد وجدناه فی بعض هذه العوالم حقیقه من غیر تجوز - فکما أن کلّما یراه النائم فی الرؤیا إنّما هو حال و کیف مثالی یظهر لنفسه فی عالم المثال فکذلک ما یراه الیقظان فی عالمنا هذا الحسّی حال و کیف حسّی یظهر لنفسه فی عالم الحس - إلی أن قال رضوان اللّه علیه:

و الإدراک لا یمکن إلّا بنیل المدرک لذات المدرک و ذلک إما بخروجه من ذاته إلی أن یصل إلیه أو بادخاله إیّاه فی ذاته و کلاهما محال إلّا أن یتّحد معه و یتصوّر بصورته فالذات العالمه لیست بذاتها بعینها هی الذات الجاهله، فالعلم بالأجسام لا یتعلق بوجوداتها الخارجیه لأنّ صورها بما هی هی لیست حاصله بهذا النحو من الحصول الاتّحادی إلّا لموادها و لیست حاصله لأنفسها و حصولها لموادها لیس بنحو العلمی إذ هی أمر عدمیّ لیست إلّا جهه القوّه فی الوجودات فلیس لها فی أنفسها ذات یصحّ أن یدرک شیئا و یعلمه و إذا لم یکن الصور الخارجیه للأجسام ممّا یصحّ أن یحصل لها شیء الحصول المعتبر فی العلم و لا هی حاصله لما

يصحّ له أن يعلمها فليست هى عالمه بشىء أصلا و لا لشىء أن يعلمها بعينها كما هى فهى إذا معلومه بالقوّه بمعنى أن فى قوّتها أن ينتزع منها عالم صورا فيعلمها أى يتصور بمثل صورها لاستحاله انتقال المنطبعات فى الموادّ فالمعلوم بالذات من كل شىء ليس إلّا صورا إدراكيه قائمه بالنفس متّحده معها لا ماده خارجيّه.

فالمعلوم بالفعل ليس إلّا لعالمه فكل عالم معلومه غير معلوم عالم آخر و هو فى الحقيقه عالم و علم و معلوم، هذا.

و المقصود من التعرض بهذه التفصيلات التنبيه إلى الفكر فى معرفه النفس و كيفيّه الترقى منها إلى معرفه الربّ ، و الإستدلال بما يستحكم به تصديق ذلك و أن يتفطّن المبتدى لاصول تنفع فى فكره، و إلّا فليس كيفيّه التفكر إلّا أن يشتغل المتفكر تاره لتجزيه نفسه، و اخرى لتجزيه العالم حتّى يتحقّق له أن ما يعلمه من العالم ليس إلّا نفسه و عالمه لا العالم الخارجى، و أنّ هذه العوالم المعلومه له إنّما هو مرتبه من نفسه و حتّى يجد نفسه لنفسه ما هى ؟! ثمّ ينقّى عن قلبه كلّ صوره و خيال و يكون فكره فى العدم حتّى تنكشف له حقيقه نفسه أى يرتفع العالم من بين يديه و يظهر له حقيقه نفسه بلا صوره و لا مادّه، و هذا هو أوّل معرفه النفس و لعلّ إلى ذلك اشير فى تفسير قوله تعالى: «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » (الزمر: ۲۴) حيث سئل عنه و قال عليه السّلام: نور يقذفه اللّه فى قلبه فيشرح صدره، قيل: هل لذلك من علامه ؟ قال عليه السّلام: علامته التّجافى عن دار الغرور و الإنابه إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل حلول الفوت.

و لعلّ العامّه لا يعتقدون فى معنى التجافى إلّا الزهد فى شهوات الدنيا، و لا يتصوّرون معنى للتجافى الحقيقى الّذى هو ارتفاع الغرور الواقع فى هذا العالم لأهله و عدم رؤيه الأشياء كما هى الّذى هو شأن العامّه الّذين لم يبلغوا بعد معرفه النفس بهذه المعرفه، انتهى ما أردنا من نقل كلامه نوّر اللّه تعالى رمسه. و قد أجاد فيما أفاد و كتابه فى لقاء اللّه ممتّع جدّا للّه درّه مؤلّفا.

و كلامه – ره – فى النشات الثلاثه الإنسانيّه تشير إلى ما برهنه المتألّه المولى صدرا فى الرابع من الأسفار حيث قال قدّس سرّه:

حكمه عرشيه: إنّ للنفس الإنسانيه نشئات ثلاثه إدراكيه: النشأه الاولى هى الصوره الحسيّه الطبيعيه و مظهرها الحواس الخمس الظاهره و يقال لها الدنيا لدنوّها و قربها لتقدمها على الأخيرتين، و عالم الشهاده لكونها مشهوده بالحواس و شرورها و خيراتها معلومه لكلّ أحد لا يحتاج إلى البيان و فى هذه النشأه لا يخلو موجود عن حركته و استحالته و وجود صورتها لا تنفك عن وجود مادّتها.

و النشأه الثانيه هى الأشباح و الصور الغائبه عن هذه الحواس و مظهرها الحواس الباطنه و يقال لها عالم الغيب و الاخره لمقايستها إلى الاولى لأنّ الاخره و الاولى من باب المضاف، و لهذا لا يعرف إحداهما إلّا مع الاخرى كالمتضايفين كما قال تعالى: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ »، و هى تنقسم إلى الجنّه و هى دار السعداء، و الجحيم و هى دار الأشقياء، و مبادى السعادات و الشقاوات فيهما هى الملكات و الأخلاق الفاضله و الرذيله.

و النشأه الثالثه هى العقليّه و هى دار المقرّبين و دار العقل و المعقول و مظهرها القوّه العاقله من الإنسان إذا صارت عقلا بالفعل، و هى لا تكون إلّا خيرا محضا و نورا صرفا فالنشأه الاولى دار القوّه و الاستعداد و المزرعه لبذور الأرواح و نبات النيّات و الإعتقادات، و الاخريتان كلّ منهما دار التمام و الفعليه، و حصول الثمرات و حصاد المزروعات.

و قد أفاد قدّس سرّه هذا المطلب الأرفع الأعلى فى عدّه مواضع من الأسفار فراجع إلى ص ۱۷، و ص ۲۱، و ص ۹۷، و ص ۱۳۱ من ج ۹.

و إذا دريت أنّ الصوره الإنسانيه هى مجموع صور عالمى الأمر و الخلق فادر أيضا أنّ الإنسان إذا كان مراقبا لقلبه و حارسا له عن ولوج الأجانب و الأغيار، و ناظرا إلى ربّه و مستشعرا جانب اللّه عزّ و جلّ و منصرفا بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحقّ فى سرّه يلوح له ملكوت

السموات و الأرض و يرتقى إلى أعلى عليّين، و يصافحه الملائكه المقرّبين، قال عزّ من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَهِ وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » (حم السجده، فصّلت ۳۱-۳۳)، و قد تقدّم فى صدر الرساله كلام العارف السهروردى: الفكر فى صوره قدسيّه يتلطّف بها طالب الأريحيّه.

و فى باب تنقل أحوال القلب من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۳۰۹ ج ۲ من المعرب) باسناده عن سلام بن المستنير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

أما إنّ أصحاب محمّد صلى اللّه عليه و آله قالوا: يا رسول اللّه نخاف علينا النفاق قال: فقال: و لم تخافون ذلك ؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا و رغّبتنا و جلنا و نسينا الدنيا و زهدنا حتّى كأنا نعاين الاخره و الجنّه و النار و نحن عندك، فإذا خرجنا من عندك و دخلنا هذه البيوت و شممنا الأولاد و رأينا العيال و الأهل يكاد أن نحوّل عن الّتى كنّا عليها عندك و حتّى كأنّا لم نكن على شىء أ فتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟ فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: كلّا إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم فى الدنيا، و اللّه لو تدومون على الحاله الّتى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكه و مشيتم على الماء - الخبر.

و روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لو لا إنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء، قال الكندى فى رسالته فى النفس: إنّ النفس بسيطه ذات شرف و كمال عظيمه الشّأن، جوهرها من جوهر البارى عزّ و جلّ كقياس ضياء الشمس من الشمس.

و قد بيّن أنّ هذه النفس منفرده عن هذا الجسم مباينه له و أنّ جوهرها جوهر إلهى روحانى بما يرى من شرف طباعها و مضادّتها لما يعرض للبدن من الشهوات و الغضب.

و ذلك أنّ القوّه الغضبيّه قد تتحرك على الإنسان فى بعض الأوقات

فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم فتضادّها هذه النفس و تمنع الغضب من أن يفعل فعله أو أن يرتكب الغيظ و ترته، و تضبطه كما يضبط الفارس الفرس إذا همّ أنّ يجمح به أو يمدّه.

و هذا دليل بيّن على أنّ القوّه الّتى يغضب بها الإنسان غير هذه النفس الّتى تمنع الغضب أن يجرى إلى ما يهواه لأنّ المانع لا محاله غير الممنوع لأنّه لا يكون شيء واحد يضادّ نفسه، فأمّا القوّه الشهوانيه فقد تتوق فى بعض الأوقات إلى بعض الشهوات ففكّر النفس العقليّه فى ذلك أنّه أخطأ و أنّه يؤدى إلى حال رديّه فتمنعها عن ذلك و تضادها، و هذا أيضا دليل على أنّ كلّ واحده منهما غير الاخرى.

و هذه النفس الّتى هى من نور البارى عزّ و جلّ إذا هى فارقت البدن علمت كلّ ما فى العالم و لم يخف عنها خافيه، و الدليل على ذلك قول أفلاطن حيث يقول: إنّ كثيرا من الفلاسفه الطاهرين القدماء لما يتجرّدوا من الدّنيا و تهاونوا بالأشياء المحسوسه و تفرّدوا بالنظر و البحث عن حقائق الأشياء انكشف لهم الغيب، و علموا بما يخفيه الناس فى نفوسهم و اطّلعوا على سرائر الخلق.

فإذا كان هذا هكذا، و النفس بعد مرتبطه بهذا البدن فى هذا العالم المظلم الّذى لو لا نور الشمس لكان فى غايه الظلمه فكيف إذا تجرّدت هذه النفس، و فارقت البدن، و صارت فى عالم الحقّ الّذى فيه نور البارى سبحانه ؟!.

و لقد صدق أفلاطن فى هذا القياس و أصاب به البرهان الصحيح، ثمّ إنّ أفلاطن أتبع هذا القول بأن قال: فأمّا من كان غرضه فى هذا العالم التلذّذ بالماكل و المشارب المستحيله إلى الجيف، و كان أيضا غرضه فى لذّه الجماع فلا سبيل لنفسه العقليه إلى معرفه هذه الأشياء الشريفه و لا يمكنها الوصول إلى التشبّه بالبارى سبحانه.

ثمّ إنّ أفلاطن قاس القوّه الشهوانيّه الّتى للإنسان بالخنزير، و القوّه الغضبيّه بالكلب، و القوّه العقليّه الّتى ذكرنا بالملك، و قال: من غلبت عليه

الشهوانيّه و كانت هى غرضه و أكثر همته فقياسه قياس الخنزير، و من غلب عليه الغضبيّه فقياسه قياس الكلب، و من كان الأغلب عليه قوّه النفس العقليه و كان أكثر أدبه الفكر و التمييز و معرفه حقائق الأشياء، و البحث عن غوامض العلم كان انسانا فاضلا قريب الشبه من البارى سبحانه لأنّ الأشياء الّتى نجدها للبارى عزّ و جلّ هى الحكمه و القدره و العدل و الخير و الجميل و الحقّ .

و قد يمكن للإنسان أن يدبّر نفسه بهذه الحيله حسب ما فى طاقه الإنسان فيكون حكيما عدلا جوادا خيّرا يؤثر الحقّ و الجميل، و يكون بذلك كلّه بنوع دخل دون النوع الّذى للبارى سبحانه من قوّته و قدرته لأنّها إنما اقتبست من قربها قدره مشاكله لقدرته، فإنّ النفس على رأى أفلاطن و جلّه الفلاسفه باقيه بعد الموت جوهرها كجوهر البارى عزّ و علا فى قوّتها إذا تجرّدت أن تعلم سائر الأشياء كما يعلم البارى بها أو دون ذلك برتبه يسيره، لأنها اودعت من نور البارى جلّ و عزّ.

و إذا تجرّدت و فارقت هذا البدن و صارت فى عالم العقل فوق الفلك صارت فى نور البارى، و رأت البارى عزّ و جلّ و طابقت نوره و جلّت فى ملكوته فانكشف لها حينئذ علم كلّ شىء، و صارت الأشياء كلّها بارزه لها كمثل ماهى بارزه للبارى عزّ و جلّ ، لأنّا إذا كنّا و نحن فى هذا العالم الدنس قد نرى فيه أشياء كثيره بضوء الشمس فكيف إذا تجرّدت نفوسنا، و صارت مطابقه لعالم الديموميّه و صارت تنظر بنور البارى فهى لا محاله ترى بنور البارى كلّ ظاهر و خفىّ و تقف على كلّ سرّ و علانيه.

و كان أفسقورس يقول: إنّ النفس إذا كانت و هى مرتبطه بالبدن تاركه للشهوات متطهّره من الأدناس، كثيره البحث و النظر فى معرفه حقائق الأشياء انصقلت صقاله ظاهره و اتّحد بها صوره من نور البارى يحدث فيها و يكامل نور البارى بسبب ذلك الصقال الّذى اكتسبه من التطهر فحينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلّها و معرفتها كما يظهر صور خيالات سائر الأشياء المحسوسه فى المرآه إذا

كانت صقيله، فهذا قياس النفس لأنّ المرآه إذا كانت صدئه لم يتبيّن صوره شيء فيها بتّه، فإذا زال منها الصدء ظهرت و تبيّنت فيها جميع الصور، كذلك النفس العقليه إذا كانت صدئه دنسه كانت على غايه الجهل و لم يظهر فيها صور المعلومات و إذا تطهّرت و تهذّبت و انصقلت، و صفاء النفس هو أنّ النفس تتطهّر من الدنس و تكتسب العلم ظهر فيها حينئذ صوره معرفه جميع الأشياء، و على حسب جوده صقالتها تكون معرفتها بالأشياء، فالنفس كلما ازدادت صقالا ظهر لها و فيها معرفه الأشياء.

و هذه النفس لا تنام بتّه لأنّها فى وقت النوم تترك استعمال الحواس و تبقى محصوره، ليست بمجرّده على حدتها، و تعلم كلّ ما فى العوالم و كلّ ظاهر و خفى و لو كانت هذه النفس تنام لما كان الإنسان إذا رأى فى النوم شيئا يعلم أنه فى النوم بل لا يفرق بينه و بين ما كان فى اليقظه.

و إذا بلغت هذه النفس مبلغها فى الطهاره رأت فى النوم عجائب من الأحلام و خاطبتها الأنفس الّتى قد فارقت الأبدان و أفاض عليها البارى من نوره و رحمته فتلتذّ حينئذ لذّه دائمه فوق كل لذّه تكون بالمطعم و المشرب و النكاح و السماع و النظر و الشمّ و اللمس، لأنّ هذه لذات حسيّه دنسه تعقب الأذى، و تلك لذّه إلهيّه روحانيّه ملكوتيّه تعقب الشرف الأعظم، و الشقى المغرور الجاهل من رضى لنفسه بلذّات الحسّ و كانت هى أكثر أغراضه و منتهى غايته.

و إنما نجيء فى هذا العالم فى شبه المعبر و الجسر الّذى يجوز عليه السيّاره ليس لنا مقام يطول، و أما مقامنا و مستقرّنا الّذى نتوقع فهو العالم الأعلى الشريف الّذى تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت حيث تقرب من باريها، و نقرب من نوره و رحمته، و نراه رؤيه عقليّه لا حسيّه، و يفيض عليها من نوره و رحمته، فهذا قول افسقورس الحكيم. انتهى ما نقلنا عن الفيلسوف الكندى.

و قد صدر هذه النكات اللطيفه الشريفه عن قلوب نقيّه، و هى كلمات اقتبست من مشكاه الأنبياء غايه الأمر بوسائط ، و الملهم المبتدع القديم حقّ عليم منّه عظيم.

قوله: جوهرها من جوهر البارى، يعنى أنها من عالم الأمر الحكيم قال عزّ من قائل: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » (الأسراء: ۸۶) «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى » (ص: ۷۳).

و قوله كقياس ضياء الشمس من الشمس شريف جدا و قد قال الإمام كشّاف الحقائق وارث علوم النبيّين أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: إنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالا بروح اللّه من اتصال شعاع الشمس بها، رواه ثقه الإسلام الكلينى قدّس سرّه فى باب أخوه المؤمنين بعضهم لبعض من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۳۳ ج ۲ من المعرب).

قوله: إذا هى فارقت البدن علمت كلّ ما فى العالم، قال تبارك و تعالى:

«لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَهٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » (ق: ۲۴).

و قوله: ثمّ إنّ افلاطن قاس القوّه الشهوانيّه الّتى للإنسان بالخنزير إلخ كلام شريف أيضا و من هنا يعلم أيضا حشر الناس على صور نيّاتهم و أن الجزاء فى الاخره بنفس العمل و قد وردت فى ذلك روايات كثيره من بيت الوحى و العصمه و الطهاره ففى الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يحشر الناس على صور نيّاتهم، و فى الاخر عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى منزل أبى أيوب الأنصارى فقال معاذ: يا رسول اللّه ما رأيت قول اللّه تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً »، الايات ؟ فقال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمر، ثمّ أرسل عينيه ثمّ قال: يحشر عشره أصناف من امّتى أشتاتا قد ميّزهم اللّه من المسلمين و بدّل صورهم: فبعضهم على صوره القرده و بعضهم على صوره الخنازير، و بعضهم منكسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يسحبون عليها، و بعضهم عمى يتردّدون، و بعضهم صمّ بكم لا يعقلون، و بعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع، و بعضهم مقطّعه أيديهم و أرجلهم، و بعضهم مصلبون على جذوع من نار، و بعضهم أشدّ نتنا من الجيف، و بعضهم يلبسون جبابا سابغه من قطران لازقه بجلودهم.

فأما الّذين على صوره القرده فالقتّات من الناس، و أما الّذين على صوره

الخنازير فأهل السحت، و أما المنكسون على رؤوسهم فاكلوا الربا، و العمى الجائرون فى الحكم، و الصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، و الّذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء و القضاه الّذين خالف أعمالهم أقوالهم، و المقطعه أيديهم و أرجلهم الّذين يؤذون الجيران، و المصلبون على جذوع من نار فالسّعاه بالناس إلى السلطان و الّذين هم أشدّ نتنا من الجيف فالّذين يتمتّعون بالشهوات و اللّذات و يمنعون حقّ اللّه تعالى فى أموالهم، و الّذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر و الخيلاء.

و هذا الحديث قد رواه الفريقان فى الجوامع و كتب التفسير و فى الحديث عنه صلى اللّه عليه و آله: من خالف الإمام فى أفعال الصلاه يحشر و رأسه رأس حمار، و قد روى الكلينى فى باب الكبر من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۲۳۵ ج ۲ من المعرب) باسناده عن داود بن فرقد عن أخيه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ المتكبرين يجعلون فى صور الذرّ يتوطّأهم الناس حتّى يفرغ اللّه من الحساب.

و فى الحديث عنه صلى اللّه عليه و آله: كما تعيشون تموتون و كما تنامون تبعثون و روى عن النّبى صلى اللّه عليه و آله انه قال: رأيت ليله أسرى بى قوما تقرض شفاههم، و كلّما قرضت وفت، فقال لى جبرئيل: هؤلاء خطباء امّتك تقرض شفاههم لأنّهم يقولون ما لا يفعلون، رواه علم الهدى سيّد المرتضى فى المجلس الأوّل من أماليه غرر الفوائد و درر القلائد (ص ۶ من ج ۱ من طبع مصر).

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى صفه بعض علماء السوء: فالصوره صوره انسان و القلب قلب حيوان.

و فى حديث الريّان بن شبيب عن ثامن الأئمّه علىّ بن موسى الرضا عليهما السّلام:

يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا فى الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا و افرح لفرحنا و عليك بولايتنا، فلو أنّ رجلا تولّى حجرا لحشره اللّه تعالى معه يوم القيامه، رواه المجلسى رحمه اللّه عليه فى عاشر البحار (ص ۱۶۵ من طبع الكمبانى) عن عيون أخبار الرضا و أمالى الصدوق.

قلت: كنت ذات ليله متفكرا فی أمری من حشری معادی و ناظرا فی صحیفه عملی، و یوم عرضی للحساب و نحوها إذ رأیت فیما رأیت فی صقع نفسی شیئا لازبا بها جدّا، محشورا عندها غیر منفک عنها، و لمّا أمعنت النظر فیه عرفته، و کان نسخه مخطوطه من کتاب، قد کنت احبّها شدیدا فعندئذ حضر و خطر بالبال، قوله علیه السلام: فلو أنّ رجلا تولّی حجرا لحشره اللّه تعالی معه یوم القیامه، فإنّ الکتاب جماد کالحجر و لا فرق بینهما من هذه الحیثیه.

و من تلک البراهین النقلیه المعاضده للعقلیه قال أساطین الحکمه: إنّ حشر الخلائق فی الاخره علی أنحاء مختلفه حسب أعمالهم و أخلاقهم فلقوم علی سبیل الوفد، یوم نحشر المتّقین إلی الرحمن وفدا، و لقوم علی سبیل التعذیب و یوم یحشر أعداء اللّه إلی النار فهم یوزعون، و لقوم نحشر المجرمین یومئذ زرقا و لقوم و نحشره یوم القیمه أعمی، و بالجمله کل أحد إلی غایه سعیه و عمله و إلی ما یحبّه و یهواه حتّی أنّه لو أحبّ حجرا لحشر معه لقوله تعالی: «إِنَّکُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ »، و قوله تعالی: «اُحْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما کانُوا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلی صِراطِ الْجَحِیمِ ».

و المراد بأزواجهم الملکات و صورها فان تکرّر الأفاعیل یوجب الملکات و کلّ ملکه تغلب علی نفس الإنسان تتصور فی القیامه بصوره تناسبها، قل کلّ یعمل علی شاکلته، و لا شک أن أفاعیل الأشقیاء المدبرین إنّما هی بحسب هممهم القاصره النازله فی مراتب البرازخ الحیوانیه و تصوراتهم مقصوره علی أغراض بهیمیّه أو سبعیّه أو شیطانیّه تغلب علی نفوسهم فلا- جرم یحشرون علی صور تلک الحیوانات، و إذا الوحوش حشرت، و فی الحدیث عنه صلی اللّه علیه و آله یحشر بعض النّاس علی صور یحسن عندها القرده و الخنازیر، و فیه أیضا یحشر النّاس یوم القیامه ثلاثه أصناف: رکبانا، و مشاه، و علی وجوههم.

و السرّ فی ذلک أن لکلّ خلق من الأخلاق المذمومه و الهیئات الردیه المتمکّنه فی النفس صوره نوع من أنواع الحیوانات و بدن یختصّ بذلک کصور

أبـدان الأسود و نحوها لخلق التكبّر و التهوّر مثلا، و أبـدان الثعالب و أمثالها للخبث و الروغان، و أبدان القرود و نحوها للمحاكاه و السخريّه، و الخنازير للحرص و الشهوه إلى غير ذلك.

و ربما كان لشـخص واحـد من الإنسان عدد كثير من الأخلاق الرديه على مراتب متفاوته فبحسب ذلك تختلف الصور الحيوانيّه فى الاخره قال اللّه عزّ و جلّ : «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ».

قال المولى صـدرا قـدس سرّه فى مبحث الحشر من الأسـفار: إنّ فى داخل بـدن كلّ إنسان و مكمن جوفه حيوانا صوريا بجميع أعضائه و أشـكاله و قواه و حواسّه هو موجود قائم بالفعل لا يموت بموت هذا البدن و هو المحشور يوم القيامه بصورته المناسـبه لمعنـاه و هو الّـذى يثـاب و يعـاقب و ليست حياته كحياه هـذا البـدن المركب عرضـيّه وارده عليه من الخارج و إنما حياته كحياه النفس ذاتيه و هو حيوان متوسـط بين الحيوان العقلى و الحيوان الحسـّى يحشـر فى القيـامه على صوره هيئـات و ملكـات كسـبتها النفس بيـدها العمـاله، و بهـذا يرجع و يؤول معنى التناسـخ المنقول عن الحكمـاء الأقـدمين كأفلاطن و من سـبقه مثل سـقراط و فيثاغورس و غيرهما من الأساطين، و كذا ما ورد فى لسان النبوات، و عليه يحمل الايات المشـيره إلى التناسخ، و كذا قوله تعالى: «وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنـا لَهُمْ دَابَّهً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّـاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ »، و قوله تعالى: «وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُـلِّ أُمَّهٍ فَوْجـاً مِمَّنْ يُكَـذِّبُ بِآياتِنـا فَهُمْ يُوزَعُونَ »، و قوله تعـالى: «يَوْمَئِـذٍ يَتَفَرَّقُونَ »، كـلّ ذلـك إشـاره إلى انقلاب النفوس فى جوهرهـا و صـيرورتها من أفواج الاـمم الصـامته و خروجهـا يوم النشور إذا بعثر ما فى القبور و حصّل ما فى الصـدور على صوره أنواع الحيوانات من السباع و الموذيات و البهائم و الوحوش و الشياطين.

و قال فى المبدأ و المعاد: (ص ۳۲۵) قال بعض العرفاء: كلّ من شاهد بنور البصيره باطنه فى الدّنيا لرآه مشحونا بأصناف السباع و أنواع الهوام مثل الغضب

و الشهوه و الحقد و الحسد و الكبر و العجب و الرياء و غيرها و هى الّتى لا تزال تفترسه و تنهشه إن سهى عنه بلحظه إلّا أنّ أكثر الناس لكونه محجوب العين عن مشاهدتها فإذا كشف الغطاء و وضع فى قبره عاينها و قد تمثلت له بصورها و أشكالها الموافقه لمعانيها فيرى بعينه العقارب و الحيات قد أحدقت به و إنما هى صفاته الحاضره الان قد انكشفت له صورها، فإن أردت يا أخى أن تقتلها و تقهرها و أنت قادر عليها قبل الموت فافعل و إلّا فوطن نفسك على لدغها و نهشها بصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك و جسمك.

و قول الكندى كان أفسقورس يقول إن النفس إلخ، يقصد بأفسقورس فيثاغورس الفيلسوف المشهور من أعاظم الحكماء الأقدمين قد استفاد من مشكاه النّبوه و له فى نضد العالم و ترتيبه على خواصّ العدد و مراتبه رموز عجيبه و أغراض بعيده و له فى شأن المعاد مذاهب قارب فيها أبيذ قلس من أنّ عالما فوق عالم الطبيعه روحانيا نورانيا لا يدرك العقل حسنه و بهاءه، و أنّ الأنفس الزكيه تحتاج إليه، و أنّ كلّ انسان أحسن تقويمه بالتبرّؤ من العجب و التجبر و الرياء و الحسد و غيرها من الشهوات الجسدانيّه فقد صار أهلا أن يلحق بالعالم الروحانى و يطلع على ما شاع (يشاء خ ل) من جواهره من الحكمه الالهيه، و أنّ الأشياء الملذّه للنفس تأتيه حشدا إرسالا كالألحان الموسيقيّه الاتيه إلى حاسّه السمع فلا يحتاج إلى أن يتكلف لها طلبا، نقلناه من تاريخ الحكماء للقفطى.

و من كلماته السامیه: أنّك ستعارض لك فى أفعالك و أقوالك و أفكارك و سيظهر لك من كل حركه فكريه أو قوليه او عمليه صوره روحانيه أو جسمانيه فإن كانت الحركه غضبيّه أو شهويه صارت ماده لشيطان يؤذيك فى حياتك و يحجبك عن ملاقاه النور بعد وفاتك، و إن كانت الحركه عقليه صارت ملكا تلتذّ بمنادمته فى دنياك، و تهتدى به فى اخراك إلى جوار اللّه و دار كرامته، نقلناه من مبحث نشر الصحائف و ابراز الكتب من الأسفار.

و ما أفاد هؤلاء الأعاظم فى إنيّه النفس و تطوّراتها لطيف جدّا إلّا أنّى ما

رأیت بعد قول اللّه تعالی و رسوله صلی اللّه علیه و آله کلاما فی النفس و أطوارها ألطف و أجمع و أتقن من کلام إمام الموحّدین و رایه السالکین و قدوه المتألّهین علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام حیث قال لحبر من أحبار الیهود و علمائهم: من اعتدل طباعه صفی مزاجه، و من صفی مزاجه قوی أثر النفس فیه، و من قوی أثر النفس فیه سمی إلی ما یرتقیه، و من سمی إلی ما یرتقیه فقد تخلق بالأخلاق النفسانیه، و من تخلق بالأخلاق النفسانیه فقد صار موجودا بما هو انسان دون أن یکون موجودا بما هو حیوان، و دخل فی الباب الملکی، و لیس له عن هذه الحاله مغیّر فقال الیهودی: اللّه أکبر یا ابن أبی طالب لقد نطقت بالفلسفه جمیعها، نقله العلّامه الشّیخ بهاء الدین العاملی قدّس سرّه فی أواخر المجلّد الخامس من الکشکول (ص ۵۹۴ من طبع نجم الدوله).

و قال فی المجلّد الثانی منه (ص ۲۴۶) عن کمیل بن زیاد قال: سألت مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام فقلت: یا أمیر المؤمنین ارید أن تعرّفنی نفسی، فقال: یا کمیل و أیّ الأنفس ترید أن اعرّفک ؟ قلت: یا مولای و هل هی إلّا نفس واحده ؟!.

قال: یا کمیل انما هی أربعه: النامیه النباتیه، و الحسیّه الحیوانیّه، و النّاطقه القدسیّه، و الکلیّه الإلهیّه، و لکل واحده من هذه خمس قوی و خاصیّتان:

فالنامیه النباتیه لها خمس قوی: ماسکه، و جاذبه، و هاضمه، و دافعه و مربّیه، و لها خاصیّتان: الزیاده و النقصان، و انبعاثها من الکبد.

و الحسیّه الحیوانیه لها خمس قوی: سمع، و بصر، و شم، و ذوق، و لمس و لها خاصیّتان: الرّضا و الغضب، و انبعاثها من القلب.

و الناطقه القدسیّه لها خمس قوی: فکر، و ذکر، و علم، و حلم، و نباهه، و لیس لها انبعاث و هی أشبه الأشیاء بالنفوس الملکیّه، و لها خاصیّتان:

النزاهه و الحکمه.

و الکلیّه الالهیّه لها خمس قوی: بقاء فی فناء، و نعیم فی شقاء، و عزّ فی ذلّ و فقر فی غناء، و صبر فی بلاء، و لها خاصیّتان: الرّضا و التسلیم و هذه الّتی

مبدؤها من اللّه و إليه تعود، قال اللّه تعالى: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي »، و قال اللّه تعالى: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً »، و العقل وسط الكل.

و روى فى كتاب الدرر و الغرر أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام سئل عن العالم العلوى فقال: صور عاريه عن المواد، عاليه من القوّه و الاستعداد، تجلّى لها فأشرقت و طالعها فتلألأت، و ألقى فى هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، و خلق الإنسان ذا نفس ناطقه إن زكّيها بالعلم و العقل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، و إذا اعتدل مزاجها و فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد (نقلناه من الكلمه التاسعه عشر من قرّه العيون فى أعزّ الفنون للفيض قدّس سرّه)، و قد رواه العالم الجليل ابن شهر آشوب فى المناقب أيضا.

و لنذكر ما حصل لبعض الأعاظم من التخلّص عن درن البدن، و التنزّه عن رين الرذائل النفسانيّه فكوشف لهم ما وراء الطبيعه ترغيبا للمشتاقين إلى السير فى عالم المجردات، و أنموذجا من عظم شأن النفس و شرفها للطالبين:

(١) قال الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندى فى رسالته فى النفس (ص ٢٧٩ من رسائل الكندى): و قد وصف أرسطاطاليس أمر الملك اليونانى الّذى تحرّج بنفسه فمكث لا- يعيش و لا- يموت أياما كثيره، كلّما أفاق أعلم الناس بفنون من علم الغيب و حدّثهم بما رأى من الأنفس و الصور و الملائكه، و أعطاهم فى ذلك البراهين، و أخبر جماعه من أهل بيته بعمر واحد واحد منهم، فلمّا امتحن كلّ ما قال لم يتجاوز أحد منهم المقدار الّذى حدّه له من العمر، و أخبر أنّ خسفا يكون فى بلاد الأوس بعد سنه، و سيل يكون فى موضع آخر بعد سنتين فكان الأمر كما قال.

قال: و ذكر أرسطاطاليس أنّ السبيل فى ذلك أنّ نفسه إنّما علمت ذلك العلم لأنّها كادت أن تفارق البدن، و انفصلت عنه بعض الانفصال فرأت ذلك فكيف لو فارقت البدن على الحقيقه ؟! لكانت قد رأت عجائب من أمر

الملكوت الأعلى.

فقل للباكين ممّن طبعه أن يبكى من الأشياء المخزونه ينبغى أن يبكى و يكثر البكاء على من يهمل نفسه، و ينهك من ارتكاب الشهوات الحقيره الخسيسه الدنيّه المموّهه الّتى تكسبه الشرّه (الشره - خ ل) و تميل بطبعه إلى طبع البهائم و يدع أن يتشاغل بالنظر فى هذا الأمر الشريف و التخلّص إليه، و يطهّر نفسه حسب طاقته، فإنّ الطهر الحقّ هو طهر النفس لا طهر البدن فإنّ العالم الحكيم المبرّز المتعبد لباريه، إذا كان ملطّخ البدن باكماه فهو عند جميع الجهّال، فضلا عن العلماء أفضل و أشرف من الجاهل الملطّخ البدن بالمسك و العنبر.

و من فضيله المتعبّد للّه الذى قد هجر الدّنيا و لذّاتها الدنيّه أنّ الجهّال كلّهم إلّا من سخر منهم بنفسه يعترف بفضله و يجلّه و يفرح أن يطلع منه على الخطاء.

فيا أيها الإنسان الجاهل ألا تعلم أنّ مقامك فى هذا العالم إنما هو كلمحه ثمّ تصير إلى العالم الحقيقى، فتبقى فيه أبد الابدين ؟ انتهى كلام الكندى تغمده اللّه بغفرانه.

(٢) و روى الكلينى أعلى اللّه مقامه فى باب حقيقه الإيمان و اليقين من كتاب الايمان و الكفر من جامعه الكافى (ص ۴۴ ج ٢ من المعرب) باسناده عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله صلّى بالنّاس الصبح فنظر إلى شابّ فى المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه، مصفرّا لونه، قد نحف جسمه، و غارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كيف أصبحت يا فلان ؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقه فما حقيقه يقينك ؟ فقال: إنّ يقينى يا رسول اللّه هو الّذى أحزننى و أسهر ليلى و أظمأ هو اجرى فعزفت نفسى عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قد نصب للحساب و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم، و كأنّى أنظر إلى أهل الجنّه يتنعّمون فى الجنّه و يتعارفون و على الأرائك متكئون، و كأنّى أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّى الان أسمع زفير النار

یدور فی مسامعی، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لأصحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالإیمان ثمّ قال له: ألزم ما أنت علیه، فقال الشاب: ادع اللّه لی یا رسول اللّه أن ارزق الشهاده معک، فدعا له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلم یلبث أن خرج فی بعض غزوات النّبی صلی اللّه علیه و آله فاستشهد بعد تسعه نفر و کان هو العاشر.

و روی بعده باسناده عن عبد اللّه بن مسکان عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: استقبل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله حارثه بن مالک بن النعمان الأنصاریّ فقال له: کیف أنت یا حارثه بن مالک ؟ فقال: یا رسول اللّه مؤمن حقّا، فقال له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:

لکلّ شیء حقیقه فما حقیقه قولک ؟ فقال: یا رسول اللّه عزفت نفسی عن الدّنیا فأسهرت لیلی و أظمأت هو اجری و کأنّی أنظر إلی عرش ربّی و قد وضع للحساب و کأنّی أنظر إلی أهل الجنّه یتزاورون فی الجنّه، و کأنّی أسمع عواء أهل النار فی النار، فقال له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: عبد نوّر اللّه قلبه، أبصرت فأثبت، فقال: یا رسول اللّه ادع اللّه لی أن یرزقنی الشهاده معک فقال: اللهمّ ارزق حارثه الشهاده، فلم یلبث إلاّ أیاما حتّی بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله سریّه فبعثه فیها فقاتل فقتل تسعه أو ثمانیه ثمّ قتل.

و قال: و فی روایه القاسم بن برید عن أبی بصیر قال: استشهد مع جعفر بن أبی طالب بعد تسعه نفر و کان هو العاشر.

قلت: إنّما قال لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: ادع لی أن ارزق الشهاده معک لما فیها من فضیله سامیه و کفی فیها ما قال عزّ من قائل: «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ »، و أری فی طلبه الشهاده منه صلی اللّه علیه و آله أنّ حفظ الحال أصعب من تحصیله کالمال قال شاعر العجم:

مال را هر کسی بدست آرد رنجش اندر نگاهداشتن است

و تأمّل فی کلام رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله حیث قال له: الزم ما أنت علیه، أو أبصرت فاثبت، أمره بلزوم ما وجده من الإیمان الکامل الّذی نوّر اللّه به قلبه و ثباته علی ذلک، فإنّ للکمالات الحاصله آفات کثیره و المراقبه فی حفظها و عدم زوالها لازمه جدّا لمن تنعّم بها، قال الإمام أبو الحسن موسی بن جعفر علیهما السّلام

لهشام بن الحكم:

يا هشام إنّ اللّه حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ » حين علموا أنّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها و رداها (رواه الكلينى - ره - فى كتاب العقل و الجهل من اصول الكافى الحديث ١٢).

قال الشّيخ العلّامه البهائى قدّس سرّه كما فى سلافه العصر (ص ٢٩٢):

سانحه: قد تهب من عالم القدس نفحه من نفحات الانس على قلوب أصحاب العلائق الدينيّه، و العلائق الدنيويّه، فتقطر بذلك مشام أرواحهم و تجرى روح الحقيقه فى رميم أشباحهم، فيدركون قيح الأنفاس الجسمانيه، و يذعنون بخساسه الانتكاس فى مهاوى القيود الهيولانيه، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد و ينتبهون من نوم الغفله عن البداء و المعاد، لكنّ هذا التنبيه سريع الزوال، و وحى الإضمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبه إلهيه تميط عنهم أدناس عالم الزور و تطهّرهم من أرجاس دار الغرور، ثمّ إنّهم عند زوال تلك النفحه القدسيّه، و انقضاء هاتيك النسمه الإنسيه يعودون إلى الانعكاس فى تلك الأدناس، فيتأسّفون على ذلك الحال الرفيع المنال، و ينادى لسان حالهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال:

تيرى زدى و زخم دل آسوده شد از ان هان اى طبيب خسته دلان مرهم دگر

و بالجمله كأنّ الشاب خاف من زيغ القلب و زوال النعمه فرأى أنّ خروجه من الدّنيا مع ذلك النور الإلهى أفضل و أحبّ إليه من البقاء فيها مع خوف زواله فاستحبّ الأوّل على الثانى، و اللّه تعالى أعلم.

و قد روى ابن الأثير فى اسد الغابه باسناده عن أنس هذه الواقعه و نسبها إلى حارثه أيضا (ص ٣٥٥ ج ١)، و كذا الغزالى فى إحياء العلوم، لكن نسبها العارف الرّومى فى المجلّد الأوّل من المثنوى إلى زيد و الظاهر أنه زيد بن حارثه حيث قال:

گفت پیغمبر صباحی زید را کیف أصبحت ای رفیق با صفا

إلی آخر الأبیات.

و نسبها أبو نعیم الأصفهانی فی حلیه الأولیاء (ص ۲۴۲ ج ۱) إلی معاذ بن جبل و رواها باسناده عن أنس بن مالک أیضا، و نسبها الدیلمی فی الباب السابع و الثلاثین من کتابه إرشاد القلوب إلی سعد بن معاذ و ألفاظهما واحده و الاختلاف یسیر، و فی روایه أبی نعیم أنّ معاذ بن جبل رضی اللّه تعالی عنه دخل علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال: کیف أصبحت یا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمنا باللّه تعالی قال: إنّ لکلّ قول مصداقا و لکلّ حقّ حقیقه فما مصداق ما تقول ؟ قال: یا نبیّ اللّه ما أصبحت صباحا قط إلاّ ظننت أنّی لا أمسی، و ما أمسیت مساء قط إلاّ ظننت أنّی لا أصبح، و لا خطوت خطوه إلاّ ظننت أنّی لا أتبعها اخری، و کأنّی أنظر إلی کلّ امّه جاثیه تدعی إلی کتابها معها نبیّها و اوثانها الّتی کانت تعبد من دون اللّه و کأنّی أنظر إلی عقوبه أهل النار و ثواب أهل الجنّه، قال: عرفت فالزم.

(۳) قال العارف المتنزه المتأله السیّد حیدر الاملی قدّس سرّه فی أوّل کتابه جامع الأسرار و منبع الأنوار: و اللّه ثمّ و اللّه لو صارت أطباق السماوات أوراقا، و أشجار الأرضین أقلاما، و البحور السبعه مع المحیط مدادا، و الجنّ و الإنس و الملک کتّابا لا یمکنهم شرح عشر من عشیر ما شدت من المعارف الإلهیه و الحقائق الربانیه، الموصوفه فی الحدیث القدسیّ «أعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر»، المذکوره فی القرآن: فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرّه أعین جزاء بما کانوا یعملون.

و لا یتیسّر لهم بیان جزء من أجزاء ما عرفت من الأسرار الجبروتیّه و الغوامض الملکوتیّه المعبّر عنها فی القرآن بما لم یعلم لقوله تعالی: «اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ » المومی إلیها أیضا بتعلیم الرّحمن، لقوله تعالی «اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَیانَ » المسمّاه بکلمات اللّه الّتی لا تبید و لا تنفد لقوله تعالی «قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً »

و لقوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

(۴) و فی سلافه العصر فی محاسن الشعراء بکل مصر (ص ۴۷۹) تألیف العلّامه السیّد علیّ صدر الدین المدنی صاحب ریاض السالکین فی شرح صحیفه سیّد الساجدین، و شرح الفوائد الصمدیه فی النحو، و الدرجات الرفیعه فی طبقات الشیعه و غیرها تبلغ إلی ثمانیه عشر مؤلفا فی فنون متنوّعه: الأمیر محمّد باقر بن محمّد الشهیر بالداماد الحسنی - إلی أن قال صاحب السلافه فی ترجمته قدّس سرّه:

و من غریب رسائله رسالته الخلیعه و هی ممّا یدلّ علی تألّه سریرته، و تقدّس سیرته، و صورتها:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد کلّه للّه رب العالمین، و صلاته علی سیّدنا محمّد و آله الطاهرین، کنت ذات یوم من أیّام شهرنا هذا و قد کان یوم الجمعه سادس عشر شهر رسول اللّه شعبان المکرّم لعام ثلاث و عشرین و ألف من هجرته المقدّسه فی بعض خلواتی أذکر ربّی فی تضاعیف أذکاری و أورادی باسمه الغنی فاکرّر یا غنی یا مغنی مشددها بذلک عن کلّ شیء إلّا عن التوغل فی حریم سرّه و الانمحاء فی شعاع نوره و کأنّ خاطفه قدسیّه قد ابتدرت إلیّ ، فاجتذبتنی من الوکر الجثمانی ففککت حلق شبکه الحسّ ، و حللت عقد حباله الطبیعه و أخذت أطیر بجناح الروح فی وسط ملکوت الحقیقه، و کأنّی قد خلعت بدنی و رفضت عدنی، و مقوت خلدی، و نضوت جسدی، و طویت اقلیم الزمان، و صرت إلی عالم الدهر فإذا أنا بمصر الوجود بجماجم امم النظام الجملی من الابداعیات و التکوینیّات و الإلهیات و الطبیعیّات و القدسیات و الهیولانیات و الدهریات و الزمنیات و أقوام الکفر و الإیمان، و أرهاط الجاهلیه و الإسلام من الدارجین و الدارجات و الغابرین و الغابرات، و السالفین و السالفات، و العاقبین و العاقبات، فی الازال و الاباد، و بالجمله آحاد مجامع الإمکان و دارات عوالم الإمکان بقضّها و قضیضها و صغیرها و کبیرها باثباتها و بابدائها حالیاتها و آتیاتها و إذا الجمیع زفه زفه و زمره

زمره یجذبهم قاطبه معاملون، وجوه ماهیاتهم شطر بابه سبحانه شاخصون، بابصار نیّاتهم تلقاء جنابه جلّ سلطانه من حیث لا یعلمون، و هم جمیعا بألسنه فقر ذواتهم الفاخره، و ألسن فاقه هو یأتهم الهالکه فی صحیح الضراعه و صراخ الابتهال ذاکروه و داعوه و مستصرخوه و منادوه بیاغنی یا مغنی من حیث هم لا یشعرون فطفقت فی تلک الضجّه العقلیّه، و الصرخه الغیبیّه أخرّ مغشیا علیّ ، و کدت من شدّه الوله و الدهش أنسی جوهر ذات العاقله و أغیب عن بصر نفسی المجرده و اهاجر ساهره أرض الکون و أخرج من صقع قطر الوجود رأسا إذ قد ودعتنی تلک الخلسه الخالسه حینا حیونا إلیها، و خطفتنی تلک الخطفه الخاطفه تائقا لهوفا علیها فرجعت إلی أرض التیار، و کوره البوار، و بقعه الزور، و قریه الغرور تاره اخری.

هذا منتهی الرساله المذکوره.

(۵) قال صدر المتألّهین قدّس سرّه فی آخر الثانی من العاشر من رابع الأسفار: إنّی أعلم من المشتغلین بهذه الصناعه من کان رسوخه بحیث یعلم من أحوال الوجود امورا یقصر الأفهام الذکیه عن إدراکها، و لم یوجد مثلها فی زبر المتقدّمین و المتأخرین من الحکماء، و العلماء، للّه الحمد و له الشکر.

و لا یخفی علی العارف بأسالیب الکلمات أنه أراد بقوله هذا نفسه الشریفه و قال المتألّه السبزواری رضوان اللّه علیه: و الحقّ معه، و تحقیقاته الأنیقه أعدل شاهد علی ما أفاده، شکر اللّه مساعیه.

(۶) قال الشیخ الرئیس فی آخر السابعه من ثامن طبیعیات الشفاء (ص ۴۱۷ ج ۱): حکی لی رجل بیابان دهستان یخدّر نفسه و نفخه الحیات و الأفاعی الّتی بها و هی قتّاله جدّا و الحیّات لا تنکأ فیه باللسع و لا تلسعه اختیارا ما لم یقسرها علیه، فإن لسعته حیه ماتت، و حکی أنّ تنینا عظیما لسعته فماتت و عرض له حمّی یوم، ثمّ إنّی لما حصلت ببیابان دهستان طلبته فلم یعش و خلف ولدا أعظم خاصیّه فی هذا الباب منه، فرأیت منه عجائب نسیت أکثرها و کان من جملتها أنّ الأفاعی تصد عن عزّه و یحتد عن نفسه و یخدّر فی یده، انتهی.

و هذه الأحوال الّتی سمعتها نزر یسیر ممّا رأینا فی الکتب المعتبره من العجائب الصادره عن النفس الناطقه الإنسانیّه، علی أنّ هؤلاء العظام ممّن لم یبلغوا رتبه النّبوه و الإمامه بل جلّهم لو لا الکلّ اقتبسوا من مشکاه نبیّ أو وصیّ نبیّ فما ظنّک بالفائز إلی الخلافه الالهیّه من الأنبیاء و الأوصیاء صلوات اللّه علیهم أجمعین.

فلنأت بعدّه امور من مواعظ اللّه سبحانه و مواعظ رسوله و أهل بیته ممّا لا محیص عنها للسائر إلی اللّه تعالی فنقول:

۱ - القرآن الکریم صوره الإنسان الکامل الکتبیّه، أعنی أنّه صوره الحقیقه المحمّدیه صلی اللّه علیه و آله إنّ هذا القرآن یهدی للّتی هی أقوم، لقد کان لکم فی رسول اللّه اسوه حسنه، فبقدر ما قربت منه قربت من الإنسان الکامل، فانظر إلی حظک منه فإنّ حقائق آیاته درجات ذاتک و مدارج عروجک، و من وصیّه إمام الثقلین أبی الحسنین علیّ علیه السّلام لابنه محمّد ابن الحنفیّه رضی اللّه عنه کما رواه صدوق الطائفه المحقه فی الفقیه (الوافی ص ۶۴ ج ۱۴):

و علیک بتلاوه (بقراءه - خ) القرآن و العمل به و لزوم فرائضه و شرائعه و حلاله و حرامه و أمره و نهیه و التهجّد به و تلاوته فی لیلک و نهارک فإنّه عهد من اللّه تعالی إلی خلقه فهو واجب علی کلّ مسلم أن ینظر فی کلّ یوم فی عهده و لو خمسین آیه، و اعلم أنّ درجات الجنّه علی عدد آیات القرآن فإذا کان یوم القیامه یقال لقارئ القرآن: اقرء و ارق، فلا یکون فی الجنّه بعد النبیّین و الصدیقین أرفع درجه منه.

و انظر بنور العقل و العلم إلی ما أفاضه ولیّ اللّه الأعظم فی کلامه هذا فإنّ محاسنه و لطائفه فوق أن یحوم حولها العباره.

و قد روی علم الهدی الشریف المرتضی فی الغرر و الدرر عن نافع عن أبی إسحاق الهجریّ عن أبی الأحوص عن عبد اللّه بن مسعود عن سیّد البشر صلی اللّه علیه و آله انه قال: إنّ هذا القرآن مأدبه اللّه، فتعلّموا مأدبته ما استطعتم، و إنّ أصفر البیوت

لجوف أصفر من كتاب اللّه تعالى (المجلس ۲۶ منه، ص ۳۵۴ ج ۱ من طبع مصر) قلت: تعبير القرآن بمأدبه اللّه تدرك حلاوته و لا توصف قال الشريف علم الهدى:

المأدبه فى كلام العرب هى الطعام يصنعه الرّجل و يدعو النّاس إليه فشبّه النّبى صلى اللّه عليه و آله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن و نفعه و عائدته عليه إذا قرأه و حفظ بما يناله المدعوّ من طعام الداعى و انتفاعه به، يقال: قد أدب الرّجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه، و يقال للمأدبه: المدعاه، و ذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا مأدبه بفتح الدال، و قد روى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبه» و قال الأحمر: المراد بهذه اللفظه مع الفتح هو المراد بها مع الضم.

و قال غيره: المأدبه بفتح الدال مفعله من الأدب، معناه أنّ اللّه تعالى أنزل القرآن أدبا للخلق و تقويما لهم و إنما دخلت الهاء فى مأدبه و مأدبه و القرآن مذكر لمعنى المبالغه كما قالوا هذا شراب مطيبه للنفس. و كما قال عنتره: و الكفر مخبثه لنفس المنعم، انتهى ما أردنا من نقل كلامه قدّس سرّه.

فيا إخوان الصفاء هلمّوا إلى مأدبه إلهيه فيها ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين و إلى مأدبه ليس وراءها أدب و مؤدّب و ما ذا بعد الحقّ إلّا الضّلال.

و فى فلاح السائل للسيّد الأجل ابن طاوس قدّس سرّه: فقد روى أنّ مولانا الصّادق عليه السّلام كان يتلو القرآن فى صلاه فغشى عليه فلمّا أفاق سئل ما الّذى أوجب ما انتهت حالك إليه ؟ فقال عليه السّلام ما معناه: ما زلت اكرّر آيات القرآن حتّى بلغت إلى حال كأنّنى سمعتها مشافهه ممّن أنزلها على المكاشفه و العيان، فلم تقم القوّه البشريه بمكاشفه الجلاله الالهيّه.

و اعلم أنّ القرآن محيط لا نفاد له كيف لا و هو مجلى الفيض الإلهى و قد تقدّم فى الرساله عن الامامين الأوّل و السادس عليهما السّلام أنّ اللّه عزّ و جلّ تجلّى لخلقه فى كلامه و لكن لا يبصرون. قال الطريحى رحمه اللّه عليه فى مادّه جمع من مجمع البحرين: و فى الحديث اعطيت جوامع الكلم، يريد به القرآن الكريم لأنّ اللّه جمع بألفاظه اليسيره المعانى الكثيره حتّى روى عنه أنّه قال: ما من حرف

من حروف القرآن إلاّ و له سبعون ألف معنى، انتهى.

و قلت: إذا كان شكل واحد هندسى يعرف عند أهله بالشكل القطّاع يفيد «۴۹۷۶۶۴» أحكام هندسيّه كما برهن فى محلّه فلا بعد أن يكون لكلّ حرف من القرآن سبعون ألف معنى. و يطلب الكلام فى القطّاع فى رسالتنا المعموله فى معرفه الوقت و القبله.

يا عباد الرّحمن! هذه آيات آخر الفرقان من القرآن الفرقان لا تلكها بين فكّيك بل تدبّر فيها حقّ التدبّر فانّ كلّ آيه منها دستور برأسه من عمل به فاز و نجا.

«وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّهِ مَتاباً وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّهَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَهَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّهً وَ سَلاماً خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً ».

۲ - روى الديلمى رضوان اللّه عليه فى الموضعين من كتابه إرشاد القلوب أحدهما فى أواخر الباب الثالث عشر، و ثانيهما فى أواخر الباب العشرين عن النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: قال اللّه تعالى: من أحدث و لم يتوضّأ فقد جفانى، و من أحدث و توضّأ و لم يصلّ ركعتين فقد جفانى، و من صلّى ركعتين و لم يدعنى فقد جفانى و من أحدث و توضّأ و صلّى ركعتين و دعانى فلم أجبه فيما يسأل من أمر دينه و دنياه

فقد جفوته و لست بربّ جاف.

و اعلم يا حبيبى أنّ الوضوء نور و الدوام على الطهاره سبب لارتقائك إلى عالم القدس. و هذا الدّستور العظيم النفع مجرّب عند أهله جدّا فعليك بالمواظبه عليها ثمّ عليك بعلوّ الهمّه و كبر النفس فاذا صليت الركعتين فلا تسأله تبارك و تعالى إلّا ما لا يبيد و لا ينفد و لا يفنى فلا تطلب منه إلّا إيّاه و ليكن لسان حالك هكذا:

ما از تو نداريم بغير از تو تمنّا حلوا بكسى ده كه محبّت نچشيده است

فإنّ من ذاق حلاوه محبّته تعالى يجد دونها تفها، على أنّ ما يطلب ممّا سواه كلّ واحد منها مظهر اسم من أسمائه فاذا وجد الأصل كانت فروعه حاضره عنده، و قلت فى أبيات:

چرا زاهد اندر هواى بهشت است چرا بيخبر از بهشت آفرين است ؟!

و قال العارف المتألّه صدر الدين الدزفولى قدّس سرّه:

خدايا زاهد از تو حور مى خواهد قصورش بين بجنّت مى گريزد از درت يا رب شعورش بين

فاذا صلّيت فقل ساجدا: اللهمّ ارزقنى حلاوه ذكرك و لقاءك، و الحضور عندك و نحوها.

٣ - قال عزّ من قائل: «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (الأعراف: ٣٢) و اعلم حبيبى أنّ فضول الطعام يميت القلب بلا كلام، و يفضى إلى جموح النفس و طغيانها، و الجوع من أجلّ خصال المؤمن و نعم ما قال يحيى بن معاذ: لو تشفعت بملائكه سبع سماوات، و بمائه ألف و أربعه و عشرين ألف نبىّ و بكلّ كتاب و حكمه و ولىّ على أن تصالحك النفس فى ترك الدنيا و الدخول تحت الطاعه لم تجبك، و لو تشفعت إليها بالجوع لأجابتك و انقادت لك، نقل قوله هذا أبو طالب المكىّ فى علم القلوب ص ٢١٥ من طبع مصر.

فى الكافى عن الإمام الصّادق عليه السّلام: إنّ البطن ليطغى من أكله، أقرب ما يكون العبد من ربّه عزّ و جلّ إذا خفّ بطنه، و أبغض ما يكون العبد إلى اللّه عزّ و جلّ إذا امتلأ بطنه.

۴ – إيّاک و فضول الكلام فقد روى شيخ الطائفه الناجيه فى أماليه بإسناد عن عبد اللّه بن دينار عن أبى عمر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تكثروا الكلام بغير ذكر اللّه فإنّ كثره الكلام بغير ذكر اللّه قسو القلب إنّ أبعد النّاس من اللّه القلب القاسى، و قد جعله الشّيخ قدّس سرّه الخبر الأوّل من كتابه الأمالى فلا بدّ فى عمله هذا من عنايه خاصّه فى ذلک، و قد رواه الكلينى رضوان اللّه عليه فى باب الصمت و حفظ اللسان من اصول الكافى (ص ۹۴ ج ۲ من المعرب) باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان المسيح عليه السّلام يقول: لا تكثروا – إلى آخر الخبر.

۵ – و عليک بالمحاسبه، ففى باب محاسبه العمل من اصول الكافى (ص ۳۲۸ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن أبى الحسن الماضى صلوات اللّه عليه – يعنى الإمام الكاظم عليه السّلام – قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم، فإن عمل حسنا استزاد اللّه، و إن عمل سيّئا استغفر اللّه منه و تاب إليه.

و فى الفصل الخامس من الباب الثانى من مكارم الأخلاق فى وصيّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأبى ذر الغفارى رحمه اللّه عليه: يا أبا ذر لا يكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبه الشريک شريكه، فيعلم من أين مطعمه و من أين مشربه و من أين ملبسه أمن حلّ ذلک أم من حرام.

۶ – و المراقبه للّه تعالى، و هى العمده فى الباب، و هى مفتاح كلّ سعاده و مجلبه كلّ خير و هى خروج العبد عن حوله و قوّته مراقبا لمواهب الحق و متعرّضا لنفحات ألطافه و معرضا عمّا سواه، و مستغرقا فى بحر هواه و مشتاقا إلى لقائه، و إليه قلبه يحنّ ولديه روحه يئنّ و به يستعين عليه و منه يستعين إليه حتّى يفتح اللّه له باب رحمه لا ممسک لها و يغلق عليه باب عذاب لا مفتّح له بنور ساطع من رحمه اللّه تعالى على النفس به يزول عنها فى لحظه ما لا يزول بثلاثين سنه بالمجاهدات و الرياضات، يبدّل اللّه سيّئاتهم حسنات، للّذين أحسنوا الحسنى و زياده و الزياده حسنات ألطاف الحق، و ذلک فضل اللّه يؤتيه ما يشاء.

گدائى گردد از يک جذبه شاهى به يک لحظه دهد كوهى بكاهى

فعليك بالمراقبه، و عليك بالمراقبه، و عليك بالمراقبه، ففى الباب التاسع و الثلاثين من إرشاد القلوب للديلمى رضوان اللّه عليه: قال اللّه تعالى: «وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ رَقِيباً »، و قال النّبى صلى اللّه عليه و آله لبعض أصحابه: اعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك، و هذا إشاره إلى المراقبه لأنّ المراقبه علم العبد باطلاع الرب عليه فى كلّ حالاته و ملاحظه الإنسان لهذا الحال هو المراقبه، و أعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه أنّ اللّه تعالى عليه رقيب و منه قريب، يعلم أفعاله و يرى حركاته و يسمع أقواله و يطلع على أسراره و أنه ينقلب فى قبضته و ناصيته و قلبه بيده و أنّه لا طاقه له على الستر عنه و لا على الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: يا بنىّ إذا أردت أن تعصى اللّه فاطلب مكانا لا يراك فيه إشاره منه لأنّك لا تجد مكانا لا يراك فيه فلا تعصه و قال تعالى: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ».

و كان بعض العلماء يرفع شابّا على تلاميذه كلّهم فلاموه فى ذلك فأعطى كلّ واحد منهم طيرا و قال: اذبحه فى مكان لا يراك فيه أحد فجاءوا كلّهم بطيورهم و قد ذبحوها فجاء الشاب بطيره و هو غير مذبوح، فقال له: لم لم تذبحه ؟ فقال:

لقولك لا تذبحه إلّا فى موضع لا يراك فيه أحد، و لا يكون مكان إلّا يرانى الواحد الأحد الفرد الصمد، فقال له: أحسنت ثمّ قال لهم: لهذا رفعته عليكم و ميزته منكم.

و من علامات المراقبه إيثار ما آثر اللّه و تعظيم ما أعظم اللّه و تصغير ما صغّر اللّه فالرجاء يحثّك على الطاعات و الخوف يبعد عن المعاصى، و المراقبه تؤدّى إلى طريق الحياء و تحمل على ملازمه الحقائق و المحاسبه على الدقائق، و أفضل الطاعات مراقبه الحقّ سبحانه و تعالى على دوام الأوقات.

و من سعاده المرء أن يلزم نفسه المحاسبه و المراقبه و سياسيه نفسه باطّلاع اللّه و مشاهدته لها، و أنّها لا تغيب عن نظره و لا تخرج عن علمه، انتهى كلامه قدّس سرّه.

قلت: و من آداب المراقب أن يراقب أعمال الأوقات من الشهور و الأيّام بل الساعات بل يواظب أن لا يهمل الانات و يكون على الدوام متعرضا لنفحات انسه

و نسائم قدسه كما قال صلّى اللّه عليه و آله: إنّ لربّكم فى أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها و لا تعرضوا عنها، و للعلم الايه المرزا جواد آقا الملكى التبريزى قدّس سرّه الشريف كتاب فى مراقبات أعمال السنه و هو من أحسن ما صنع فى هذا الأمر فعليك بالكتاب.

و فى خاتمه إرشاد القلوب فيما سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ربّه ليله المعراج: يا أحمد هل تدرى أىّ عيش أهنى و أىّ حياه أبقى ؟ قال: اللهمّ لا قال: أمّا العيش الهنئ فهو الّذى لا يفتر صاحبه عن ذكرى و لا ينسى نعمتى و لا يجهل حقّى يطلب رضاى ليله و نهاره.

و أمّا الحياه الباقيه فهى الّتى يعمل لنفسه حتّى تهون عليه الدّنيا، و تصغر فى عينيه، و تعظم الاخره عنده، و يؤثر هواى على هواه، و يبتغى مرضاتى، و يعظم حقّ عظمتى، و يذكر علمى به و يراقبنى بالليل و النهار كلّ سيئه و معصيه، و ينفى قلبه عن كلّ ما أكره، و يبغض الشيطان و وساوسه، و لا يجعل لإبليس على قلبه سلطانا و سبيلا، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبّا حتّى أجعل قلبه لى و فراغه و اشتغاله و همّه و حديثه من النعمه الّتى أنعمت بها على أهل محبّتى من خلقى، و أفتح عين قلبه و سمعه حتّى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى و أضيق عليه الدّنيا، و أبغض إليه ما فيها من اللّذات، و أحذره من الدّنيا و ما فيها كما يحذر الراعى غنمه من مراتع الهلكه، فإذا كان هكذا يفرّ من النّاس فرارا و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء و من دار الشيطان إلى دار الرحمن، يا أحمد لازيّنه بالهيبه و العظمه فهذا هو العيش الهنئ و الحياه الباقيه، و هذا مقام الراضين.

فمن عمل برضاى الزمه ثلاث خصال: أعرفه شكرا لا يخالطه الجهل، و ذكرا لا يخالطه النسيان، و محبّه لا يؤثر على محبّتى محبّه المخلوقين، فإذا أحبّنى أحببته و أفتح عين قلبه إلى جلالى فلا أخفى عليه خاصّه خلقى، فاناجيه فى ظلم اللّيل و نور النهار حتّى ينقطع حديثه من المخلوقين و مجالستهم معهم، و اسمعه كلامه و كلام ملائكتى، و اعرّفه السرّ الّذى سترته عن خلقى و البسه الحياء حتّى

یستحیی منه الخلق کلّهم، و یمشی علی الأرض مغفورا له، و اجعل قلبه واعیا و بصیرا و لا یخفی علیه شیء من جنّه و لا نار، و اعرّفه بما یمرّ علی الناس فی یوم القیامه من الهول و الشدّه و ما احاسب به الأغنیاء و الفقراء و الجهّال و العلماء و انوّر فی قبره، و انزل علیه منکرا و نکیرا حتّی یسألاه و لا یری غمّ الموت و ظلمه القبر و اللحد و هول المطّلع حتّی أنصب له میزانه و انشر له دیوانه ثمّ أضع کتابه فی یمینه فیقرأه منشورا ثمّ لا أجعل بینی و بینه ترجمانا، فهذه صفات المحبّین، الحدیث.

فتأمّل یا مرید الطریق إلی اللّه تعالی فی قوله عزّ و جلّ لحبیبه خاتم النبیین من الجوائز الکریمه الّتی أعدّها للمراقبین و الراضین و المحبّین و من تلک المواهب الجزیله و العطایا النفیسه العزیزه الیتیمه الثمینه فتح عین القلب و قد ذکرها لعظم شرفها و علوّ رتبتها مرّتین.

و نظیر تلک المنح السنیّه ما وعد عباده فی النوافل و الفرائض من القرب حیث قال تعالی: و ما یتقرّب إلیّ عبدی بشیء أحبّ ممّا افترضت علیه، و إنه لیتقرّب إلیّ بالنوافل حتّی احبّه فإذا أحببته کنت سمعه الّذی یسمع به و بصره الّذی یبصر به، و لسانه الّذی ینطق به، و یده الّذی یبطش بها، إن دعانی أجبته، و إن سألنی أعطیته.

نقله العلاّمه الشّیخ البهائی فی کتاب الأربعین، و هو الحدیث الخامس و الثلاثون منه، بإسناده عن أبان بن تغلب عن الإمام جعفر بن محمّد بن علیّ الباقر علیه السّلام قال: لما أسری بالنّبی صلی اللّه علیه و آله قال: یا ربّ ما حال المؤمن عندک ؟ قال: یا محمّد - إلی قوله: و ما یتقرّب إلیّ عبدی - إلخ و قال - قده -: و هذا الحدیث صحیح السند و هو من الأحادیث المشهوره بین الخاصّه و العامّه و قد رووه فی صحاحهم بأدنی تغییر، فراجع إلیه.

و قد رواه ثقه الإسلام الکلینی قدّس سرّه فی باب من أذی المسلمین و احتقرهم من أبواب الإیمان و الکفر (ص ۲۶۳ ج ۲ من المعرب) بطریقین، و روی فیه

حدیثا ثالثا یقرب منهما معنی، هذا قرب النوافل الّذی یدور فی ألسنه القوم أی القرب الّذی یحصل للعبد من النوافل، و أما قرب الفرائض فقال عزّ و جلّ ما یتقرّب إلیّ عبدی بشیء أحبّ إلیّ ممّا افترضته علیه و ما زال یتقرّب إلیّ عبدی بالفرائض حتّی إذا ما احبّه و إذا أحببته کان سمعی الّذی أسمع به، و بصری الّذی أبصر به، و یدی الّذی أبطش بها.

فانظر إلی تفاوه القربین ففی الأوّل کان اللّه سمع العبد و بصره و لسانه و یده، و فی الثانی کان العبد سمع اللّه تعالی و بصره و یده، فالواجبات أکثر ثوابا و أعلی مرتبه من المندوبات بتلک النسبه بین القربین.

قال العلاّمه المحقّق نصیر الدین محمّد الطوسی قدّس اللّه سرّه: العارف إذا انقطع عن نفسه و اتّصل بالحقّ رأی کلّ قدره مستغرقه فی قدرته المتعلقه بجمیع المقدورات، و کلّ علم مستغرقا فی علمه الذی لا یعزب عنه شیء من الموجودات و کلّ إراده مستغرقه فی إرادته الّتی لا یتأبّی عنها شیء من الممکنات، بل کلّ وجود و کلّ کمال وجود فهو صادر عنه، فائض من لدنه فصار الحق حینئذ بصره الّذی به یبصر، و سمعه الّذی به یسمع، و قدرته الّتی بها یفعل، و علمه الّذی به یعلم، و وجوده الّذی به یوجد فصار العارف حینئذ متخلقا بأخلاق اللّه بالحقیقه.

نقلنا کلامه من الرابعه من الرابعه من قرّه العیون للفیض رضوان اللّه علیه و فی الثالثه من السابعه من ذلک الکتاب:

قال بعض العارفین إذا تجلّی اللّه سبحانه بذاته لأحد یری کلّ الذوات و الصفات و الأفعال متلاشیه فی أشعّه ذاته و صفاته و أفعاله یجد نفسه مع جمیع المخلوقات کأنّها مدبّره لها و هی أعضاؤها لا یلمّ بواحد منها شیء إلاّ و یراه ملما به، و یری ذاته الذات الواحده و صفته صفتها و فعله فعلها لاستهلاکه بالکلیّه فی عین التوحید، و لمّا انجذب بصیره الروح إلی مشاهده جمال الذات استتر نور العقل الفارق بین الأشیاء فی غلبه نور الذات القدیمه و ارتفع التمیز بین القدم و الحدوث لزهوق الباطل عند مجیء الحقّ ، و یسمّی هذه الحاله جمعا، و لصاحب

الجمع أن يضيف إلى نفسه كلّ أثر ظهر فى الوجود و كلّ صفه و فعل و اسم لانحصار الكلّ عنده فى ذات واحده فتاره يحكى عن هذا و تاره عن حال ذاك و لا نعنى بقولنا قال فلان بلسان الجمع إلّا هذا.

عشق بگرفت مرا از من و بنشست بجای سیّاتم ستدند و حسناتم دادند

ثمّ قال الفيض بعد نقل كلام هذا العارف: و لعلّ هذا هو السرّ فى صدور بعض الكلمات الغريبه من مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبه البيان و غيرها كقوله عليه السّلام:

أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آيه الجبار، أنا حقيقه الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مجرى الأنهار - إلى أن قال عليه السّلام: أنا ذلك النور الّذى اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من فى القبور أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح و منجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى و شافيه أنا أقمت السماوات بأمر ربّى - إلى آخر ما قال من أمثال ذلك صلوات اللّه و سلامه عليه.

و قد أجاد فى المقام العالم العارف الشهير داود بن محمود القيصرى فى الفصل الثامن من مقدّماته على شرح فصوص الحكم فى أنّ العالم هو صوره الحقيقه الإنسانيه بقوله: إنّ الاسم اللّه مشتمل على جميع الأسماء و هو متجلّ فيها بحسب مراتبه فلهذا الاسم الإلهى بالنسبه إلى غيره من الأسماء اعتباران: اعتبار ظهور ذاته فى كلّ واحد من الأسماء، و اعتبار اشتماله عليها كلّها من حيث المرتبه الإلهيه.

فبالأوّل يكون مظاهرها كلّها مظهر هذا الاسم الأعظم لأنّ الظاهر و المظهر فى الوجود شىء واحد لا كثره فيه و لا تعدّد و فى العقل يمتاز كلّ منهما عن الاخر كما يقول أهل النظر بأنّ الوجود عين المهيه فى الخارج و غيره فى العقل فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقه الواحده على أفرادها المتنوّعه.

و بالثانى يكون مشتملا عليها من حيث المرتبه الالهيّه اشتمال الكلّ المجموعى على الأجزاء الّتى هى عينه بالاعتبار الأوّل.

و إذا علمت هذا علمت أنّ حقائق العالم فى العلم و العين كلّها مظاهر للحقيقه الإنسانيه الّتى هى مظهر للإسم اللّه فأرواحها أيضا كلّها جزئيات الروح الأعظم الإنسانى سواء كان روحا فلكيّا أو عنصريا أو حيوانيا و صورها صور تلك الحقيقه و لوازمها لوازمها لذلك يسمى العالم المفصّل بالإنسان الكبير عند أهل اللّه لظهور الحقيقه الانسانيّه و لوازمها فيه، و لهذا الاشتمال و ظهور الأسرار الإلهيّه كلّها فيها دون غيرها استحقّت الخلافه من بين الحقائق كلّها و للّه درّ القائل: سبحان من أظهر ناسوته - إلى آخر البيتين المذكورين آنفا.

فأوّل ظهورها فى صوره العقل الأوّل الّذى هو صوره إجماليه للمرتبه العمائيّه المشار إليها فى الحديث الصحيح عند سؤال الأعرابى أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال عليه السّلام: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء، لذلك قال عليه السّلام:

أوّل ما خلق اللّه نورى، و أراد العقل كما أيّده بقوله: أوّل ما خلق اللّه العقل ثمّ فى صوره باقى العقول و النفوس الناطقه الفلكيه و غيرها، و فى صوره الطبيعه و الهيوا الكلّيّه و الصوره الجسميّه البسيطه و المركّبه بأجمعها.

و يؤيّد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين وليّ اللّه فى الأرضين قطب الموحّدين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فى خطبه كان يخطبها للنّاس: أنا نقطه باءبسم اللّه، أنا جنب اللّه الّذى فرطتم فيه، و أنا القلم، و أنا اللّوح المحفوظ ، و أنا العرش، و أنا الكرسى، و أنا السماوات السّبع و الأرضون، إلى أن صحافى أثناء الخطبه و ارتفع عنه حكم تجلّى الوحده و رجع إلى عالم البشريّه، و تجلّى له الحقّ بحكم الكثره فشرع معتذرا فأقرّ بعبوديّته و ضعفه و انقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهيّه.

و لذلك قيل: الانسان الكامل لا بدّ أن يسرى فى جميع الموجودات كسريان الحق فيها، و ذلك فى السفر الثالث الّذى من الحق إلى الخلق بالحق، و عند هذا السفر يتمّ كماله و به يحصل له حق اليقين.

و من ههنا يتبين أنّ الاخريّه هى عين الأوّليّه، و يظهر سرّ هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شىء عليم.

قال الشّيخ رضى اللّه عنه فى فتوحاته فى بيان المقام القطبى: إنّ الكامل الّذى أراد اللّه أن يكون قطب العالم و خليفه اللّه فيه إذا وصل إلى العناصر مثلا متنزلا فى السفر الثالث ينبغى أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل فى الوجود من الأفراد الإنسانيّه إلى يوم القيامه و بذلك الشهود أيضا لا يستحق المقام حتّى يعلم مراتبهم أيضا فسبحان من دبّر كلّ شىء بحكمته، و أتقن كلّ ما صنع برحمته، انتهى كلام القيصرى.

٧ - الأدب مع اللّه تعالى فى كلّ حال، و قد كان بعض مشايخى و هو العالم المتنزّه المتألّه و الحكيم العارف الموّحد البارع الايه السيّد محمّد حسن القاضى الطباطبائى التبريزى الشهير بالإلهى أعلى اللّه تعالى مقاماته و رفع درجاته و جزاه عنّى خير جزاء المعلّمين كثيرا ما يوصينى فيما يوصى بالمراقبه للّه تعالى، و الأدب معه، و محاسبه النفس لا سيّما بالأولى منها، و لا أنسى نفحات أنفاسه الشريفه و بركات فيوضاته المنيفه.

قال عيسى روح اللّه و كلمته عليه السّلام: لا تقولوا العلم فى السماء من يصعد فيأتى به، و لا فى تخوم الأرض من ينزل فيأتى به، العلم مجهول فى قلوبكم تأدّبوا بين يدى اللّه باداب الروحانيين، و تخلّقوا بأخلاق الصديقين، يظهر من قلوبكم حتّى يعطيكم و يغمركم.

قال الإمام الجواد عليه السّلام كما فى الباب ۴۹ من إرشاد القلوب للديلمى فى الأدب مع اللّه تعالى: ما اجتمع رجلان إلّا كان أفضلهما عند اللّه آدبهما فقيل: يا ابن رسول اللّه قد عرفنا فضله عند الناس فما فضله عند اللّه ؟ فقال بقراءه القرآن كما انزل، و يروى حديثنا كما قلنا، و يدعو اللّه مغرما.

و فى ذلك الباب: قد روى أنّ اللّه تعالى يقول فى بعض كتبه: عبدى أمن الجميل أن تناجينى و تلتفت يمينا و شمالا و يكلّمك عبد مثلك تلتفت إليه و تدعنى ؟ و ترى من أدبك إذا كنت تحدث أخالك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطنى فبئس العبد عبد يكون كذلك.

و فیه أیضا: روی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله خرج إلی غنم له و راعیها عریان یفلی ثیابه فلمّا رآه مقبلا لبسها، فقال النّبی صلی اللّه علیه و آله: امض فلا حاجه لنا فی رعایتک، فقال إنا أهل بیت لا نستخدم من لا یتأدّب مع اللّه و لا یستحیی منه فی خلوته.

و الأدب مع اللّه بالاقتداء بادابه و آداب نبیّه صلی اللّه علیه و آله و أهل بیته علیهم السّلام و هو العمل بطاعته و الحمد للّه علی السرّاء و الضّراء و الصبر علی البلاء و لهذا قال أیوب ربّ إنّی مسّنی الضرّ و أنت أرحم الراحمین، فقد تأدّب هنا من وجهین أحدهما أنه لم یقل انک أمسستنی بالضرّ، و الاخر لم یقل ارحمنی بل عرض تعریضا فقال: و أنت أرحم الراحمین و انما فعل ذلک حفظا لمرتبه الصبر.

و کذا قال إبراهیم علیه السّلام: و إذا مرضت فهو یشفین، و لم یقل إذا مرضتنی حفظا للأدب.

و قال أیوب علیه السّلام فی موضع آخر: إنّی مسّنی الشیطان بنصب و عذاب، أشار بذلک إلی الشیطان لأنّه کان یغری النّاس فیؤذونه و کل ذلک تأدّب منهم مع اللّه تعالی فی مخاطبتهم.

قلت: و تأدّب آدم و زوجه علیهما السّلام بقولهما: ربّنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنکوننّ من الخاسرین، و ترک ابلیس الأدب معه تعالی بقوله: فبما أغویتنی لأقعدنّ لهم صراطک المستقیم.

۸ - و العزله، قال الإمام الصّادق علیه السّلام: صاحب العزله متحصّن بحصن اللّه تعالی و متحرّس بحراسته، فیا طوبی لمن تفرّد به سرا و علانیّه، و فی العزله صیانه الجوارح و فراغ القلب و سلامه العیش و کسر سلاح الشیطان و المجانبه من کلّ سوء و راحه، و ما من نبیّ و لا وصیّ إلّا و اختار العزله فی زمانه إما فی ابتدائه و إما فی انتهائه - نقلناه من مصباح الشریعه.

و فی کشکول العلاّمه البهائی (ص ۱۵۵ من طبع نجم الدوله) عن سفیان الثوری قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد یقول: عزّت السلامه حتّی لقد خفی مطلبها فإن تکن فی شیء فیوشک أن تکون فی الخمول، فإن لم توجد فی الخمول

فیوشک أن تکون فی التخلّی و لیس کالخمول، و إن لم تکن فی التخلّی فیوشک أن تکون فی الصمت و لیس کالتخلّی، و إن لم توجد فی الصمت فیوشک أن یکون فی کلام السلف الصالح، و السعید من وجد فی نفسه خلوه.

و تأمّل فی قوله تعالی: «وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا » (مریم ۱۸)، و العزله هی الخروج عن مخالطه الخلق بالانزواء و الإنقطاع و أصلها عزل الحواس بالخلوه عن التصرف فی المحسوسات فإنّ کلّ آفه و فتنه و بلاء ابتلی الروح بها دخلت فیه بروازن الحواس فبالخلوه و عزل الحواس ینقطع مدد النفس عن الدنیا و الشیطان و إعانه الهوی و الشیطان.

۹ - و التهجّد، قال اللّه تعالی: «وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً » (الأسراء ۸۱)، و قال تعالی: «إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنّاتٍ وَ عُیُونٍ آخِذِینَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُحْسِنِینَ کانُوا قَلِیلًا مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعُونَ وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ » (الذاریات ۱۸)، و قال تعالی: «یا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّیْلَ إِلاّ قَلِیلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلًا أَوْ زِدْ عَلَیْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا إِنّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا إِنَّ ناشِئَهَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلًا إِنَّ لَکَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِیلًا وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ وَ تَبَتَّلْ إِلَیْهِ تَبْتِیلًا »، و قال تعالی: «وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ بُکْرَهً وَ أَصِیلًا وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلًا طَوِیلًا إِنَّ هؤُلاءِ یُحِبُّونَ الْعاجِلَهَ وَ یَذَرُونَ وَراءَهُمْ یَوْماً ثَقِیلًا » (الانسان ۲۸).

و روی الشّیخ الصدوق قدّس سرّه فی باب معنی التوحید و العدل من کتاب التوحید (ص ۸۴) عن سلمان الفارسی رحمه اللّه تعالی انّه أتاه رجل فقال: یا أبا عبد اللّه إنّی لا أقوی علی الصلاه باللیل، فقال: لا تعص اللّه بالنهار، و فیه أیضا: جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی قد حرمت الصلاه باللیل، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: أنت رجل قد قیدتک ذنوبک.

و روى الكلينى - قده - فى باب الذنوب من كتاب الايمان و الكفر (ص ۲۹۰ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن ابن بكير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاه الليل و إنّ العمل السيئ أسرع فى صاحبه من السكين فى اللحم.

روى الشّيخ الصدوق رضوان اللّه عليه فى الأمالى بإسناده عن المفضل قال:

سمعت مولاى الصّادق عليه السّلام يقول: كان فيما ناجى اللّه عزّ و جلّ به موسى بن عمران أن قال له: يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبّنى فاذا جنّه الليل نام عنّى أليس كلّ محبّ يحبّ خلوه حبيبه ؟ ها أنا ذايا ابن عمران مطّلع على أحبّائى إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، و مثّلت عقوبتى بين أعينهم يخاطبونى عن المشاهده و يكلّمونى عن الحضور، يا ابن عمران هب لى من قلبك الخشوع و من بدنك الخضوع، و من عينيك (عينك - خ ل) الدّموع فى ظلم الليل و ادعنى فإنك تجدنى قريبا مجيبا.

۱۰ - و التفكّر، قال تعالى: «اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ » (آل عمران: ۱۹۲)، و روى الكلينى فى الكافى (ج ۲ ص ۴۵ من المعرب) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أفضل العباده إدمان التفكّر فى اللّه و فى قدرته، و روى عن معمّر بن خلّاد قال: سمعت الرضا عليه السّلام يقول: ليس العباده كثره الصلاه و الصوم، إنما العباده التفكّر فى أمر اللّه عزّ و جلّ ، و روى عن ربعى قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: إنّ التفكّر يدعو إلى البرّ و العمل به.

و روى العلّامه البهائى فى الحديث الثانى من كتابه الأربعين باسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: من عرف اللّه و عظّمه منع فاه من الكلام، و بطنه من الطعام، و عنى نفسه بالصيام و القيام، قالوا: بابائنا و امّهاتنا يا رسول اللّه هؤلاء أولياء اللّه ؟ قال: إنّ أولياء اللّه سكتوا فكان سكوتهم فكرا و تكلّموا فكان كلامهم ذكرا، و نظروا فكان نظرهم عبره، و نطقوا فكان نطقهم حكمه، و مشوا فكان مشيهم بين الناس بركه، لو لا الاجال الّتى قد كتبت عليهم لم

تستقرّ أرواحهم فی أجسادهم خوفا من العذاب و شوقا إلی الثواب، و رواه ثقه الإسلام الکلینی فی الکافی بأدنی تفاوت (الحدیث ۲۵ من باب المؤمن و علاماته و صفاته من کتاب الإیمان و الکفر: ص ۱۸۶ ج ۲).

۱۱ - و ذکر اللّه تعالی فی کل حال قلبا و لسانا قال تعالی: «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ » (آخر الأعراف).

و روی عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: ارتعوا فی ریاض الجنّه، فقالوا: و ما ریاض الجنّه ؟ فقال: الذکر غدوّا و رواحا فاذکروا، و من کان یحبّ أن یعلم منزلته عند اللّه فلینظر کیف منزله اللّه عنده فانّ اللّه تعالی ینزل العبد حیث أنزل اللّه العبد من نفسه، ألا- إنّ خیر أعمالکم و أزکاها عند ملیککم و أرفعها عند ربّکم فی درجاتکم و خیر ما طلعت علیه الشمس ذکر اللّه سبحانه و تعالی أخبر عن نفسه فقال: أنا جلیس من ذکرنی، و أیّ منزله أرفع من منزله جلیس اللّه تعالی. (الباب الثالث عشر من إرشاد القلوب للدیلمی).

و فی کتاب الدّعاء من الکافی: فیما ناجی اللّه تعالی به موسی علیه السّلام قال:

یا موسی لا تنسنی علی کلّ حال فإنّ نسیانی یمیت القلب (ص ۳۶۱ ج ۲).

و فیه أیضا قال اللّه عزّ و جلّ لعیسی علیه السّلام: یا عیسی اذکرنی فی نفسک أذکرک فی نفسی و اذکرنی فی ملإک [ملئی - خ ل] اذکرک فی ملإ خیر من ملإ الادمیّین یا عیسی ألن لی قلبک و أکثر ذکری فی الخلوات، و اعلم أنّ سروری أن تبصبص إلیّ و کن فی ذلک حیّا و لا تکن میّتا. (ص ۳۶۴ ج ۲).

و فی الباب الأوّل من توحید الصّدوق رحمه اللّه علیه: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله ما قلت و لا قال القائلون قبلی مثل لا إله إلاّ اللّه.

و فیه أیضا قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: خیر العباده قول لا إله إلاّ اللّه.

و فیه أیضا قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: قول لا إله إلاّ اللّه ثمن الجنّه.

و فيه أيضا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يقول اللّه جلّ جلاله: لا إله إلاّ اللّه حصنى فمن دخله أمن من عذابى.

و فيه أيضا عن زيد بن أرقم عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله، و كذا بإسناده عن محمّد بن حمران، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: من قال لا إله إلاّ اللّه مخلصا دخل الجنّه و إخلاصه أن يحجزه لا إله إلاّ اللّه عمّا حرّم اللّه عزّ و جلّ .

و الذكر هو الخروج عن ذكر ما سوى اللّه بالنسيان عن غيره، و كلمه لا- إله إلاّ- اللّه ذكر معجون مركّب من النفى و الإثبات فبالنفى تزول المواده الفاسده الّتى يتولّد منها مرض القلب و قيود الروح، و باثبات إلاّ- اللّه تحصل صحّه القلب و سلامته عن الرذائل من الأخلاق.

١٢ - و الرياضه فى طريقى العلم و العمل على النهج الّذى قرّره الشريعه المحمّديّه صلى اللّه عليه و آله فحسب، فدونها لا يوجب إلاّ- بعدا و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال لما قد دريت آنفا أنّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم، و اعلم أنّ العلم و العمل بمنزله جناحين للإنسان و لولاهما لما يقدر على الطيران إلى أوج الكمال و العروج إلى المعارج.

و النفس بالاعتبار الأوّل تسمّى نظريه و بالاعتبار الثانى عمليّه توضيحه أنّ لها باعتبار تأثّرها عمّا فوقها من المبادى باستفاضتها عنها ما تتكمّل به من التعقلات قوّه تسمّى نظريه، و لها أربع مراتب، و أنّ لها باعتبار تأثيرها فى البدن لتفيد جوهره كمالا تأثيرا اختياريا قوّه اخرى تسمّى عمليّه و لها أيضا أربع مراتب، على أنّ هذا الكمال الّذى يحصل للبدن بسببها فى الحقيقه تعود إليها لأنّ البدن آله لها فى تحصيل العلم و العمل.

أما مراتب القوّه النظريه فلأنّ النفس فى مبدء الفطره خاليه عن العلوم كلّها لكنّها مستعدّه لها و إلاّ لامتنع اتّصافها بها و حينئذ تسمّى عقلا- هيولانيا تشبيها لها بالهيولى الخاليه فى نفسها عن جميع الصور القابله إيّاها، ثمّ إذا استعملت آلاتها أعنى الحواسّ الظاهره و الباطنه حصل لها علوم أوّليّه و استعدّت لاكتساب النظريات

و حينئذ تسمّى عقلا- بالملكه لأنّها حصلت لها بسبب تلك الأوليات ملكه الانتقال إلى النظريات، ثمّ رتّبت العلوم الأوليه و أدركت النظريات و حصلت لها ملكه الاستحضار بحيث تستحضرها متى شاءت من غير كسب جديد لأجل تكرار الاكتساب لكن لا تشاهدها بالفعل بل صارت مخزونه عندها فهو العقل بالفعل لحصول قدره الاستحضار للنفس بالفعل و إذا استحضرت العلوم مشاهده إيّاها تسمّى عقلا- مستفادا لأنّ النفس الانسانيّه فى آخر المراتب تصير عقلا- لكن لا فعّالا للكمالات بل عقلا منفعلا بحسب قبول الكمالات من العقل الفعّال.

و أما مراتب القوّه العمليّه فاوليها تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النّبويه و النواميس الالهيّه، و هذه المرتبه تسمّى عندهم التجليه - بالجيم، و بعباره واضحه التجليه أن تورد النفس قواها و أعضائها بالمراقبه الكامله تحت انقياد الأحكام الشرعيّه و النواميس الالهيه و إطاعتها فتطيع أوامر الشرع و تجتنب عن المناهى حتّى يظهر آثار الطهاره الظاهريه فى الظاهر أعنى البدن، و يحصل للنفس أيضا على التدريج ملكه التسليم و الانقياد للسلوك إلى طريق الحقّ تعالى و المتكفّل لحصول هذه المرتبه هو علم الفقه على الطريقه الحقّه الجعفريّه ليس إلّا.

و ثانيها تهذيب الباطن عن الملكات الرديّه و نفض آثار شواغله عن عالم الغيب و تسمّى هذه المرتبه التّخليه بالخاء، و بعباره اخرى التّخليه أن يعرض النفس عن المضار الاجتماعيه و الانفراديه و مفاسدهما يحذر من عواقبهما الوخيمه دنيويه و اخرويّه كالحسد و الحرص و الكبر و العجب و غيرها من الأخلاق الرذيله المبيّنه فى الكتب الأخلاقيّه، و رفض تلك الرذائل عن النفس بمنزله علاج البدن من الأمراض الجسمانيه، و شرب المسهل و الدواء لقلعها فكما أنّ الجسم ما كان مريضا لم ينفعه غذاء طيّب مقوّ و على الطبيب أن يداوى الجسم و يعالجه أوّلا- ثمّ يقوّيه بالأغذيه المقويّه كذلك الأمراض الروحيّه أعنى تلك الرذائل الأخلاقيّه ما لم يقلع من النفس و لم يسلم النفس منها لم ينفعه الملكات الفاضله.

و ثالثها ما يحصل بعد اتصالها بعالم الغيب و هو تحلّى النفس بالصور القدسيه و تسمّى هذه المرتبه التّحليه بالحاء المهمله، و بعباره اخرى التّحليه أن تتحلّى النفس بعد حصول التخليه بحلىّ الأخلاق الحميده و الملكات الفاضله الجميله ممّا هى فى نظام الاجتماع و رشد الفرد و تكامله مؤثر جدّا فالتحليه طهاره معنويه و ما لم يتحقّق هذه الطهاره للانسان فهو ليس بطاهر حقيقه و إن كان ظاهره متّصفا بالطهاره و اتّصاف النّفس بها بمنزله تقويه المريض بالأغذيه المقويّه بعد خلاصه من الأمراض.

و رابعتها ما يتجلّى له عقيب ملكه الإتّصال و الانفصال عن نفسه بالكلّيه و هو ملاحظه جمال اللّه و جلاله و قصر النظر على كماله حتّى يرى كلّ قدره مضمحلّه جنب قدرته الكامله، و كلّ علم مستغرقا فى علمه الشامل بل كلّ وجود فائضا من جنابه، و تسمّى هذه المرتبه بالفناء فى الحقّ ، رزقنا اللّه و جميع المؤمنين تلك النعمه العظمى و بلغنا إلى تلك الغايه القصوى، و له أيضا ثلاث مراتب: محو و طمس و محق المحو، فناء أفعال العبد فى فعل الحقّ ، و الطمس، فناء صفاته فى صفات الحقّ و المحق، فناء وجوده فى ذات الحق، ففى الأوّل لا يرى فى الوجود فعلا لشىء إلّا للحق، و فى الثانى لا يرى لشىء من الوجود صفه إلّا للحقّ ، و فى الثالث لا يرى وجودا لشىء إلّا للحقّ ، و الفناء قسمان: فناء استهلاك كفناء أنوار الكواكب فى نور الشمس، و حينئذ يبقى عين الفانى و ذاته و يرتفع حكم إنّيته، و فناء هلاك كفناء الأمواج عند سكون البحر، و حينئذ يزول الفانى و يرتفع عينه و لا يبقى أثره.

و نزيدك بيانا و نقول: غبّ ما حصلت المراتب الثلاثه التجليه و التخليه و التحليه للسالك تحصل له ببركه الطهاره و الصفاء، جاذبه المحبّه و العشق إلى جناب الحقّ جلّ جلاله فتصير محبّا لما هو كمال له حقيقه من الحضور دائما عنده تعالى و عبادته و الخلوه معه و الانس به، و ذكره قلبا و لسانا، فتوجب تلك الأحوال تشديد المحبّه تدريجا و اشتعال نار المحبّه يسيرا يسيرا حتّى يذهل عن نفسه

و لا یری إلاّ هو، و یبلغ بحق الیقین إلی أنّه تعالی هو الأوّل و الاخر و الظّاهر و الباطن، و إلی أنه هو الظاهر لا غیر، و أنّ الظاهر هو لا غیر، و إلی أنّ الباطن هو الظاهر، و أنّ الأوّل هو الاخر و الاخر هو الأوّل، و الکلّ تحت اسم الظاهر تدوینا و تکوینا لفظا و عینا، و هذه الحاله للعارف تسمّی بالفناء فی اللّه فالفناء ملاحظه جمال اللّه و جلاله و قصر النظر علی کماله.

و للفناء ثلاث درجات: الاولی، الفناء فی الأفعال فیری العارف فی هذه الدرجه المؤثّرات و المبادی و الأسباب و العلل من المجرّدات و المادّیات و من الطبیعیّات و الإرادیّات باطله بلا أثر، ألا کلّ شیء ما خلا اللّه باطل، و لا یری مؤثّرا إلاّ الحقّ جلّ جلاله و لا یری قدره عامله و لا إراده نافذه فی الکائنات إلاّ قدرته و إرادته، فیشهد ذاتا غیر متناهیه، و إراده و قدره غیر متناهیتین حاکمه علی الجمیع، و عنت الوجوه للحیّ القیّوم، فیری بعین الشهود بلا شوب ریب حقیقه الکریمه: و ما رمیت إذ رمیت و لکنّ اللّه رمی، فیکون لسان حاله مترنّما بمقال لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه، بلا شائبه خیال و وهم بل بعین بصیره و قلب مستیقظ نبیه، و فی هذا المقام یحصل له الیأس عمّا سواه تعالی و الرجاء الواثق التامّ إلیه تعالی، و یساوی عنده بل یتّحد قدره أعظم ملوک الأرض و قدره أخسّ ذوی النفوس کالبقّ مثلا، و هذه الدرجه تسمّی بالمحو و إلیه أشار صاحب المثنوی بقوله:

این سببها بر نظرها پرده ها است که نه هر دیدار صنعش را سزا است

دیده ای باید سبب سوراخ کن تا حجب را بر کند از بیخ و بن

تا مسبّب بیند اندر لا مکان هرزه بیند جهد و أسباب دکان

و الثانیه، الفناء فی الصفات، فیری العارف فی هذه الدرجه جمیع أسمائه تعالی و صفاته من صفات اللطف کالرحمن و الرّحیم و الرّازق و المنعم، و صفات القهر کالقهّار و المنتقم مستهلکه فی غیب الذات الأحدیّه، و لا یری إلاّ الذات

الأحديّه و لا يرى تعيّنا، و حينئذ يرتفع اختلاف المظاهر كالجبرئيل و العزرائيل و موسى و فرعون من عين صاحب هذا المقام، و يتّحد عنده و لا يتفاوت له اللطف و القهر و البسط و الغضب و العطاء و المنع و الجنّه و النّار و الصحّه و المرض و الفقر و الغنى و العزّه و الذلّه، و إلى هذه المرحله أشار العارف المصقع بقوله:

گر وعده دوزخ است و يا خلد غم مدار بيرون نمى برند تو را از ديار دوست

و هذه الدرجه تسمّى بالطمس.

و اعلم أنّ صفاته تعالى إما ايجابيّه و إما سلبيّه و يقال لنعوته الإيجابيّه لكونها وجوديه جماله تعالى، و لنعوته السلبيّه صفات الجلال لتجليله بأنّه المترفّع عن التركيب و الجوهريه و العرضيّه و الجسميّه و يقال: انّه ليس بمركب و ليس بعرض و ليس بجسم و ليس له ماهيه و نحوها فلزم أن لا يكون مرئيا و مشاهدا بل و لا مدركا و لذا نسب الاحتجاب إلى صفه الجلال كما قيل:

جمالك فى كلّ الحقائق سائر و ليس له إلّا جلالك ساتر

و قال المتأله السبزوارى قدّس سرّه:

پرده ندارد جمال غير صفات جلال نيست بر اين رخ نقاب نيست بر اين مغز پوست

و الصفات الجماليه و الجلاليّه يقال بمعنى آخر أيضا قال القيصرى فى الفصل الثانى من مقدماته على شرح الفصوص: انّ ذاته تعالى اقتضت بحسب مراتب الالوهيّه و الربوبيّه صفات متعدده متقابله كاللطف و القهر و الرحمه و الغضب و الرضا و السخط و غيرها و تجمعها النعوت الجماليه و الجلاليه إذ كلّ ما يتعلق باللطف فهو الجمال، و ما يتعلق بالقهر فهو الجلال.

و لكلّ جمال أيضا جلال كالهيمان الحاصل من الجمال الإلهى فإنّه عباره عن انقهار العقل منه و تحيّره فيه، و لكلّ جلال جمال و هو اللطف المستور فى القهر الإلهى كما قال اللّه تعالى: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ »، و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: سبحان من اتّسعت رحمته لأوليائه فى شدّه نقمته، و اشتدّت نقمته لأعدائه فى سعه رحمته، و من هنا يعلم سرّ قوله عليه السّلام: حفّت الجنّه بالمكاره

و حفّت النار بالشهوات، انتهى كلام القيصرى.

و الثالثه الفناء فى الذات، و العارف فى هذا المقام يرى جميع أنواع الكائنات المختلفه متّحده كما أنّ الجاهل يحسبها متكثره، إذ تعيّن كلّ واحد منها كالملك و الفلك و الإنسان و الحيوان و الأشجار و المعادن أو همه إلى الكثره فظنّ أنها متبدّده متعدّده و لكن العارف فى ذلك المشهد العظيم يشاهد من عرش التجرد الأعلى إلى مركز التراب بصوره نجارستان انتقش بقلم التجلّى على جدرانه و سقفه و على جميع ما فى ذلك النجارستان عكوس علمه تعالى و قدرته و حياته و رحمته، و نقوش لطفه و قهره، و أشعه جماله و جلاله، و يشاهد جميع ما فى دار الوجود من برّها و بحرها و عاليها و دانيها و مجرّدها و مادّيها متّصلا بعضها ببعض و مرتبطا أحدها باخر و منضما هذا بذاك كهيكل انسان واحد مثلا، يخبر الجميع بنغمه موزونه واحده عن عظمه العالم الربوبىّ ، و فى هذا المقام يتحقّق بحقيقه التوحيد و كلمه لا إله إلّا اللّه الطيّبه، قائلا بلسان الحقيقه يا هو يا من ليس إلّا هو، فإذن لا يبقى له و لا للممكنات الاخرى هويّه، بل هويّه الكلّ مضمحلّ و متلاش فى تجلّى حقيقه الحقّ سبحانه، لمن الملك اليوم للّه الواحد القهّار، و تسمّى هذه الدرجه بالمحق.

و ما حرّرنا فى مراتب القوّه العمليّه نبذه من إفاضات مولانا المكرّم و رشحه من فيوضات استاذنا العليم، الايه العظمى الميرزا أبى الحسن الرفيعى القزوينى متّع اللّه تعالى المسلمين بطول بقائه و أدام أيام افاداته – مع بعض إفاضات منّا مزيدا للإيضاح، و الحمد للّه باسط الرزق فالق الإصباح.

و اعلم أنّ الطهاره الحقيقيّه للنفس إنما هى حاصله فى الثالثه من الدرجات لأنّها تطهير النفس عمّا عداه تعالى، قد أفلح من زكّيها.

و أنّ لسان الغيب الخواجه شمس الدّين الحافظ قدّس سرّه أشار فى بيته:

ساقى حديث سرو و گل و لاله مى رود اين بحث با ثلاثه غسّاله مى رود

إلى هذه الدرجات الثلاث فعبّرها بالثلاثه الغسّاله لتغسيلها النفس عن الأنجاس و الأدناس فبالفناء فى الأفعال ينبت الورد فى روضه سرّ القلب، و يستشمّ

العارف من رياض القدس ريح الورد، و بالفناء فى الصفات ينبت الشقائق فيها إشاره إلى تكامل الورد، و بالثالث ينبت السّر و فيها فيحيط أثر العمل شراشر وجود السالك فالجزاء مرتّب على وفق العمل فكلّما كان العمل أصعب و أشدّ كان جزاؤه أشرف و أسدّ، جزاء بما كانوا يعملون، نقل هذه اللطيفه المحقّق النراقى قدّس سرّه فى الخزائن عن الشّيخ محمّد الدارابى (ص ۴۱۳ طبع علميه اسلاميه ۱۳۸۰ ه ق).

و أنّ العلّامه البهائى قدّس سرّه نقل فى أواخر المجلّد الأوّل من الكشكول (ص ۱۴۳ من طبع نجم الدوله) عن النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: خير الدّعاء دعائى و دعاء الأنبياء من قبلى و هو: «لا إله إلّا اللّه وحده وحده وحده، لا شريك له، له الملك و له الحمد يحيى و يميت، و هو حىّ لا يموت، بيده الخير، و هو على كلّ شىء قدير»، و روى ثقه الإسلام الكلينى فى كتاب الدّعاء من الكافى (ص ۳۷۵ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن علىّ بن النعمان، عمّن ذكره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال جبرئيل عليه السّلام لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: طوبى لمن قال من امّتك: «لا إله إلّا اللّه وحده وحده وحده»، و رواه الشّيخ الجليل الصدوق فى باب ثواب الموحّدين و العارفين من كتاب التوحيد باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّلام (ص ۸) و تثليث قول وحده فيها باعتبار توحيد الذات و الصفات و الأفعال، أفاده العالم المتأله السعيد القاضى السعيد فى شرح توحيد الصدوق.

فإذا زكيت نفسك فقد أفلحت و لاح فيك ما وعد اللّه تعالى عباده الصالحين و لم يكن حجابك إلّا أنت، قال عزّ من قائل: «كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ كَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ » (المطفّفين: ۱۶) قال الخواجه صائن الدّين على التركه فى آخر قواعد التوحيد: إنّ العلوم كلّها موجوده فينا لكنّها مختفيه بالحجب المانعه عن الظهور، و لا يخفى عليك أنّ ظهورها تاره يكون بالحركات اللطيفه الفكريّه الروحانيّه بعد تسليط القوّه القدسيّه على قوّتى الوهميّه و المتخيّله و سائر القوى الجسمانيّه و تهذيب الأخلاق و تزيين النفس بالأخلاق الحسنه، و تاره اخرى بتسكين المتخيّله و المتوهّمه و إلجامهما و منعهما

عن الحركات المضطربه المشوشه بعد تسخير القوى الجسمانيّه بالتزكيه و التصفيه و كلا الطريقين حقّ عند أكثر المحقّقين من أهل النظر و أصحاب المجاهده.

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنّه كلا جانبى هرشى لهنّ طريق

و من اعتقد أنّه لا اعتبار بالتزكيه و التصفيه فى طريق التعلم و النظر ركب متن الهوى و الهوس حسب هذه العقيده الفاسده، و غلبت على نفسه الشهوه و الغضب و استولت عليه الرّذائل الطبيعه المهلكه، و حرمت عليها الفضائل الملكيه المحييه و اشتغل بقراءه كتب مقلّدى الفلاسفه و زبر المتكلمين من أصحاب الجدل و المشاغبه و ضيّع عمره فى ضبط الاراء المتناقضه و حفظ الأحوال و الأقوال المتقابله فأوقع نفسه فى لجج الخيالات الفاسده و الأوهام الباطله عند تلاطم أمواج الشكوك و الشبهات المفرقه فاضمحلّ نور قلبه و عميت بصيرته بتراكم الكدورات المظلمه و العقائد الفاسده و ازداد فيه الجهل و التردد و حصل له البهت و التحيّر و لا يدرى أين يذهب فلحق به من الحق الغضب و ظنّ أن الكمال ما حصل له و وصل إليه و ليس ورائه حاله مرغوبه كماليه و لا سعاده باقيه فتيقّن خبث هذه العقيده و وجه ضررها من لطفه و استعذابه من مكره و غضبه.

١٣ - و عليك بما نقصّ عليك من قصص ثلاث هى من أحاسن القصص دستورا أما الاولى فقد روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب المؤمن و علاماته و صفاته من كتاب الإيمان و الكفر من الكافى (ص ١٨۶ ج ٢ من المعرب): أنّ الحسن بن علىّ صلوات اللّه عليهما خطب الناس فقال: أيها الناس أنا اخبركم عن أخ لى كان من أعظم الناس فى عينى، و كان رأس ما عظم به فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، و لا يكثر إذا وجد، كان خارجا من سلطان فرجه فلا يستخفّ له عقله و لا رأيه، كان خارجا من سلطان الجهاله فلا يمدّ يده إلّا على ثقه لمنفعه، كان لا يتشهّى و لا يتسخّط و لا يتبرّم، كان أكثر دهره صمّاتا فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل فى مراء و لا يشارك فى دعوى و لا يدلى بحجّه حتّى يرى قاضيا، و كان لا يغفل عن اخوانه و لا يخصّ نفسه بشىء دونهم، كان ضعيفا مستضعفا

فإذا جاء الجدّ كان ليثا عاديا، كان لا يلوم أحدا فيما يقع العذر فى مثله حتّى يرى اعتذارا، كان يفعل ما يقول و يفعل ما لا يقول، كان إذا بتزّه أمران لا يدرى أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعا إلّا عند من يرجو عنده البرء، و لا يستشير (يسترشد - خ) إلّا من يرجو عنده النصيحه، كان لا يتبرّم و لا يتسخّط و لا يتشكّى و لا يتشهّى و لا ينتقم و لا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمه إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلّها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه، و هذا الحديث قد نسبه الشريف الرضى رضوان اللّه عليه إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و أتى به فى القسم الثالث من النهج أعنى فى باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام و هو المختار ۲۸۹.

و رواه أبو محمّد الحسن بن علىّ بن شعبه الحرّانى رحمه اللّه عليه عن أبى محمّد الامام الحسن بن علىّ المجتبى عليهما السّلام أيضا، كما فى الكافى و فى هامش نسخه مخطوطه عتيقه من النهج توجد فى مكتبتنا: قال السيّد الإمام السعيد أبو الرضا رضى اللّه عنه: وجدت هذا الفصل فى أدب ابن المقفع، و وجدت فى كتاب آخر هذا الكلام منسوبا إلى الحسن بن علىّ صلوات اللّه عليهما، و نقل ذلك الحديث العلّامه البهائى أيضا فى أوائل المجلّد الثالث من كشكوله (ص ۲۴۹ طبع نجم الدوله) من النهج أيضا من غير تعرّض فيه.

قلت: إذا دار الأمر بين الجامع الكافى و بين غيره من الجوامع الروائيه فضلا عن غيرها فلا ريب أنّ المتعيّن هو الأوّل، على أنّ روايه ابن شعبه موافقه له و معاضده، و بين النسخ تفاوت فى الجمله و نحن نقلناها من نسخه مخطوطه مصحّحه من الكافى مزدانه بعلائم المقابله و التصحيح من أوّلها إلى آخرها و بتعليقات أنيقه رشيقه، و بخط صدر الدين السيّد على خان المدنى قدّس سرّه الّذى تقدّم ذكره فى هذه الرساله غير مرّه على ظهرها و هذه صورته: «الحمد للّه سبحانه، على هذه النسخه الشريفه المعتمده خط السيّد نصير المله و الدين و خط ابن أخيه و صهره السيّد محمّد معصوم و خط ابنه والدى الأمير نظام الدين أحمد، و قد

قرأها على السيّد العلاّمه نور الدين ابن علىّ بن أبى الحسن العلوى قدّس اللّه سبحانه أسرارهم، كتب علىّ الصدر المدنى عفى عنه».

و أما الثانيه فقد نقلها العلاّمه الشّيخ البهائى قدّس سرّه فى أوّل المجلّد الثالث من كتابه القيّم النفيس المسمّى بالكشكول (ص ۲۴۵ من طبع نجم الدوله) حيث قال: من خط س(۱) عن عنوان البصرى و كان شيخا قد أتى عليه أربع و تسعون سنه، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين فلمّا قدم جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام اختلفت إليه و أحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال يوما لى: إنّى رجل مطلوب و مع ذلك لى أوراد فى كل ساعه من آناء الليل و النهار فلا تشغلنى عن وردى و خذ عن مالك، و اختلف إليه كما كنت تختلف.

فاغتممت من ذلك، و خرجت من عنده، و قلت فى نفسى: لو تفرّس لى خيرا لما زجرنى عن الاختلاف إليه و الأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّمت عليه ثمّ رجعت من الغد إلى الروضه، و صلّيت فيها ركعتين و قلت: أسألك يا اللّه يا اللّه، أن تعطف علىّ قلب جعفر و ترزقنى من علمه ما أهتدى به إلى صراطك المستقيم، و رجعت إلى دارى مغتمّا و لم أختلف إلى مالك بن أنس لما اشرب فى قلبى من حبّ جعفر عليه السّلام فما خرجت من دارى إلاّ إلى الصّلاه المكتوبه حتّى عيل صبرى، فلمّا ضاق صدرى تنعّلت و تردّيت و قصدت جعفرا عليه السّلام و كان بعد ما صلّيت العصر، فلمّا حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك ؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم فى مصلاّه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلاّ يسيرا إذا خرج خادم فقال: ادخل على بركه اللّه.

فدخلت و سلّمت عليه فردّ علىّ السّلام، و قال: اجلس غفر اللّه لك فجلست فأطرق مليّا، ثمّ رفع رأسه فقال: أبو من ؟ قلت: أبو عبد اللّه، قال: ثبت اللّه

۱- (۱) هكذا فى ذلك الطبع بالسين المهمله فى الاول و الاخر، و فى طبع قم بالشين المعجمه و قال صديقنا الفاضل محمد صادق النصيرى زاده اللّه تعالى نصرا فى تعاليقه على الكشكول، كلمه شين المعجمه اشاره الى مجموعه الشهيد الثانى - ره -، منه.

كنيتک و وفّقک يا أبا عبد اللّه ما مسئلتک ؟ فقلت فی نفسی: لو لم يکن لی فی زيارته و التسليم عليه غير هذا الدّعاء لکان کثيرا.

ثمّ رفع رأسه فقال: ما مسئلتک ؟ قلت: سألت اللّه أن يعطف علیّ قلبک و يرزقنی من علمک و أرجو أنّ اللّه تعالی أجابنی فی الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد اللّه ليس العلم بالتعلّم و إنّما هو نور يقع علی قلب من يريد اللّه تبارک و تعالی أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أوّلا فی نفسک حقيقه العبوديه و اطلب العلم باستعماله، و استفهم اللّه يفهمک.

قلت: يا شريف، قال: يا أبا عبد اللّه، قلت: يا أبا عبد اللّه ما حقيقه العبوديّه ؟ قال: ثلاثه أشياء أن لا يری العبد لنفسه فيما خوّله اللّه ملکا لأنّ العبيد لا يکون لهم ملک، يرون المال مال اللّه يضعونه حيث أمرهم اللّه به، و لا يدبّر العبد لنفسه تدبيرا و جعل اشتغاله فيما أمره اللّه تعالی به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله اللّه ملکا هان عليه الإنفاق فيما أمره اللّه تعالی أن ينفق فيه و إذا فوّض العبد تدبير نفسه إلی مدبّره هان عليه مصائب الدنيا، و إذا اشتغل العبد بما أمره اللّه تعالی و نهاه لا يتفرّغ منهما إلی المراء و المباهاه مع الناس، و إذا أکرم اللّه العبد بهذه الثلاثه هان عليه الدّنيا و إبليس و الخلق، و لا يطلب الدّنيا تکاثرا أو تفاخرا و لا يطلب ما عند النّاس عزّا و علوّا و لا يدع أيّامه باطلا، فهذا أوّل درجه التّقی، قال اللّه تعالی: «تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ ».

قلت: يا أبا عبد اللّه أوصنی، فقال: اوصيک بتسعه أشياء فانّها وصيّتی لمريدی الطريق إلی اللّه تعالی، و اللّه أسأل أن يوفّقک لاستعماله:

ثلاثه منها فی رياضه النّفس، و ثلاثه منها فی الحلم، و ثلاثه منها فی العلم فاحفظها، و إيّاک و التهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبی له.

قال: أمّا اللّواتی فی الرّياضه: فايّاک أن تأکل ما لا تشتهيه فانّه يورث الحماقه و البله، و لا تأکل إلّا عند الجوع، و إذا أکلت فکل حلالا، و سمّ اللّه

و ذكّر حديث الرسول صلى اللّه عليه و آله: ما ملأ آدميّ وعاء شرّا من بطنه فإن كان و لا بدّ فثلث لطعامه، و ثلث لشرابه، و ثلث لنفسه.

فأمّا اللّواتى فى الحلم: فمن قال لك إن قلت واحده سمعت عشرا فقل له إن قلت عشرا لم تسمع واحده، و من شتمك فقل إن كنت صادقا فيما تقول فأسئل اللّه أن يغفر لى، و إن كنت كاذبا فيما تقول فأسئل اللّه أن يغفر لك، و من وعدك بالخنى فعده بالنصيحه و الدّعاء.

و أمّا اللّواتى فى العلم: فاسئل العلماء ما جهلت، و إيّاك أن تسئلهم تعنّتا و تجربه، و إيّاك أن تعمل برأيك شيئا، و خذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سبيلا، و اهرب من الفتيا هربك من الأسد، و لا تجعل رقبتك فى النّاس جسرا قم عنّى يا أبا عبد اللّه فقد نصحت لك و لا تفسد علىّ وردى فإنى امرؤ ضنين بنفسى و السّلام على من اتّبع الهدى، منقول كلّه من خطّ س. انتهى ما أتى به الشّيخ - ره - فى الكشكول.

قلت: تأمّل يا باغى السداد و طالب الرشاد و سالك الطريق إلى ربّ العباد فى هذه الصحيفه المكرّمه الّتى كتبت بقلم الولايه و انتقشت بما كلّه نور و هدايه.

و اخاطب نفسى الخاطئه فأقول لها: أيتها الهالكه ما غرّك بربّك الكريم تعمل عنده الأعمال الفاضحه، قومى و سافرى إلى من خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صوره مّا شاء ركّبك، ألا ترى أنّ ما سواه معتكف ببابه و مالك لا تطير إلى جنابه، صرفت العمر فى قيل و قال، و ضيّعته فى الجواب و السئوال، قومى فاغتنمى الفرصه، و اخلصى من الغصّه، إيّاك و التسويف فإنّه مبير الوضيع و الشريف، عليك بالحضور عند ربّك الغفور فإنّ الحضور يورث النور بل النور على النور و اللّه نور السموات و الأرض و جمالهما جلّ جلاله و عمّ نواله، أما قرأت الكتاب الحكيم القرآن العظيم يقول قائله عزّ اسمه و له الأسماء الحسنى: من جاهد فينا «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا »، ألا رأيت كلام إمامك كشّاف الحقائق أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق: ليس العلم بالتعلّم و إنما هو نور يقع على قلب من يريد اللّه تبارك و تعالى أن يهديه.

اگر بودی کمال اندر نویسائی و خوانائی چرا آن قبلهٔ کل نانویسا بود و ناخوانا

إلی متی فی فراش الغفله و اتخذی لک الخلوه، و انتبهی من النّوم، و توبی نصوحا فی الیوم، و علیک بالسکوت و الصوم، و قومی عن العشیره و القوم، و یا نفسی الاثمه الجانیه و ازهدی فی الدّنیا الفانیه فإنّ حبّها جبّ کلّ عطیّه و رأس کلّ خطیئه، أعرضی عن دار الغرور، و توجهی إلی نور کلّ نور، لعلّ اللّه یحدث بعد ذلک أمرا، و عسی أن تأتیه فردا.

ای شده مغرور بدار غرور قد خسر الغافل یوم النشور

ای که فتادی ز ره عشق دور ألا إلی اللّه تصیر الامور

از چه نداری خبر از خویشتن یار حضور و تو نداری حضور

و ما إخالک بناج لما یداک قد حصّلنا من شرور

و لا تخافنّ سوی نفسکا ترس تو بیجا است ز مرگ و ز گور

و اللّه قد أظهر آیاته بیخبر است گر چه دل و دیده کور

هر چه توانی بره عشق کوش کامده از عشق همه در ظهور

دست ز أنبان شکم باز دار تا که دلت نور دهد همچو هور

هل کان عبد البطن عبد الإلاه ظلمتی از پرتو و نور است دور

آن بطلب کو بود أصل مراد إیّاک و الزّهد لوجدان حور

باش همی در ره دیدار یار إن شئت عیشا دائما فی السرور

این سر بیهوش تو از خیرگی لما یفیقنّ إلی نفخ صور

این دل زنگار تو را راه نیست فی ساحه القدس من اللّه نور

نعم لئن تبت نصوحا عسی أن یغفر اللّه الرّحیم الغفور

فی ظلمه اللیل تناجی الإلاه تکلّم اللّه کموسی بطور

و ابک بکاء عالیا قانتا عند صلاه لیلک بالحضور

نیست گرت مرده دلی بهر چه لست لربّک بعبد شکور

مرد خدا را حسنا روی دل سوی حضور است نه حور و قصور

فیامن خلقنی من العدم، یا من کرّم بنی آدم یا نور المستوحشین فی الظلم یا شاهد کلّ نجوی، یا من إلیه الکل یسعی، یا من هو بدّنا اللازم، یا من جری فی الخلق حکمه الجازم، یا من إلی بابه ألوذ، یا من به من شرّ نفسی أعوذ، یا من تحیّر فیه ما سواه، یا من نطق به الألسن و الأفواه.

ای که زبانها به تو گویاستی ایکه دل و دیدهٔ بیناستی

ای که صفات تو و ذاتت نکو است ای که ز هر عیب مبرّاستی

ای که ز نور رخ زیبای تو روی همه خرّم و زیباستی

ای که سزای دل شوریدگان شورشی از عشق تو برپاستی

ای که ز تو مرغ شباهنگ را نالهٔ جانسوز سحرهاستی

دست حسن گیر و رهائیش ده ای که ز راز دلش آگاستی

و أمّا الثالثه فهی مکاتبه جرت بین العالمین الشّیخ أبی سعید بن أبی الخیر و الشّیخ الرئیس أبی علیّ بن سینا و لمّا رأینا کثره فوائدها أتینا بها مزیدا للفائده و قد نقلها الشّیخ البهائی فی أواخر الکشکول (ص ۶۲۳ من طبع نجم الدوله و ص ۵۹۵ ج ۲ من طبع قم)، و لکنّ صورتها علی طبع قم مشوشه بل مشوهه جدّا، و هی منقوله أیضا فی نامه دانشوران فی ترجمه الشّیخ الرئیس أکمل ممّا فی الکشکول و قد نقل القاضی نور اللّه الشهید نبذه من کلام الشّیخ الرئیس فی مجالس المؤمنین و هذه صورتها:

کتب الشیخ أبو سعید بن أبی الخیر إلی الشّیخ الرئیس أبی علیّ بن سینا أیها العالم وفّقک اللّه لما ینبغی، و رزقک من سعاده الأبد ما تبتغی، إنّی من الطریق المستقیم علی یقین إلاّ أنّ أودیه الظنون علی الطریق المستجدّ (الجد - خ) متشعبّه، و إنّی من کلّ طالب طریقه لعلّ اللّه یفتح لی من باب حقیقه حاله بوسیله

تحقیقه و صدقه تصدیقه، و إنّک بالعلم وفقت لموسوم، بمذاکره أهل هذا الطریق مرسوم، فأسمعنی ما رزقت، و بیّن لی ما علیه وقفت، و إلیه وفّقت، و اعلم أنّ التذبذب بدایه حال الترهّب، و من ترهّب ترأب، و هذا سهل جدّا، و عسر إن عدّ عدّا، و اللّه ولیّ التوفیق.

فأجابه الشیخ الرئیس: وصل خطاب فلان مبیّنا ما صنع اللّه تعالی لدیه (إلیه - خ) و سبوغ نعمه علیه، و الاستمساک بعروه الوثقی، و الاعتصام بحبله المتین و الضرب فی سبیله، و التولیه شطر التقرب إلیه، و التوجه تلقاء وجهه، نافضا عن نفسه غبره هذه الخربه، رافضا بهمّته الاهتمام بهذه القذره - أعزّ وارد و أسرّ واصل و أنفس طالع و أکرم طارق، فقرأته و فهمته و تدبّرته و کرّرته و حقّقته فی نفسی و قرّرته فبدأت بشکر اللّه واهب العقل و مفیض العدل، و حمدته علی ما أولاه، و سألته أن یوفّقه فی اخراه و اولاه، و أن یثبّت قدمه علی ما توطّاه، و لا یلقیه إلی ما تخطّاه، و تزیده إلی هدایته هدایه، و إلی درایته الّتی آتاه درایه، إنّه الهادی المبشّر و المدبّر المقدّر، عنه یتشعّب کلّ أثر، و إلیه یستند الحوادث و العبر (الغیر - خ) و کذلک تقضی الملکوت، و یقضی الجبروت و هو من سرّ اللّه الأعظم یعلمه من یعلمه و یذهل عنه من لا یعصمه، طوبی لمن قاده القدر إلی زمره السعداء، و حادبه عن رتبه الأشقیاء، و أوزعه استرباح البقاء من رأس مال الغنی، و ما نزهه هذا العاقل فی دار یتشابه فیها عقبی مدرک و مفوّت، و یتساویان عند حلول وقت موقّت، دار ألیمها موجع، و لذیذها مشبع، و صحّتها قسر الأضداد (قران الأضداد - خ) علی وزن و اعداد، و سلامتها استمرار فاقه إلی استمراء مذاقه، و دوام حاجه إلی مجّ مجاجه.

نعم و اللّه ما المشغول بها إلّا مثبّط ، و المتصرّف فیها إلّا مخبّط ، موزّع البال بین ألم و یأس، و نقود و أجناس، أخیذ حرکات شتّی، و عسیف أوطار تتری و أین هو من المهاجره إلی التوحید، و اعتماد النظام بالتفرید، و الخلوص من التشّعب إلی التّراب، و عن التذبذب إلی التهذّب، و عن ناد (باد - خ) یمارسه إلی

أبد يشارقه، هناك اللذّه حقّا، و الحسن صدقا، سلسال كلّما سقيته على الرّىّ كان أهنى و أشفى، و رزق كلّما أطعمته على الشبع كان أغذى و أمرىء، ريّ استبقاء لارىّ إباء، و شبع استشباع لا شبع استبشاع.

و نسأل اللّه تعالى أن يجلو عن أبصارنا الغشاوه، و عن قلوبنا القساوه، و أن يهدينا كما هداه، و يؤتينا ممّا آتاه، و أن يحجز بيننا و بين هذه الغارّه الغاشّه البسور فى هيأه الباشّه، المعاسره فى حليه المياسره، المفاصله فى معرض المواصله و أن يجعله إمامنا فيما آثر و أثّر، و قائدنا إلى ما صار إليه و سار، إنّه وليّ ذلك.

فأمّا ما التمسه من تذكره ترد منّى و تبصره تأتيه من قبلى و بيان يشفيه من كلامى فكبصير استرشد من مكفوف، و سميع استخبر عن موقور السمع غير خبير فهل لمثلى أن يخاطبه بموعظه حسنه، و مثل صالح، و صواب مرشد، و طريق أسنّه له منفذ، و إلى غرضه الّذى أمّه منفذ؟.

و مع ذلك فليكن اللّه تعالى أوّل فكره و آخره، و باطن اعتباره و ظاهره و لتكن عين نفسه مكحوله بالنظر إليه، و قدمها موقوفه على المثول بين يديه مسافرا بعقله فى الملكوت الأعلى، و ما فيه من آيات ربّه الكبرى، فإذا انحطّ إلى قراره فلير اللّه فى آثاره فإنّه باطن ظاهر تجلّى بكلّ شىء لكلّ شىء.

ففى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكه، و هذه الخصله وتيره، انطبع فى فصّه نقش الملكوت، و تجلّى له آيه قدس اللّاهوت، فألف الأنس الأعلى، و ذاق اللذّه القصوى، و أخذ عن نفسه إلى من هوبه أولى، و فاضت عليه السكينه، و حفّت به الطمأنينه، و اطّلع على الأدنى اطّلاع راحم لأهله مستوهن بحبله (بخيله - خ):

مستخفّ لثقله، مستحسن لفعله، مستطل لطرفه، و يذكر نفسه و هى بهجه فتعجّب منهم تعجّبهم منه، و قد ودعها و كان معها كمن ليس معها.

و ليعلم أنّ أفضل الحركات الصلاه، و أمثل السكنات الصيام، و أرفع (أنفع - خ) البرّ الصدقه (و أفضل البرّ العطا - خ) و أزكى السّير الاحتمال، و أبطل السعى

الریاء (و أفضل السعی المریاه - علی نسخه مجالس المؤمنین)، و لن تخلص النفس عن البدن ما التفتت إلی قیل و قال، و مناقشه و جدال، و انقلعت بحاله من الأحوال، و خیر العمل ما صدر عن مقام نیّه (عن خالص نیّه - خ) و خیر النیّه ما ینفرج عن جناب علم، و الحکمه ام الفضائل، و معرفه اللّه أوّل الأوائل، إلیه یصعد الکلم الطیّب، و العمل الصالح یرفعه، أقول قولی هذا و أستغفر اللّه و أستهدیه و أتوب إلیه و أستکفیه، و أسأله أن یقرّبنی إلیه إنّه سمیع مجیب.

ثمّ یقبل علی هذه النفس المزیّنه بکمالها الذاتی، و یحرسها عن التلطّخ بما یشینها من الهیئات الانقیادیه للنقوش المادیه الّتی إذا بقیت فی النفس المزینه کانت حالها عند الانفصال کحالها عند الاتصال، إذ جوهرها متثاوب و لا مخالطه و إنّما یدنّسها هیئه الانقیاد لتلک الصواحب بل یفیدها هیئات الاستیلاء و الاستعلاء و الریاسه و لذلک یهجرا کذب قولک، و یخلّی حتّی تحدث للنّفس هیئه صدوقه فیصدّق الأحلام و الرؤیا و اللذّات، فلیستعملها علی اصلاح الطبیعه و إلقاء الشخص و النوع و السیاسه.

و أمّا المشروب فأن یهجر شربه ملهیا بل تشفّیا تداویا، و یعاشر کلّ فرقه بعادته و رسمه، و یسمح بالمقدور من المال و یترک لمساعده النّاس کثیرا ما هو خلاف طبعه، ثمّ لا یقصر فی الأوضاع الشرعیّه، و تعظیم السنن الإلهیّه و المواظبات علی التعبدات البدنیّه، و یکون دوام عمره إذا خلا و خلص من المعاشرین، نظر بالرویّه و الفکره فی الملوک الأول و ملکها، و اکبس عن عثار النّاس من حیث لا تقف علی النّاس، عاهد اللّه أن تسیر بهذه السیره و تدین بهذه الدّیانه، و اللّه ولیّ الّذین آمنوا حسبنا اللّه نعم الوکیل.

هذا آخر المکاتبه، و قد نقل منها الشّیخ فی الکشکول - إلی قوله: إنّه سمیع مجیب، و نقلنا بعده من نامهٔ دانشوران، و نقل القاضی نور اللّه الشهید نوّر اللّه مرقده فی المجالس بعد قوله: إنّه سمیع مجیب، هذا السطر أیضا: و الحمد للّه ربّ العالمین، و الصّلاه و السّلام علی خیر خلقه محمّد و آله أجمعین.

ص:۳۴۶

۱۴ - کن عالی الهمّه، علی حدّ لا تعبد إلّا إیّاه تعالی، و لا تکن فی إعراضک عن متاع الدّنیا و طیّباتها معاملا و لا فی عباداتک أجیرا، و کن کما نطق به الناطق بالصواب میزان یوم الحساب، و فصل الخطاب أمیر المؤمنین و سیّد الوصیّین علیّ علیه السّلام: ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنّتک بل وجدتک أهلا للعباده فعبدتک.

تو بندگی چو گدایان بشرط مزد مکن که خواجه خود صفت بنده پروری داند

و فی الباب التاسع عشر من مصباح الشریعه: قال النبیّ صلی اللّه علیه و آله: قال اللّه تعالی:

من شغله ذکری عن مسئلتی أعطیته أفضل ما أعطی للسائلین.

و روی ثقه الإسلام الکلینیّ فی باب العباده من کتاب الإیمان و الکفر من اصول الکافی (ص ۶۸ ج ۲ من المعرب) باسناده عن هارون بن خارجه عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: إنّ العبّاد ثلاثه: قوم عبدوا اللّه عزّ و جل خوفا فتلک عباده العبید و قوم عبدوا اللّه تبارک و تعالی طلب الثواب فتلک عباده الاجراء، و قوم عبدوا اللّه عزّ و جلّ حبّا له فتلک عباده الأحرار و هی أفضل العباده.

و رواه ابن شعبه رحمه اللّه علیه فی تحف العقول عن سیّد الشهداء أبی عبد اللّه الحسین علیه السّلام أیضا، حیث قال علیه السّلام: إنّ قوما عبدوا اللّه رغبه فتلک عباده التجار و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبه فتلک عباده العبید، و إنّ قوما عبدوا اللّه شکرا فتلک عباده الأحرار و هی أفضل العباده، و هذا بعینه منقول فی النهج عن أمیر المؤمنین علیه السّلام (المختار ۲۳۷ من باب حکمه علیه السّلام).

فکن من أهل اللّه لا من أهل الدّنیا و لا من أهل الاخره، و حقیقه الزهد أن یزهد فی الدّنیا و الاخره، کما قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الدّنیا حرام علی أهل الاخره، و الاخره حرام علی أهل الدّنیا، و هما حرامان علی أهل اللّه.

و فی ذلک الباب من الکافی بإسناده عن عمرو بن جمیع، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أفضل النّاس من عشق العباده فعانقها و أحبّها بقلبه

و باشرها بجسده و تفرّغ لها، فهو لا يبالى على ما أصبح من الدّنيا على عسر أم على يسر.

أقول: هذه الروايه قد نطقت بالعشق، و فى عشق من سفينه البحار للمحدث القمّى رحمه اللّه عليه: النبوى صلى اللّه عليه و آله أنّ الجنّه لأعشق لسلمان من سلمان للجنّه.

و فى تاسع البحار (ص ۵۸۰) عن الخرائج: روى عن أبى جعفر عليه السّلام، عن أبيه قال: مرّ علىّ عليه السّلام بكربلا فقال لما مرّ به أصحابه و قد اغرورقت عيناه يبكى و يقول: هذا مناخ ركابهم، و هذا ملقى رحالهم، ههنا مراق دمائهم، طوبى لك من تربه عليها تراق دماء الأحبّه، و قال الباقر عليه السّلام خرج علىّ يسير بالنّاس حتّى إذا كان بكربلا على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتّى طاف بمكان يقال له المقدفان فقال: قتل فيها مائتا نبىّ و مائتا سبط ، كلّهم شهداء و مناخ ركاب و مصارع عشّاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم و يلحقهم من بعدهم.

و كم نرى من المقدّسين الخشك يطعنون فى أهل اللّه باطلاقهم العشق و مشتقاته قائلين بأنّ أىّ خبر نطق به ؟ و هذا خبرهم بل هذه أخبارهم، على أنّه لو لم يأت به أثر فى الجوامع الروائيه لكانت حجتهم داحضه و كلمتهم سفلى.

و فى الباب الرابع و الخمسين من إرشاد القلوب للديلمى و هو آخر أبواب الكتاب فيما سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ربّه ليله المعراج: يا أحمد وجوه الزاهدين مصفرّه من تعب الليل و صوم النهار، و ألسنتهم كلال من ذكر اللّه تعالى، قلوبهم فى صدورهم مطعونه من كثره صمتهم قد أعطوا المجهود من أنفسهم لا- من خوف نار و لا- من شوق جنّه و لكن ينظرون فى ملكوت السموات و الأرض فيعلمون أنّ اللّه سبحانه أهل للعباده، يا أحمد هذه درجه الأنبياء و الصديقين من امّتك و امّه غيرك و أقوام من الشهداء - إلخ.

و فى باب اتباع الهوى من كتاب الايمان و الكفر من اصول الكافى (ص ۲۵۱ ج ۲ من المعرب) عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يقول اللّه عزّ و جلّ : و عزّتى و جلالى و عظمتى و كبريائى و نورى و علوّى و ارتفاع مكانى لا يؤثر

عبد هواه علی هوای إلّا شتّت علیه أمره و لبست علیه دنیاه و شغلت قلبه بها و لم اوته منها إلّا ما قدّرت له، و عزّتی و جلالی و عظمتی و نوری و علوّی و ارتفاع مکانی لا یؤثر عبد هوای علی هواه إلّا استحفظته ملائکتی و کفّلت السموات و الأرضین رزقه و کنت له من وراء تجاره کلّ تاجر و أتته الدّنیا و هی راغمه.

و إذا ذقت حلاوه ذکره تعالی و أنست به و رزقت جنّه اللقاء لا تطلب منه تعالی إلّا إیّاه و تنسی غیره، کما فی الباب التاسع عشر من مصباح الشریعه قال الصّادق علیه السّلام: لقد دعوت اللّه مره فاستجاب لی و نسیت الحاجه لأنّ استجابته بإقباله علی عبده عند دعوته أعظم و أجلّ ممّا یرید منه العبد و لو کانت الجنّه و نعیمها الأبدی، و لیس یعقل ذلک إلّا العاملون المحبّون العارفون صفوه اللّه و خواصّه انتهی.

و کأنما الشّیخ العارف السعدی رضوان اللّه علیه یشیر إلی قوله علیه السّلام، حیث زیّن مطلع گلستانه بو رد بیانه: یکی از صاحبدلان سر بجیب مراقبت فرو برده و در بحر مکاشفت مستغرق گشته، حالی که از آن حالت باز آمد، یکی از دوستان گفت: در این بوستان که بودی ما را چه تحفه آوردی ؟ گفت بخاطر داشتم که چون بدرخت گل رسم دامنی پر کنم هدیّهٔ أصحاب را، چون برسیدم بوی گلم چنان مست کرد که دامن از دست برفت، و لقد أجاد، طیّب اللّه رمسه و قدّس سرّه.

فمن عبد اللّه تعالی طلب الثواب أو خوفا من العقاب فهو محروم عن اللذّه الحقیقیّه، بل إنّک إن فتّشته لم تجده إلّا عابد هواه إن عبده تعالی رغبه، أو محبّا لنفسه لا لمولاه إن عبده رهبه، و قد أفاد الشّیخ الرئیس أبو علیّ بن سینا تغمّده اللّه بغفرانه فی مقامات العارفین بقوله:

المستحلّ توسیط الحقّ مرحوم من وجه فإنه لم یطعم لذّه البهجه به فیستطعمها إنّما معارفته مع اللذّات المخدجه فهو حنون إلیها غافل عمّا ورائها، و ما مثله بالقیاس إلی العارفین إلّا مثل الصبیان بالقیاس إلی المحنکین، فانّهم لمّا

غفلوا عن طيّبات يحرص عليها البالغون، و اقتصرت بهم المباشره على طيّبات اللعب صاروا يتعجّبون من أهل الجدّ إذا زورّوا عنها عائفين لها عاكفين على غيرها، كذلك من غضّ النقص بصره عن مطالعه بهجه الحقّ أعلق كفّيه بما يليه من اللذّات لذّات الزور، فتركها فى دنياه عن كره، و ما تركها إلاّ ليستأجل أضعافها و إنّما يعبد اللّه تعالى و يطيعه ليخوّله فى الاخره شبعه منها فيبعث إلى مطعم شهيّ و مشرب هنيء و منكح بهيّ ، و إذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره فى اولاه و اخراه إلاّ إلى لذّات قبقبه و ذبذبه، و المستبصر بهدايه القدس فى شجون الإيثار قد عرف اللذّه الحقّ و ولّى وجهه سمتها مسترحما على هذا المأخوذ عن رشده إلى ضدّه، و إن كان ما يتوخاه بكدّه مبذولا له بحسب وعده.

١٥ - التوبه و هى لا تنفك عمّن استبصر و إلاّ فليس بمستبصر، و لا أنسى عذوبه كلام سيّدنا الاستاذ محمّد حسن الإلهى المقدّم ذكره قدّس سرّه، و لطافه بيانه فى التوبه حيث قال: التوبه الحقيقيّه أن تتوب من خيرك و شرّك، و بعد تأمّل قليل قلت له: أمّا التوبه من الشرّ فلا كلام فيها، و أما التوبه من الخير فما مراد جنابك منها؟ فقال رضوان اللّه عليه: ما نحسبها خيرا من صلاتنا و صيامنا و قراءتنا القرآن و دراستنا و غيرها لو تأمّلنا فيها لرأيناها مخدجه غير كامله - و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - فيجب على المستبصر أن يتوب من هذه الأعمال الناقصه، و أن يقصد الإتيان بها على النحو الكامل الّذى يتقبّل اللّه و انما يتقبّل اللّه من المتقين، فما حسبناه خيرا ليس بخير حقيقه، فطوبى لمن وفّق بالتوبه ممّا حسبه خيرا و عمل ما هو خير واقعا.

و التوبه تذهب بدرن القلب، و تزيل رينه فإذا يستبصر التائب بدائه و دوائه و يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه، قال الامام الباقر عليه السّلام: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، و إذا تخلّصت النفس من الرذائل و تنزهت من أوساخ الذنوب فقد قبلت توبته، و أمّا البحث الكلامى عن التوبه فقد أشبعنا الكلام فيه فى شرحنا على المختار ٢٣٥ من خطب النهج من كتابنا تكمله منهاج البراعه (ص ١٧١ - إلى - ٢٠١

من ج ۱۵).

و قال السیّد بن طاوس قدّس سرّه الشریف فی أعمال شهر ذی القعده من کتابه الإقبال: فصل: فیما نذکره ممّا یعمل فی یوم الأحد من الشهر المذکور و ما فیه من الفضل المذخور وجدنا ذلک بخطّ الشّیخ علیّ بن یحیی الخیّاط رحمه اللّه و غیره فی کتب أصحابنا الامامیه و قد روینا عنه کلّما رواه و خطّه عندنا بذلک فی إجازه تاریخها شهر ربیع الأوّل سنه تسع و ستمائه فقال ما هذا لفظه:

روی أحمد بن عبد اللّه، عن منصور بن عبد الحمید، عن أبی أمامه، عن أنس بن مالک قال: خرج رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یوم الأحد فی شهر ذی القعده فقال: یا أیها الناس من کان منکم یرید التوبه ؟ قلنا: کلّنا یرید التوبه یا رسول اللّه، فقال علیه السّلام:

اغتسلوا و توضّأوا و صلّوا أربع رکعات و اقراوا فی کلّ رکعه فاتحه الکتاب مرّه قل هو اللّه أحد ثلاث مرات و المعوذتین مرّه ثمّ استغفروا سبعین مرّه ثمّ اختموا بلا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم ثمّ قولوا: یا عزیز یا غفار اغفر لی ذنوبی و ذنوب جمیع المؤمنین و المؤمنات فانّه لا یغفر الذّنوب إلاّ أنت.

ثمّ قال علیه السّلام: ما من عبد من امّتی فعل هذا إلاّ نودی من السماء یا عبد اللّه استأنف العمل فإنک مقبول التوبه مغفور الذنب.

و ینادی ملک من تحت العرش أیها العبد بورک علیک و علی أهلک و ذرّیتک.

و ینادی مناد آخر أیها العبد ترضی خصماؤک یوم القیامه.

و ینادی ملک آخر أیها العبد تموت علی الإیمان و لا أسلب منک الدین و یفسح فی قبرک و ینوّر فیه.

و ینادی مناد آخر أیها العبد یرضی أبواک و إن کانا ساخطین و غفر لأبویک ذلک و لذریتک و أنت فی سعه من الرزق فی الدنیا و الاخره.

و ینادی جبرئیل علیه السّلام: أنا الّذی آتیک مع ملک الموت علیه السّلام أن یرفق بک و لا یخدشک أثر الموت انما تخرج الروح من جسدک سلّا (سلاما - خ).

قلنا: یا رسول اللّه لو أنّ عبدا یقول فی غیر الشهر؟ فقال علیه السّلام: مثل ما وصفت

و إنما علّمنی جبرئیل علیه السّلام هذه الکلمات أیّام اللّه ربّی (أیّام اسری بی - خ).

و نـذیّل الرساله بقصیده الفارسیّه تفوّه بها هـذا الراجی لقاء ربّه الرّحیم و قد فرغ منها فی أوائل ذی الحجّه ۱۳۸۸ ه ق، و سمّاها بالقصیده اللّقائیّه:

ای دل بدر کن از سرت کبر و ریا را خواهی اگر بینی جمال کبریا را

تا با خودی بیگانه ای از آشنایان بیگانه شو از خود شناسی آشنا را

عنقای أوج قاف قرب دلبر من در زیر پر بگرفته کلّ ما سوا را

در پایتخت کشور دل پادشاهی منگر مگر سلطان یهدی من یشا را

مرآت أسماء و صفات حق بود دل مشکن چنین آیینهٔ ایزد نما را

ای همدم کرّ و بیان عالم قدس از خود بدر کن لشکر دیو دغا را

تا از سواد و از خیال و از بیاضت فانی شوی بینی جهان جان فزا را

گر جذبه ای از جانب جانانه یابی بازیچه خوانی جذب کاه و کهربا را

گاهی ز اشراق رخ مهر آفرینش بر آسمان جان دهد رشک ضیا را

گاهی ز زلف مشکسای دلربایش آشفتهٔ خود می کند أحوال ما را

دل در میان اصبعین او است دائم از قبض و بسطش فهم کن این مدّعا را

اللّه قد خلقکم أطوارا أی قوم کیف فلا ترجون للّه وقارا

در آستان لطف آن محبوب یکتا دریوزه گر بینم همه شاه و گدا را

تسبیح گوی ذات پاک لا یزالیش بنگر ز ذرّات ثریّا تا ثری را

بنیوش از من باش دائم در حضورش تا در حضور او چه ها یابی چه ها را

گر تار و پود بودم از هم بر شکافی جز او نخواهی یافت این دولت سرا را

در چشم حق بینم من او او من نباشد یکتاپرستم من نمی دانم دو تا را

عشق منش از گفتهٔ استاد نبود نوشیده ام با شیر مادر این غذا را

تنها نه من سرگشته ام ز ان رو که بینم نالان و سرگردان او أرض و سما را

تنها نه من در حیرتم از سرّ انسان بل صار فیه القوم کلّهم حیاری

فکری بکن بنگر که ای و در کجائی هم از کجا بودی و می خواهی کجا را

ص:۳۵۲

دردا که ما را آگهی از خویش نبود ور نه بما کردی عطا کشف غطا را

دردت اگر باشد پی درمان دردت از چه نجوئی از طبیب خود دوا را

یارت دهد اندر حریم خویش بارت مر آزمونرا گوی از اخلاص یا را

بیدار باش و در ره زاد أبد کوش بگسل ز خود دام هوسها و هوا را

بر آب زن اوراق نقش این و آنرا بر دل نشان أحکام قرآن و دعا را

در خلوت شبهای تارت می توانی آری بکف سرچشمهٔ آب بقا را

گوئی خلیل آسا اگر وجّهت وجهی گردد بتو راز نهانی آشکارا

تسلیم باش و سر بنه اندر رضایش بر بند لب از گفتن چون و چرا را

از رحمت بی انتهای خویش دارد وابستهٔ دام بلا أهل ولا را

زاهد بود سوداگر و عابد أجیری محو است و طمس و محق أرباب وفا را

آیین مردان خدا تقوی است تقوی مرزوق عند اللّه بین أهل تقی را

ره رو چنانکه مردم هشیار رفتند راهی مبین جز راه و رسم مصطفی را

گر مشکلی پیش آیدت ایسالک ره ناد علیّا آن شه مشکل گشا را

خواهی روی اندر منای عاشقانش بار سفر بر بند سوی کربلا را

گفتار نیکو باید و کردار نیکو تا در جزای این و آن یابی لقا را

أبناء نوعت را ز خود خوشنود می دار خواهی ز خود خوشنود أر داری خدا را

بیچاره ایم ای چارهٔ بیچاره گانت جز تو که یارد دست ما گیرد نگارا

عارم بود از این کلیمی أربعینم از جود تو دارم من امید عطا را

تسخیر خود کن نجم را آنسان که کردی تسخیر خود مهر و مه و استاره ها را

و قد فرغنا من تألیف هذه الرساله اللقائیه فی بلدنا الامل وقت السحر من لیله الاثنین السادسه عشر من ربیع المولود من شهور

سنه تسع و ثمانين و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره على هاجرها الف تحيّه و سلام، رزقنا اللّه تعالى القرب منه و نعمه لقائه.

ص:۳۵۳

و من كتاب له عليه السلام الى أهل البصره و هو

اشاره

المختار التاسع و العشرون من باب المختار

من كتبه و رسائله

و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبّوا عنه، فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم فإن خطت بكم الأمور المرديه، و سفه الاراء [الأراء - معا] الجائره إلى منابذتى و خلافى فها أنذا [أناذا - نسخه] قد قرّبت جيادى و رحلت ركابى. و لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعه لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلقعه لاعق، مع إنّى عارف لذى الطّاعه منكم فضله و لذى النّصيحه حقّه، غير متجاوز متّهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفىّ .

المصدر

رواه أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفىّ الكوفىّ المتوفّى ۲۸۳ ه - ق فى كتاب الغارات.

بعث أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام جاريه بن قدامه إلى أهل البصره على ما يأتى تفصيله فى المعنى، و كتب معه هذا الكتاب إليهم، و هذا المختار بعض ذلك الكتاب و هذه صورته الكامله:

ص:۳۵۴

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصره من المؤمنين و المسلمين: سلام عليكم أمّا بعد فإنّ اللّه حليم ذو أناه لا يعجل بالعقوبه قبل البيّنه، و لا يأخذ المذنب عند أوّل وهله، و لكنّه يقبل التوبه، و يستديم الأناه، و يرضى بالإنابه، ليكون أعظم للحجّه، و أبلغ فى المعذره.

و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبّوا عنه فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم فإن تفوا ببيعتى، و تقبلوا نصيحتى، و تستقيموا على طاعتى، أعمل فيكم بالكتاب و السنّه و قصد الحق و اقيم فيكم سبيل الهدى، فو اللّه ما أعلم أنّ واليا بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله أعلم بذلك منّى و لا أعمل بقولى، أقول قولى هذا صادقا غير ذامّ لمن مضى، و لا متنقص لأعمالهم.

و إن خطت بكم الأهواء المرديه، و سفه الاراء الجائره إلى منابذتى تريدون خلافى فها أنا ذا قد قرّبت جيادى، و رحلت ركابى، و أيم اللّه لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعه لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقه لاعق، مع أنّى عارف لذى الطاعه منكم فضله، و لذى النصيحه حقّه، غير متجاوز متّهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفىّ .

و إنّى لظانّ أن لا تجعلوا إن شاء اللّه على أنفسكم سبيلا، و قد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجّه عليكم و لن أكتب إليكم من بعده كتابا، إن أنتم استغششتم نصيحتى، و نابذتم رسولى حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه تعالى و السّلام.

اللغه

(الحبل)كنايه عن العهد و(الانتشار)كنايه عن نقضه. قال الراغب فى المفردات: الحبل معروف، قال عزّ و جلّ :«فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ »و شبّه به من حيث الهيئه حبل الوريد و حبل العاتق و الحبل المستطيل من الرمل و استعير للوصل و لكلّ ما يتوصّل به إلى شىء، قال عزّ و جلّ :«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ »

«جَمِيعاً »فحبله هو الّذى معه التوصّل به إليه من القرآن و العقل و غير ذلك ممّا إذا اعتصمت به أدّاك إلى جواره، و يقال للعهد: حبل. انتهى.

(لم تغبوا عنه) ذهب الشرّاح و المترجمين إلى أنّ كلمه تغبوا مشتقّه من غبى فهى فى الأصل ناقصه اللاّم، قال الفاضل الشارح المعتزلى: ما لم تغبوا عنه أى لم تسهوا عنه و لم تغفلوا، يقال: غبت عن الشىء أغبى غباوه إذا لم يفطن، و غبى الشىء علىّ كذلك إذا لم تعرفه، و فلان غبىّ على فعيل، أى قليل الفطنه، و قد تغابى، أى تغافل، يقول لهم: قد كان من خروجكم يوم الجمل عن الطاعه و نشركم حبل الجماعه و شقاقكم إلى ما لستم أغبياء عنه فعفوت و رفعت السيف و قبلت التوبه.

انتهى كلامه، و هكذا قد حذا حذوه غيره من الشراح.

قلت: الكلمه مشتقه من الإغباب فهى فى الأصل مضاعف، و هى مختار الشريف الرضى، كما فى نسخه الّتى قوبلت و صحّحت على نسخته، و قد مرّ ذكرها غير مرّه، و الكلمه المشكوله فى تلك النسخه بضمّ التاء و كسر الغين المعجمه و تشديد الباء الموحّده، قال ابن الأثير فى النهايه: و فى حديث هشام كتب إليه الجنيد يغبّ عن هلاك المسلمين أى لم يخبره بكثره من هلك منهم مأخوذ من الغبّ الورد فاستعاره لموضع التقصير فى الإعلام بكنه الأمر، و قيل: هو من الغبّه و هى البلغه من العيش. انتهى.

(خطت بكم) أى تجاوزت من الخطو، (المرديه): المهلكه، (الجائره) المائله عن الحق (المنابذه) المخالفه و المظاهره للعداوه (فها أنذا) أو فهأنذا، أصلهما فها أناذا.

(جياد) جمع جواد، أى فرس سريع الجرى رائع، (الركاب): الابل، رحل البعير من باب منع أى شدّ على ظهره الرحل، و الرحل مركب للبعير أصغر من القتب، و فى منتهى الأرب: رحل البعير رحلا پالان بر نهاد بر شتر.

(اللعقه)بفتح اللاّم فعله للمرّه من اللعق بمعنى اللحس، و فى بعض النسخ

مشكوله بضمّها كلقمه و هى اسم ما تأخذه فى الملعقه أو الأصبع، و القليل ممّا يلعق و لكنّ الاولى مطابقه لمختار الرضى و هى كنايه عن قلّه اللّبث، (و لا ناكثا) أى ناقضا لعهده.

الاعراب

(ما لم تغبوا عنه) كلمه ما اسم كان اخّر عن الخبر المقدّم لتوسع الظروف (فهأنذا) جواب إن الشرطيه فى قوله: فإن خطت (إلى منابذتى) متعلّق بقوله:

خطت، اللّام فى (لئن ألجأتمونى) تسمّى اللّام المؤذنه و الموطّئه أيضا و هى اللّام الداخله على أداه الشرط و أكثر ما تدخل على إن، سمّيت المؤذنه للإيذان بأنّ الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط سواء كان ذلك القسم مذكورا أو مقدرا، و سمّيت المؤطّئه لأنها وطّأت أى مهّدت الجواب للقسم، و اللّام فى لأوقعنّ لام جواب القسم، و جمله: لا يكون يوم الجمل، إلخ، صفه للوقعه.

(غير) منصوب حال بضمير إنّى (متّهما) على صيغه المفعول.

المعنى

قد علمت أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام بعث جاريه بن قدامه إلى أهل البصره و كتب معه هذا الكتاب إليهم قال كاتب الواقدى محمّد بن سعد فى الطبقات الكبرى (ص ۵۶ ج ۷ من طبع مصر): جاريه بن قدامه السعدىّ بن زهير بن الحصين بن رزاح ابن أسعد بن بجير بن ربيعه بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم.

قال: أخبرنا عبد اللّه بن نمير قال: حدّثنا هشام بن عروه عن أبيه عن الأحنف بن قيس عن ابن عمّ له يقال له جاريه بن قدامه أنّه سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال: يا رسول اللّه قل لى قولا ينفعنى و أقلل لى لعلىّ أعيه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تغضب، ثمّ أعاده عليه فقال: لا تغضب، حتّى أعاد عليه مرارا كلّ ذلك يقول له: لا تغضب.

قال: و جاريه بن قدامه فيمن شهد قتل عمر بن الخطّاب، قال: و كنّا آخر

من دخل عليه فسألناه وصيّه و لم يسألها إيّاه أحد قبلنا.

و لجاريه بن قدامه أخبار و مشاهد كان علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بعثه إلى البصره و بها عبد اللّه بن عامر بن الحضرمى خليفه عبد اللّه بن عامر بن كريز فحاصره فى دار سنبيل رجل من بنى تميم و كان معاويه بعثه إلى البصره يبايع له، انتهى كلام ابن سعد.

قلت: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أهل البصره هذا الكتاب مع جاريه فى الواقعه الّتى أشار إليها ابن سعد و سيأتى تفصيل ذلك.

قوله عليه السّلام:(و قد كان من انتشار حبلكم-إلى قوله:و قبلت من مقبلكم)لمّا نقض أهل البصره عهدهم الّذى عاهدوه أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام و نكثوا بيعتهم إيّاه فى وقعه الجمل عبّر عن فعلهم هذا بقولهانتشار حبلكمفالحبل كنايه عن العهد و الانتشار عن النكث كقوله تعالى:«وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ أَنْكاثاً »(النحل ۹۳)، و قوله عليه السّلام: ما لم تغبّوا عنه أى كنتم عالمين بما فعلتم من نقض عهدكم، ثمّ نبّههم بما فعل بعد ظفره عليهم من الاكرام و الاحسان فى إزاء ما أساءوا به بقوله: فعفوت عن مجرمكم و قد مضى ذكر سيرته عليه السّلام فى أهل البصره فى شرحنا على المختار الثانى من باب الكتب (ص ۹۳ ج ۱۷) و سيرته عليه السّلام فى كلّ موطن لقيه عدوّ فى شرحنا على المختار الرابع عشر من ذلك الباب (ص ۱۳۳ ج ۱۸).

قوله عليه السّلام:(فإن خطت بكم الامور - إلخ) لمّا كان معاويه بعث بعد وقعه الجمل عبد اللّه بن عامر الحضرمىّ إلى البصره ليبايعهم له و كان سفه آرائهم الجائره و امورهم المهلكه يجرّ أهلها إلى مخالفه أمير المؤمنين عليه السّلام و نقض عهده ثانيا أخبرهم موعدا بقوله فإن خطت اه، اى إن عدتم إلى الفتنه و نقض العهد بتلك الامور و الاراء من أهل الهوى و الضلال فها أناذا قد استعدت للقتال و الكرّه حتّى قرّبت جيادى و رحلت ركابى و لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لاوقعنّ بكم وقعه أى حربا لا يكون وقعه الجمل بالنسبه إليها فى الحقاره و الخفّه إلّا كلحسه لا حس و كأنّ فى كلامه عليه السّلام لئن ألجأتمونى إشاره إلى العفو عمّا مضى منهم أى إن كنتم

إلى الان اتّبعتم تلك الاراء فإن تبتم وعدتم إلى الحقّ عفوت عنكم و إلّا فلا بدّ لى إلّا المسير إليكم فاوقعن بكم كذا و كذا.

قوله عليه السّلام:(مع إنّى عارف - إلخ) أردف كلامه فى الإيعاد و التهديد بالتحبيب و التأليف فقال مع إنّى عارف بفضل ذى الطاعه منكم و حق ذى النصيحه منكم لا آخذ متّهما ببرىء، و لا ناكثا بوفىّ .

نعم إنّ من هو سلطان العالم الأرضى و خليفه اللّه فيه و ربّ إنسانىّ فائز بالخواصّ النبويّه فهو يؤتى كلّ ذى حقّ حقّه و لا يتصور فيه أن يتجاوز متّهما إلى برىء أو ناكثا إلى وفىّ و انما التجاوز من داب أبناء الدّنيا و عبيد الهوى، هذا هو زياد بن أبيه خطب بالبصره الخطبه المشهوره الّتى تدعى البتراء ذكرها أبو عثمان الجاحظ فى البيان و التبيين ج ٢ ص ۶١، و ابن قتيبه فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٣۴١، و أبو جعفر الطبرى فى حوادث سنه ۴۵ من تاريخه، و أبو على القالى فى ذيل الأمالى ص ١٨۵ من طبع مصر، و أتى بها صاحب العقد الفريد أيضا.

قال الجاحظ : قال أبو الحسن المدائنى و غيره ذكر ذلك عن مسلمه بن محارب و عن أبى بكر الهذلىّ قالا: قدم زياد البصره واليا لمعاويه بن أبى سفيان و ضمّ إليه خراسان و سجستان فخطب خطبه بتراء لم يحمد اللّه فيها و لم يصلّ على النبىّ .

أما بعد فإنّ الجهاله الجهلاء و الضلاله العمياء و الغىّ الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم و يشتمل عليه حلماؤكم - إلى أن قال: و إنّى لأقسم باللّه لاخذنّ الولىّ بالولىّ (و فى نسخه العقد: لاخذن الولىّ بالمولى)، و المقيم بالظّاعن و المقبل بالمدبر، و المطيع بالعاصى، و الصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، او تستقيم لى قناتكم - إلى آخر الخطبه.

قال: فقام إليه أبو بلال مرداس بن اديّه، و هو يهمس و يقول: أنبأنا اللّه بغير ما قلت، فقال: «وَ إِبْراهِيمَ الَّذِى وَفّى أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ أَنْ لَيْسَ »

«لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى » و أنت تزعم أنک تأخذ البرىء بالسقيم، و المطيع بالعاصى و المقبل بالمدبر فسمعه زياد فقال: إنّا لا نبلغ ما نريد فيک و فى أصحابک حتّى نخوض إليكم الباطل خوضا.

و قال الجاحظ فى أوّل الجزء الثانى من البيان و التبيين: إنّ خطباء السّلف الطيّب، و أهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمّون الخطبه الّتى لم تبتدء بالتحميد و تستفتح بالتمجيد البتراء، و يسمّون الّتى لم توشّح بالقرآن و تزيّن بالصّلاه على النّبى صلى اللّه عليه و آله الشوهاء.

و أمّا ذكر تفصيل الواقعه فقد أفاد الفاضل الشارح المعتزلى فى الجزء الرابع من شرحه على المختار السادس و الخمسين من باب الخطب من النهج أوّله: و لقد كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و إخواننا و أعمامنا ما يزيدنا ذلک إلاّ إيمانا و تسليما إلخ، بقوله: و هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السّلام فى قصه ابن الحضرمى حيث قدم البصره من قبل معاويه و استنهض أمير المؤمنين أصحابه إلى البصره فتقاعدوا، قال: قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات: حدّثنا محمّد بن يوسف قال: حدّثنا الحسن بن علىّ الزعفرانى عن محمّد بن عبد اللّه بن عثمان عن ابن أبى سيف عن يزيد بن حارثه الأزدى عن عمرو ابن محصن أنّ معاويه لما أصاب محمّد بن أبى بكر بمصر و ظهر عليها دعا عبد اللّه بن عامر الحضرمى فقال له: سر إلى البصره فإنّ جلّ أهلها يرون رأينا فى عثمان و يعظمون قتله و قد قتلوا فى الطلب بدمه فهم متودّدون حنقون لما أصابهم ودّوا لو يجدون من يدعوهم و يجمعهم و ينهض بهم فى الطلب بدم عثمان و احذر ربيعه و انزل فى مضر و تودّد الأزد فإنّ الأزد كلّها معک إلاّ قليلا منهم و إنهم إنشاء اللّه غير مخالفيک.

فقال عبد اللّه الحضرمى له: أناسهم فى كنانتک و أنا من قد جربت و عدوّ أهل حربک و ظهيرک على قتله عثمان فوجّهنى إليهم متى شئت، فقال: اخرج غدا إنشاء اللّه، فودّعه و خرج من عنده.

فلمّا كان الليل جلس معاويه و أصحابه يتحدثون فقال لهم معاويه: فی أیّ منزل ینزل القمر اللیله ؟ فقال: بسعد الذابح، فکره معاویه ذلک و أرسل إلیه أن لا تبرح حتّی یأتیک أمری، فأقام و رأی معاویه أن یکتب إلی عمرو بن العاص و هو یومئذ بمصر عامله علیها یستطلع رأیه فی ذلک، فکتب إلیه و قد کان تسمّی بامره المؤمنین بعد یوم صفین و بعد تحکیم الحکمین:

من عبد اللّه معاویه أمیر المؤمنین إلی عمرو بن العاص سلام علیک أما بعد فإنّی قد رأیت رأیا هممت بإمضائه و لم یخذلنی عنه إلاّ استطلاع رأیک فإن یوافقنی أحمد اللّه و أمضیه، و إن یخالفنی فإنّی أستخیر اللّه و أستهدیه إنّی نظرت فی أمر أهل البصره فوجدت معظم أهلها لنا ولیّا و لعلیّ و شیعته عدوا و قد اوقع علمه بهم الواقعه الّتی علمت فأحقاد تلک الدماء ثابته فی صدورهم لا تبرح و لا تریم، و قد علمت أن قتلنا ابن أبی بکر و وقعتنا بأهل مصر قد أطفأت نیران أصحاب علیّ فی الافاق و رفعت رءوس أشیاعنا أین ما کانوا من البلاد، و قد بلغ من کان بالبصره علی مثل رأینا من ذلک ما بلغ الناس و لیس أحد ممّن یری رأینا أکثر عددا و لا أضرّ خلافا علی علیّ من اولئک فقد رأیت أن ابعث إلیهم عبد اللّه بن عامر الحضرمی فینزل من مضر و یتودّد الأزد و یحذر ربیعه و یبتغی دم ابن عفان و یذکرهم وقعه علیّ بهم الّتی أهلکت صالحی إخوانهم و آبائهم و أبنائهم فقد رجوت عند ذلک أن یفسد علی علیّ و شیعته ذلک الفرج من الأرض و متی یؤتی من خلفهم و أمامهم یضلّ سعیهم و یبطل کیدهم فهذا رأیی فما رأیک ؟ فلا تحبس رسولی إلاّ قدر مضی الساعه الّتی ینتظر فیها جواب کتابی هذا أرشدنا اللّه و إیّاک و السلام علیک و رحمه اللّه و برکاته.

فکتب عمرو بن العاص إلی معاویه أما بعد فقد بلغنی رسولک و کتابک فقرأته و فهمت رأیک الّذی رأیته فعجبت له و قلت: إنّ الّذی ألقاه فی روعک و جعله فی نفسک هو الثائر بابن عفّان و الطالب بدمه و انّه لم یک منک و لا منا منذ نهضنا فی هذه الحرب و نادینا أهلها و لا رأی الناس رأیا أضرّ علی عدوّک و لا أسرّ لولیّک من هذا

الأمر الّذى الهمته، فامض رأيك مسدّدا فقد وجهت الصليب الأريب الناصح غير الظنين و السلام.

فلمّا جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمى، و قد كان ظنّ حين تركه معاويه أياما لا يأمره بالشخوص أنّ معاويه قد رجع عن إشخاصه إلى غير ذلك الوجه فقال: يا ابن الحضرمى سر على بركه اللّه إلى أهل البصره فانزل فى مضر و احذر ربيعه و تودّد الأزد و انع ابن عفّان و ذكّرهم الوقعه الّتى أهلكتهم و منّ لمن سمع و أطاع دينا [دنيا] لا تفنى و أثره لا تفقدها حتّى يفقدنا أو نفقده.

فودّعه ثمّ خرج من عنده و قد دفع إليه كتابا و أمره إذا قدم أن يقرأه على الناس، قال عمرو بن محصن: فكنت معه حين خرج فلمّا خرجنا سرنا ما شاء اللّه أن نسير فسنح لنا ظبى اعضب عن شمائلنا فنظرت إليه فو اللّه لرأيت الكراهيه فى وجهه ثمّ مضينا حتّى نزلنا البصره فى بنى تميم فسمع بقدومنا أهل البصره فجاءنا كلّ من يرى رأى عثمان فاجتمع إلينا رءوس أهلها.

فحمد اللّه ابن الحضرمى و أثنى عليه ثمّ قال: أما بعد ايها الناس فإنّ إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفّان قتله علىّ بن أبى طالب ظلما فطلبتم بدمه و قاتلتم من قتله فجزاكم اللّه من أهل مصر خيرا و قد اصيب منكم الملاء الأخيار و قد جاءكم اللّه باخوان لكم لهم بأس يتقى و عدد لا يحصى فلقوا عدوكم الّذى قتلوكم فبلغوا الغايه الّتى أرادوا صابرين و رجعوا و قد نالوا ما طلبوا فما لؤهم و ساعدوهم و تذكروا آثاركم لتشفوا صدوركم من عدوّكم.

فقام إليه الضّحاك بن عبد اللّه الهلالى فقال: قبح اللّه ما جئتنا به و ما دعوتنا إليه جئتنا و اللّه بمثل ما جاء به صاحباك طلحه و الزبير، اتيانا و قد بايعنا عليا و اجتمعنا له فكلمتنا واحده و نحن على سبيل مستقيم فدعوانا إلى الفرقه و قاما فينا بزخرف القول حتّى ضربنا بعضنا ببعض عدوانا و ظلما فاقتتلنا على ذلك، و ايم اللّه ما سلمنا من عظيم و بال ذلك و نحن الان مجمعون على بيعه هذا العبد الصالح الّذى أقال العثره و عفا عن الشىء [المسىء] و أخذ بيعه غائبنا و شاهدنا أ فتأمرنا الان أن نختلع

أسيافنا من أغمادها ثمّ يضرب بعضنا بعضا ليكون معاويه أميرا و تكون له وزيرا و نعدل بهذا الأمر عن علىّ عليه السّلام و اللّه ليوم من الأيّام علىّ مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله خير من بلاء معاويه و آل معاويه لو بقوا فى الدّنيا، ما الدّنيا باقيه.

فقام عبد اللّه بن حازم السلمى فقال للضحّاك: اسكت فلست بأهل أن تتكلّم فى أمر العامّه، ثمّ أقبل على ابن الحضرمى فقال: نحن يدك و أنصارك و القول ما قلت و قد فهمنا عنك فادعنا أنّى شئت.

فقال الضّحاك لابن حازم: يا ابن السوداء و اللّه لا يعزّ من نصرت، و لا يذلّ بخذلانك من خذلت، فتشاتما، قال صاحب كتاب الغارات: و الضحّاك هذا هو الّذى يقول:

يا ايها ذا لسائلى عن نسبى بين ثقيف و هلال منصبى

امّى اسماء و ضحّاك أبى

قال: و هو القائل فى بنى العبّاس:

ما ولدت من ناقه لفحل فى جبل نعلمه و سهل

كستّه من بطن ام الفضل أكرم بها من كهله و كهل

عمّ النّبى المصطفى ذى الفضل و خاتم الأنبياء بعد الرسل

قال: فقام عبد الرّحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثمّ التّيمى فقال: عباد اللّه إنا لم ندعكم إلى الاختلاف و الفرقه لا نريد أن تقتلوا و لا تتنابزوا و لكنّا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم و توازروا إخوانكم الّذين هم على رأيكم، و أن تلموا شعثكم و تصلحوا ذات بينكم فمهلا مهلا و رحمكم اللّه استمعوا لهذا الكتاب و أطيعوا الّذى يقرأ عليكم.

ففضّوا كتاب معاويه و إذا فيه: من عبد اللّه معاويه أمير المؤمنين إلى من قرئ كتابى هذا عليه من المؤمنين و المسلمين من أهل البصره: سلام عليكم أمّا بعد فإنّ سفك الدّماء بغير حلّها، و قتل النفوس الّتى حرّم اللّه قتلها هلاك موبق و خسران

مبين، لا يقبل اللّه ممّن سفكها صرفا و لا عدلا و قد رأيتم رحمكم اللّه آثار ابن عفان و سيرته و حبّه للعافيه و معدلته و سدّه للثغور و إعطاءه فى الحقوق و إنصافه للمظلوم و حبّه للضعيف حتّى توثب عليه المتوثبون و تظاهر عليه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظمان صائما لم يسفك فيهم دما، و لم يقتل فيهم أحدا، و لا يطلبونه بضربه سيف و لا سوط ، و انما ندعوكم أيّها المسلمون إلى الطلب بدمه، و إلى قتال من قتله، فانا و إيّاكم على أمر هدى واضح، و سبيل مستقيم إنّكم إن جامعتمونا طفئت النائره و اجتمعت الكلمه و استقام أمر هذه الامّه و أقرّ الظالمون المتوثبون الّذى قتلوا إمامهم بغير حق فاخذوا بجرائرهم و ما قدّمت أيديهم انّ لكم أن أعمل فيكم بالكتاب و ان أعطيتم فى السّنه عطائين و لا أحتمل فضلا من فيئكم عنكم أبدا فسارعوا إلى ما تدعون رحمكم اللّه، و قد بعث إليكم رجلا من الصالحين كان من امناء خليفتكم المظلوم ابن عفّان و عمّاله و أعوانه على الهدى و الحق جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن يجيب إلى الحق و يعرفه و ينكر الباطل و يجحده، و السلام عليكم و رحمه اللّه.

قال: و لما قرئ عليهم الكتاب قال معظمهم: سمعنا و أطعنا.

قال: و روى محمّد بن عبد اللّه بن عثمان، عن علىّ بن أبى طالب، عن أبى زهير عن أبى منقر الشيبانى قال: قال الأحنف لمّا قرئ عليهم كتاب معاويه: أمّا أنا فلا ناقه لى فى هذا و لا جمل و أعتزل أمرهم ذلك، و قال عمرو بن مرحوم من عبد القيس: أيّها النّاس ألزموا طاعتكم و لا تنكثوا بيعتكم فيقع بكم واقعه و تصيبكم قارعه و لا يكن بعدها لكم بقيه ألا إنّى قد نصحت لكم و لكن لا تحبّون الناصحين.

قال إبراهيم بن هلال: و روى محمّد بن عبد اللّه عن ابن أبى سيف، عن الأسود بن قيس، عن ثعلبه بن عباد: إنّ الّذى كان سدّد لمعاويه رأيه فى تسريح ابن الحضرمى كتاب كتبه إليه عبّاس بن صحّار العبدى، و هو ممّن كان يرى رأى عثمان و يخالف قومه فى حبّهم عليّا و نصرتهم إيّاه و كان الكتاب: أما بعد فقد بلغنا و قعتك بأهل مصر الّذين بغوا على إمامهم و قتلوا خليفتهم طمعا و بغيا

فقرّت بـذلک العیون و شـفیت بـذلک النفوس و بردت أفئـده أقوام کانوا لقتل عثمان کارهین و لعـدوّه مفارقین و لکم موالین و بک راضـین، فان رأیت تبعث إلینا أمیرا طیّبا زکیّا ذا عفاف و دیّن إلی الطلب بـدم عثمان فعلت فإنّی لا إخال النّاس إلاّ مجمعین علیک، و إنّ ابن عبّاس غائب عن المصر و السلام.

قال: فلمّا قرأ معاویه کتابه قال: لا عزمت رأیا سوی ما کتب به إلیّ هذا، و کتب إلیه جوابه:

أمّا بعـد فقـد قرأت کتابک فعرفت نصـیحتک، و قبلت مشورتک، رحمک اللّه و سـدّدک اثبت هداک اللّه علی رأیک الرشـید فکأنک بالرجل الّذی سألت قد أتاک و کأنک بالجیش قد أظلّ علیک فسررت و حببت و السّلام.

قال إبراهیم: و حـدّثنا محمّـد بن عبد اللّه قال: حدّثنی علیّ بن أبی سـیف عن أبی زهیر قال: لما نزل ابن الحضـرمی فی بنی تمیم أرسل إلی الرءوس فأتوه فقال لهم: أجیبونی إلی الحق و انصرونی علی هذا الأمر قال: و إنّ الأمیر بالبصره یومئذ زیاد بن عبید قد اسـتخلفه عبد اللّه بن عبّاس و قدم علی علیّ علیه السّـلام إلی الکوفه یعزّیه عن محمّد بن أبی بکر قال: فقام إلیه ابن صحّار فقال: إی و الّذی له أسعی و إیّاه أخشی لننصرنّک بأسیافنا و أیدینا.

و قام المثنی بن مخزمه العبـدی فقال: لا و الّـذی لا إله إلاّ هو لإن لم ترجع إلی مکانک الّـذی أقبلت منه لنجاهـدنّک بأسـیافنا و أیـدینا و نبالنـا و أسـنّه رماحنـا نحن نـدع ابن عمّ رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله و سـیّد المسـلمین و نـدخل فی طاعه حزب من الأحزاب طاع ؟ و اللّه لا یکون ذلک أبدا حتّی تسیر کتیبه و نفلق السیوف بالهام.

فأقبل ابن الحضـرمی علی صبره بن شـیمان الأزدی فقال: یا صبره أنت رأس قومک و عظیم من عظماء العرب و أحـد الطلبه بدم عثمان رأینا رأیک، و رأیک رأینا و بلاء القوم عندک فی نفسک و عشیرتک ما قد ذقت و رأیت فانصرنی و کن من دونی.

فقال له: إن أنت أتیتنی فنزلت فی داری نصرتک و منعتک.

فقال: إنّ أمیر المؤمنین معاویه أمرنی أن أترک فی قومه من مصر، فقال: اتّبع

ما أمرک به، و انصرف من عنده و أقبل الناس إلی ابن الحضرمی و کثر تبعه ففزع لذلک زیاد و هاله و هو فی دار الإماره فبعث إلی الحصین بن المنذر و مالک بن مسمع فدعاهما فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: أما بعد فإنّکم أنصار أمیر المؤمنین و شیعته وثقته و قد جاءکم هذا الرجل بما قد بلغکم فأجیرونی حتّی یأتینی أمر أمیر المؤمنین و رأیه.

فأما مالک بن مسمع فقال: هذا أمر فیه نظر أرجع إلی من ورائی و أنظر و أستشیر و ألقاک.

و أما حصین بن المنذر فقال: نحن فاعلون و لن نخذلک و لن نسلمک، فلم یر زیاد من القوم ما یطمئنّ إلیه فبعث إلی صبره بن شیمان الأزدی فقال: یا ابن شیمان أنت سیّد قومک و أحد عظماء هذا المصر فإن یکن فیه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاک، أفلا تجیرنی و تمنعنی و تمنع بیت مال المسلمین فإنّما أنا أمین علیه ؟ فقال: بلی إن تحمّلت حتّی تنزل فی داری منعتک، فقال: إنّی فاعل فارتحل لیلا حتّی نزل دار صبره بن شیمان، و کتب إلی عبد اللّه بن عبّاس و لم یکن معاویه ادعی زیادا بعد، لأنّه إنّما ادّعاه بعد وفاه علیّ علیه السّلام:

للأمین عبد اللّه بن عبّاس من زیاد بن عبید سلام علیک أما بعد فإنّ عبد اللّه ابن عامر بن الحضرمی قبل من قبل معاویه حتّی نزل فی بنی تمیم، و نعی ابن عفّان و دعا إلی الحرب فبایعه جلّ أهل البصره فلمّا رأیت ذلک استجرت بالأزد بصبره ابن شیمان و قومه لنفسی و لبیت مال المسلمین و رحلت من قصر الاماره فنزلت فیهم و انّ الأزد معی، و شیعه أمیر المؤمنین من فرسان القبائل یختلف إلیّ ، و شیعه عثمان یختلف إلی ابن الحضرمی، و القصر خال منّا و منهم فارفع ذلک إلی أمیر المؤمنین لیری فیه رأیه و أعجل إلیّ بالذی تری أن تکون منه فیه و السّلام علیک و رحمه اللّه و برکاته.

قال: فرفع ذلک ابن عبّاس إلی علیّ علیه السّلام و شاع فی النّاس بالکوفه ما کان ذلک، و کانت بنو تمیم و قیس و من یری رأی عثمان قد أمروا ابن

الحضـرمی أن یسیر إلی قصر الأماره حین خلاه زیاد، فلمّا تهیّأ لذلک و دعا أصحابه رکبت الأزد و بعثت إلیه و إلیهم إنا و اللّه لا ندعکم تأتون القصر فتنزلون فیه من لا یرضی و من نحن له کارهون حتّی یأتی رجل لنا و لکم رضا فأبی أصحاب ابن الحضرمی إلّا أن یسیروا إلی القصـر، و أبت الأزد إلّا أن یمنعوهم فرکب الأحنف فقال لأصـحاب ابن الحضـرمی: إنّکم و اللّه ما أنتم بأحق بقصـر الأمـاره من القـوم و مـالکم أن تـؤمر علیهم من یکرهـونه فانصـرفوا عنهم ففعلوا، ثمّ جـاء إلی الأـزد فقـال: إنّه لم یکن ما تکرهون و لا یؤتی إلّا ما تحبّون فانصرفوا رحمکم اللّه ففعلوا.

قال إبراهیم: و حـدّثنا محمّد بن عبد اللّه بن أبی سـیف عن الکلبی: أنّ ابن الحضـرمی لمّا أتی البصـره و دخلها نزل فی بنی تمیم فی دار سبیل و دعا بنی تمیم و اخلاط مضـر، فقال زیاد لأبی الأسود الدؤلی: أما تری ما صـنعوا أهل البصـره إلی معاویه و ما فی الأزد لی مطمع ؟ فقال: إن کنت ترکتهم لم ینصروک و إن أصبحت فیهم منعوک.

فخرج زیـاد من لیلته فأتی صبره بن شـیمان الحـدانی الأزدی فأجاره، و قال له حین أصـبح: یا زیاد انّه لیس حسـنا بنا أن تقیم فینا مختفیا أکثر من یومک هذا، فأعدّ له منبرا و سـریرا فی مسـجد الحدان و جعل له شرطا و صلّی بهم الجمعه فی مسجد الحدان، و غلب ابن الحضرمی علی ما یلیه من البصره و جباها و أجمعت الأزد علی زیاد فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

یـا معشـر الأـزد إنّکم کنتم أعـدائی فأصـبحتم أولیـائی، و أولی النـاس بی و إنّی لو کنت فی بنی تمیم و ابن الحضـرمی فیکم لم أطمع فیه أبدا و أنتم دونه، فلا یطمع ابن الحضـرمی فیّ و أنتم دونی، و لیس ابن آکله الأکباد فی بقیّه الأحزاب و أولیاء الشیطان بـأدنی إلی الغلبه من أمیر المؤمنین فی المهـاجرین و الأنصار و قـد أصـبحت فیکم مضـمونا و أمانه مرادّه و قـد رأینا وقعتکم یوم الجمل فاصبروا مع الحق صبرکم مع الباطل فانّکم لا تحمدون إلّا علی النجده و لا تعذرون علی الجبن.

فقام شيمان أبو صبره و لم يكن شهد يوم الجمل و كان غائبا فقال: يا معشر الأزد ما أبقيت عواقب الجمل عليكم إلّا سوء الذكر و قد كنتم أمس على عليّ فكونوا اليوم له، و اعلموا أنّ إسلامكم ذلّ ، و خذلانكم إيّاه عار، و أنتم حيّ مضماركم الصبر، و عاقبتكم الوفاء، فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم و إن استمدّوا معاويه فاستمدّوا عليّا، و إن وادعوكم فوادعوهم.

ثمّ قام صبره ابنه فقال: يا معشر الأزد إنّا قلنا يوم الجمل نمنع مصرنا و نطيع امنا، فنطلب دم خليفتنا المظلوم فجدّدنا فى القتال و أقمنا بعد انهزام الناس حتّى قتل منّا من لا خير فينا بعده، زياد جاركم اليوم و الجار مضمون و لسنا نخاف من عليّ ما نخاف من معاويه فهبوا لنا أنفسكم و امنعوا جاركم أو فابلغوه مأمنه.

فقالت الأزد: إنما نحن لكم تبع فأجيروه، فضحك زياد و قال: يا صبره أ تخشون أن لا تقوموا لبنى تميم ؟ فقال صبره: إن جاءونا بالأحنف جئناهم بأبى صبره، و إن جاءوا بالحباب جئت أنا و إن كان فيهم شباب كثير، فقال زياد: إنما كنت مازحا.

فلمّا رأت بنو تميم أنّ الأزد قد قامت دون زياد بعثت إليهم أخرجوا صاحبكم و نحن نخرج صاحبنا فأىّ الأميرين غلب علىّ أو معاويه دخلنا فى طاعته و لا نهلك عامّتنا.

فبعث إليهم أبو صبره إنما كان هذا يرجى عندنا قبل أن نجيره، و لعمرى ما قتل زياد و إخراجه إلّا سوءا و أنّكم لتعلمون أنّا لم نجره إلّا كرما، فالهوا عن هذا.

قال: و روى أبو الكنود أنّ شبث بن ربعى قال لعلىّ عليه السّلام: يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحىّ من تميم فادعهم إلى طاعتك و لزوم بيعتك و لا تسلّط عليهم أزدعمان البعداء البغضاء فإنّ واحدا من قومك خير لك من عشره من غيرهم.

فقال له مخنف بن سليم الأزدى: إنّ البعيد البغيض من عصى اللّه و خالف أمير المؤمنين و هم قومك، و إنّ الحبيب القريب من أطاع اللّه و نصر أمير المؤمنين و هم قومى و أحدهم خير لأمير المؤمنين من عشره قومك.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: مه تناهوا أيها النّاس و ليردعكم الإسلام و وقاره عن التباغى و التهاذى، و لتجمع كلمتكم، و ألزموا دين اللّه الّذى لا يقبل من أحد غيره، و كلمه الإخلاص الّتى هى قوام الدّين، و حجّه اللّه على الكافرين، و اذكروا إذ كنتم قليلا- مشركين متباغضين متفرقين فألّف بينكم بالإسلام فكثرتم و اجتمعتم و تحابتم فلا تفرّقوا بعد إذ اجتمعتم، و لا تتباغضوا بعد إذ تحابتم، و إذا رأيتم النّاس و بينهم النائره و قد تداعوا إلى العشائر و القبائل فاقصدوا لهامهم و وجوههم بالسيف حتّى يفزعوا إلى اللّه و إلى كتابه و سنه نبيّه فأما تلك الحميّه من خطرات الشياطين فانتهوا عنها لا أبا لكم تفلحوا و تنجحوا.

ثمّ إنّه عليه السّلام دعى أعين بن صبيعه المجاشعى و قال: يا أعين ألم يبلغك أنّ قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمى بالبصره يدعون إلى فراقى و شقاقى و يساعدون الضلّال القاسطين علىّ .

فقال: لا تساء يا أمير المؤمنين و لا يكن ما تكره ابعثنى إليهم فأنا لك زعيم بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفى ابن الحضرمى من البصره أو قتله.

قال: فاخرج الساعه، فخرج من عنده و مضى حتّى قدم البصره، هذه روايه ابن هلال صاحب كتاب الغارات.

و روى الواقدى أنّ عليّا عليه السّلام استنفر بنى تميم أيّاما لينهض منهم إلى البصره من يكفيه أمر ابن الحضرمى و يردّ غاديه بنى تميم الّذين أجاروه بها فلم يجبه أحد فخاطبهم و قال: أليس من العجب أن ينصرنى الأزد و تخذلنى مضر؟ و أعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفه بى و خلاف تميم البصره علىّ ، و أن استنجد بطائفه منها بشخص إلى إخوانها فيدعوهم إلى الرشاد فإن أجابت و إلاّ- فالمنابذه و الحرب فكأنّى اخاطب صمّا بكما لا يفقهون حوارا، و لا يجيبون نداء، كلّ هذا جبنا عن البأس و حبّا للحياه لقد كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نقتل آباءنا و أبنائنا - الفصل إلى آخره.

قال: فقام إليه أعين بن صبيعه المجاشعى فقال: أنا إنشاء اللّه أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب و أتكفل لك بقتل ابن الحضرمى أو إخراجه عن البصره

فأمره بالتهيّوء للشخوص، فشخص حتّى قدم البصره.

قال إبراهيم بن هلال: فلمّا قدمها دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحّب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له علىّ عليه السّلام و ما ردّ عليه و ما الّذى عليه رأيه فإنّه يكلمه إذ جاءه كتاب من علىّ عليه السّلام فيه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد: سلام عليك أمّا بعد فإنّى قد بعثت أعين بن صبيعه ليفرق قومه من ابن الحضرمى فارقب ما يكون منه فإن فعل و بلغ من ذلك ما يظنّ به و كان فى ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما تحبّ و إن ترامت الامور بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانبذ من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت و إلّا فطاولهم و ماطلهم فكان كتائب المسلمين قد أطلت عليك فقتل اللّه المفسدين الظالمين و نصر المؤمنين المحقّين و السلام.

فلمّا قرأه زياد أقرأه أعين بن صبيعه فقال له: إنّى لأرجو أن يكفى هذا الأمر إن شاء اللّه.

ثمّ خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا قوم على ما ذا تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار، و إنّى و اللّه ما جئتكم حتّى عبّيت إليكم الجنود فإن تنيبوا إلى الحقّ يقبل منكم و يكفّ عنكم، و إن أبيتم فهو و اللّه استيصالكم و بواركم.

فقالوا: بل نسمع و نطيع، فقال: انهضوا الان على بركه اللّه عزّ و جلّ ، فنهض بهم إلى جماعه ابن الحضرمى فخرجوا إليه مع ابن الحضرمى فصافوه و وافقهم عامه يومه يناشدهم اللّه و يقول: يا قوم لا تنكثوا بيعتكم و لا تخلفوا إمامكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، فقد رأيتم و جربتم كيف صنع اللّه بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم، فكفّوا عنه و لم يكن بينه و بينهم قتال، و هم فى ذلك يشتمونه و ينالون منه، فانصرف عنهم و هو منهم منتصف.

فلمّا رأى إلى رحله تبعه عشره نفر يظنّ النّاس أنهم خوارج فضربوه بأسيافهم

و هو على فراشه و لا يظنّ أنّ الّذى كان يكون فخرج يشتدّ عريانا فلحقوه فى الطريق فقتلوه فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمى حين قتل أعين بجماعه من معه من الأزد و غيرهم من شيعه علىّ عليه السّلام فأرسل بنو تميم من الأزد، و اللّه ما غرضنا لجاركم إذ أجرتموه و لا لمال هو له و لا لأحد ليس على رأينا فما تريدون إلى حربنا و إلى جارنا فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم.

فكتب زياد إلى علىّ عليه السّلام أما بعد يا أمير المؤمنين فإنّ أعين بن صبيعه قدم علينا من قبلك بجدّ و مناصحه و صدق و يقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثّهم على الطاعه و الجماعه، و حذّرهم الخلاف و الفرقه ثمّ نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامه النهار فهال أهل الخلال تقدمه و تصدع عن ابن الحضرمى كثير ممّن كان يريد نصرته فكان كذلك حتّى أمسى فأتى فى رحله فبنيه نفر من هذه الخارجه المارقه فاصيب رحمه اللّه فأردت أن اناهض القوم ابن الحضرمى عند ذلك فحدث أمر قد أمرت صاحب كتابى هذا أن يذكره لأمير المؤمنين و قد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جاريه بن قدامه فإنّه نافذ البصيره و مطاع فى العشيره شديد على عدوّ أمير المؤمنين فإن يقدم يفرّق بينهم بإذن اللّه، و السّلام على أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته.

فلمّا جاء الكتاب دعا جاريه بن قدامه فقال له: يا ابن قدامه تمنع الأزد عاملى و تبيت مالى و تشاقنى مضر و تنابذنى و بنا ابتدأها اللّه تعالى بالكرامه و عرفه الهدى و تداعوا إلى المعشر الّذين حادّوا اللّه و رسوله و أرادوا إطفاء نور اللّه سبحانه حتّى علت كلمه اللّه و هلك الكافرون، فقال: يا أمير المؤمنين ابعثنى إليهم و استعن باللّه عليهم، قال: قد بعثتك إليهم و استعنت باللّه عليهم.

قال إبراهيم: فحدثنا محمّد بن عبد اللّه قال: حدثنى ابن أبى السيف عن سليمان ابن أبى راشد عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جاريه من الكوفه إلى البصره فى خمسين رجلا من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى و كنت شديد التشيّع فقلت لجاريه: إن شئت كنت معك، و إن شئت ملت إلى قومى، فقال: بل معى فو اللّه لوددت

أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس.

قال: و روى كعب بن قعين أنّ عليّا عليه السّلام كتب مع جاريه كتابا و قال اقرأه على أصحابك، قال: فمضينا معه فلمّا دخلنا البصره بدأ بزياد فرحّب به و أجلسه إلى جانبه و ناجاه ساعه و سائله ثمّ خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسك و اتّق أن تلقى ما لقى صاحبك القادم قبلك.

و خرج جاريه من عنده فقام فى الأزد فقال: جزاكم اللّه من حىّ خيرا، ما أعظم عناءكم، و أحسن بلاءكم، و أطوعكم لأميركم! لقد عرفتم الحقّ إذ ضيّعه من أنكره، و دعوتم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثمّ قرأ عليهم و على من كان معه من شيعه على عليه السّلام و غيرهم كتاب علىّ عليه السّلام فإذا فيه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصره من المؤمنين و المسلمين - إلى قوله عليه السّلام: حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه تعالى و السّلام، كما تقدّم فى المصدر.

قال: فلمّا قرئ الكتاب على الناس قام صبره بن شيمان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك، و إن أحببت أن ننصرك نصرناك.

و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك و نحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم فقام زياد فى الأزد فقال:

يا معشر الأزد إنّ هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا اليوم حربا و إن كنتم حربا فأصبحتم سلما و إنّى و اللّه ما اخترتكم إلّا على التجربه و لا أقمت فيكم إلّا على الأمل فما رضيتم إذ أجرتمونى حتّى نصبتم لى منبرا و سريرا و جعلتم لى شرطا و أعوانا و مناديا و جمعه فما فقدت بحضرتكم شيئا إلّا هذا الدرهم لا اجبه اليوم فإن لا اجبه اليوم اجبه غدا إن شاء اللّه، و اعلموا أنّ حربكم اليوم معاويه أيسر عليكم فى الدّنيا و الدّين من حربكم أمس عليّا، و قد قدّم عليكم جاريه بن قدامه و إنّما أرسله علىّ ليصدع أمر قومه و اللّه ما هو بالأمير المطاع و لو أدرك أمله فى قومه لرجع إلى

أمير المؤمنين و لكـان لى تبعا، و أنتم الهامّه العظمى و الجمره الحاميه فقـدّموه إلى قومه فإن اضـطرّ إلى نصـركم فسـيروا إليه إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبره بن شـيمان فقال: يا زياد إنّى و اللّه لو شهدت قومى يوم الجمل رجوت أن لا يقاتلوا عليّا و قد مضى الأمر بما فيه و هو يوم بيوم و أمر بأمر و اللّه إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيّئ و التوبه مع الحقّ و العفو مع الندم و لو كانت هذه فتنه لـدعونا القوم إلى إبطـال الـدّماء و استينـاف الامـور و لكنّهـا جمـاعه دماؤهـا حرام و جروحها قصاص و نحن معك نحبّ ما أحببت.

فعجب زياد من كلامه و قال: ما أظنّ فى النّاس مثل هذا.

ثمّ قـام صبره ابنه فقـال: إنّـا و اللّه مـا اصـبنا بمصـيبه فى دين و لاـ دنيا كما اصـبنا أمس يوم الجمل، و إنّا لنرجو اليوم أن يمحص ذلـك بطـاعه اللّه و طـاعه أمير المؤمنين و ما أنت يا زياد فو اللّه ما أدركت أملك فينا، و لا أدركنا ما أملنا فيك دون ردّك إلى دارك و نحن رادّوك إليها غـدا إن شاء اللّه تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منّا فإنّك إلاّ تفعل لم تأت ما يشـبهك، و إنّا و اللّه نخاف حرب علىّ فى الاخره ما لا نخاف من حرب معاويه فى الدّنيا فقدّم هواك و أخّر هوانا فنحن معك و طوعك.

ثمّ قـام خنفر الجمّـانى فقـال: ايّهـا الأمير إنّك لو رضـيت منّا بما ترضـى به من غيرنا لم نرض ذلك لأنفسـنا سـربنا إلى القوم إن شئت، و أيم اللّه ما لقينا يوما قطّ إلاّ اكتفينا بعفونا دون جهدنا إلاّ ما كان أمس.

قال إبراهيم: فأمّا جاريه فإنّه كلّم قومه فلم يجيبوه و خرج إليهم منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصـرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد و خرج إليهم ابن الحضرمى و على خيله عبد اللّه بن حازم السلمى فاقتتلوا ساعه و أقبل شـريك بن الأعور الحارثى و كان من شيعه علىّ عليه السّلام و صديقا لجاريه بن قدامه فقال ألا اقاتل معك عدوّك ؟ فقال: بلى فما لبثوا بنى تميم أن هزموهم و اضطرّوهم إلى دار سبيل السعدى فحصروا ابن الحضرمى

و حدود مأتی رجل من بنی تمیم و معهم عبد اللّه بن حازم السلمی فجاءت امّه و هی سوداء حبشیّه اسمها عجلی فنادته فأشرف علیها فقالت یا بنیّ أنزل إلیّ فأبی فکشفت رأسها و أبدت قناعها و سألته النزول فأبی، فقالت: و اللّه لتنزلنّ أو لأتعرین و أهوت بیدها إلی ساقها فلمّا رأی ذلک نزل فذهبت به و أحاط جاریه و زیاد بالدّار، و قال جاریه: علیّ بالنّار فقالت الأزد: لسنا من الحریق بالنّار فی شیء و هم قومک و أنت أعلم.

فحرق جاریه الدّار علیهم فهلک ابن الحضرمی فی سبعین رجلا أحدهم عبد الرّحمن بن عمیر بن عثمان القرشیّ ثمّ التمیمیّ ، و سمّی جاریه منذ ذلک الیوم محرقا، و سارت الأزد بزیاد حتّی أوطنوه قصر الإماره و معه بیت المال، و قالت له: هل بقی علینا من جوارک شیء؟ قال: لا، قالوا: فبرءنا منه ؟ فقال: نعم فانصرفوا عنه.

و کتب زیاد إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام: أما بعد فإنّ جاریه بن قدامه العبد الصالح قدم من عندک فناهض جمع ابن الحضرمی بمن قصره و أعانه من الأزد ففضّه و اضطرّه إلی دار من دور البصره فی عدد کثیر من أصحابه فلم یخرج حتّی حکم اللّه تعالی بینهما فقتل ابن الحضرمی و أصحابه منهم من أحرق بالنار، و منهم من هدم علیه البیت من أعلاه، و منهم من قتل بالسیف، و سلم منهم نفر أنابوا و تابوا فصفح عنهم، و بعدا لمن عصی و غوی، و السّلام علی أمیر المؤمنین و رحمه اللّه و برکاته.

فلمّا وصل کتاب زیاد قرأه علیّ علیه السّلام النّاس و کان زیاد قد أنفذه مع ظبیان ابن عماره، فسرّ علیّ علیه السّلام بذلک و سرّ أصحابه و أثنی علی جاریه و علی زیاد و علی الأزد البصره فقال: إنها أوّل القری خرابا إمّا غرقا و إمّا حرقا حتّی یبقی مسجدها کجؤجؤ سفینه، ثمّ قال لظبیان: أین منزلک منها؟ فقال: مکان کذا، فقال: علیک بضواحیها.

الترجمه

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام بأهل بصره نوشت:

از گسیختن رشتهٔ پیمان و دشمنی خود آگاهید، که من از گناهکارتان درگذشتم و از گریزندهٔ شما شمشیر برداشتم، و به پوزش روی آورنده را پذیرفتم، پس اگر کارهای تباه کننده، و بیخردی اندیشه های بیجا، شما را به جنگ و خلاف با من براه انداخت، این منم که اسبان تازی را هوار کارزاری خود را نزدیک گردانیده ام و دم دست آورده ام، و بر شتران سواری خود پالان نهادم.

و اگر مرا بامدن ناچار کنید با شما کاری و کارزاری کنم که جنگ جمل در پیش آن چون لیسیدن لیسندهٔ انگشت خود را پس از خوراک، بیش نباشد، با این که به پایهٔ فرمانبردار، و به حقّ نیکخواه شما آشنایم، بدون این که از گناهکار درگذرم و بجای آن بی گناه را بگیرم، و یا از پیمان شکن بگذرم و به آن که پیمان را بسر برده مؤاخذه کنم.

و من کتاب له علیه السّلام الی معاویه – و هو المختار

اشاره

الثلاثون من باب المختار من کتبه و رسائله

فاتّق اللّه فیما لدیک، و انظر فی حقّه علیک، و ارجع إلی معرفه ما لا تعذر بجهالته فإنّ للطّاعه أعلاما واضحه، و سبلا نیّره، و مهجّه نهجه [نهجه – معا]، و غایه مطلّبه یردها الأکیاس و یخالفها الأنکاس، من نکّب عنها جار عن الحقّ ، و خبط فی التّیه، و غیّر اللّه نعمته، و أحلّ به نقمته، فنفسک نفسک فقد

بيّن اللّه لك سبيلك، و حيث تناهت بك أمورك فقد أجريت إلى غايه خسر، و محلّه كفر، و إنّ نفسك قد أوحلتك شرّا، و أقحمتك غيّا، و أوردتك المهالك، و أوعرت عليك المسالك.

المصدر

هذا الفصل اختاره الشريف الرضى رضوان اللّه عليه على دأبه من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه و هذه صورته الكامله:

أمّا بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى، و تستقبح مواربتى، و تزعمنى متجبّرا، و عن حقّ اللّه مقصّرا، فسبحان اللّه، كيف تستجيز الغيبه ؟ و تستحسن العضيهه ؟ و إنّى لم اشاغب إلّا فى أمر بمعروف، أو نهى عن منكر و لم أتجبّر [و لم أضجر - نسخه] إلّا على باغ مارق، أو ملحد منافق، و لم آخذ فى ذلك إلّا بقول اللّه سبحانه: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ ».

و أما التقصير فى حقّ اللّه تعالى فمعاذ اللّه! و المقصّر فى حقّ اللّه جلّ ثناؤه من عطّل الحقوق المؤكّده، و ركن إلى الأهواء المبتدعه، و أخلد إلى الضلاله المحيّره.

و من العجب أن تصف يا معاويه الإحسان، و تخالف البرهان، و تنكث الوثائق الّتى هى للّه عزّ جل طلبه، و على عباده حجّه، مع نبذ الإسلام، و تضييع الأحكام و طمس الأعلام، و الجرى فى الهوى، و التّهوس فى الرّدى.

فاتّق اللّه فيما لديك، و انظر فى حقّه عليك - إلى آخر الفصل المختار من النهج، و إنّ للنّاس جماعه يد اللّه عليها، و غضب اللّه على من خالفها، فنفسك نفسك قبل حلول رمسك، فإنّك إلى اللّه راجع، و إلى حشره مهطع، و سيبهظك كربه و يحلّ بك غمّه، يوم لا يغنى النّادم ندمه، و لا يقبل من المعتذر عذره، يوم لا يغنى

مولی عن مولی شیئا و لا هم ینصرون.

قلت: إنّ کلامه علیه السّلام أما بعد فقد بلغنی کتابک تذکر مشاغبتی، صریح فی أنّ هذا الکتاب جواب عن کتاب کتبه معاویه إلیه و لکن لم نظفر علیه مع کثره الفحص و التتبع، و کتاب أمیر المؤمنین علی علیه السّلام هذا نقله الشارح المعتزلی و الشارح البحرانی فی المقام و علم الهدی ابن المولی المحسن الفیض فی معادن الحکمه «ص ۱۵۹ ج ۱» و أحمد زکی صفوت فی جمهره رسائل العرب «ص ۴۳۳ ج ۱» و لم ینقلوا کتاب معاویه بل الأخیرین نقلا کتاب أمیر المؤمنین علیه السّلام هذا من الأوّلین و أتی به المجلسی فی ثامن البحار «ص ۵۴۰» ناقلا عن البحرانی أیضا.

اللغه

(مشاغبتی) الشّغب تهییج الشرّ کالتشغیب و شاغبه شارّه، (موارتبی) المواربه:

المداهاه و المخاتله کما فی القاموس، و فی غیر واحد من النسخ موازرتی، (متجبرا) بالجیم و الباء الموحده کما فی عدّه نسخ و فی نسخ اخری متحیرا بالحاء المهمله و الیاء المثناه من تحت و الأوّل أنسب بما یأتی من قوله علیه السّلام: و لم أتجبّر إلّا علی باغ مارق، و منه یعلم رجحان أتجبّر علی أضجر أیضا.

(العضیهه): بالفتح البهیّه و هی الإفک و البهتان کما قاله الجوهری فی الصحاح قال المتوکّل اللیثی:

احذر وصال اللئیم إنّ له عضها إذا حبل وصله انقطعا

و البیت من الحماسه (الحماسه ۴۴۲) قال المرزوقی فی شرحه علیها: العضه ذکر القبیح کذبا و زورا، و یقال عضهته إذا رمیته بالزّور، و أعضه الرجل أتی بالعضیهه و هی الإفک، و من کلامهم یا للعضیهه و یا للأفیکه.

(رکن) إلیه من بابی علم و نصر أی مال إلیه و سکن و وثق به.

(أخلد إلی الضلاله) قال الجوهری: أخلدت إلی فلان أی رکنت إلیه، و منه قوله تعالی: «وَ لکِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَی الْأَرْضِ »، (الطمس) ازاله الأثر بالمحو، قال تعالی:

«فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ » «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ » أى أزل صورتها «وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ » أى أزلنا ضوأها و صورتها كما يطمس الأثر قاله الراغب فى المفردات.

(التهوّس فى الردى) تهوّس: مشى ثقيلا فى أرض ليّنه كما عن اللّسان، و قال الجوهرى فى الصّحاح: الهوس السوق اللين، يقال: هست الإبل فهاست أى ترعى و تسير.

(المحجّه) الطريق الواضحه، و (النهجه) الطريق الواضحه أيضا و أنهج الطريق أى استبان و صار نهجا واضحا بيّنا، أى جادّه مستبينه.

(مطلبه) بتشديد اللاّم المفتوحه، كما فى نسخه الرضى أى مطلوبه، و فى غير واحده من النسخ مطلوبه، و قال المجلسى فى البحار: النسخ المصحّحه متّفقه على تشديد الطّاء، فالكلمه على هذا من اطّلب كافتعل، يقال: اطّلبه أى طلبه قال الجوهرى فى الصّحاح: طلبت الشىء طلبا و كذلك اطّلبته على افتعلته، و قال الشارح البحرانى: مطّلبه بتشديد الطاء و فتح اللاّم، أى مطلوبه جدّا منهم بناء على أنّ كثره المبانى تدلّ على كثره المعانى، قال الرضى فى شرح الشافيه:

اعلم أنّ المزيد فيه لغير الإلحاق لا بدّ لزيادته من معنى لأنّها إذا لم يكن لغرض لفظى، كما كانت فى الإلحاق، و لا لمعنى كانت عبثا. انتهى.

و قرأها الشارح المعتزلى على سكون الطاء و كسر اللاّم، حيث قال: قوله غايه مطلبه أى مساعفه لطالبها بما يطلبه، تقول: طلب فلان منّى كذا فأطلبته أى اسعفته به، ثمّ خطّأ الراوندى بقوله: قال الراوندى: مطلبه بمعنى متطلّبه يقال: طلبت كذا و تطلبته و هذا ليس بشىء يخرج الكلام أن يكون له معنى. انتهى.

قلت: التطلّب طلب الشىء مرّه بعد اخرى مع تكلّف، و يأبى سياق الكلام عن حمله على هذا المعنى، و لذا قال الشارح المذكور ردّا على الراوندى:

و هذا ليس بشىء يخرج الكلام عن أن يكون له معنى.

ثمّ إنّ ما اختاره الشارح المعتزلى ليس بسديد أيضا لأنّ قول أمير المؤمنين عليه السّلام: يردها الأكياس و ما بعده يبيّن لنا أنّ الكلمه بمعنى المطلوبه سواء

كانت بتشديد اللّام، كما فى نسخه الرضى، أو بتشديد الطّاء و فتح اللّام كما فى البحار.

و عاضد ما اختاره الشارح المذكور الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهره رسائل العرب بقوله: و يجوز أن تكون مطلبه بسكون الطاء و كسر اللاّم من أطلبه إذا أعطاه ما طلبه أى تؤتى أصحابها ما يطلبون من ثواب اللّه و رحمته و هذا أحسن. انتهى. و لقد علمت ما فيه.

(الأكياس) جمع كيّس كجيّد أى العاقل و يجمع على الكيسى أيضا إجراء له مجرى ضده أحمق و حمقى، قال إبراهيم النّخعى لمنصور بن المعتمر:

سل مسأله الحمقى، و احفظ حفظ الكيسى كما فى البيان و التبيين (ج ١ ص ٢٩٩).

(الأنكاس)جمع النّكس بكسر النّون فالسّكون قال رجل من بنى أسد:

و ما أنا بالنّكس الدّنىّ و لا الّذى إذا صدّعنّى ذو المودّه أحرب

و البيت من أبيات الحماسه (الحماسه ٩١) و قال المرزوقى فى شرحه: النّكس أصله فى السهام و نقل إلى الضعيف من الرّجال، يقال: نكسته نكسا ثمّ يسمّى المنكوس نكسا، كما يقال: نقضته نقضا ثمّ يسمّى المنقوض نقضا بكسر النون كأنّ السهم انكسر فوقه فنكس فسمّى نكسا، فيقول: ما أنا بالمستضعف اللئيم و لا الّذى إذا انحرف عنه من يوادّه دعا بالويل و الحرب فقال و احرباه.

و فى الحماسه ٣٩٧، قالت امرأه من بنى الحارث:

فارس ما غادروه ملحما غير زمّيل و لا نكس و كل

و قال المرزوقى فى شرحه: النّكس المقصّر عن غايه النجده و الكرامه و أصله فى السّهام و هو الّذى انكسر فجعل أسفله أعلاه فلا يزال ضعيفا.

و فى الحماسه ٧١٤، قال عمرو بن الإطنابه.

ليسوا بأنكاس و لا ميل إذا ما الحرب شبّت أشعلوا بالشّاعل

و قال المرزوقى فى شرحه: الأنكاس جمع النّكس، و النّكس أصله فى السّهام تنكسر فيجعل أسفلها أعلاها فتضعف، انتهى. قلت: و يقال للأحمق أنكس

شبيها بذلك السهم النّكس،و فى المفردات للراغب: النّكس السهم الّذى انكسر فوقه فجعل أعلاه أسفله فيكون رديئا و لرداءته يشبّه به الرجل الدّنىّ ، (نكب عنها) من باب نصر و فرح أى عدل عنها، يقال: نكبت الريح إذا مالت عن مهابّ الرّياح، فالرّيح نكباء.

و الفعل فى نسخه الرضى كان بتشديد الكاف و قد اخترناه، يقال: نكّب عن الطريق بالتشديد إذا عدل و تنحّى، و نكّب الشىء نحّاه، لازم متعدّ، و يقال: نكّبه الطريق، و نكّب به الطريق، و نكّب به عن الطريق أى عدّله و نحّاه، و فى المقام بمعناه الأوّل.

(جار عن الحقّ) من الجور كما مضى فى المختار المقدّم قوله عليه السّلام:

و سفه الاراء الجائره، قال الجوهرى: الجور الميل عن القصد يقال: جار عن الطريق، انتهى كلامه.

(خبط) مشى على غير هدى و استقامه، و (التيه): الضلال، (نقمته) بفتح النون و كسر القاف كما فى نسخه الرضى، و فيها وجهان آخران بفتح النون و سكون القاف، و بكسر النون و سكون القاف أيضا و هى اسم من الانتقام و هى المكافأه بالعقوبه يقال: حلّت به النقمه، تجمع على نقم و نقم و نقمات.

(تناهت) أى بلغت، قال الجوهرى: الإنهاء الإبلاغ و أنهيت الخبر فانتهى و تناهى أى بلغ.

(أجريت) يقال: أجرى فلان إلى غايه كذا أى قصدها بفعله و أصله من إجراء الخيل للمسابقه، و المحله: المنزله.

(أوحلتك) بالواو فالحاء المهمله كما فى نسخه الرضى رضوان اللّه عليه و فى نسخ قد أولجتك، و فى بعضها: قد أوجلتك، و المختار هو الأوّل، أى أورطتك فى الوحل، قال الجوهرى: الوحل بالتحريك الطين، و وحل الرجل بالكسر وقع فى الوحل، و أوحله غيره.

(أقحمتك) أى أدخلتك، و الاقتحام الدخول فى الأمر بشدّه و عنف،

و يقال: أقحم فرسه النهر، أى أوقعه و أدخله فيه بعنف.

(الغىّ): الضلال و الانهماك فى الباطل، و قال الراغب فى المفردات: الغىّ جهل من اعتقاد فاسد و ذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا و لا فاسدا، و قد يكون من اعتقاد شىء فاسد و هذا النحو الثانى يقال له غىّ ، قال تعالى: «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى »... «وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ »، و قوله:

«فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » أى عذابا فسمّاه الغىّ لما كان الغىّ هو سببه و ذلك كتسميه الشىء بما هو سببه كقولهم للنبات: ندى.

(اوعرت) من الوعر اى الصعب وزنا و معنى: يقال: مكان وعر و طريق وعر و مطلب وعر، و أوعرت عليك المسالك أى اخشنت و صعبت (رمسك) الرمس القبر، قال الفيومىّ فى المصباح: رمست الميت رمسا من باب قتل و فى لغه من باب ضرب دفنته، و الرمس: التراب تسميه بالمصدر ثمّ سمّى القبر به و الجمع رموس مثل فلس و فلوس، قال مسور بن زياده الحارثى:

أبعد الّذى بالنّعف نعف كويكب رهينه رمس ذى تراب و جندل

و البيت من الحماسه (۶۴) قال المرزوقى فى الشرح: الرمس القبر، و الأصل فى الرمس التغطيه يقال: رمسته بالتراب و منه الرياح الروامس، و قال المتلمّس:

أ لم تر أنّ المرأ رهن منيّه صريع لعافى الطير أو سوف يرمس

و البيت من الحماسه أيضا (الحماسه ۲۲۰) و قال المرزوقى: و معنى يرمس يدفن و الرمس الدفن و الرياح الروامس منه و توسّعوا فى الدّفن فقيل: ارمس هذا الحديث، كما يقال: ادفن.

(مهطع) قال ابن الأثير فى النهايه: فى حديث علىّ عليه السّلام سراعا إلى أمره مهطعين إلى معاده: الإهطاع الاسراع فى العدو، و قال الراغب: هطع الرجل ببصره إذا صوّبه، و بعير مهطع إذا صوّب عنقه، قال تعالى: «مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ »... - «مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ » انتهى، و الإهطاع لا يكون إلّا مع خوف و ذلّ و خشوع يقال: أهطع فى السير إذا أسرع و أقبل مسرعا خائفا كهطع كما يستفاد من قوله

تعالى: «وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلًا عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ » (إبراهيم: ۴۴)، و قوله تعالى:

«يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ » (القمر: ۹)، و قوله تعالى: «فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ » قال أحمد بن يحيى: المهطع الّذى ينظر فى ذلّ و خشوع لا يقلع بصره كما فى مجمع البيان، و قال: قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشىء لا يزايله و ذلك من نظر العدو.

و فى القاموس هطع كمنع هطعا و هطوعا أسرع مقبلا خائفا أو أقبل ببصره على الشىء لا يقلع عنه.

(سيبهظك) قال الجوهرى فى الصحاح: بهظه الحمل يبهظه بهظا أى أثقله و عجز عنه فهو مبهوظ و هذا أمر باهظ أى شاقّ ، قال زياد بن حمل كما فى الحماسه أو زياد بن منقذ كما فى ماده قزم من صحاح اللّغه فى أبيات منها:

و كان عهدى بها و المشى يبهضها من القريب و منها النّوم و السّأم

قال المرزوقى: و معنى يبهضها يثقل عليها و يشقّ .

الاعراب

(معاذ اللّه) منصوب مفعول مطلق لفعله المحذوف العامل فيه كسبحان اللّه قال الجوهرى فى الصحاح: قولهم: معاذ اللّه أى أعوذ باللّه معاذا، تجعله بدلا من اللفظ بالفعل لأنّه مصدر و إن كان غير مستعمل مثل سبحان اللّه و يقال أيضا معاذه اللّه و معاذه وجه اللّه و معاذ وجه اللّه و هو مثل المعنى و المعناه و المأتى و المأتاه، و يقال عوذ باللّه منك أى أعوذ باللّه منك.

(فان للطاعه) الفاء فى مقام التعليل لقوله: لا تعذر بجهالته، و ضمير يردها و يخالفها و عنها راجع إلى السبل و المهجّه، و أمكن أن يرجع إلى الطّاعه

و الغايه أيضا على توسّع.

(فنفسك نفسك) منصوب من باب الإغراء و هو أن تحمل المخاطب على فعل شيء محبوب نحو قول الشاعر:

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

و الفعل يقدّر فى كلّ موضع بحسبه ففى الشعر يقتضى الزم مثلا و فى الغزال الغزال يناسب ارم، و ههنا احفظ و ارحم و انقذ و نحوهما.

قوله:(و حيث تناهت بك اموركَ) أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله:

الأولى أن لا يكون هذا معطوفا و لا متّصلا بقوله: فقد بيّن اللّه لك سبيلك، بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف: حيث أنت، أى قف حيث أنت فلا يذكرون الفعل، و مثله قولهم: مكانك، أى قف مكانك.

المعنى

قوله عليه السّلام:(فاتّق اللّه فيما لديك) ما كان لديه هو تولّى امور المسلمين غصبا و طغيانا، فإنّ ما كان فى يده هو حقّ اللّه و حقّ رسوله و حقّ اولى الأمر و حقّه سبحانه مفوّض إلى نبيّه أو وصىّ نبيّه و لا يتولّى ذلك المنصب إلّا نبىّ أو وصىّ أو شقىّ ، و الشقى من غصب حقّ الإمام الحقّ أى حقّ اللّه و رسوله، و لذا أمره الأمير عليه السّلام باتقائه اللّه فى ذلك، و صرّح باسم اللّه سبحانه لأنّه عليه السّلام كأنّما يقول له: اتّق اللّه فى تصرّفك حقّه سبحانه عدوانا، كما نقول نحن لمن خان زيدا مثلا: استح من زيد فى خيانتك فى عرضه و ماله.

قوله عليه السّلام:(و انظر فى حقّه عليك) حقّه تعالى عليه أن لا يعصيه فيما أمره، و ممّا أمره به هو قوله سبحانه: «أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء: ۶۰) اللهمّ إلّا أن يقال انّ الايه مصدّره بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » و مذيّله بقوله سبحانه: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ » فمعاويه و أترابه خارجه عن الخطاب رأسا.

و فی رساله إمامنا سیّد السّاجدین و زین العابدین علیّ بن الحسین صلوات اللّه علیهما المعروفه برساله الحقوق، قد نقلها کامله المحدّث الخبیر ابن شعبه الحرّانی قدّس سرّه فی تحف العقول: اعلم رحمک اللّه أنّ للّه علیک حقوقا محیطه بک فی کلّ حرکه تحرّکتها، أو سکنه سکنتها، أو منزله نزلتها، أو جارحه قلبتها، أو آله تصرّفت بها، بعضها أکبر من بعض، و أکبر حقوق اللّه علیک ما أوجبه لنفسه تبارک و تعالی من حقّه الّذی هو أصل الحقوق و منه تفرّع.

فالویل ثمّ الویل لمن لم یطع اللّه سبحانه فی حقّه علیه، فضلا عن أن یغاصب حقّه.

قوله علیه السّلام:(و ارجع إلی معرفه ما لا تعذر بجهالته) أمره أن یرجع إلی معرفه ما لا یقبل عذره بجهالته من وجوب طاعه اللّه سبحانه و رسوله و طاعه الإمام الحقّ ، و لمّا أخرجته هوی النفس عن الطاعه إلی العصیان و الطغیان و عن نور المعرفه إلی ظلمه الجهاله و حیره الضلاله، أمره بالرجوع إلی معرفه ما أی الحقّ الّذی لا یسمع تجاهله فیه.

قوله علیه السّلام (فإنّ للطاعه أعلاما واضحه - إلخ) الأعلام جمع العلم بفتحتین و هو شیء منصوب فی الطریق یهتدی به و غایه الطاعه القرب منه تعالی و الغایه ما إلیه الحرکه، و وصف علیه السّلام الأعلام بالواضحه و تالییها بالتیّره و النهجه لحسم العذر أصلا و سدّ طرق العذر من جمیع الجوانب، فانّ السبل إذا کانت تیّره و المهجه نهجه و أعلامها واضحه و کانت غایتها مطلّبه، فمن أین یعتذر المتمرّد عن الطاعه، و ما مستمسکه فی العذر، و بأیّ باب یدخل لذلک ؟ و قد دریت من بحثنا عن الإمامه فی المختار ۲۳۷ من باب الخطب (ص ۳۵ - إلی ص ۱۷۵ من ج ۱۶) أنّ القرآن و رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و آله هم الأئمه الحقّ و الأعلام الواضحه و السّبل التیّره و المهجه النهجه لا غیر، فراجع إلی ذلک المبحث الشریف حتّی یتبیّن لک بالعیان أنّ الال هم الّذین اختارهم اللّه و اجتباهم و اصطفاهم أعلاما واضحه للطریقه الّتی هی أقوم، إنّ هذا القرآن یهدی للّتی هی أقوم.

قوله علیه السّلام:(یردها الأکیاس و یخالفها الأنکاس) قد دریت فی اللّغه

أنّ الأكياس بمعنى العقلاء، و إنما يردها الأكياس لأنّ العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، و أنّ الأنكاس جمع النكس و هو الرجل الدّنى المنكوس على ما بيّن فى اللّغه مشبعا، و إنّما يخالفها الأنكاس لأنّهم لدناءه طبعهم، و قصور همّتهم ألفوا بقاذورات الدّنيا الدّنيّه و أوساخ الامال النفسانيّه الشيطانيّه فهم ناكسوا رؤوسهم إلى اللّذائذ الحيوانيّه الداثره الفانيه أقرب شىء شبها بهم الأنعام السائمه، و فى كتاب العقل و الجهل من الكافى: بإسناده عن محمّد بن عبد الجبّار عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما العقل ؟ قال: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: فالّذى كان فى معاويه ؟ فقال:

تلك النكراء تلك الشيطنه و هى شبيهه بالعقل و ليست بالعقل، و قد مضى بحثنا عن هذا الحديث و شرحه فى المختار السابع باب الكتب و الرسائل فراجع إلى (ص ۲۲۵ ج ۱۷).

و قد تقدّم فى رسالتنا فى لقاء اللّه تعالى أنّ حشر الخلائق حسب أعمالهم، و أنّ كلّ أحد إلى غايه سعيه و عمله و إلى ما يحبّه و يهواه، فحيث إنّ الأنكاس أدبروا ههنا عن أمر اللّه تعالى و طاعته و لقائه و أقبلوا إلى الشهوات النفسانيه و لم يرفعوا رؤوسهم عن معلفهم و مرعيهم فهم فى النشأه الاخره أيضا ناكسون لأنّ الدّنيا مزرعه الاخره قال عزّ من قائل: «نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ » (الواقعه ۶۱-۶۳)، و فى الكافى كما فى الصافى عن السّجاد عليه السّلام: العجب كلّ العجب لمن أنكر النشأه الاخرى و هو يرى النشأه الاولى.

و قال عزّ من قائل: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ » (الم السجده: ۱۳).

و روى ثقه الإسلام الكلينى فى باب ظلمه قلب المنافق و إن أعطى اللسان و نور قلب المؤمن و إن قصر بلسانه من كتاب الإيمان و الكفر (ص ۳۰۹ ج ۲ من المعرب) بإسناده عن المفضل عن سعد عن أبى جعفر عليه السّلام: قال إنّ القلوب أربعه: قلب فيه

نفاق و ایمان، و قلب منکوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر أجرد فقلت: ما الأزهر؟ قال: فیه کهیئه السراج، فأمّا المطبوع فقلب المنافق، و أما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شکر و إن ابتلاه صبر، و أما المنکوس فقلب المشرک ثمّ قرأ هذه الایه: «أَ فَمَنْ یَمْشِی مُکِبًّا عَلی وَجْهِهِ أَهْدی أَمَّنْ یَمْشِی سَوِیًّا عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ » (الملک: ۲۲) فأما القلب الّذی فیه إیمان و نفاق فهم قوم کانوا بالطائف فإن أدرک أحدهم أجله علی نفاقه هلک و إن أدرکه علی إیمانه نجی.

و قال العلم الحجّه المولی صالح المازندرانی قدّس سرّه فی بیانه: (ص ۱۳۰ ج ۱۰) القلب المنکوس کالکوز المقلوب - إلی أن قال: و قیل: القلب المنکوس القلب الناظر إلی الدّنیا و المتوجّه إلیها لأنّ الدّنیا تحت الاخره و الاخره فوقها فالناظر إلیها منکوس رأسه، و الایه من باب التمثیل بالأشیاء المحسوسه تقریبا للفهم و الاستشهاد باعتبار أنّ المشرک یمشی مکبّا علی وجهه لکون قلبه مکبوبا، مقلوبا و المؤمن یمشی سویّا لکون قلبه علی وجه الفطره مستقیما عارفا بالحق کما یرشد إلیه قوله تعالی: «عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ ».

قوله علیه السّلام:(من نکّب عنها - إلخ) أی من عدل و تنحّی عنها مال عن الوسط و العدل و القصد، و مشی علی غیر هدایه و استقامه فی الضلال.

قوله علیه السّلام:(و غیر اللّه نعمته و أحلّ به نقمته فنفسک نفسک) إنّما أمره بحفظ نفسه و کرّره تأکیدا و تشدیدا لما قال سبحانه: «إِنَّ اللّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ » (الرعد: ۱۲)، و قال تعالی: «فَما کانَ اللّهُ لِیَظْلِمَهُمْ وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ » (التوبه: ۷۱).

فی باب محاسبه العمل من کتاب الایمان و الکفر من الکافی (ص ۳۲۹ ج ۲ من المعرب): قال أبو عبد اللّه علیه السّلام لرجل: إنّک قد جعلت طبیب نفسک، و بیّن لک الداء، و عرّفت آیه الصحه، و دللت علی الدواء، فانظر کیف قیامک علی نفسک.

و فی ذلک الباب عنه علیه السّلام أیضا: اقصر نفسک عمّا یضرّها من قبل أن تفارقک واسع فی فکاکها کما تسعی فی طلب معیشتک فإنّ نفسک رهینه بعملک.

و فيه عنه عليه السّلام أيضا قال: كتب رجل إلى أبى ذرّ رضى اللّه عنه يا أبا ذر أطرفنى بشىء من العلم، فكتب إليه: أنّ العلم كثير و لكن إن قدرت أن لا تسيئ إلى من تحبّه فافعل، قال: فقال له الرجل: و هل رأيت أحدا يسيئ إلى من يحبّه ؟ فقال له: نعم نفسك أحبّ الأنفس إليك فإذا أنت عصيت اللّه فقد أسأت إليها.

قوله عليه السّلام:(و حيث تناهت بك اموركَ - إلخ) قال بعضهم: حيث عطف على سبيلك، أى فقد بيّن اللّه لك مالك و منقلبك، قال تعالى: «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »، فهو عليه السّلام يحذّره عن عاقبته الوخيمه، و يخوّفه عن جزاء أعماله الفاضحه، ثمّ كأنّما قيل: و إلى ما تناهت به اموره و أىّ شىء يترتّب على أفعاله ؟ فأجاب عليه السّلام: فإنّه قد أجرى إلى غايه خسر إلخ، فما تناهت به اموره جزاء أعماله السيئه.

هذا غايه ما يمكن أن يقرّر معنى العباره على قول هذا البعض، و لكنّ الإنصاف أنّ الصواب هو ما أفاده الفاضل الشارح المعتزلى كما تقدّم فى بيان الإعراب، أى قف حيث أنت لأنك قد أجريت إلى غايه خسر فالفاء فى فقد فى معرض التعليل للفعل المحذوف أعنى قف، و الكلام على هذا الوجه خال عن التكلّف دون الأوّل.

و لا يخفى لطافه قوله عليه السّلام: و إنّ نفسك قد أوحلتك شرا، و قد علمت أنّ معنى أوحلتك أورطتك فى الوحل، فالويل ثمّ الويل لمن أطاع نفسه و نسى حظّه، فإنّ النفس لأمّاره بالسوء ينسى مطيعه ذكر اللّه تعالى كما قال تعالى: «اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ »، و قال تعالى: «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى وَ كَذلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقى » (طه: ۱۲۵).

هذا آخر المجلّد الخامس من تكمله منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه و به انتهى المنهاج إلى المجلّد التاسع عشر، و للّه الحمد على ما أولانا، و له الشكر بما تفضّل علينا من إفاضه منه، و إسبال نعمه علينا، و كيف أشكره تعالى حقّ شكره و ليس من شكر أشكره به إلّا و هو نعمه جزيله أنعم بها علىّ ، اللّهم ارزقنا قلبا

ذاکرا و لسانا شاکرا، اللّهم ثبّت قلوبنا علی دینک، اللّهم ارزقنا نعمه الحضور عندک، اللّهم یا عاصم قلوب المؤمنین خلّصنا من شرور أنفسنا و وفّقنا بالتنعّم من مأدبتک القرآن الفرقان العظیم، و باتّباع سنّه نبیک الکریم، و اطاعتک و اطاعه رسولک و اولی الأمر الّذین هم وسائط فیضک و أبواب رحمتک یا أرحم الراحمین.

و قد حصل الفراغ من تألیف هذا السفر الکریم بید العبد الراجی لقاء ربّه الرّحیم: نجم الدّین الحسن بن عبد اللّه الطبری الاملی فی الامل، لیله الأربعاء الثامنه عشر من ربیع المولود من شهور سنه تسع و ثمانین و ثلاثمائه بعد الألف من هجره خاتم النبیّین صلّی اللّه علیه و علی آله الطیبین الطاهرین، و الحمد للّه، و آخر دعویهم أن الحمد للّه ربّ العالمین.

الترجمه

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام بمعاویه نوشت:

در آنچه که در دست داری از خدا بترس، و حقّ خدا را بر خود بنگر و بشناختن آنچه که عذرت در ندانستن آن پذیرفته نمی شود باز گرد، زیرا برای بندگی و طاعت نشانها و پرچمهای روشن، و راههای هویدا، و جادّهٔ آشکار و نتیجه و غایت مطلوبست خردمندان بدان در آیند، و سفلگان از آن روی گردانند، هر که از آنها بازگشت از حقّ برگشت، و در وادی گمراهی بسر برد، و خدای نعمتش را بر وی دگرگون کرد، و او را در عذابش افکند پس خویشتن را درياب و خود را باش که خدا راه را برایت روشن کرد، و چون کارها بدست تو افتاد نهایت زیان را از دست خویش جاری کردی و در وادی کفر در آمدی، نفست تو را به شرّ کشانید و از دست وی بگل درماندی و تو را بگمراهی در آورد و به نابودیها رسانید و راهها را بر تو دشوار کرد.

إلی هنا انتهی الجزء التاسع عشر من هذه الطبعه النفیسه القیمه و تمّ تصحیحه و ترتیبه بید العبد - السید ابراهیم المیانجی - عفی عنه و عن والدیه فی الیوم السابع من شهر رجب الأصبّ - ۱۳۸۹ - و یلیه انشاء اللّه الجزء العشرون و أوله: المختار الحادی و الثلاثون و الحمد للّه کما هو أهله.

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که مـا را در دستیـابی به این هـدف یـاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادنـد تقـدیر و تشـکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصـفهان -خیابان عبـدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شـهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانه‌ای
قائمیه
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹